تأليف الشيخ الرئيس
بي القاسم عبد الله بن ناقيا البغدادي
(٤١٠ - ٤٨٥ هـ)

((سمعته منه ولم يُسبق إلى مثله))
هبة الله بن علي بن المجلي البزاز

حققه وشرحه
الدكتور
محمد رضوان الداية

الجُمَان
في تشبيهات القرآن

بسم الله الرحمن الرحيم

الجُمَان

في تشبيهات القرآن



ـ الكلمة الأولى ـ

بسم الله الرَّحمن الرَّحيم

كان كتاب (الْجُمان في تشبيهات القرآن) مَوْضِع اهتمام العلماء من قديم ؛ لوقوفه عند موضوع التَّشبيه في القرآن الكريم على منهجٍ جمع فيه المؤلِّف بين استيفاء التَّفسير ، والاتِّساع في التَّمثيل والاستشهاد بأشعار العرب ، والاستطراد إلى مسائل ومواقف مختلفة متعدِّدة الجوانب من وجوه الثَّقافة والمعرفة ؛ وهو أوَّل كتاب يعنى بـ (التَّشبيه) في كتاب الله الكريم ، ويستوفي الكلامَ عليه ويستطرد بالكلام إلى إعجاز القرآن ، واقفاً وقفات خاصّة عند هذه الزّاوية البلاغية .

واعتمد المؤلِّفون في مجال علوم القرآن ، وعلوم البلاغة على كتاب الجمان هذا ، ونقلوا عنه ، وأَوْلَوْهُ أهميَّةً خاصَّة . وتدلُّ النُّسختان الباقيتان المعروفتان من مخطوطات الكتاب على أنَّ ابنَ ناقيا ـ مؤلِّف الكتاب ـ كان يُقْرِئُه ؛ وأنَّ إقراءه كان مهمَّة تولاَّها نفرٌ من العلماء بعد زمان المؤلِّف أجيالاً متوالية .

ولقي الكتاب عناية في العصر الحديث ؛ فقد صوَّرته جامعة الدول العربية عن نسخة محفوظة في مكتبة الأسكوريال ، كانت قديماً في كتب مولاي زيدان سلطان المغرب الأقصى قبلَ أن يستوليَ عليهِ ـ في سفينة كاملة من المخطوطات ـ قراصنةٌ إسبان في عهد استشراء الاستعمار الأوربيّ . وهي النّسخة التي اعتمد عليها محقِّقو كتاب (الْجُمان) في طبعاته الثَّلاث .

إذن صدر الكتاب في ثلاث طبعات : في الكويت ، وبغداد ، ثمّ القاهرة ؛ صدرت طبعة الكويت سنة (١٩٦٨) م ، وتلتها طبعة بغداد ، ثمَّ صدرت طبعة

القاهرة سنة (١٩٧٤) م . ولم يُتَحْ لي ـ على تَطَاوُلِ الزَّمَنِ ـ الاطِّلاع على طبعة بغداد ، على كثرة طلبها . ويُفْهَمُ مِن مقالة قرأتُهَا للأستاذ عبّاس العزاوي ـ رحمه الله ـ نشرتها مجلّة العرب أنَّ تلكَ الطبعة تحقيقٌ للنَّصِّ لا يتجاوزُ إلى الشَّرح والتَّبْيِين . أمّا الطبعة القاهريّة ـ وقد صُوِّرَت بعد ذلك على حالها ـ فهي نموذج لمشكلات إخراج النَّصّ وأخطائه .

وأُتيحَ لي ـ منذ نحو عامين ـ أن أتَنَبَّهَ إلى نسخة جديدة من كتاب (الجمان) من المكتبة الرِّفاعيّة ، كانت محفوظةً في حلب ، ثمَّ انتقَلَتْ مع مخطوطات حلب المختلفة إلى مكتبة الأسد الوطنيَّة .

وتُعَدُّ هذه النُّسخة واحدة من نفائس المخطوطات التي كانت تضمّها مكتبات حلب المخطوطة ، ثمَّ آلَتْ إلى الاجتماع بأَخَواتِهَا مخطوطات المكتبة الظاهريّة وغيرها من الكنوز المحفوظة النَّفيسة .

والنُّسخة الجديدة مهمّة من جهات كثيرة : فهي تامَّة غير منقوصة ، وتستدرك الخروم الَّتي أصابت نسخة الإسكوريال ، وهي مكتوبة بخطٍّ حسن ، من كاتب عالم مُدَقِّق ، وعليها قراءات وسماعات تزيد النُّسخة توثيقاً .

وزاد اكتشاف هذه النُّسخة مِن همَّتي إلى إخراج الكتاب إخراجاً لائقاً بأهمِّيّته ومكانته ؛ ورأيتُ أن أجعل هذه الطبعة جديدةً في كلِّ شيء : في مراجعة النَّصِّ وتوثيقه وبناء حواشيه وشرحه شرحاً وافياً ؛ فتصدَّيْتُ لذلك ، وأنفقتُ في سبيله زماناً وجهداً أحتسبه في خدمة القرآن الكريم وعلومه ، راجياً من الله تعالى حُسْنَ الثَّواب .

فالَّذي أُقدِّمه إلى القارئ الكريم هو نصُّ كتاب (الجمان في تشبيهات القرآن) مُرَاجَعاً على النُّسختين الخطِّيَّتين ، معالجاً معالجةً طويلةً مُتَأَنِّيَةً ، مشروحاً شرحاً وافياً على الوجه الَّذي أدَّى إليه اجتهادي ، وسمحت به مصادري ومراجعي ، مفهرساً فهرسةً فنِّيَّة تُقَرِّب الكتاب وتُتِيحُ الانتفاعَ بما فيه .

أحمدُ اللهَ تعالى على توفيقه وعَوْنِهِ ، وأشكرُه حقَّ شكره على نعمته وفضلـه ؛ وآخر دعواهم أن الحمد لله ربِّ العالمين .

أ . د . محمد رضوان الدّاية

دوما (دمشق)
غرّة ذي الحجة ١٤١١ هـ
حزيران ١٩٩١ م

مقدِّمات التَّحقيق

المقدِّمة الأُولى

ابن ناقيا في المكان والزَّمان

ـ ١ ـ

أمضى ابن ناقيا البغدادي حياته جميعاً في ظلِّ القرن الهجري الخامس (ولد ٤١٠ هـ ـ وتوفِّي ٤٨٥ هـ) ، وعاصر أحداثاً سياسيّة واجتماعيّة وثقافيّة مُهمّة . لقد كان القرن الهجري الخامس قرناً متحرِّك الأحداث ، متنوِّع المؤثِّرات ، سريع التَّحوُّل من حال إلى حال .

وفي هذه المدّة من حياة الدولة العربية الإسلامية المترامية الأطراف بين حدود الصين شرقاً وعُمق أوربة غرباً كان يُخطب لثلاثة من الحكّام بإمرة المؤمنين ، وكانوا يحظون بلقب الخلافة :

أحدهم : في أقصى الغرب ، خليفة الأندلس من بني أُميّة ، وكانت العصبيّة العربيّة التي تُساند الأُمويين قد ضعفت منذ القرن الرّابع على يد المنصور محمد بن أبي عامر ، بسبب رغبته في إضعاف الأُمويّة والتَّمكين لنفسه ، وضرب كل طرف يظنُّ به القوّة .

ودخلت الأندلس منذ مطلع القرن الرّابع مدّة اضطراب خطيرة ، وتناول عددٌ من الأُمويين على الخلافة بلا فاعليّة ولا قدرة على ضبط الأُمور المنحرفة من هنا وهناك حتى سقطت سنة (٤٢٥ هـ) ، ثم ازدهرت دول الطَّوائف ، وتمهّدت السبيل إلى

نموّ حركة الاستغلاب (المسمّاة عند الأوربيين : بحركـة الاسترداد) وسقطت (بربشتر) و (طليطلة) ، ونَزل بالأمّة من سقوط بني أُميّـة هنـاك شرٌّ مُستطير . وكان المشرق في شغل شاغل عن الأندلس وعن الأندلسيِّين !

والخليفة الثاني : كان في القاهرة عاصمة الدَّولة الفـاطميَّـة المعروفـة أيضاً بـدولـة العُبَيـديِّين . وكان الفـاطميّـون منـذ أن كانـوا في المغرب الأوسـط والأدنى قـد جهـدوا لمشاركة خليفة المسلمين ببغداد لقب الخلافة .

وكانت الدولة الفاطميّة في مرحلة صعبة من وجودها السِّياسي وكيانها الحضـاري ؛ ذلك أنَّ القائمين بالدَّولة الفـاطميّـة في مصر هم الَّـذين كانُوا يسيِّرون أُمورهـا لا الخلفـاء الفاطميّون . وحاول الحاكم بأمر الله أن يُرجِعَ إلى الخلافة الفاطميّة فـاعِليَّتهـا فلم يتيسر لـه ذلـك . واشتهر من المسيطرين على الـدولـة الفـاطميّـة يعقوب بن كلّس وعـدد من الوزراء من أهل الـذِّمّـة ، ثم حكم عليهـا : بـدر الجمـالي ، ومن جـاء بعـده من الـوزراء والمتنفِّذين .

وفقدت الدَّولة الفاطميّـة جنـاحهـا الغربيّ نهـائيّـاً بخروج المعزّ بن بـاديس عليهـا وخلعه الدَّعوة الفاطميّة . وانحسرت قوى الفاطميِّين عن مصر وأجزاء من الشام .

والخليفة الثالث : هو خليفة بغداد العبّاسي . وكانت الـدولـة في هـذه المـدّة تحت وطأة البويهيين : المتنفِّذين الحقيقيِّين ذوي السُّلطـة الفعليّـة . ثم تخلَّص العبـاسيون من أُمراء بني بويه ؛ بعد أن استنجد الخليفة العباسي القائم بأمر الله بأمير السلاجقـة ـ هـذه الدولة الناشئة القوية ـ فدخل زعيمهم طغرل بـك وقضى على البويهيين وردَّ إلى الخلافـة العبّاسيّة مكانتها ، وذلك سنة ٤٤٧ هـ ؛ وأُنهيت فتنة البساسيري (أَبو الحـارث أَرسلان الفارسي) شحنة بغداد الذي تحرَّك لإنهاء الخلافة العباسية وإحلال الفـاطميين محلَّهم في بغداد .

وكان خلفاء الفترة التي عاش فيها ابن ناقيا في بغداد ، هم :

ـ أبو العباس أحمد القادر بالله بن إسحاق بن المقتدر (٣٨١ ـ ٤٢٢ هـ) .

ـ وأبو جعفر عبد الله القائم بأمر الله بن القادر (٤٢٢ ـ ٤٦٧ هـ) .

« وفي أثناء خلافته ظهر البساسيري وسيطر (٤٥٠ ـ ٤٥١ هـ) ، وكان الخليفة مسجوناً في حديثة عانة إلى أن قضي على تلك الحركة » .

ـ وأبو القاسم عبد الله عدّة الدين المقتدي بأمر الله بن محمد بن القائم (٤٦٧ ـ ٤٨٧ هـ) .

وتقلّب على منصب أمير الأُمراء من البويهيّين في هذه المدّة كلّ من :

ـ سلطان الدولة البويهي (٤٠٣ هـ) ثم مشرّف الدولة (٤١٢ هـ) ثم جلال الدولة (٤١٦ هـ) ودخل بغداد (٤١٨ هـ) وعماد الدين (٤٣٥ هـ) وخسرو فيروز (٤٤٠ هـ إلى ٢٢ رمضان ٤٤٧ هـ وقت دخول طُغرل بك بغداد) .

إذن انقرض البويهيون ، وضعفت دولة بني عقيل في الموصل ، وقامت ثم زالت دولة بني مرداس الّتي حلّت في حلب محلّ الحمدانيين في مُصادمة الفاطميّين والبيزنطيّين . وقامت دولة لبني مزيد الأسديّة في الحلّة ودولة لبني مروان في ميافارقين وآمد وما حولها ، ودولة للنميريين في الرُّها وحرّان وسروج والرّقة . ثم انضوت جميعاً تحت سلطنة السّلاجقة قبل هُجوم الإفرنج الصَّليبيِّين .

وانقرض في اليمن حكم بني زياد في زبيد (٢٠٤ ـ ٤١٢ هـ) ودولة الصليحيين في زبيد وصنعاء (٤٢٩ ـ ٤٩٢ هـ) وتداخلت هاتان الدولتان أثناء حكمها . ثم جاءت دولة بني نجاح .

كان قيام الدولة السلجوقية سنة (٤٢٩ هـ) بخراسان ، وكان دخولهم بغداد

سنة (٤٤٧ هـ) بقيادة طغرل بك ، واستمرَّ عصرهم إلى سنـة (٦٣٩ هـ) . والسَّلاجقـة غُزّ (تركمان) وقـد بسطـوا على امتـداد دولتهم المـذهبين الشـافعي والحنفي ، ثم تكفَّـل صلاح الدين في مرحلـة تـاليـة بـالقضـاء على الـدّولـة الفـاطميّـة ، وهو يعمل في ظلِّ نور الدين محمود الشهيد .

وبعـد أن ثبت السّلاجقـة في العراق والشـام وبسطوا نفوذهم على الأنـاضول حملـوا مهمَّة الدِّفاع عن السّواحل الشَّامية ، ونازعوا الدَّولة الفاطميَّة نفوذها ومناطقها وقلَّصوا نفوذها جدّاً .

ثم واجه السّلاجقـة (تحت ظلّ أمرائهم الـذين حكموا الشـام والعراق والأنـاضول) الحركـة الصليبيـة (بـدءاً من ٤٩١ هـ حين احتلّـوا أنطـاكيـة ...) كما واجهت صِقِلِّيَّـة وبعدها المهديّة على ساحل تونس هجوم النّورمانـديّين في حركـة صليبيَّـة على المنـاطق العربيّة الإسلاميّة في البحر المتوسط ، وواجهت الأندلس هذه الحركة المدمِّرة من أواسط القرن الخامس وبدا انهيارُها وشيكاً لولا أن أمسك المرابطون (الدولة الفتية الصَّنهاجيّـة الإسلاميّة التي نشأت في المغرب) بزمام الموقف وأنجـدوا الأنـدلس ، ثم بسطوا سلطـانهم عليها في كلام يطول شرحه واستقصـاؤه . وكان لنصرهم في موقعـة الزلاّقـة (٤٧٩ هـ) أثر بالغ في امتداد عمر الإسلام في الأنـدلس أكثر من أربعـة قرون ، كما كان نصر المسلمين على بيزنطـة قبل ذلـك في ملازكرد نصراً مؤزَّراً سنـة (٤٦٣ هـ) في المشرق ؛ فوقـع في يدهم ـ لأوّل مرة ـ إمبراطور بيزنطة رومانوس دايجينس .

أمّا أقصى شرق الدولة ، فكان تحت ظلّ الدولة الغزنويـة ، التي انحسر نفوذهـا عن خراســان ، وظـلَّ مستمرّاً في سجستــان والهنــد إلى أطراف الصين حتى القرن الســابـع الهجري .

- ٢ -

لقيت الحركة العلمية والثقافية والتعليميّة والتأليفيّة نشاطاً جديداً مع استيزار نظام المُلك : وهو الوزير : الحسن بن علي بن إسحاق ، المولود بطوس سنة (٤٠٨ هـ) ، ـ وكان أبوه من المقرَّبين عند يمين الدولة محمود بن سُبُكْتُكين الغزنوي ـ ونال نظام الملك حظّاً وافراً من العلوم والآداب والشَّريعة . وترقَّى في المراتب حتى وزر للسلطان ألب أرسلان بن داوود بن ميكائيل بن سلجوق ، ومن بعده لـ (ملكشاه) : وطالت مدته إلى تسع وعشرين سنة ، حتى اغتيل قريباً من أصبهان سنة (٤٨٥ هـ) (سنة وفاة ابن ناقيا) . وتتَّجه أصابع الاتِّهام إلى الحشيشية أتباع حسن الصّبّاح الذين اعتمدوا على الاغتيال السياسي الطقوسي لبسط نفوذهم وآرائهم ، وكلُّهم تفرّعوا من الدّعوة الفاطميّة التي عقد مجمع علماء السُّنة والشِّيعة سنة (٤٠٢ هـ) في بغداد وفيهم الشريف الرّضي والشَّريف المرتضى على القدح في نسب الفاطميِّين وعدم صحة انتمائهم الشريف .

وأثرى نظام الملك الحياة الفكرية والعلمية بإنشاء المدرسة النظامية في بغداد وفُروعها ، وبتقريب العلماء والأدباء والفقهاء والشُّعراء ، وكانت أيّامه مجالاً لغلبة الأشعرية ، وتقريب المتصوِّفة ذوي الشَّأن والمكانة ولانحسار أفكار الهرطقة المتطرفة .

وأدَّى هذا كله ، وبالتفاعل مع الظروف العقيديّة والفكريّة إلى تمتين قواعد اليقظة الإسلاميّة التُّراثيّة الآثاريّة .

ويبرز في هذا العصر أسماء لامعة في الفقه ، والأُصول ، وعلم الحديث ، وعلوم القرآن ، وفي علوم العربية وآدابها ، وفي سائر العلوم العقليّة ، مع تسجيل غلبة الأشاعرة ، ونموّ الحركة الصوفيّة ؛ وانحسار الفكر الباطني تدريجاً وإصابته بضربة قاصمة مع ظهور الدولة الأيوبيّة ، وبسط السلاجقة نفوذهم على سائر المشرق .

ويُذكر من العلماء في العلوم المختلفة : من الشرعية والإنسانية في هذا العصر الوزير المغربي (٤١٨ هـ) ، وأبو علي المرزوقي شارح الحماسة (٤٢١ هـ) ، والعُتْبي المؤرخ (٤٢٧ هـ) ، والثعالبي المؤلف الشامل (٤٢٩ هـ) ، وابن دوست (٤٣١ هـ) ، والعميدي الناقد (٤٣٣ هـ) ، والشريف المرتضى (٤٣٦ هـ) ، والميكالي (٤٣٦ هـ) ، وأبو العلاء المعرِّي أشهر من وصل القرن الخامس بالقرن الرّابع (٤٤٩ هـ) ، وابن الشخباء العسقلاني (٤٨٤ هـ) ، والزوزني (٤٨٦ هـ) .

وفيهم : الماوردي (٤٥٠ هـ) أحد العلماء الأعلام ، والخطيب البغدادي (٤٦٣ هـ) ، وابن سنان الخفاجي ، الناقد الشاعر (٤٦٦ هـ) ، والباخرزي (٤٦٧ هـ) ، والواحدي المفسِّر الأديب (٤٦٨ هـ) ، وابن بابشاذ النحوي (٤٦٩ هـ) ، وأبو إسحاق الشيرازي الفقيه الشافعي الشهير (٤٧٦ هـ) .

وكان الشعراء في العدد كثرة في هذه المدّة في مشهوريهم المعرّي ، وأبو الحسن التهامي (٤١٦ هـ) ، وعبد المحسن الصوري (٤١٩ هـ) ، وابن زريق البغدادي (٤٢٠ هـ) ، ومهيار الديلمي (٤٢٨ هـ) ، تلميذ الشَّريف الرَّضي المؤلِّف الشّاعر والعلم البارز . وأبو الحسن الحرقي (٤٥٥ هـ) ، وصرّدرّ (٤٦٥ هـ) ، وابن حيّوس (٤٧٣ هـ) ، وابن أبي حُصَينة .

على أنَّ الشّعر ـ في العموم الغالب ـ لم يعد يحمل الألق والبريق الذي توفر لشعراء القرن الرّابع الكبار ، وخصوصاً لأبي الطَّيِّب المتنبّي . ولكنَّ دواوين هؤلاء الشعراء ، وسواهم ، وكتب التراجم الموسَّعة تقدم هنا وهناك أشعاراً تحمل في ثناياها لمحات كالفرع الذي يذكِّر بالأصل ، والأثر الذي يشير إلى العين .

المقدّمة الثانية

دراســــــــة في المــــــــؤلّف

- ١ -

المؤلّف(☆) هو أبو القاسم عبد الله بن محمد بن الحسين بن داوود بن ناقيا بن محمد بن يعقوب ؛ المعروف بالبُندار ؛ ولكنّه اشتهر اختصاراً بابن ناقيا البغداديّ .

ووقع في اسمه أنّه (عبد الباقي) ، وكلّ مَن سمّاه بعبد الباقي فإنّما يأخذ مباشرةً ، أو نقلاً ، عن أحد مَن روى عنه ، وهو المحدّث البغداديّ عبد الوهّاب بن المبارك الأنماطيّ . قال في لسان الميزان (٣٨٤/٣) : « وسمّاه عبد الوهّاب الأنماطي عبد الباقي ، والصحيح ما كتبه (ابنُ ناقيا) بخطّه ؛ قلت : الأنماطي غيرُ مُتَّهَمٍ بل هو حافظٌ ، فلعلَّهُ سُمِّيَ له » . وفي الجواهر المضيّة : « قال ابن النّجّار الحنفيّ : هو المعروف بالبُنْدَار الشّاعر من أهل شارع دار الرَّقيق ، هكذا رأيت اسمه بخطِّ يده . ورأيت بخطِّ عبد الوهّاب الأنماطيّ اسمه عبد الباقي . قال : والصحيح ما كتبه بخطِّه » .

(☆) رجعت في ترجمة ابن ناقيا وأخباره إلى :

- خريدة القصر وجريدة العصر للعماد الأصفهاني (قسم العراق) ٢٣٦/٢/٣ ـ ٢٤٥ ، والمنتظم ٦٨/٩ ، وإنباه الرّواة ١٣٢/٢ ، ومعجم الأدباء ١٦٥/٥ـ١٦٦ ، والكامل في التاريخ ٢١٨/١٠ ، ووفيات الأعيان ٣٠/١ و ٩٨/٣ ، وميزان الاعتدال ٥٣٢/٢ ، والجواهر المضيّة ٢٨٣/١ـ٢٨٤ ، والوافي بالوفيات ٤٧٢/١٧ و ١٦/١٨ ، والبداية والنهاية ١٤١/١٢ ، ولسان الميزان ٣٨٥/٣ ، وتاج التَّراجم ٣٩ برقم ٩٢ ، وطبقات المفسّرين ٢٥٥/١ ، وكشف الظُّنون ١٢٩ ، ٥٩٤ ، ٧٦٩ ، وهديّة العارفين ٤٥٣/١ و Brock S1/486 . والإتقان للسيوطي ١٤٢/٣ (ط الهيئة المصريّة) .

وأدّى هـذا الـوهم في اسمـه إلى أن ترجم لـه بعض المصنِّفين تحت (عبـد الله) و (عبد الباقي) ؛ والرَّجُل واحد واسمه : عبد الله ، وتسميَتُهُ بـ (عبد البـاقي) وورود ذلك في بعض كتب التَّراجم خطأ جرَّه على بعض المؤرِّخين وَهْمٌ من الأنماطيّ المذكور .

ويؤكِّـد مـا أقطـع بـه من أن اسمـه (عبـد الله) نصـوص السَّماع المثبتـة على كلتـا النسختين المخطوطتين المعروفتين من الكتاب ؛ وفيهم رجـال معروفون في كتب التراجم والتواريخ مترجم لهم .

وكان ابن ناقيا شخصيّـةً مشهورةً معروفـةً في زمـانـه ، وكان متنوِّع الجوانب غزير الثقافة ، كثير وجوه المعرفة ؛ فقـد كان شـاعراً ، وكاتبـاً ، وأديبـاً ، ولغويّاً ، ومؤلِّفاً مصنِّفاً في فنون شتّى .

ووصفته كتب التَّراجم بأوصاف حسنة كثيرة في كلِّ جـانب من جوانبـه الَّتي عُرِفَ بها من الخطِّ وإتقانه ، وحسن المعرفة بالأدب ، وبـالشِّعر المطبوع المجوّد ، وبـالكتـابة الفنِّيَّة المتقنة ؛ فهو بهذا متنوِّع الثَّقافة ، متعـدِّد جوانب المعرفـة ؛ ومِن هنـا دخل عنـد مـؤرِّخي القرن الخـامس في جملـة المحـدِّثين والرُّواة ، والشُّعراء والكتّـاب ، والمـؤلِّفين المصنِّفين .

ـ ٢ ـ

عـاش ابن نـاقيـا حيـاتـه في ظـلِّ القرن الخـامس الهجريّ ؛ وُلِـدَ في النِّصف من ذي القعدة سنة عشر وأربع مئـة ، وتوفِّي في يوم الأحـد رابع محرَّم سنـة خمس وثمـانين وأربع مئة ، وكانت ولادته ووفاته ببغداد .

ويرد في ترجمته أنّه من أهل الحريم الطاهريّ ، ويُخَصَّص مكان إقامتـه فَيُقـال من شارع دار الرَّقيق . وأخذ هذا الشـارع اسمـه من دار للرَّقيق كانت هنـاك ، وأمَّـا الحريم الطّاهريّ فكان بأعلى بغداد من الجانب الغربيّ ، كان شارع دار الرَّقيق متَّصلاً به ؛ وهو منسوب إلى طاهر بن الحسين قائد جيش المـأمون (توفِّي سنـة ٢٣٠ هـ) ، وكان أحـد

المباني المهمّة في بغداد الغربيّة ، وبه كانت منازل أسرته ، وكان أشبه بقصر ملكيّ ، وكان كلّ مَن لجأ إليه يَأْمَنُ فلذلك سمّي الحريم الطّاهريّ . وكان أوّل مَنْ جعله حريماً عبد الله بن طاهر بن الحسين ، ولَمّا سقطت الأسرة الطّاهريّة أصبح الحريم الطّاهريّ مقرّاً ثانويّاً للخلفاء ... ثمَّ صار القصر مكاناً (أو سجناً) لمن يُخْلَع من خلفاء بني العبّاس . وفي أخبار بغداد أنَّ القصر كان ما يزال ماثلاً حتّى أواخر القرن السّابع .

وقد كانت ولادة ابن ناقيا إذن في بغداد في شارع دار الرَّقيق من الحريم الطّاهريّ ، وكانت وفاته في بغداد أيضاً ؛ ودُفِنَ في مقابر باب الشّام ، وهو أحد أبواب بغداد .

وكانت حياته حافلة ، غنيّة ، مليئة بالحركة والحيويّة ، معبّرة عن صورة العصر الثقافيّة والحضاريّة .

ـ ٣ ـ

تتلمذ ابن ناقيا على جمهرة مِن شيوخ عصره في علوم شتّى ، منهم مَنْ عيَّنتهم كتب التّراجم والرِّجال والتّواريخ ، ومنهم من غاب ذكره ؛ ولكن دَلَّت عليه معارفه الواسعة وثقافته الغزيرة . يُضَاف إلى هذا سعة المكتبة العربيّة الإسلاميّة آنذاك وتَنَوُّعُهَا ووفرة المكتبات وبذلها للقرّاء والدّارسين ؛ وأوّل شيوخه أبوه ـ الذي لا نعرف من ترجمته شيئاً ـ فقد روى عنه خبراً في تفسير سورة يونس .

ـ ومن شيوخه : الحافظ أبو محمد الحسن بن محمد الخلاّل ، روى عنه (شرح الفصيح) .

ـ ومنهم ، من المحدِّثين : أبو الحسن أحمد بن محمد بن النّقور (ت ٤٧٠ هـ) ، ومُسْنَدُ العراق في زمانه أبو محمد الحسن بن عليّ الجوهريّ (ت ٤٥٤ هـ) ، وأبو طالب محمد بن علي بن الفتح العشاري (ت ٤٥١ هـ) ، وأبو القاسم عليّ التّنوخيّ (ت ٤٤٧ هـ) ، وأبو القاسم الخفّان (ت ٤٥٠ هـ) .

ـ ومنهم ، من الفقهاء : أبو القاسم الخرقي .

ـ ومنهم ، من الأدباء والشُّعراء : أبو القاسم عبد الواحد بن محمد المطرّز (ت ٤٣٩ هـ) من شعراء بغداد .

وأبو الخطّاب محمد بن علي بن إبراهيم الجبليّ (ت ٤٣٩ هـ) ، روى ابن ناقيا من أشعاره في الجمان ، وهو من شعراء بغداد ، وله أخبار مع أبي العلاء المعرّيّ .

وأبو الحسن محمد بن محمد البصرويّ ، اللُّغويّ (ت ٤٣٣ هـ) ، كان من أصحاب ابن دريد ، مشهوراً بالرِّواية ، وكان يُعْرَف براوية عصره ؛ أخذ عنه ابن ناقيا : مصنَّفاته ، ومنثوره ومنظومه وشيئاً من حديثه .

ـ ومنهم من أهل اللُّغة والنَّحو والأدب :

أبو القاسم عبد الواحد بن علي الأسدي العكبري (ت ٤٥٦ هـ) .

وأبو محمد الحسن بن عيسى بن المقتدر (ت ٤٤٠ هـ) من أمراء العبّاسيِّين .

وأبو عليّ محمد بن علي بن الهنديّ (ت ٤٤٥ هـ) من أمرائهم أيضاً ، عُرِفَ بابن الغريق .

وعبيد الله بن بكر بن شاذان الواعظ (ت ٤٣٣ هـ) .

وأخذ عن ابن ناقيا عدد كبير من الَّذين صاروا مشهورين في علوم شتّى في ذلك الوقت ، من أهل العلوم الشَّرعيّة واللُّغة والأدب والشِّعر وغير ذلك .

فمنهم الحافظ أبو علي أحمد بن محمد البرداني (ت ٤٩٨ هـ) ،
وأبو القاسم إسماعيل بن أحمد السَّمرقنديّ (ت ٥٣٦ هـ) .

وأبو البركات عبد الوهاب بن المبارك الأنماطيّ (ت ٥٣٨ هـ) ، أخذ عنه ابن

الجوزيّ ونقل شيئاً في ترجمته له في المنتظم (٦٨/٩) وسمّاه عبد الباقي متابعةً لرواية فريدة لم نسمعها من غير الأنماطيّ .

وأبو الحسن عليّ بن سليمان البغداديّ .

والشاعر محمد بن خضر بن أبي المهزول المعرّيّ التّنوخيّ (ت ٥٣٨ هـ) .

وأبو علي محمد بن محمد بن عبد العزيز المهدي (ت ٥١٥ هـ) .

والحافظ المؤرّخ شجاع بن فارس الذّهليّ (٤٣٠ ـ ٥٠٧ هـ) .

والأمير أبو غالب الدّيلميّ الطّبريّ .

وأبو نصر هبة الله بن علي بن المجلّي (في المشتبه ٥٧٣/٢ مات كهلاً) .

وأبو المظفّر محمد بن أحمد الأبيوردي (ت ٥٠٧ هـ) .

ـ ٤ ـ

في ترجمة ابن ناقيا في بعض المصادر كلامٌ لا بدّ من الإشارة إليه ، كما أنّه لا بدّ من توضيحه وتوجيهه وبيان الحقّ فيه ؛ وذلك أنّهُ اتُّهِمَ بعدد من الأمور وهي :

ـ أنّهُ كثير الهزل والمجون ، و : كان مطعوناً عليه في دينه وعقيدته ، و : أنّه اتُّهِمَ بالزّندقة (ميزان الاعتدال ٥٣٣/٢) و (لسان الميزان ٣٨٤/٣) ، و : أنّه ما كان يصلّي .

وقد خَلَت ترجمته في عدد من الكتب من هذه التُّهَمِ ، بل كان في موضعها ثناءٌ وتَبْرِئَة ظاهرة أو خفيّة ؛ فقد ترجم له صاحب (تاج التّراجم) على طريقته في الاختصار دون أيّة إشارة إلى تهمة ، وأثنى عليه العماد الأصفهاني في (الخريدة) ، ونصّ ترجمته ثَمّة :

« ابن ناقيا من شعراء الدولة القائميّة والمقتدريّة ، من أهل الحريم الطاهريّ

بغداد : شاعر مجيد وفاضل مفيد ، ما على نظمه الرائق ونثره الفائق مزيد ، وله مقامات أدبيّة معروفة بين أهل الأدب ، وهو رقيق الشعر ، سليم المذهب » .

وأمّا ابن خلّكان فاحترس في ترجمته حين نقل عمّن سبقه من المؤرِّخين ، وقال : « كان يُنْسَبُ إلى التَّعطيل ومذهب الأوائل ، وصنَّف في ذلك مقالة ، وكان كثير المجون » .

وعقَّب على ذلك بخَبَرٍ اطَّرَدَ في تراجمه ، رواه في الجواهر المضيّة بإسناده ، نورِدُهُ بنصِّه ، قال : « قرأتُ على أبي الفتوح داوود بن معمر بن عبد الواحد القرشيّ بأصبهان ، عن عمر بن المظفر بن أحمد المغازي المقرئ ، سمعتُ أبا الحسن بن علي بن محمد بن أحمد الدَّهّان المرتّب بجامع المنصور قال : دخلتُ على أبي القاسم بن ناقيا بعد موته لإغساله فوجدتُ يده اليسرى مضمومةً فاجتهدتُ على فتحها ، وفيها كتابة بعضها على بعض ، فَتَمَهَّلْتُ حتى قرأتها ، فإذا فيها مكتوب :

نَزَلْتُ بِجَارٍ لا يُخَيِّبُ ضَيْفَهُ ... وأَرْجُو نَجَاتي مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمِ
وَإنِّي - عَلَى خَوْفي مِنَ اللهِ - وَاثِقٌ ... بِإنْعَامِهِ ، واللهُ أَكْرَمُ مُنْعِمِ »

وكتاب (الْجُمَان) ينضَحُ بِنَفَسٍ إيمانيّ عارم ؛ فموضوع الكتاب أصلاً بيانُ إعجاز القرآن الكريم اعتماداً على قضايا البلاغة خاصّةً ، وبيان أنّهُ نَزَلَ على مقتضى كلام العرب . وقد نبَّه أكثر من مرّةٍ تنبيهاً مباشراً إلى البَوْن الشّاسع بين نظم القرآن الكريم وبين أشعار العرب وكلامها ؛ وهذا مطَّرد في الكتاب من أوّله إلى آخره .

ولقد راجعتُ الكتب التي ترجمت لابن ناقيا أو مرَّت بذكره فوجدت أنَّ هذه التُّهَمَ جميعاً ترجع إلى رَجُلٍ واحدٍ كان مِمَّن (روى) عن ابن ناقيا ، ولا ندري ما الذي أخذه عنه أو جلس لأخذه عنه ، أهو الحديث أم الأدب أم اللُّغة أم غير ذلك مِمّا كان ابن ناقيا يتصدَّى له و يُقْرِئُهُ . وهذا الرَّجُلُ وَحدَهُ هو الَّذي سَمَّى ابنَ ناقيا باسم (عبد الباقي) فأوهَمَ عدداً من

المؤرِّخين للتَّرجمة له تحت هذا الاسم ، أو لتكرار ترجمته في رسم (عبد الله) ورسم (عبد الباقي) ؛ والرَّجُلُ المقصود هو عبد الوهّاب بن المبارك الأنماطيّ .

قال ابن حجر في (لسان الميزان) في ترجمة صاحب (الجمان) تحت اسم (عبد الباقي) آخذاً برواية الأنماطيّ لاسمه ، ما نَصُّه : « قال السَّمعانيّ حدَّثنا عنه ابن الأنماطيّ[1] وابن ناصر ، وسألت ابن الأنماطيّ عنه فقال : ما كان يصلِّي ، قال : وسمعته يقول : في السَّماء نهر من خَمْرٍ ونَهْرٌ من لَبَنٍ ونَهرٌ من عَسَلٍ ونهرٌ من ماء ، ما يسقط منها في الأرض شيءٌ إلاّ هذا الذي تحرزه العيون ! » ، والعبارة كما نقلها في ذيل تاريخ بغداد : « ينقط هذا الذي يخرب البيوت ويهدم السقوف » .

وزاد الطِّين بلَّة معرفة ابن ناقيا بعلوم الأوائل : الفلسفة والمنطق وعلم النُّجوم وغيرها ، وتأليفُهُ كتاباً في موضوع الكلام والفلسفة ـ كما يبدو من عبارة القدماء : إنَّه ألَّف كتاباً في التعطيل ومذهب الأوائل ـ واستفادتُهُ في بعض كتبه من تلك المعلومات في بيئةٍ محدودةٍ ـ كان هو فيها ـ تقف عند الرِّواية والعلوم النَّقلية .

وترجم ابن رجب الحنبليّ لأبي البركات عبد الوهّاب بن المبارك الأنماطيّ (ذيل طبقات الحنابلة ١/٢٠١ـ٢٠٣) ، ونفهم من ترجمة الأنماطيّ أنَّه كان متفرِّغاً للتَّحديث ، وكان متشدِّداً في حياته ، لم يتزوَّج قطّ ، وكان على طريقة السَّلَف ، وكان لا يُجيزُ الرِّوايةَ بالإجازة عن الإجازة ؛ قال ابن السَّمعانيّ : وهو مذهبٌ غريب . قال : وكان ابن السَّمعانيّ وغيره من الحفّاظ يستفيدون منه ويرجعون إلى قوله في أحوال الرُّواة وجرحهم وتعديلهم .

ولا شكّ في أنَّ ابن ناقيا لم يكن من النَّوْع الذي يرضى عنه الأنماطيّ بسهولة ؛ فقد كان ابن ناقيا شاعراً ، أديباً ، متكلِّماً ، عالماً بأمور الفلسفة والمنطق والنُّجوم ، متعاطياً لها مناظرةً وتأليفاً ؛ وكان فيه دعابة و (مجون) كما عبَّر عن ذلك بعض

(١) كذا ورد هنا : ابن الأنماطي ، وفي سائر المصادر : الأنماطي .

مترجميه . وقد روى بعض المؤرِّخين لابن ناقيا شعراً في الهجاء ، وقد يكون أقذعَ على طريقة الشُّعراء ؛ وهذا كلّه ـ بل ما هو أقلّ منه بكثير ـ لا يُرْضي الأنماطيّ ومَنْ كان مثله .

وإذا كان الأنماطيّ ثقةً حافظاً واسعَ الرِّواية ـ وهذا صحيحٌ كما في أخباره ـ فإنَّ هذا لا يمنع أن يكون واهماً في أحوال ابن ناقيا كما وَهِمَ في اسمه . وأظنُّ أنَّ الأنماطيَّ لم يُرَافق ابنَ ناقيا مدَّةً كافيةً ولم يسبر غوره ، فهو من طينة أُخرى لا يمكن أن تأتلف مع طينة شاعرٍ كاتبٍ فيه دُعابة أو (مجون) كما عبّروا أحياناً !

وأستطيعُ أن أُسقِطَ كُلَّ ما وَرَدَ عن ابن ناقيا مِمّا كان سبيلُهُ الأنماطيّ ، أو مِمّا استنتجه المتأخِّرون كنسبة ابن ناقيا إلى الزَّندقة (كما فسَّر ابن حجر مقالة الأنماطيّ) ، وقول ابن النَّجّار : « إلاّ أنَّه كان مطعوناً عليه في دينه وعقيدته » ، وقول الْجَوْزيّ : « وكان أديباً حدَّثَ عنه شيوخنا ورَمَوْهُ بأنَّه كان يرى رأيَ الأوائل ويطعن على الشَّريعة ، وقال شيخنا عبد الوهّاب الأنماطيّ : ... » . وأظنُّ أنَّ قول شيوخه هو قول الأنماطيّ لا غير ، فإنَّ أحداً من المؤرِّخين لم يُسَمِّ غيره ، وقول ابن الأثير : « ورماهُ بعضهم باعتقاد الأوائل » ، وقول الصَّفدي ، في اسم عبد الباقي : « إلاّ أنّه كان معثّراً ثلاّبَةً يطعن على الشَّريعة ويذهب إلى رأي الأوائل ، وله مقاله في التعطيل » ، ثمَّ قوله بعد سطور : « إلاّ أنَّه كان مطعوناً عليه في دينه وعقيدته ، وكان كثير الهزل والمجون » ؛ هذا كُلُّهُ ترداد لما حكاه الأنماطيّ ، وحكايَتُهُ إنَّما هي مطالَعَتُهُ ورأيُهُ .

ونقارن هذا كُلَّهُ بأحد العلماء الَّذين احتكّوا بابن ناقيا احتكاكاً مباشراً حقيقيّاً ، وهو أبو نصر هبة الله بن المجلّي ، فقد قال ـ والنَّصُّ مُثْبَتٌ في (الجواهر المضيّة) ـ : « عبد الله بن محمد بن ناقيا بن داوود الأديب : شاعر مطبوع ، وله خطٌّ حَسَنٌ صحيح ، ومصنَّفاتُهُ مِلاَحٌ ، ومنها الْجُمَان في تشبيهات القرآن ، سمعته منه ، ولم يُسْبَق إلى مثله ... » ، وليس في هذا الكلام إلاّ الثَّناء والتَّقدير .

على أنَّ ما في شخصيَّة ابن ناقيا المتسامحة الملوَّنة ، من حيث كونه شاعراً ، ذا دُعابة و (مجون)[1] ـ كما عبَّر بعض المترجمين له ـ قد لا ينطبق على شروط الجرح والتعديل الَّتي اشترطها الأنماطيّ أو غيره ؛ ولا يُنَاقَشُ الأنماطيّ ـ ولا علماء الحديث ـ في شُروطهم الْمُقرَّرة ، ولكِنْ يُنَاقَش في الإسرافِ في وَصفِه ابنَ ناقيا ، وفي التَّعميمِ ، وإطلاقِ الْحُكْم بلا تدقيق ؛ ويُتَوَقَّفُ عند إطلاق الحكم بلا مُرَاجَعَةٍ ولا انتِباهٍ إلى تَغَيُّرِ الحال ومَرِّ الزَّمان .

ـ ٥ ـ

ويستطيع الدّارس أن يرسمَ صورة شخصيّة لابن ناقيا البغداديّ صاحب (الْجُمَان) من خلال أخباره وتراجمه وأشعاره وأقوال أصحابه فيه ؛ وإذا ابتعدنا عن رأي الأنماطيّ ومَنْ نقل عنه ؛ فابن ناقيا أحد أعيان العصر (القرن الخامس الهجريّ) عِلْماً وفَضْلاً ونَبَاهَةً ومَكَانَة .

وقد تَلَوَّنَتْ شخصيَّتُهُ بتعدُّدِ وُجوهِ مَعارِفِه وثقافاتِهِ ورواياته : خالط أهلَ العلم بالحديث وروى عنهم وأخذوا عنه ، واشتغل بعلومٍ شتّى وفنونٍ متعدّدة ؛ كان ابن ناقيا شاعراً حَسَنَ الشِّعر ، غزير النِّتاج ، واجتمع من شعره ديوان يُشَار إليه ؛ وكان من العالمين العارفين بالتفسير وسائر علوم القرآن ، ومَنْ يقرأ كتاب (الْجُمَان) يَتَنَبَّهُ إلى مكانته الرَّفيعة في هذا الباب من النَّفاذ إلى المعاني والمعرفة بوجوه القراءات وأسباب النُّزول ودلائل الإعجاز والسيرة وقصص الأنبياء إلى غير ذلك .

وكان مُتقِناً لعلوم البلاغة المختلفة ، نافذاً إلى أسرار اللُّغة العربية ، بصيراً بالشِّعْرِ العربيّ ، خبيراً بالنَّقد الأدبيّ ، مشتغلاً بالتّأليف والتَّصنيف في بعض جوانب اللُّغة ، ومطَّلِعاً على المكتبة اللُّغويّة السابقة عليه .

---

(١) وقد ردّ ابن ناقيا ضمناً على مثل هذه الأقوال في مقدمة مقاماته . (راجع الفقرة التالية) .

وكان عارفاً بالأدب بصيراً بنقد الشِّعر ، حافظاً لعيون الشِّعر العربيّ ، مستحضراً شواهدَه وأمثلتَهُ المناسبة للمقامات المختلفة .

وكان كاتباً بارعاً ومترسِّلاً مُحْسِناً ، وشاركَ في التَّأليف على نمط المقامات ، فأنشأ مقامات عُرِفَتْ باسمه ، ولَوَّنَهَا بألوانِه ، وسلَكَ فيها مسلَكاً خاصّاً .

وهو إلى ذلك : المؤلِّف المتفنِّن ، والمحاضِرُ المنظور إليه المطلوبة مُحَاضَراتُهُ ، المقروءة كتبه عليه . وفي ذيل النّسخة الرِّفاعية صورة سَمَاعِ عددٍ من طَلَبَةِ العلم من الشُّيوخ بقراءَة واحد فيهم ، كَتَبَ أصلَ السَّماع ابنُ ناقيا البغداديّ بخطِّه ، وكان أبو نصر هبةُ الله بن علي بن محمد المجلِّي البزّاز أحَدَ مَنْ سمعهُ عنه وقال عبارته المشهورة : « سمعتُه منه ، ولم يُسْبَقْ إلى مِثْلِه » .

آثاره :

يبدو أنَّ ابن ناقيا كان مؤلِّفاً نشِطاً إلى التَّأليف ، وأنَّه خلَّف كتباً كثيرة في فنون شتّى ، وهذا معنى قول ابن النَّجّار الحنفيّ في ترجمته ـ كما نقل في (الجواهر المضيّة) ـ: وله مصنَّفات في كلِّ فنّ . غير أنَّ الَّذي وصل إلى علمنا من تراثه ثلاثة أصول : الجمان ، والمقامات ، وشرح الفصيح .

وهذا عرضٌ لما عرفنا من آثاره وما ورد من أسمائها في كتب التراجم والتَّواريخ :

١ ـ **الجمان في تشبيهات القرآن** : وقد ورد اسم الكتاب على أكثر من وجه ، إمّا اختصاراً من الرُّواة والمصنِّفين ، وإمّا تصحيفاً من النُّسّاخ والطّابعين ؛ ومن الاختصار ما ورد على غلاف النسخة الرفاعية المخطوطة ، فالعنوان فيها (كتاب التَّشبيهات) ، وربّما قالوا : تشبيهات القرآن ، إلى غير ذلك ؛ والعنوان الأصليّ هو (الجمان في تشبيهات القرآن) ؛ وسنرجع إلى وصف نسخ الكتاب والتعريف به .

٢ ـ **مقامات ابن ناقيا** : لم يحدِّد أحد مِمَّن ترجموا لابن ناقيا عدد مقامات ابن

ناقيا . ووقع الاكتفاء بالإشارة إليها جملةً ، أو بذكرها موصوفةً بأنَّها : مقامات أدبية .

وبين يدي المقامات المطبوعة في تركية سنة (١٣٣٠ هـ) في مجموع فيه مقامات أُخر لبعض الأدباء . وتشغل مقامات ابن ناقيا من صفحات المجلَّد المطبوع ما بين ١٢٣ و ١٥٣ .

وهي تبدأ بمقدِّمة المؤلّف ، ويأتي بعدها المقامات بـ : المقامة الثانية (النَّبَّاشيّة) على الصفحة (١٢٤) ، وتتلوها الثالثة (ص ١٢٨) فالرّابعة (ص ١٣٢) فالخامسة (ص ١٣٦) فالسّادسة (ص ١٣٩) فالثامنة (ص ١٤٤) ـ متجاوزاً السابعة ! ـ فالتّاسعة (ص ١٤٨) .

وتبدأ المقامات بتعيين المؤلّف : « قال الأستاذ الفاضل أبو القاسم عبد الله بن محمد بن ناقيا بن داوود » ثمَّ يستأنف المؤلِّف الكلام : « هذه حكايات أحسنّا العبارة فيها وهذَّبنا ألفاظَها ومعانيها ، وجلوناها في حلى البلاغة على سامعها وراويها . وقد سلك بعض المتقدّمين هذا المذهب في مثلها ، رياضةً للخاطر ، وتحدّياً للقريحةِ ، غيرَ ناثِلٍ[1] جفيرَها[2] للمرمى ، ولا رائدٍ لسوامها[3] عند أحدٍ مرعى ، وإنَّما وسمتها باسم مستعار على عادة الشعراء في تشبيب القاصد ، والحكماء في وضع الحكمة على ألسنة البهائم ، وليس ذلك بمحظور ، وإنَّما هو تصرُّف في العبارة وراحة من تعب الجدّ إلى مُلَحِ البلاغة . وقد قال بعضهم : جدّ الأدب وهزله معاً جدّ . وكان ابن عبّاس رحمه الله إذا أكثر من الجدّ قال : أَحْمِضوا ؛ يريد الأخذ في طُرَفِ الأحاديث كما تَتَمَرّأُ الإبل بالحمض إذا بَشِمَتِ الأكل .

---

(١) نَثَلَ الكنانة : استخرج نبلها فنثرها .

(٢) الجفير : الكنانة .

(٣) السَّوام : الإبل الرّاعية .

وقد ورد في أمثال العرب ما يستحيل في الحقيقة على ما استُعْمِلَ له ، ولا يسمّى ذلكَ كَذِباً ؛ وقالوا على لسان ولد الضَّبّ يخاطب أباه :

قد هدموا بيتَك لا أبا لكا　　وزعموا أنَّكَ لا أخا لكا
وأنا أمشي الدَّألاَ حَوَالكا

أنشد ذلك محمد بن يزيد في كتاب (الكامل) ، وهو من نفيس الكتب ، يرويه أصحاب الحديث ونحن . فلم نبلغ فيما أوردناه في هذه المقامات إلى هذا الحدّ ، وإن كنّا قد مزجنا فيها اللَّعب بالجدّ ، ونعوذ بالله مِمّا أسخطه من خَطَلِ القَوْل ، ونرغب إليه في تَغَمُّدِنا بالتَّجاوُزِ والعَفو إنَّهُ وليُّ الرَّغبة إليه إن شاء الله » .

وبَطَلُ مقاماتِهِ هو اليشكريّ ، أمّا الرّاوية فهو مجهول ، يُحيلُ عليه دون أن يكون له راوية ثابت الاسم والرَّسم يدور مع مقاماته ، كقوله في المقامة النَّبّاشيّة : « حدَّثني بعض الفُتّاك ، قال : خرجتُ في السّلاح الشّاك ، وقد نشر الظّلام سربه ... ... » . وقوله في المقامة الثانية : « حدَّثني بعض الشّاميّين ، قال : يَمَّمتُ العراق في بعض السِّنين ، فانتهيتُ إلى دار السَّلام ... » . وفي المقامة الثالثة : « حدَّثني بعضُ الأصدقاء النّازلين بشرقيّ الزَّوراء ... » إلخ . ولكنَّ هذا المجهول الَّذي يُحيلُ عليه يكون مناسباً للمقامة وما يدور فيها من مغامرة أو حَدَث أو قصّة ؛ فالرّاوي في المقامة الخامسة هو (بعض المتكلِّمين) وقد جعله من هذه الفئة من مُثَقَّفي الأُمَّة ، لأنَّ موضوع المقامة يدور حول مسائل عقيديّة وفلسفيّة ؛ وفيها ردٌّ على الدَّهريّة والملحدة ، ومِمّا قال في هذه المقامة على لسان ذلك المتكلِّم : « ... فقلتُ : يا هذا ، إيّاك والضَّلال ، والأخذ في زخارف الْمُحَال ، وما الذي تنكر له أمرَ الْمَعَاد ، ويبعثك على فساد الاعتقاد والإلحاد ؛ أم أُجِّل المصير إلى البلى ، وتفرُّق الأجزاء في الثَّرى ؛ أَوَلَيْسَ الْحَبَّةُ لا تَنْبُتُ إلاّ بعد العَفَن والاضمحلال ، والبَيْضَةُ لا تفرّخ إلاّ بعد الفساد والانفعال ، إلى غير ذلك من الأمثلة الظاهرة ، والشَّواهد الدّالّة ؛ ثمَّ تَلَوْتُ عليه : ﴿ وآيَةٌ لَهُمُ

الأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيناهَا وأَخْرَجْنا مِنْها حَبّاً فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ وَالقَمَرَ قَدَّرْناهُ مَنازِلَ حَتَّى عادَ كالعُرْجُونِ القَديمِ ﴾ ... إلخ [يس : ٣٦/٣٣-٣٩] .

وقالَ في مقامٍ آخر من هذه المقامة (ص ١٤٢) : « ... وهذا مذهب في مذاهب العرب في كلامهم ، الذي نزل به القرآن ، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تنزيلٌ من حكيمٍ حميدٍ » .

والَّذي في هذه المقامة خاصّةً ، يُضاف إلى أدِلَّةٍ قطعنا بها الرَّأي في سَلامَةِ ديانَةِ ابنِ ناقيا وعقيدته ، مِمّا سنفصِّل فيه القَوْل .

٣ ـ **ملح المكاتبة** (وورد باسم ملح الكتابة) : لم يصل إلينا منه شيء .

٤ ـ **شرح الفصيح** : وهو شرح على كتاب (الفصيح) للإمام اللُّغويّ ثعلب ؛ وكان هذا الكتاب موضوع رسالة جامعيّة للسَّيِّد عبد الوهّاب محمد علي العدواني سنة (١٩٧٣ م) ، كما ثبت في حاشيةٍ على طبعة القاهرة : ص ٢١ .

٥ ـ **مختصر الأغاني** : لم يصل إلينا ، قال الصَّفديّ في تعداد مصنَّفاته : « واختصر الأغاني وغير ذلك » .

٦ ـ **رسالة في الكلام والفلسفة** : لم نقف على اسمها الحقيقيّ ، ووردت في بعض تراجمه بعنوان : مقالة في التَّعطيل « ذهب فيها مذهب الأوائل » أي نهج فيها نهج الفلاسفة ؛ قال الصَّفديّ : وله مقالة في التَّعطيل .

٧ ـ **ملح المهالحة** : نقل عنه ياقوت في (معجم الأدباء) ١٦٥/٥ ـ ١٦٦ وإذا اطَّردت الأمثلة في الكتاب على نَسَقِ النُّقول عنه فهو كتاب في الأخبار والمسامرات .

٨ ـ **أغاني الْمُحْدَثين** : ولا نعرف عنه أكثر من اسمه .

٩ ـ **ديوان شعره** : نقل في (الجواهر المضيّة) عن ابن النَّجّار قوله : « كان شاعراً عذب الألفاظ مليح المعاني ، وقد جمع شعره في ديوان كبير » .

وفي كتب التَّراجم والأدب والتَّواريخ نُقُولٌ وشواهد من شعر ابن ناقيا البغداديّ . وسنقف عند طرف من أشعاره في هذه المقدّمة .

شعره :

في تراجم ابن ناقيا أنَّ له ديوان شعر كبيراً ؛ وحلَّى العماد الأصفهاني ذكر شعره بقوله : « ما على نظمه الرّائق ونثره الفائق مزيد » ، وهو حكم عام لا ينفع في التقويم الأدبي والنَّقدي ؛ ولكنه ـ على كل حال ـ ثناء وحمد ؛ ثم قال بعده : « وهو رقيق الشعر » ، ووصفه ابن النَّجّار الحنفيّ بالشاعر المجوِّد ، ووصف شعره بأنَّه « عذب الألفاظ مليح المعاني » .

وحلَّته كتب التَّراجم جميعاً بلقب الشاعر . وأضاف إليه المترجمون صفات حسنة ، واختار بعضهم نماذج من شعره . ويفهم من أخباره أنَّه أنشد في أغراض الغزل ، والمدح ، والهجاء ؛ وفي وصف الطَّبيعة ، وفي الحكم وتسجيل الْحَياة ؛ وفي شعره الباقي قطعة خمريّة فيها تقليد لأبي نواس أو هي على منهجه ، وقطع مِمّا يجري مجرى اللُّغز ، ويجاري ذوق العصر في هذا .

ومن شعره قوله :

أترى حالَ ذلك الْحُبُّ بغضا ... وذوى غصنُه وقد كان غَضّا ؟
أترى كان ذلك الوصل زوراً ... فانتهى بي إلى الصُّدود وأفْضى
قل لمن ضَيَّع الودادَ وأغْرى ... بالتَّجنّي ورامَ للعهد نَقْضا
قد جَعَلنا الودادَ حتماً علينا ... ورأينا الوفاءَ بالعهدِ فَرْضا !

وفي القطعة رقَّة وعذوبة ؛ ولم يفسدها إقحام شيء من الْمُفردات المصطلحيّة مثل (الزُّور) و (النَّقض) و (الحتم) و (الفرض) .

وله في موضوع الوصف :

أمـــا ترى السُّحب أبـــدَتْ غـــلائـــلَ الأرضِ خُضْرا
قـــد أظهرَ اللهُ فيهـــا زُهرَ الكـــواكبِ زَهرا
مثـــلَ اليـــواقيتِ راقَت زُرقـــاً وحُمراً وصُفرا
وكالْخَرائـــدِ أبْـــدَت فرعـــاً وخـــداً وثَغرا

والشعر منسجم ، وفيه تقسيم بديعيّ لطيف ؛ وفي البيت الثّاني إشارة إيمانيّة ؛ ومثلها كثير في الشعر يجري مجرى عاديّاً ولكننا نُنَبِّهُ باستمرار إلى نقض ما اتُّهِم به ابن ناقيا .

ومن شعره ـ وفيه ملمحٌ حِكَمي ـ :

فلا تغترر بـالبشرِ من وجـهِ حـاسدٍ فبردُ ابتسامِ الثغرِ غَطّى لظى الحقـدِ
فـإنَّ مشـوبَ السُّمِّ لا شـكَّ قـاتـلٌ وإن هو أخفَتْ طعمهُ لـذّة الشَّهـدِ !

وتناقلت ترجمة الفقيه الشهير أبي إسحاق الشيرازي ـ إمام أصحاب الشافعي ـ رثاء ابن ناقيا له ، وفيه قوله :

أجرى المـدامـعَ بـالـدَّمِ المهراقِ خطبٌ أقـامَ قيـامـةَ الآمـاقِ
مـا لليّـالي لا تـؤلِّف شَملهـا بعـد ابن بجـدتِهـا أبي إسحـاقِ
إن قيـلَ مـات فلم يَمُتْ مَنْ ذِكْرُهُ حَيٌّ على مَرِّ اللّيـالي بـاقٍ

وفي هذا الشعر مُساماة إلى مقام الشُّعراء الكبار .



المقدّمة الثالثة

تعريف بالكتاب

- ١ -

عالج كتاب (الجمان) موضوع التشبيهات الواردة في القرآن الكريم في متابعة دائبة على نسق ترتيب سور الكتاب ، بحسب مواقعها من السُّور على طريقة عمل المفسّرين ، والذين اشتغلوا بإعراب القرآن أو قراءاته أو غير ذلك من علومه .

بدأ المؤلّف بمقدّمة قصيرة في موضوع التّشبيه ، ومن أي جهة يقع التّشبيه ، وكيف يشبه شيء بشيء ، وأدوات التشبيه وما شابه ذلك .

وانتقل إلى مواقع التشبيه في سورة البقرة متنقلاً من سورة إلى أُخرى واقفاً عند كل تشبيه ورد فيها : ليتناول الآية التي تتضمنه بالإيضاح ، ويبيِّن ذلك التّشبيه وموقعه ، ويدلّ على حسنه ودوره في جلاء المعنى وتوضيح المقصد ؛ وينظر في أشعار العرب القدماء والمحدثين موضّحاً موافقة القرآن الكريم للغة العرب وجريه على مقتضى كلامهم ، ويبيِّن علوّ كلام الله تعالى عن كلام البلغاء والفُصَحاء ، وتساميه على أشعارهم وأقوالهم ، موضحاً وجوهاً متواصلة الورود من دلائل الإعجاز .

وهكذا أفاده محفوظه الشعري واطّلاعه على التراث القديم والأدب الُمحدث ، وجعل استشهاداته الكثيرة تؤدّي أمرين اثنين يتم أحدهما مقصد الآخر :

- فما احتجَّ به من أشعار الجاهليّين وأقوالهم كان بُرهاناً على نزول كتاب الله الكريم على مقتضى لغتهم وأساليبهم .

ولكنَّه في طبقة عالية أفحمت فصحاءهم وبلغاءهم وأعجزتهم وحرَّضتهم على الإيمان ، إلاّ من أبى واستكبر .

ـ وما استحضره من أشعار المخضرمين والإسلاميين الأمويين والمُحدثين كان دلالة أُخرى على كلام العرب ، وكان مجالاً ـ أيضاً ـ لأثر القرآن الكريم في أدباء العرب وشعرائهم وفصحائهم ـ ناهيك عن سائر الناس ! ـ وإفحامه من خلف كإفحامه مَن سلف سواء بسواء ، فهو معجزة للعرب ، وللنّاس ، إلى أن تقوم السَّاعة .

وفي الكتاب موقف يحسن عرضه لبيان أسلوب ابن ناقيا وقدرته على الحِجاج والنِّقاش وخوضه في موضوع الإعجاز بمنهج تطبيقي ، قال ـ وقد ذكر أميّة بن أبي الصلت الثقفي الذي كان ينتظر وقت النُّبوّة كما عرف من مخالطته أهل الكتاب ـ :

« وكان مِمّا تعاطاه أمية بن أبي الصَّلت من معارضة آي القرآن قوله تبارك وتعالى : ﴿ لا الشَّمْسُ يَنْبَغي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ القَمَرَ ... ﴾ .. الآية [يس : ٣٦/٤٠] ؛ وأنّى له إدراك ما حاوله : [قال]

مع القمر السّاري إذا جنَّ ليله	وتغدو علينا الشمس إن كان غاديا
فلا هو ينهى الشمس عند طلوعها	ولا هي تنهاه إذا بات ساريا
ولو ملّكت أمورها ما تسخَّرت	ولا برحت ليط السماء كما هيا
ولكن علاها رَبُّها فأذلها	فسبحان من لم ينههنَّ عوانيا

فأطال هذه الإطالة وقصَّر مع اجتهاده عن مماثلة لفظ التنزيل تقصيراً ينطق عن تكلُّفه وتخلُّفه .

وكان أمية في عصر النَّبي ﷺ ومؤذناً بمبعثه ومبشِّراً بظهوره ، فلما بُعث ﷺ نافسه فيما اختصَّه الله به من الرسالة ، وقال : ما كنت لأومن بنبيّ من غير ثقيف ؛ وامتنع من الدخول تحت دعوته . وجعل يتتبَّع آي القرآن بالمعارضة ويحاول مماثلته

فيقصِّر هـذا التقصير حتى كأنَّ شعره في هـذا النـوع وشعره في غيره لم ينطـق بـه شـاعر واحد . وإذا وزنت هذه الأبيات بمثل قوله في المدح :

لا يقرعـون الأرض عنـد سؤالهم لتطلّب العـلاّت بـالعيـدان
وإذا الحريب أنـاخ بين بيـوتهم ردّوه ربّ صـواهـل وقيـان
وإذا دعـوتهم ليـوم كريهـةٍ سدّوا شعاع الشمس بالخرصان !

وجدت بين الكلاميين تفـاوتـاً بيّنـاً يُخبر بـإعجـاز القرآن ، وقصـور القـدرة عن مماثلتـه » ، وقـال المؤلف بعـد هـذا مبـاشرة : « وهـذه حـال كافـة العرب على عهـد الرسول ﷺ وهم أرباب الفصاحة وأمراء البلاغة وفيهم الخطباء والشعراء ، ومن لا يقعد بهِ بيان ولا يخذله خاطر ولا لسان ، ولا يدرك مـداه في براعـة القول وإقـامـة الحجّـة واستيفاء المعاني ومواتاة القريحة مع وقوع التَّحدّي لهم بمـا لا يخرج عن شـأنهم ولا يُنـافي سنـة طبـاعهم لولا مكان الآيـة فيـه وظهور المعجزة بـه ، فكانت القرائـح مصروفـة عن معارضته والخواطر مفحمة عن مضـاهـاتـه والألسنـة مكفوفـة عن الظَّنّ بمثلـه ، وذلـك قـولُـه تعـالى : ﴿ قُـلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإنْسُ والْجِنُّ عَلَى أَن يَـأْتُـوا بِمِثْـلِ هـذا القُرآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ ولَو كانَ بَعْضُهُم لِبَعْضٍ ظَهيراً ﴾ [الإسراء : ١٧/٨٨] .

- ٢ -

وقد نوّه الـدكتور شوقي ضيف بكتـاب (الجمـان) في تـاريخ الأدب العربي (عصر الـدول والإمـارات : الجزيرة العربيـة والعراق وإيران) : ص ٣٠٠ ، ووصفـه فقـال : « الكتاب مرتَّب حسب السّور القرآنية والآيات الواردة في تضاعيفها ، وهو عـادة يفسر الآية الكريمة بإيجاز ، ثم يذكر ما فيها من تشبيه ، وإذا كان لـه نظير في القرآن ذكره ، ودائماً يذكر الأشعار التي اقتبسته وكثيراً ما يعرض المحسنين لهـذا الاقتبـاس والمقصّرين ، موضحاً بلاغة القرآن المُعجز وأنه لا يبلغ مبلغه شاعر ؛ يقول : « وكذلك كل ما ينقلـه

الشعراء وغيرهم من أرباب البلاغة إلى كلامهم من معاني القرآن ، لا يبلغون شأوه ولا يُدركون مناله إعجازاً وإبداعاً وإباءً وامتناعاً » .

ونوّه به الدكتور أحمد مطلوب في (مناهج بلاغيّة ١٨٩ ـ ١٩١) وقال : « لو قارنّا بين كتابه (الجمان) والكتب التي أُلّفت في التشبيهات لرجحت كفّته وكان في أعلى مرتبة وصل إليها المؤلفون في تلك الفترة » .

ـ ٣ ـ

وفن التَّشبيه معدودٌ ـ بعد استقرار تصنيف علوم العربية ـ في علم البيان . ويهتم به نظريّاً وتطبيقيّاً المشتغلون بعلوم البلاغة . ولكن (التَّشبيه) عنصرٌ من عناصر البحث والدرس عند النُّقاد والمفسّرين والأدباء وغيرهم .

وقد اهتمّ بالتَّشبيه في الشعر العربي ، وفي كلام العرب ، وفي القرآن الكريم كل العلماء الذين عالجوا قضية الفصاحة والبيان من قديم ووقف عنده المفسّرون ، والمعتنون بمعاني القرآن ، مثل أبي عبيدة صاحب (مجاز القرآن) والجاحظ في (البيان والتبيين) وسواه من كتبه ، إلى جمهرة غفيرة من العلماء والأدباء والمتكلّمين .

وكان ابن أبي عون أول من نعرف فيمن خصّ موضوع (التّشبيهات) بكتاب مستقلّ ؛ وجعل اهتمامه منصباً على الشعر ، على أنّ هذا الأديبَ النّاقد نبّه في مقدمة كتابه إلى تشبيهات القرآن الكريم وميَّز بين : تشبيهات الأشخاص (كتشبيه القمر بالعُرجون) وتشبيهات الأفعال (كتشبيه أعمال الكفار بالسَّراب) . وميَّز مكانة التشبيه في كلام العرب حين جعل الشعر في ثلاثة أقسام :

المثل السائر ؛

والأشعار الغريبة ؛

والتشبيه النادر .

وعلى الرغم من توالي المؤلَّفات البلاغية بعد ابن ناقيا ووفرتها وتنوُّعها لم يصدر كتابٌ يضاهي كتاب (الجمان) ولا يقاربه في الجودة والاستيعاب وحسن التحليل وسعة الاستشهاد والاحتجاج . وأقول : لعلَّ من جاء بعده اكتفى به دون إنشاء كتاب جديد لا تكون فيه جدّة أو يفوته الابتكار .

وقد ردَّد ابن ناقيا المغزى البعيد الذي قصد إليه من تأليف كتابه وهو الوقوف على قضيّة الإعجاز في أكثر من موضع ، وإن كان عرضُ تشبيهات القرآن والإتيان بالشواهد والأمثلة من الشعر والكلام الفصيح في ذاته بياناً ضمنياً لذلك المقصد وإن لم يعيِّن ذلك بألفاظ وعبارات .

قال ـ مثلاً ـ في التعقيب على أشعار استشهد بها في سورة البقرة : « وكذلك كل ما ينقله الشعراء وغيرهم من أرباب البلاغة إلى كلامهم من معاني القرآن : لا يبلغون شأوه ولا يدركون مناله : إعجازاً وإعوازاً ، وإباءً وامتناعاً » .

وأهميّة كتاب (الْجُمان) في المكتبة العربيّة يعيّنها موضوعه ومعالجة المؤلّف ـ رحمه الله ـ لهذا الموضوع ، وربطه بين التشبيه من حيث هو فن وبين القرآن الكريم من حيث كونه نصّاً مُبِيناً ، وكتاباً إلَهيّاً مُعجزاً جاء في اللُّغة والأساليب على مقتضى كلام العرب : وفي جملة ذلك ورود التَّشبيهات فيه .

وتزداد أهميّة كتاب (الجمان) ـ وما جرى مجراه ـ في العصر الحديث بعد إعادة فتح ملفّ الشعر الجاهلي وإحياء الكلام على نحل الشّعر والدُّخول من مداخل مختلفة إلى موضوع إعجاز القُرآن ؛ وفي (الْجُمان) إيضاح وإبانة لإعجاز القرآن الكريم ، ونزوله على مقتضى لغة العرب وبيانها ، وشواهد من الشعر الجاهلي مؤكّدة لهذا الملمح اللُّغوي البياني ، وأمثلة مِمّا جاء في الأعصر التّالية تدلُّ على احتذاء أساليب القرآن ومعانيه .

إن في كتاب (الجمان) ردّاً مباشراً وغير مباشر على بعض الدراسات الاستشراقيّة ، وما شابهها من كتابات تلامذة الْمُستشرقين الذين ضبعتهم الثَّقافة الغربيّة ، وغَرَّتهم

كتاباتٌ مزوقّةٌ أسقطها ـ على كل حال ـ البحث العلميّ الجادّ ، وصار أُولئك الشاكّون ـ شكّاً ديكارتيّاً وغير ديكارتيّ ـ في ذمّة تاريخ الفكر والأدب .

مخطوطات الكتاب

نعرف من نسخ كتاب (الجمان) اثنتين : إحداهما نسخة الإسكوريال والثانية النسخة التي تنبَّهت إليها ، والمحفوظة في مكتبة الأسد الوطنية بدمشق .

١) تقع نسخة الأُسكوريال في (٢٥٩) ورقة من القطع الصغير ، في الصفحة الواحدة نحو تسعة أسطر ، وفي السطر بين ٨ ـ إلى ـ ١٠ كلمات تقريباً . وهي مكتوبة بخط النسخ المتقن المجوّد . وأسماء السّور مكبَّرة مميّزة . وليس على النسخة إشارة إلى الناسخ أو تاريخ النسخ أو مكانه . وهي مضبوطة بالشَّكل ؛ وهو سليمٌ ـ في العادة ـ إلا ما ندَّ عن الناسخ هنا وهناك .

وعلى الورقة الأولى سماع هذه صورته :

« يقول العبد الفقير إلى الله تعالى محمد بن أبي الوفاء بن أحمد الموصلي المعروف بابن القبيصي : قرأ عليَّ الولد الأعزّ العالم : نجيب الدين أبو إسحاق إبراهيم بن عثمان بن عبد الله الكركي ، أدام الله إرشاده وبلَّغه من الخيرات مراده جميع كتاب (الجمان) في تشبيهات القرآن ، تأليف الحبر الإمام أبي القاسم عبد الله بن ناقيا رحمة الله عليه قراءة مرضية تؤذن بفهمه وضبطه ، وذلك بمحروسة حصن زياد . وكان الفراغ من قراءته غرّة جمادى الآخرة من سنة خمس وعشرين وست مئة . كتبه محمد بن أبي الوفاء بن أحمد الموصلي . حامداً الله تعالى على نعمه ، ومصلّياً على خير خلقه محمد النَّبيّ وآله الطاهرين وصحبه وسلّم » .

والنسخة خزائنيّة ، نسخت ـ كما يظهر من عبارة التملك على الغلاف ، ومن هيئة المخطوطة ـ لخزانة أبي الفتح ملكشاه السلجوقي ، وهذه هي العبارة :

« الجمان في تشبيهات القرآن : تأليف الرئيس أبي القاسم عبد الله بن محمد بن ناقيا بن داوود رحمه الله لخزانة مولانا وليّ النعم الملك العادل العالم المؤيد المظفر المنصور محيي الدُّنيا والدين ملك الإسلام والمسلمين أبي الفتح ملكشاه بن سلجوق بن محمد بن ملكشاه يمين أمير المؤمنين ، خَلَّد الله ملكه وأعزَّه » .

وعلى الغلاف تملكات يظهر منها تملك مولاي (عبد الله زيدان أمير المؤمنين) صاحب المغرب الأقصى .

٢) وتقع نسخة دمشق (الرفاعية في مكتبة الأسد الوطنية برقم ١٧٤٧٤) في ٨٧ ورقة ، اثنتان منها إضافيتان : واحدة فيها صورة سماع ، وفي الثانية ترجمة لابن ناقيا في صفحة تامّة .

وصفحة الغلاف مكتوبة بخطوط متعدّدة : العنوان واسم المؤلف وتملكات مختلفة .

وبيَّن العنوان أن صاحب النسخة جَلَّدها مع كتاب آخر ، ونصّه :

« فيه كتاب التشبيهات في القرآن لابن ناقيا ، أبو القاسم (كذا) عبد الله وأجزاء من تفسير التفا[سير] ؟ ، ملكاً ليوسف بن محمد بن مقلد الدمشقي نفعه [الله به وغفر له] في الدّارين .

وفي حاشية الغلاف اليمنى : تملكه محمد بن محمد المظفري لطف الله به .

وفي صدر الصفحة الأيمن : من كتب محمد بن عجلان الحسيني عُفي عنهما .

وفي منتصف الغلاف بخط كبير : [صار] هذا الكتاب ملكاً ... لمحمد بن يحيى بن محمد بن ...لله ... المعروف بابن نفيس . نفعه الله تعالى به في الدنيا والآخرة .

والنسخة نفيسة في آخرها سماع على ابن ناقيا المؤلّف مؤرخ في مستهلّ رجب من سنة سبعين وأربع مئة كتبه شجاع بن فارس بن الحسين ، وفي السَّماع أسماء الشيوخ

الـذين سمعـوا القراءة على المـؤلّف : فمنهم من سمـع الكتـاب كلّـه بقراءة الشيـخ شجـاع المذكور ، ومنهم من سمع من موضوع معيَّن من سورة الفتح إلى آخر الكتاب ؛

والقارئ الذي سجَّل القراءة والسَّماع هو أبو غالب شجاع بن أبي شجـاع فـارس بن الحسين بن فارس الذُّهلي المتوفَّى سنة ٥٠٧ عن ٧٧ سنة (البداية والنهاية ١٧٦/١٢) ؛

ونصّ السَّماع في آخر الكتاب بعد عبارة تمامه :

« بلغت من أول الكتاب بقراءتي على الشيخ أبي القاسم حفظه الله في عـدَّة مجـالس آخرها يوم الجمعة مستهل رجب من سنة سبعين وأربع مئة . وسمع الشيوخ :

أبو علي أحمد بن محمد بن أحمد البرداني .
وأبو الحسين عاصم بن الحسن بن محمد بن عاصم المحدّث الشاعر
وصاحبه بقاء بن الحسن بن محمد السوادي
وأبو نصر هبة الله بن علي بن محمد بن المجلي البزّاز
وأبو المعالي ناصر بن علي بن الحسين البيني الباقلاني
ومحمد بن محمد بن واثق ؛

وكتب : شجاع بن فارس بن الحسين في التاريخ المذكور والحمـد لله وصلّى الله على سيدنا محمد وآله .

[**ذيل بالخط نفسه**]
وسمع من سورة الفتح من قوله : « ومِمّن سُمّي بـشقيق »
أبو العز محمد بن الحسن بن محمد العطار
والشريف أبـو ... بن الشريف أبي جعفر بن المهتـدي بـالله الخطيب إلى آخر الكتاب .
وأبو السعادات محمد بن محمد بن محمد بن جميلْ (؟) .

انتهى السّماع .

ووقعت النسخة في ملك محمد بن يحي بن محمد بن بدّال فسجّل عليها حاشيـة قصيرة في ذيل السماع وعلى طرفه ، وحاشية أُخرى في ورقة تالية .

قال في الأولى :

« رأيت في الأصل هـذه الطرّة والمسمّى فيهـا الشيخ أبـو علي البرداني وأبـو الفضـل محمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد المهتدي بالله وسمع ... » .

قال في الثانية :

« صورة السَّماع في الأصل الذي بخط الشيخ الرئيس الأَجَلّ أبي القاسم عبـد الله بن محمد بن داوود بن ناقيا :

سمع جميع هذا الكتاب على الرئيس أبي القاسم بن ناقيا الشيوخ :

أبو المعالي المبارك بن محمد بن علي الصايغ
وأبو منصور بلتكين بن كانون (؟) بن بجكم
والشيخ أبو بكر محمد بن علي بن أبي الغارات الدقوقي
وأبو الحسن علي بن الحسن بن الحسن بن ...

بقراءة محمـد بن أحمـد بن أبي الحسين المسـدي (؟) في ذي الحجـة من سنـــة ثـلاث وثمانين وأربع مئة .

نقله صاحب الكتاب محمد بن يحي بن محمد بن بدال في جمادى الأولى من سنـة سبع عشرة وخمس مئة » .

وقوله (في الأصل) يعني في نسخة عليها كتابة ابن نـاقيـا نفسـه ، وواضح أن بين سماع شجاع وأصحابه سنـة سبعين وأربع مئـة وسماع محمـد بن أحمـد بن أبي الحسين سنـة ثلاث وثمانين وأصحابه نحو أربع عشرة سنة .

ونسخـة دمشق هي أقرب النُّسختين إلى المـؤلّف ، وهي أكثر وثـوقـاً ودقّـة ؛ وهي أيضاً نسخة تامّة تستدرك ماأصاب نسخة الإسكوريال من خُروم . فقد أصـاب نسخـة الإسكوريال ثلاثة خُروم وقع التنبيه عليهـا في طبعـة الكويت استظهـاراً من انقطـاع الكـلام وظهـور نقصـه ورَمَـزنـا في الحـواشي لنسخـة الإسكـوريـال بـ (ك) والنسخـة الرفاعية بدمشق برمز (ف) .

ثم إنَّ نسخـة دمشق تقـدّم قراءةً مضبوطـةً للنَّصّ ، مراجعـة مقروءة على المـؤلّف ؛ وهذا يجعل هذه الطبعة التي نقدّمها للقارئ الكريم ذات أهميّـة كبيرة ، وموسومـة بسمـةٍ خاصّةٍ من الصحّة والسّلامة . والحمد لله وحده .

محمد رضوان الدّاية

الجمان في تشبيهات القرآن

لأبي القاسم عبد الله بن محمد بن ناقيا البغدادي

٤١٠ ـ ٤٨٥ هـ

حقّقه وشرحه

الدكتور محمد رضوان الداية

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيم

الْحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ ، وصَلَوَاتُه على خَيْرِ خَلْقِه مُحَمَّدٍ نَبِيِّهِ ؛ وآلِهِ أَجْمَعِيْن وسَلامُه[(١)]

قال الشَّيْخ أبُو القَاسِم عَبْدُ اللهِ بنُ مُحَمّد بن ناقِيَا ابن داوود ؛ أدام اللهُ سَعادته[(٢)] :

التَّشْبِيْهاتُ نَوْعٌ مُسْتَحْسَنٌ مِن أَنْوَاعِ البَلاغَةِ ، وقَدْ ورَدَ منهُ في كِتَابِ اللهِ تعالى ما نَحْنُ ذاكِرُوهُ في هذا الكِتَاب[(٣)] ، وذاهِبُونَ إلى إيضَاحِ مَعانِيه ، والتَّنْبِيهِ عَلى مَكانِ الفَضِيْلَةِ فيه .

ونَقُولُ في كيفيةِ التَّشْبيه : إنَّ الشَّيء يُشَبَّهُ بالشَّيء تارَةً في صُورَته وشَكْلِه ، وتارَةً في حَرَكتِهِ وفِعْلِه ، وتارَةً في لَوْنِه ونَجْرِه ، وتارَةً في سُوسِه وطَبْعِه[(٤)] . وَكُلٌّ مِنْهُما مُتَّحِدٌ بذاتِهِ ، والتَّشبيهُ[(٥)] واقِعٌ في بَعْضِ جهاتِه ؛ ولِذلِكَ يَصِحُّ تَشْبِيهُ الجِسْمِ بالجِسْمِ ؛ والعَرَضِ بالجِسْم ، والجِسْمِ بالعَرَض ، والعَرَضِ بالعَرَض .

وللتَّشْبيهِ أَدَواتٌ منها الكَافُ وكَأَنَّ ، ومِثْل ، وشبيه ، ونَحْوُ ذلك . ورُبَّما

---

(١) وفي نسخة الإسكوريال (ك) : « بسم الله الرحمن الرحيم . ﴿ الحمدُ لله الذي أنزل على عبدِه الكتابَ ولم يَجْعَلْ لهُ عِوَجاً ، قيّماً ... ﴾ [الكهف : ١٨/١ـ٢] . وصلّى الله على سيّدنا محمّد ، وآله وسلّم تسليماً » .

(٢) في (ك) : قال عبد الله بن محمد بن ناقيا بن داوود .

(٣) في (ك) : في هذا الباب .

(٤) النَّجْرُ : الأصل . والسُّوس : الطبيعة ، والأصل .

(٥) لم ترد كلمة « التشبيه » في : ك .

اسْتُغْنِيَ عن هـذِه الأَدواتِ بـالْمَصْـدَرِ نَحْـو : خَرَجَ خُروجَ القِـدْحِ [٦] ، وطَلَعَ طُلُوعَ النَّجْمِ ، ومرَقَ مُروقَ [٧] السَّهْمِ . ولا يَكْثُر مِثْلُ هذا في التَّنْزِيل ، وإنَّما عامَّةُ التَّشبيهاتِ هُناكَ مَقْرُونَةٌ بالأَدَوَات .

ونَسْأَلُ اللهَ العِصْمَةَ مِنَ الزَّلَل ، والسَّلامَة في القول والعَمَل .

---

(٦) القِـدْح هنـا قِـدْحُ الْمَيْسر . وهـو قطعـةٌ من الخشَب تُعَرَّض قَليـلاً ، وتُسَوَّى ، وتكـونُ في طـول الفِتْر أو دُونه ، وتُخَطّ حُزوزٌ تميّز كل قِدحٍ بعدد من الْحُزوز ، وكان يُسْتَعمل في الْمَيْسِر .
والعبارة التي ضربها المؤلّفُ مثلاً من قول الكُمَيْت ـ وقد هرَبَ من سِجن خـالـد القَسْريّ ـ ولبسَ ثيـابَ امرأةٍ كانت تَدْخِلُ إليه طعامَهُ :

خرجتُ خروجَ القِـدْحِ قِـدْحِ ابن مُقبـلِ ... إليـــكَ على تلـــكَ الْهَـزاهــزِ والأَزْلِ
عليّ ثيـــابُ الغـــانيـــاتِ ، وتحتهـــا ... عـزيـــة رأي أشبهَتْ سَلّـــةَ النَّصْـلِ

وضربوا المثل بِقدح ابن مقبل (ثمار القلوب ٢١٨) ولابن مقبل في هذا شعرٌ اشتهر (ديوانه ٣٥) .

(٧) الْمُروق : الخروج من شيء من غير مَـدْخَلِـه . وفي الحـديث ـ وذَكَر الْخَوارج ـ: يَمْرُقون كما يمْرُق السَّهْمُ من الرَّمِيَّة .

سُورَةُ البَقَرة

قَوْلُهُ عَزَّ وجَلّ :

﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ﴾ [البقرة : ٧٤/٢] . معنى قَسَتْ أي : غَلُظَت ، ويَبِسَت ، وعَسَت[(١)] ؛ فَكَأَنَّ القَسْوَةَ في القَلْبِ ذَهَابُ اللِّيْنِ مِنْهُ ، والرَّحْمَةِ ، والْخُشوعِ ، والرِّقَّةِ[(٢)] .

ومَعْنى قَوْله : ﴿ مِنْ بَعْدِ ذلِكَ ﴾ يُرِيْدُ : مِنْ بَعْدِ إحْياء الْمَيِّت لَكُم بِعُضْوٍ من أَعْضاء البَقَرة[(٣)] ؛ أي : هذه آيَةٌ عَظِيمَةٌ كانَ يَجِبُ على مَنْ شاهَدَها - فشَاهَد بِمُشاهَدَتِها مِنْ قُدْرَةِ اللهِ تعالى ما يُزِيلُ كُلَّ شَكٍّ - أَنْ يلينَ قَلْبُه ويَخْضَعَ[(٤)] .

والخِطَابُ ها هُنا بـ ﴿ ذلِكَ ﴾ لِلْجَماعة . ولم يَقُل : ذلِكُم لأنَّ الْجَماعَة تُؤدّي إلى لَفْظِ الْجَميعِ والفَرِيق . فالخِطَابُ في لَفْظِ واحدٍ ومَعْنى جَماعَة .

---

(١) في كتب اللغة : عَسَتْ يَدُه عُسُوّاً : غَلُظَت من العمل . وفي الأساس (ع س و) : « يَدٌ جاسية عاسية : أي غليظة جافية من العمل » .

(٢) نقل القرطبي « عن مُسند البَزّار عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أربعةٌ من الشَّقاء : جمودُ العَيْن ، وقَساءُ القلب ، وطول الأمل ، والحرص على الدنيا » . الجامع لأحكام القرآن ٤٦٣/١ .

(٣) الخطاب في الآية الكريمة لبني إسرائيل . وفي الجامع لأحكام القرآن (٤٦٢/١) قال أبو العالية وقتادة وغيرهما : الْمُراد : قلوبُ جميع بني إسرائيل . وقال ابن عبّاس : المرادُ قلوب ورثة القتيل لأنّه حين حَيِيَ وأخبر بقاتله وعادَ إلى موته أنكروا قَتْلَهُ ، وقالوا : كَذَب ، بعدما رأوا هذه الآية العُظمى ، فلم يكونوا قطّ أعمى قُلوباً ، ولا أشدّ تكذيباً لنبيّهم منهم عند ذلك ، لكن نفذ حكم الله بقتله » .

(٤) كلمة (معنى) لم ترد في : ك .

ويَجُوزُ في قوله : ﴿ فَهِيَ ﴾ إسْكانُ الهَاء ؛ لأنَّ الفاءَ مع (هِيَ) جَعَلت الكلمةَ بمنزِلَةِ (فَخِذ) ، تُحْذَفُ منها الكَسْرَةُ اسْتِثْقالاً[٥] .

ورَوَى بَعْضُهم جَوازَ إسْكانِها وإسْكان اليَاءِ مَعَها ؛ وأَنْكَر ذلكَ قَوْمٌ . وكذلك : ﴿ هُوَ رَبُّكُم ﴾ [هود : ٣٤/١١] ، قالوا : لأَنَّ كُلَّ مُضْمَرٍ حَرَكَتُه إذا انْفَرَدَ الفَتح ، نَحْو : ﴿ أَنَا رَبُّكُم ﴾ [المؤمنون : ٥٢/٢٣] ، فكَمَا لا تَسْكُنُ نونُ : أنا ، لا تَسْكُنُ هذهِ الواو .

ومَنْ قَرأَ ﴿ أَشَدُّ قَسْوَةً ﴾ رَفَعَ بِإضْمارِ (هِيَ) كأَنَّهُ قال : أَوْ هِيَ أَشَدُّ قَسْوَةً .

ومَنْ نَصَبَ[٦] فهو خَفْضٌ في الأَصْلِ بمعنى الكَافِ ، ولكنَّهُ على وَزْنِ (أَفْعَل) لا ينصَرِفُ ؛ للصِّفَةِ ووَزْنِ الفِعْل ؛ فَفُتِحَ ، وهو في مَوْضِعِ جَرّ .

وإنَّما شَبَّه اللهُ ؛ عَزَّ وجَلَّ ؛ قُلوبَهُمْ في القَسْوَةِ بالحِجَارة ؛ لأَنَّ الحِجَارةَ هيَ غايَةٌ في الْمَثَلِ ؛ ولذلكَ [٣/أ] قالَ الفَرَزْدَق[٧] :

أَمَّا العَدُوُّ فإنَّا لا نَلِيْنُ لَهُ ... حَتّى يَلِيْنَ لِضِرْسِ الماضِغِ الْحَجَرُ

---

(٥) أبو عمرو والكسائيّ وقالون يسكّنون الهاء من : هو ، و : هي ، إذا كان قبلها واوٌ أو فاءٌ أو لامٌ حيث وقع . قاله الدّاني في التّيسير ٢٧٢ .. وانظر معجم القراءات القرآنية ٧٣/١ .
ـ فقد قالوا : فَخْذ (بإسكان الخاء) وأصلُها فَخِذ (بكسر الخاء) سَكّنوها تخفيفاً .

(٦) يراجع تفصيل أبي حَيّان في البحر المحيط (٢٦٣/١) . ومعجم القراءات القرآنية (٣٣/١) والنَّصْبُ قراءة الأعمش . وفي الجامع لأحكام القرآن (٤٦٤/١) : ويجوز : « أو أشَدَّ » بالفتح ، بالعَطف على الحِجارة .

(٧) البيت للفرزدق (ديوانه ٢٤٥/١) من قطعة (لعلّها قطعة من قصيدة) يفخر فيها بـ (مُضر) و (المضريّة) .
ـ ورواية الدّيوان :
أما العدوُّ فإنا لا نلينَ لهم ... ...
وكلمة العدوّ : تكون للمفرد والمثنّى والجمع والمذكر والمؤنث (وقد تُؤنث وتُجمع) ويُراجع المذكَّر والمؤنَّث لابن الأنباري ٣١٢/١ .
ـ وقول الفرزدق (حتى يلينَ لضرس الماضغ الْحَجر) أي لا نلينَ للعدوّ أبداً .

وقال الآخَر :

ما أَطْيَبَ العَيْشَ لو كَانَ الفَتى حَجراً　　تَنْبُـو الْحَـوادِثُ عَنْـهُ غَيْرَ مَكْلُـومِ[٨]

وقال الآخر[٩] :

مَنْ مَبْلَـــغٌ عَمْراً بــــأَنَّ　　الْمَرْءَ لَمْ يُخْلَــق صُبَـــارَهْ
وحَـــوادِثُ الأَيَّــــام لا　　تَبْقى لهـــا إلاّ الحِجَـــارَهْ[١٠]

وقال تعالى في صِفَةِ جَهَنَّم : ﴿ وَقُودُهَا النَّاسُ وَالحِجَارَةُ ﴾ [البقرة : ٢٤/٢] ، فَحَذَّرَ منها بإعلامِهِ أَنَّها تأكُلُ الحِجَارة .

وقال أَبو ذُؤَيب[١١] يصفُ شِدَّة ما نزل بِهِ مِنَ الْمُصيبَة لِمَا مَثَّلَهُ لِصَبْرِهِ وتَجَلُّدِهِ[١٢] في قوله[١٣] :

---

(٨) في ك : لو أَنَّ الفَتى حَجرٌ .

(٩) في ك : وقال : عَمرو بن مِلْقَط الطَّائي .

(١٠) البيتان هما الأول والثاني من خمسة أبيات في الأغاني (دار الثقافة ٢٢ ، ١٩٠) لعمرو بن ثعلبة بن غياث بن ملقط ... الطَّائي ، والنقائض ٦٥٣ .
ـ وعمرو بن هند هو المقصود بقوله : (مَن مبلغٌ عَمْراً) يستعديه الشاعر على زُرارة بن عَدس التميمي لَمّا قتلوا أخاه (أسعد) .
ـ والصُّبارة : الحجارة ، أو الحجارة الْمُلس . وقال العسكريّ : وصُبارة : قطعة من حديد أو حَجر .
(الأغاني ١٩٠/٢٢ ـ ١٩١ ، ومعجم الشعراء ٥٨ ، واللسان : ص ب ر ، وشرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف ٤٤٨) .

(١١) في ك : أبو ذؤيب الهذلي .

(١٢) عبارة : « في قوله » لم ترد في ك .

(١٣) البيت من عينية أبي ذؤيب الهُذَلي المشهورة ،
(شرح المفضّليات للأنباري ٨٥٧ ، والمفضّليات شرح أ . شاكر وع . هارون ٤٢٢ ، وجمهرة أشعار العرب ٦٨٥/٢)

حَتّى كَـــأَنّي لِلْحَــوادِثِ مَرْوَةٌ بِصَفـا الْمُشَرّق كُـلَّ يَـوْمٍ تُقْرَعُ[١٤]

ومِنْ هذا الباب قَوْلُ عُقْبَةَ[١٥] الأَسَديّ[١٦] :

مُعَـــاوِيَ إِنَّنَـــا بَشَرٌ فَـــأَسْجِـحْ فَلَسْنَـا بـالجِبَـال ولا الْحَـديْـدِ[١٧]

أَكَلْتُم أَرْضَنَـــا فَجَـزَرْتُمـوهـــا فَهَـلْ من قـائِمٍ أَو مِنْ حَصيْـدِ[١٨]

---

(١٤) المروة واحدُ المرو ؛ وهي حجارة بيضٌ يُقْدَحُ منها النَّار . ويُقَال لمن كَثُرت مصائبه : قُرعت مَرْوَتُه . والْمُشَرَّق : الْمُصَلّى ؛ مسجد العيدين ؛ وخصّ المشرّق لكثرة مُرور الناس به .
- وروي بصفا الْمُشَقَّر : يعني سوق الطائف ؛ يقول : كأني مروة في السّوق يمرّ الناس بها ، يقرعُها واحدٌ بعد واحد .

(١٥) ذكره في خزانة الأدب باسم عُقَيبة ، وقال : عُقَيبة بن هُبيرة الأسدي : شاعر جاهلي إسلامي . وفد على معاوية بن أبي سفيان فدفع رقعة فيها هذه الأبيات (يعني جملة أبيات ذكرها ، مِنها البيتان المذكوران هنا) فدعاه معاوية فقال له : ما جَرّأك عَليّ ؟ قال : نصحتُك إذْ غَشُوك ، وصَدَقْتُك إذْ كَذَبوك . قال : ماأظنّك إلا صادقاً ؛ فقضى حوائجه .
قال البغدادي : وعُقَيبة : يُحتمل أن يكون مصغر عُقبة . قال : ولم أَرَ لعقيبة هذا ذِكراً في كتب الصَّحابة ، ولم يذكره ابن حجر أيضاً في الإصابة من المخضرمين . والظاهر أنه من المخضرمين .
(خزانة الأدب ٢٦١/٢ . وانظر الأمالي ٣٦/١) .

(١٦) البيتان من ستّة أبيات في خزانة الأدب ٢٥٩/٢ ـ ٢٦٠ (والبيتان المختاران هنا هما الأول والثّالث ثمّة) ؛ ومن أربعة أبيات في العقد ٥٢/١ ، ومن خمسة أبيات فيه أيضاً ٣١٩/٥ .

(١٧) روى سيبويه البيت بنصب الحديد ، وعطفه على محلّ الجبال (فالباء حرف جر زائد) قال ابن قتيبة (الشعر والشعراء ٩٩/١) : وقد غلطَ على الشاعر ؛ لأن هذا الشعر كلّه مخفوض .
وقال البغدادي : ومن رواه بالنصب روى معه :

أَديروهــــــا بني حَربٍ عليكم ولا ترمـوا بهـا الغَرضَ البعيــدا

وقال الأعلم الشنتمري : « وسيبويه غير مُتَّهم ـ رحمه الله ـ فيا نقله رواية عن العَرب ، ويجوز أن يكون البيت من قصيدةٍ منصوبة غير هذه المعروفة ... » . وعلى رواية النصب ، فالبيت من قطعة لعبد الله بن الزّبير الأسدي . وعلّق البغدادي على هذا فقال : ولا يُنكر أن يكون بيتٌ من شعرين معاً . (ينظر شرح الأعلم ٣٤/١) .
وانظر الشاهد في كُتب النحو ، كما فصّل في حاشية شرح أبيات سيبويه ٣٠٠/١ .

(١٨) في ك : فَحَزَرْتُموها (بالحاء) . وفي خزانة الأدب : فجَرَدْتُموها . وهي كذلك في شرح شواهد سيبويه .

=

وقالَ ذو الرُّمّة[19] [في تَغزُّله][20]

يَقُولُ بـالـزُّرْقِ صَحْبي إذْ وَقَفْتُ بِهِم	في دارِ مَيّـةَ أَسْتَسْقِي لَهـا الْمَطَرا[21]
لَـوْ كَـانَ قَلْبُـكَ مِن صَخْرٍ لَصَـدَّعَـهُ	هَيْجُ الـدِّيـارِ لَـكَ الأَحْزانَ والـذِّكَرا

وقال الأَعْشَى[22] :

فإنْ يُمْسِ عندي الشَّيْبُ والسُّقْمُ والعَشا	فَقَـدْ بِنَّ مِنِّي والسِّـلامُ تَفَلَّـقُ[23]
بـأَشْجَـعَ أَخَّـاذ على الـدَّهْرِ حُكْمَـهُ	فَمِنْ أَيِّ مَـا تَجْنِي الْحَـوادِثُ أَفْرَقُ

وقالَ العُـذْرِيّ[24] ، مُشِيراً إلى مـا يُعـانِيـه من عِظَمِ كَلَفِـهِ وشِـدَّةِ [٣/ب] غَرامِـه وشَغَفِه :

= ومعنى : فجزرتموها : من جَزَّ النخل إذا صَرَمها : قطع ثَمَرَها .
و : حززتموها . من حَزّه إذا قطعه في علاج ، أو قطعه من غير إبانة .
و : جردتموها أي : قَشَرْتُموها كما يُجْرَدُ اللحم من العظم .
وقوله : هل من قائم : يعني القُرى التي أهلكت منها قائم قد بقيت حيطانه ، ومنها حصيدٌ قد امّحى أثره . قاله البغدادي . وفي حاشيته : « الحق أن القائم والحصيد إنما هو صفة للزُّروع » . قلت : وهو الأشبه بالمقصود .

(١٩) البيتان لذي الرُّمّة في ديوانه (١١٤٥) من المطلع الغزلي لقصيدة في مدح عمر بن هبيرة الفزاري .

(٢٠) العبـارة من : ك . وقـد أثبت في : ف في مكانهـا : في غرزلـه . بحرف دقيـق ، ولعـل المقصود : في غزله .

(٢١) الزُّرْقُ : أنقـاء بـأسفل الـدَّهنـاء . كـذا في معجم مـا استعجم (٦٩٦/٢) . وقـال يـاقـوت في (معجمـه ١٣٧/٣) : الزُّرق : رمال بالدّهنـاء ، وقيل هي قريـةٌ بين النّبـاج وسُمَينـة ، وكانت صعبـة المسـالـك . واحتجّا معاً بشعرٍ آخر لذي الرُّمّة فيه ذكر هذا الموضع .

(٢٢) البيت للأعشى في ديوانه (٢١٧) من قصيدة في مدح المحلّق بن خنتم .

(٢٣) في الديوان : والسّلامُ تَفَلَّقُ .
ـ والسِّلام : جمع سَلِمَة ، وهي الحِجارة .

(٢٤) هو مجنون ليلى : قيس بن الملوّح العامري . وقصد بالعُذريّ النسبة إلى نَمَطِ حياته وشعره .

ولو أنَّ مـا بِي بـالْحَصى فَلَقَ الْحَصى وبـالرِّيْـحِ لَمْ يُسْمَـعْ لَهُنَّ هُبـوبُ[٢٥]

وقـد أَكْثَر الْمُحْـدَثونَ في تَغزُّلِهِمْ مِن تَشْبيـهِ قَلْبِ الْمَحْبُوبِ بـالْحَجَرِ كَقَوْلِ سلم بن عمرو بن عَطاء[٢٦] :

يَلِيْنُ مَنْ لاَأُرِيْـــدُ رِقَّتَـــهُ وقَلْبُ مَنْ أَشْتَهِيـــهِ كالْحَجَرِ[٢٧]

[[٢٨] وقال ابنُ أَبي أُميّةَ[٢٩] أيضاً يصفُ محبوباً :

أَطْرَافُـــهُ تُعْقَـــدُ من لِيْنِـــه وقَلْبُـــه كالْحَجَرِ القَـــاسِي][٣٠]

وقالَ الْحَكمِيُّ[٣١] :

فيـــاليت شِعري أَمِنْ صَخْرَةٍ فُـؤادُك هـــذا الَّـــذي لا يَلِيْنُ

---

(٢٥) ديوان مجنون ليلى ٥٤ .

(٢٦) هو سلم بن عمرو بن حمّاد بن عطاء بن ياسر ؛ وهو سلم الخاسر ، شاعر خليع ماجن من أهل البصرة : سكن بغداد ومدح المهدي والرشيد . من شعراء صدر الدولة العباسية . توفي سنة ١٨٦ هـ .
وكان له ديوان شعر ، وجُمع الباقي من شعره في : (شعراء عباسيّون) فليراجع للمصادر والمراجع .

(٢٧) لم يرد البيت في شعره المجموع .

(٢٨) ما بين معقوفتين من : ك فقط .

(٢٩) نقل ابن المعتز (طبقات الشعراء ٣٢٢) عن دعبل أنَّ بيت أبي أُمية أهل بيت شعر وذكر مجموعة منهم ، في أثناء ترجمة عبد الله بن أبي أُميّة ، وقال : كلّهم شُعراء . وعَدَّ عبد الله أشعرهم .
وكثرت تراجم محمد بن أُمية بن أبي أمية الكاتب .
(طبقات ابن المعتز ٣٢٢ ؛ والدّيارات ٢٨ ، وتاريخ بغداد ٨٥/٢ ، ومعجم الشعراء ٣٥٤ ، والأغاني ١٣٩/١٢ ، وديوان المعاني ٣٤/٢ ، والورقة ٥٠ ، وبهجة المجالس ٧٣٧/١ ، وأخبار الشعراء الْمُحدثين (من الأوراق) ١٣٧ .

(٣٠) لم أجد البيت في المظان التي رجعت إليها .

(٣١) هو أبو نُواس . والبيت في ديوانه (برواية الصولي ٨٩٢) من خمسة أبيات .

والمعنى ملحوظٌ من قَوْلِ كُثَيِّر(٣٢) :

كَــأَنِّي أُنَــادي صخرةً حين أعرضَتْ　　من الصُّمِّ لـو تمشي بهـا العُصْمُ زَلَّتِ

وقال الآخر :

ولـو أنَّ مَـا أشكُـو إليكُمْ شكَـوْتُـهُ　　إلى جبَـلٍ لاَرْفَضَّ أَوْ لَتَصَـدَّعـا(٣٣)

وتَـوَخَّى الآخَرُ الْمُبَـالغـةَ في وَصْفِ الغِلْظَـةِ ونَفْيِ الرَّحْمَـةِ بِنَفْي الجـارِحَـةِ الْمَقْرونَـةِ بذلك ؛ وأَحْسَنَ في تعليل المعنى بقوله :

مـا إنْ لَهَـا كَبِـدٌ ترقُّ لـهُ　　شَهِدَتْ بـذاكَ لَطـافَـةُ الكَشْحِ(٣٤)

فـأمّا مَنْ قصَد مَحْضَ التَّشْبيـهِ في هـذا البـاب ، واعْتَمَـد في آخرِهِ على لَفْـظِ الكتـاب(٣٥) فـإنَّـه وقَفَ دونَ استِيْفـاء الْمَعْنى بِمثل قَوْلِـهِ تَعـالى : ﴿ أَوْ أَشَـدُّ قَسْـوَةً ﴾ وما يَتْبَعُ هذا القَوْلَ من الدَّلالةِ عَلَيْه ، والْحُجَّةِ فيه ، والتَّعْليلِ لَهُ .

وكَذلـك كُلّ مـا يَنْقُلُـه الشُّعراء وغيرهم من أربـاب البلاغَـةِ إلى كلامهم من مَعـاني القُرآن ؛ لا يَبْلُغونَ شَأْوَهُ ولا يُدْرِكُونَ [٤/أ] مَنالَهُ إعجازاً وإعْوازاً وإباءً وامْتِناعاً .

وبَيَّن جَلَّ اسْمُـه كيفَ كانَتْ قُلوبُهم أَشَـدَّ قسـوةً من الحِجَـارة فقـال : ﴿ وَإِنَّ مِنَ الحِجَـارَةِ لَمَـا يَتَفَجَّرُ مِنْـهُ الأَنْهَـارُ وإِنَّ مِنْهـا لَمَـا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْـهُ الْمَـاءُ ﴾ [البقرة : ٧٤/٢] . يَعْني العُيونَ الَّتي لا تكونُ أَنْهاراً(٣٦) .

---

(٣٢) البيت لكثيِّر عزّة في ديوانه ٩٧ ، قال في الدّيوان في مُناسبتها : « وقـال يَمْـدَحُ عزّة وكان يحبُّها » ، والقصيدة في ٤٣ بيتاً .

(٣٣) ارفَضَّ : تفرّق وتبدَّد وزال .

(٣٤) الكشْح : ما بين الخاصرة والضُّلوع .

(٣٥) يعني القرآن الكريم ؛ كتاب الله تعالى .

(٣٦) قـال أبو حيـان (البحر المحيـط ٢٦٥/١) في تفسير قولـه تعـالى : ﴿ وَإِنَّ مِنْهـا لَمَـا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْـهُ الْمَاءُ ﴾ : التَّشقُّق التَّصدُّع بطولٍ أو بعَرضٍ فينبع منه الماءُ بقلّةٍ حتى لا يكون نهراً .

وقد اقْتَفى ذلِكَ بَعْضُ الْمُوَلِّدِيْنَ ، وهو ابنُ الرُّومي[٣٧] ، فقالَ - وذكر الشَّبَابَ ، وبُكَاءَهُ عَليه[٣٨] -:

فلا تَلْحَيا أَنْ فَاضَ دَمْعٌ لِفَقْدِهِ ... فَقَلَّ لـه بَحْرٌ منَ الدَّمْعِ يثمِدُ[٣٩]

ولا تَعْجَبا لِلْجَلْدِ يَبْكِي فَرُبَّما ... تَفَطَّرَ عَنْ عَيْنٍ منَ الْمَاءِ جَلْمَدُ[٤٠]

وقال أيْضاً متغَزِّلاً[٤١] :

يا شَبِيْهَ البَدْرِ فِي الْحُسْـ ... ـنِ وفي بُعْدِ الْمَنالِ

جُدْ فَقَدْ تَنْفَجِرُ الصَّخْـ ... ـرَةُ بِالْمَاءِ الزُّلالِ

ومَعْنى التَّنزيل - بَعْدُ - أَتَمُّ وأَعَمُّ وأَوْفى وأَعْلى بِقَوْلِه تَعالى : ﴿ وَإِنَّ مِنْها لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ ﴾ [البقرة : ٧٤/٢] ، وقيل : ﴿ الَّذي يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ ﴾[٤٢] نحوُ الْجَبَلِ الذي تَجلَّى اللهُ لهُ حينَ كَلَّمَ موسى عَليه السَّلام . وقال قَوْمٌ : إنَّهُ أَثَرُ الصَّنْعَةِ التي تَدلُّ على أَنَّها مَخْلُوقَةٌ . والْمُخْتَارُ غير هذا لأَنَّ أثر الصَّنعة بَيِّنٌ في جَميعها . وإنَّما الهابطُ منها مَجْعُولٌ فيه التَّمييزُ كما قال سُبْحانه : ﴿ لَوْ أَنْزَلْنا هَذا القُرْآنَ عَلى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِنْ خَشْيَةِ اللهِ ﴾ [الحشر : ٢١/٥٩] .

ودخولُ (أَوْ) ها هنا لِغَيْرِ مَعْنى الشَّكِّ ؛ ولكنَّها (أو) التي تَأتي للإباحَةِ[٤٣] .

---

(٣٧) وهو ابن الرّومي : من ف .

(٣٨) ديوان ابن الرُّومي (٥٨٥/٢) والبيتان من قصيدة يمدح بها صاعد بن مَخْلَد .

(٣٩) ثَمِدَ الماءُ : قَلَّ . ومقصوده : قلّ لهذا الشّباب الضائع بحر من الدمع يُنْفِدُه في البكاء عليه . وأول القصيدة وقبل البيتين بيتان آخران :

أبين ضُلوعي جمرةٌ تتوقَّدُ ... على ما مضى أم حسرةٌ تتجدَّدُ

خليليَّ ما بعد الشبابِ رزيّةٌ ... يجمّ لها ماءُ الشؤون ويُعْتَدُ

(٤٠) الْجَلْمَدُ : الصَّخر .

(٤١) البيتان في ديوان ابن الرُّومي (١٩١٠/٥) وهما بيتان مفردان .

(٤٢) العبارة من ف فقط .

(٤٣) في ك : بالإباحة .

تقول : جالِس الحسَنَ أو ابن سيْرين . الْمَعْنى : هُما أَهْلٌ للمجالسةِ ؛ فإن جالستَ أحَدهما فَأنْتَ مصيبٌ ، وإن جالَسْتَهُما مَعاً فَأَنْتَ مُصِيب[42] .

فالتَّأويلُ : اعْلَمُوا أَنَّ قلوبَ هؤلاء إنْ شَبَّهْتُم قَسْوَتَها بالحجارَةِ فأنتم مُصيبون أو بما هو أَشَدُّ فأنتم مُصِيْبُونَ ؛ ولا يَصْلُحُ[45] أَنْ تكونَ (أو) ها هُنا بِمَعْنى الواو .

وكذلك قَوْلُه تَعالى :

﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً ... أَوْ كَصَيِّبٍ ﴾[46] [البقرة : ٢/١٧-١٩]

[٤/ب] يَعْنِي الْمُنَافقين . أي : إنْ مَثَّلْتُموهُمْ بالْمُسْتَوْقِدِ فذلكَ مَثَلُهُمْ ، وإنْ مَثَّلْتُموهُمْ بالصَّيِّبِ فهوَ لهم مَثَلٌ ، أو مَثَّلْتُمُوهم بِهما جميعاً فَهُما مَثَلاهُم . فالتَّمثيلُ مُبَاحٌ لكُم فِيهم .

وهذا التَّشْبيهُ لِلْمُنافِقينَ في تَجَمُّلِهِمْ بظاهِرِ الإسلام وحَقْنِهم دِماءَهم بِمَا أَظْهَروا ، فَمَثَلُ ما تَجَمَّلُوا بِهِ مِن الإسلام كالنَّار الَّتي يَسْتَضيءُ بِهَا الْمُسْتَوقِد .

وقولُه تعالى : ﴿ ذَهَبَ اللهُ بِنُورِهِمْ ﴾ مَعْنَاهُ إطْلاعُ اللهِ الْمُؤْمنينَ على أَمْرِهم ، فقَد ذَهبَ منهُم نورُ الإسلام بِمَا أَظْهَرَ اللهُ مِن كُفْرِهم .

ويجوزُ أَنْ يكونَ ﴿ ذَهَبَ اللهُ بِنُورِهِمْ ﴾ في الآخرة ؛ أي : عَذَّبَهُمْ ، فلا نُوْرَ لَهُم عَلى الْحَقِيقَةِ ؛ لأنَّ اللهَ قد جَعَلَ لِلْمُؤْمِنينَ نُوراً في الآخِرة ، وسَلَب الكافِرينَ ذلكَ

---

(٤٤) يراجع مغني اللبيب (٦٤/١) طلباً للتفصيل في (أو) ومعانيها ؛ والْجَنى الداني ٢٢٧ ؛ ورصف المباني ١٣١ ، وحروف المعاني للزجاجي ١٣ و ٥٠ ؛

(٤٥) في ك : فلا يصلح .

(٤٦) أورد المصنف من الآيتين الكريمتين ١٧ و ١٩ من سورة البقرة . قال تعالى : ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذي اسْتَوْقَدَ نَاراً فَلَمَّا أضاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذهَبَ اللهُ بنُورِهِمْ وتَرَكَهُمْ في ظُلُماتٍ لا يُبْصِرون ☆ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لا يَرْجِعُونَ ☆ أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّماء فيه ظُلُماتٌ ورَعْدٌ وبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصابِعَهُمْ في آذانِهِمْ مِنَ الصَّواعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللهُ مُحيطٌ بالكافِرينَ ﴾ .

النُّورَ ؛ بدليلِ قَوْلِه : ﴿ انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُوراً ﴾[47] [الحديد : ١٣/٥٧] .

قولُه : ﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ ﴾ : الصَّيِّبُ : الْمَطَرُ ؛ قالَ الشَّاعِرُ[48] :

كَأَنَّهُمْ صابَتْ عَلَيْهِمْ سَحَابَةٌ صَواعِقُها لِطَيْرِهِنَّ دَبِيبُ[49]

والْمَعْنى : أَو كَأَصْحابِ صَيِّبٍ ؛ فَجَعل دينَ الإسلامِ مَثلاً لَهُمْ فيما يَنالُهم فيهِ مِنَ الشَّدائدِ والْخَوْفِ ، وجَعَل ما يَسْتَضيئُونَ بهِ مِنَ البَرْقِ مَثلاً لِمَا يَسْتَضِيئُونَ بهِ من الإسْلام ، وما ينالُهم مِنَ الْخَوْف في البَرْق بمنزلةِ ما يَخافُونَهُ مِنَ القَتْل ؛ والدّليلُ على ذلك قولُه تَعالى : ﴿ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ﴾ [المنافقون : ٤/٦٣] .

قولُه : ﴿ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ ﴾[50] [البقرة : ٢٠/٢] ؛ يُقالُ : خَطَفَ يَخْطِفُ [٥/أ] .

---

(٤٧) قرئ : « انْظُرونا » وهي قراءة العامّة ؛ وهي بوصل الألف ، مضمومة الظاء : أمرٌ من : نظر ؛ والنظر : الانتظار ؛ أي : انتظرونا .
وقرأ الأعمش ، وحمزة ، ويحيى بن وثّاب : « أَنْظِرونا » بقطع الألف ، وكسر الظاء : من الإنظار : أي أمهلونا ، وأخِّرُونا .
(الجامع للقُرطبي ٢٤٥/١٧) .

(٤٨) هو علقمة بن عبدة ، وهو المشهور بعلقمة الفحل ، جاهلي مُعَمَّر ، قيل إنه أدرك عصر الإسلام انظر : تاريخ الأدب العربي للدكتور عمر فرّوخ ٢١٤/١ ومصادره ومراجعه .

(٤٩) البيت في ديوانه ٤٦ .
قول الشّاعر : كأنهم : الضمير يعود على أعداء الممدوح . يقول : « كأن ما أصابهم ونزل بهم من القتل الذريع والاستئصال سحابة جاءت بصواعق فقتلت ما أصابت من الطير ، وبقي ما أفلت منها يدبُّ فلا يقدرُ على الطَّيران » وهذا من شرح الأعلم الشنتمري على الشعراء السِّتّة .
تراجع مناسبة القصيدة ، وهي من مشهور علقمة ، في الدّيوان ٣١ .

(٥٠) من الآية ٢٠ من سورة البقرة (٢) ؛ وتمامها : ﴿ يَكَادُ البَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيْهِ وَإِذا أَظْلَمَ عَلَيْهِم قَامُوا وَلَوْ شاءَ اللهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شيءٍ قَديْرٌ ﴾ .

وللقُرّاء فيه لُغاتٌ[51] :

يُرْوى عَنِ الْحَسَن بكسر الخاء والطّاء ؛ وعن غَيْرِه بفتح الياء والخاء وكَسْر الطّاء . ويُرْوى أيضاً بِكَسْرِ الياء والخاء وكسر الطّاء[51] .

وتُرْوى لُغَـةٌ أُخْرى ؛ وهو[52] : إِسْكانُ الْخَـاء والطّـاء . وهو غيرُ سـائغٍ في النُّطْـقِ لامتناع السّاكِنَيْن من الاجتماع[53] .

فَأَمَّا بَعْدَ : (يَخْطَفُ) فالْجَيِّدُ يَخْطِفُ ويَخَطِّفُ ؛ والأَصْلُ يَخْتَطِفُ ؛ فـأُدغِمَت التّاء في الطّاء ، وأُلقيَتْ على الخاء فَتْحَةُ التّاء[64] .

ومَنْ قـالَ : يَخِطِّفُ ، بِكَسْرِ الْخَـاء ، فَلِسُكـونها وسُكـونِ الطّــاء الأُولى . وزعَم بَعْضُهم أَنْ الكَسْرَ لِالتقاء السَّاكنين ها هُنا خَطأٌ ، وأَنَّهُ يَلْزَمُ مَنْ قـالَ هـذا أَنْ يَقُولَ في : يَعَضُّ : يَعِضُّ ، وفي يَمُدُّ : يَمِدُّ ؛ فالْجَوابُ : أَنَّ هـذا غيرُ لازمٍ لأَنَّـهُ لو كُسِرَ هـا هُنَا لالْتَبَسَ ما أَصْلُهُ يَفْعَلُ ويَفْعُلُ بما أَصْلُه يَفْعِلُ[55] .

و (يَخْتَطِفُ) ليس أَصْلُـه غَيْرَ هـذا ؛ ولا يكونُ مَرّةً على : يَفْتَعِلُ ، ومَرَّةً على :

---

(٥١) تراجع هـذه الـوجوه في كتب القراءات (ولَخَّصَها كتـاب معجم القراءات القرآنيـة ١/٣٣ـ٣٤) وكتب التفسير : مثلاً : الجامع لأحكام القرآن ١/٢٢٢ـ٢٢٣ ؛ والبحر المحيط ١/٨٨ـ٨٩ .

(٥٢) وهو : يعني : وَجْهاً آخر ؛ فذكّر الضمير لذلك .

(٥٣) قـال الفرّاء (معـاني القُرآن ١/١٨) : « وبعضٌ من قُرّاء أهل المـدينـة يسكّن الخـاء والطّـاء فيجمـع بين ساكنين فيقول : يَخْطّفُ » . وردَّ عليه النَّحّاس (إعراب القرآن ١/١٤٦) فقال : « وأمّا مـا حكاه الفرّاء عن أهل المدينة من إسكان الخاء والإدغام فلا يُعْرَف ، ولا يجوز لأنه جمع بين ساكنين » .

(٥٤) قال في الجامع (١/٢٢٣) : « وزعم سيبويه والكسائي أنّ من قرأ يَخِطِّفُ بكسر الخاء والطاء فـالأصل عنـده يختطف ، ثم أدغم الخـاء في الطـاء فـالتقى سـاكنـان ، فكسرت الخـاء لالتقـاء السـاكنين . قــال سيبويه : ومَن فَتح الخاء أَلْقى حركة التّاء عَلَيْها » .

ـ وانظر مناقشة النَّحّاس ، وهي مفيدة جداً في إعراب القرآن ١/١٤٥ـ١٤٦ ، ورواياته .

(٥٥) في ك : « لالْتَبَس ما أَصْلُه يَفعِلُ بما أَصْلُه يَفْعُل » .

يَفْتَعِلُ ؛ فَيُكْسَر لالْتِقاءِ السَّاكنين في موضعٍ غير مُلْتَبِسٍ ؛ فامْتَنَعَ في الْمُلْتَبس مِنَ الكَسْرَةِ لالتقاءِ السَّاكِنَيْن ، وأُلْزِم حركةَ الْحَرْفِ الَّذي أُدْغِمَ لتدلَّ الْحَرَكةُ عليه(٥٦) .

ومَعْنى : خَطِفَ ، واخْتَطَف : أَخذَ بِسُرعة .

وقولُه تَعالى : ﴿ كُلَّما أَضاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا ﴾ . يُقال : أَضاءَ يُضِيءُ و : ضَاءَ يَضُوءُ . ويُقال : أَظْلَم وظَلِمَ . وأَظْلَم : الْمُخْتار .

ونَظرَ أَعرابيٌّ إلى هذا الْمَعْنى من قَوله تَعالى ، فقال(٥٧) :

وَلَيْلٍ بَهِيمٍ كُلَّما قُلْتُ غَوَّرَتْ ... كَواكِبُهُ عَادَتْ فَمَا تَتَزَيَّلُ

بِهِ الرَّكْبُ إِمَّا أَوْمَضَ البَرْقُ يَمَّمُوا ... وإِنْ لَمْ يَلُحْ فالقَومُ بالسَّيْرِ جُهَّلُ

وبَيْن هذا ولَفْظِ التَّنزيل من التَّفاوُتِ ما هو ظَاهِرٌ ظُهوراً شَديداً لا يَخْفى على ذِي لُبٍّ [٥/ب] إذا أَسْهَمَهُما نَظرَةً ، وعاطَاهُما تأَمُّلَهُ(٥٨) .

وأَخَذَ الْمَعْنى أَبو نُواس فَنحَلَهُ وَصْفَ الْخَمْرِ ؛ فقَالَ وأَطال ؛ وإِنْ كانَ مُحْسِناً(٥٩) :

وسَيّارةٍ ضَلَّت عنِ القَصْدِ بَعْدَما ... تَرادَفَهُم جِنْحٌ منَ اللَّيْلِ مُظْلِمُ(٦٠)

---

(٥٦) وانظر معاني القرآن للفرّاء ١٨/١ وإعراب القرآن للنَّحّاس ١٤٥/١ .

(٥٧) غوّرت الشّمسُ (ونحوُها) : غَرُبت . ما تَتَزيَّلُ : ما تُفارق مكانها . والزَّوائل : النجوم لزوالها من المشرق إلى المغرب في استدارتها .

(٥٨) الأَصْلُ في معنى أسهم : جعل لهم سهماً وحظّاً . وعاطى : ناول ؛ يريد : إذا تَدبَّر ما وَرَد في التنزيل في هذا المقصد وما جاءَ عن العَرَب ، ووازنَ بينهما .
ومعنى : أسهمها نظره أي قاسمها ؛ والمقصود : أعطى كلاًّ منها حَظَّهُ من النظر . وأصل معنى عاطى : ناوَل ؛ يريد إذا تأَمَّلتَها حقّ التَّأَمُّل .

(٥٩) الأبيات في ديوانه (طبعة الغزالي) ٤٥ وهي ثلاثة من أربعة ، وبعد البيت الأول بيت آخر . (ولم أجد القطعة في ديوانه بشرح الصُّولي) .
ـ وروى في الديوان : (١ ـ ترادفهم أفق . ٢ ـ على النأي قهوة) .

(٦٠) السَّيارة : القافلة . ترادفهم : جعلهم رديفاً له .

فَلاحَتْ لَهُمْ مِنّا عَلى البُعْدِ قَهْوَةٌ ... كَأَنَّ سَناها ضَوءُ نارٍ تَضَرَّمُ[٦١]
إِذَا مَا حَسَوْناها أَقامُوا مَكانَهُمْ ... وإنْ مُزِجَتْ حَثُّوا الرِّكابَ ويَمَّمُوا[٦٢]

وكرَّر الْمَعْنى فقَال[٦٣] :

فَعَلَتْ في البَيْتِ إذْ مُزِجَتْ ... مِثْلَ فِعْلِ الصُّبْحِ في الظُّلَمِ
فاهْتَدَى سَارِي الظَّلامِ بِها ... كَاهْتِداءِ السَّفْرِ بالعَلَمِ[٦٤]

قَوْلُهُ عَزَّ وجَلَّ : ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ ﴾ وهو يريدُ أَسْمَاعِهِم ؛ لأنَّ السَّمْعَ في مَعْنى الْمَصْدَر ، فَوَحَّد[٦٥] .

ويَجُوزُ أَنْ يكونَ لَمّا أَضافَ السَّمْعَ إِلَيهِمْ دَلَّ عَلى مَعْنى أَسْماعِهِم ، قَالَ الشّاعر[٦٦] :

بِهَا جِيَفُ القَتْلى فَأَمَّا عِظَامُها ... فَبِيْضٌ وأَمَّا جِلْدُهَا فَصَلِيْبُ[٦٧]

وقال الفَرّاء[٦٨] : ﴿ كَمَثَلِ الَّذي ٱسْتَوْقَدَ نَاراً ﴾ : إِنَّما ضَرَبَ المَثَلَ للفِعْلِ لا

---

(٦١) القَهوة : الخمرة : سمّيت لذلك لأنَّها تقهي عن الطعام ، (تصرف عنه) .
(٦٢) حسا الماء واحتساه : شربه .
(٦٣) الأبيات من قصيدة لأبي نُواس (ديوانه بشرح الصولي ٢٠٨) .
(٦٤) السَّفر : جماعة المسافرين . والعَلَم : شيء يُنصَبُ على الطريق يَهتدي به الْمُسافرون .
(٦٥) في الجامع لأحكام القرآن : « إن قال قائل : لِمَ جَمَعَ الأبصار ووحّد السمع - يعني في قوله تعالى في الآية ٧ من سورة البقرة : ﴿ خَتَمَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وعَلَى سَمْعِهِمْ وعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ ... ﴾ - قيل له : إنَّما وحّده لأنّه مصدر يقع للقليل والكثير ... وقيل : إنه لَمّا أضاف السمع إلى الجماعة دلَّ على أنه يُراد به أسماعُ الجماعة كما قال الشاعر ... البيت التالي .
(٦٦) هو علقمة بن عبدة ، والبيت من أول قصيدة له في الدّيوان ٤٠ . وفيه : جيف الْحَسْرى .
(٦٧) قول الشّاعر بها : يعني الطّريق . وجعل عظام القتلى بيضاً لِقِدَم عَهْدها ، أو لأنَّ السِّباع والطَّير أكلت ما عليها من اللحم فَبَدا وَضَحُها . والصَّليبُ : الوَدَك (الدَّسَمُ) الذي يخرج من الجلد ؛ وقيل الصليب : اليابسُ الذي لم يُدْبَغ . قال الأعلم الشنتمري : وكان وجه الكلام أن يقول : « وأمّا جلودها » فلم يمكنه فاجتزأ بالواحد عن الجمع لأنه لا يُشكل .
(٦٨) هذا من كتابه : معاني القرآن ١٥/١ باختصار يسير .

لأَعْيَانِ القَوْمِ ؛ وإنَّما هوَ مَثَلٌ للنِّفاقِ فَقَال : ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذي اسْتَوْقَدَ نَاراً ﴾ ولم يَقُل : الَّذيْنَ اسْتَوْقَدُوا . وهو كقولِه تَعالى : ﴿ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ ﴾ [الأحزاب : ١٩/٣٣] . وقولـه تعـالى : ﴿ مَا خَلْقُكُمْ وَلاَ بَعْثُكُمْ إلاّ كَنفسٍ وَاحِدَةٍ ﴾ [لقمان : ٢٨/٣١] الْمَعْنى : إلاّ كَبَعْثِ نَفْسٍ واحِدَة . وإنَّما قال : ﴿ ذَهَبَ اللّهُ بِنُورِهِمْ ﴾ ذَهَب إلى الْمُنافقين فَجَمَعَ لِذلك[٦٩] .

وقيْل : مَعْنى ﴿ الَّذي ﴾ : الْجَمْع ؛ فَوَحَّدَهُ أَوّلاً لِلَفْظِهِ ، وجَمَعَ بَعْدُ لِمَعْنَاه . وقال تَعالى : ﴿ وَالَّذي جَاءَ بالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ ﴾ [الزُّمر : ٣٣/٣٩] ، ثمَّ قال : ﴿ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ ؛

وَقِيْلَ في قَوْلِ الشّاعر[٧٠] : [٦/أ]

فإنَّ الَّذي حانَتْ بِفَلْجٍ[٧١] دِماؤُهمْ ... هُمُ القَوْمُ كُلُّ القَوْمِ يا أُمَّ خالِدِ[٧٢]

إنَّهُ أَفْرَد والْمُرادُ بِهِ الكَثْرة ؛ لَيْس لأنَّ النُّون حُذِفت ، كما حُذِفَتْ من قَوله[٧٣] :

---

(٦٩) انتهى النقل عن الفرّاء .

(٧٠) هو الأَشْهَب بنُ رُمَيلة (الأشهب بن ثور بن أبي حارثة التميمي) ورُمَيلة : أمّه . شاعرٌ مخضرمٌ (ولم تعرف له صُحبة) كان بينه وبين الفرزدق مهاجاة .
(له ترجمة في الإصابة ١١٠/١ ، والمؤتلف والمختلف ٣٧ ، وخزانة الأدب ٣٠/٦ ، والأغاني ٢٦١/٩ ، وطبقات فحول الشعراء ٥٨٥) .

(٧١) فَلْج : موضع في بلاد بني مازن ، وهو في طريق البصرة إلى الكوفة .
(مُعجم مااستَعْجم للبَكْري ١٠٢٧/٣ ، ومعجم البلدان ـ فلج ـ ٢٧٢/٤) .

(٧٢) البيت في معجم مااستعجم (فلج) ، وفيه : إنَّ الَّذي . وفي معجم البلدان ٢٧٢/٤ مع بيت آخر . واللسان (ف ل ج) . وهو من أبيات لعلَّها من قصيدة مطولة في شرح شواهد المغني ٥١٧/٢ ؛ وقال إنَّ أبا تمام نسب الأبيات إلى حُرَيث بن مُخَفَّض (وانظر حواشي المحقق فيه) ، وهو من ثلاثة أبيات في الحماسة البصريّة ٢٦٩/١ .

(٧٣) هذا البيت والذي قبله في اللّسان (ف ل ج) ، ونقل ابن منظور عن ابن بري قال : النَّحويون يستشهدون بهذا البيت ـ يعني بيت الأشهب ـ على حذف النون من (الذين) لضرورة الشعر ، والأصل=

أَبَنِي كُلَيْبٍ إنَّ عَمَّيَّ اللَّـــــذا   قَتَـلا الْمُلُـوكَ وفَكَّكا الأَغْـلالا[٧٤]

وقد ورَد في القُرآن لَفْظُ التَّشْبِيه لغيرِ تَشْبيه ؛ كقولِه تَعالى في هذه السُّورة : ﴿ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَـةٍ ﴾ [البقرة : ٢٥٩/٢] . وإنَّما ذلـكَ مَعطوفٌ على مَعْنى الكَلام الأَوَّل في قوله تَعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إلى الَّذي حَـاجَّ إبْراهِيمَ في رَبِّـهِ ﴾ [البقرة : ٢٥٨/٢] ؛ لأَنَّـهُ في التَّقْدِير : أَرَأَيْتَ كالَّذِي حَاجَّ إبْراهِيْمَ فِي رَبِّهِ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلى قَرْيَـةٍ ؟ وموضعُ الكاف نَصبٌ بِـ ﴿ تَرَ ﴾ .

فَهذا ونَحْوُه لم نَقْصِد ذكره في هذا الكِتاب .

= فيـه : وإنَّ الـذين . كما جـاء في بيت الأخطل : أبني كليب ... إلـخ . أراد : اللَّـذان ، فحـذف النـون ضرورةً .

(٧٤) البيت للأخطل التَّغلبي (مَدَّاح بني أُمَيَّة) في ديوانه ١٠٨/١ من قصيدةٍ - في ٤٧ بيتـاً - يمـدح بهـا قومـه ويهجو جريراً . قال ابن قتيبـة إنـه عنى عمراً ومُرَّة ابني كُلثوم ؛ فعمرو قتل عمرو بن هنـد ، ومرّة قتل المنذر بن النعمان بن المُنذر .

- وكان الأخطل يتقوّى على جريرٍ بتقريب بني أُميّـة لـه ، ولم يكن من بـابتـه ولا يقف لـه في مكانـة ولا في شعر .

سورة آل عمران

قَوْلُهُ عَزَّ وجَلَّ : ﴿ كَدأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِيْنَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبوا بِآيَاتِنَا فَأَخَـذَهُمُ اللهُ بِذُنوبِهِمْ وَاللهُ شَدِيْدُ العِقَابِ ﴾ [آل عمران : ١١/٣] .

الدَّأْبُ : العَادَةُ ، ومُلازَمَةُ الطَّرِيقة . يُقالُ : دَأَبَ يَدْأَبُ دَأْباً ودُؤوباً ، وهو دائبٌ يَفْعَلُ كذا : أي يَجْرِي فيه عَلى عَادَتِه ومُلازَمَتِه . قال خِداش بنُ زُهَيْر العَامِريّ[(٢)] :

وما زالَ ذاكَ الـدَّأْبُ حتّى تَخـاذَلَتْ هَـوازِنُ وارْفَضَّتْ سُلَيْمٌ وعــامِرُ[(٣)]

ومنهُ قولُه تعـالى : ﴿ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِيْنَ دَأَبـاً ﴾ [يوسف : ٤٧/١٢] ، يعني : جِـدّاً في الـزِّراعـة ومُـلازَمَـةً لهـا . ونَصَب : دَأَباً بتقـدير : تَـدْأَبُون دَأَبـاً ؛ يَـدُلُّ عليـهِ ﴿ تَزْرَعُوْنَ ﴾ .

وموضعُ الكافِ في ﴿ كَدأْبِ ﴾ رفعٌ لأَنَّهُ خَبَرُ ابتداء ، كما أَنَّ موضعَ : خَلْفَـك ، في قولكَ : زَيْدٌ خَلْفَك ، رفْعٌ بأَنَّه خَبرُ ابْتِداء ، وانتصَب بالاسْتِقْرار[(٤)] .

---

(١) يقال : دَأْب ـ بسكون الهمزة ـ ودَأَب بفتحها .

(٢) شاعر جاهلي من الفُرسان ، ولقّبوه فارس الضّحياء (تراجع ترجمته في الأعلام ومقدمة شعره المجموع) .

(٣) البيت من قطعة مفضَّلية (شرح الأنباري ٧١٥ ـ ٧١٧) وانظر الأصمعيّات ٢١٧ أيضاً : وهي منسُوبة فيهما إلى عوف بن الأحوص العامريّ . وفي شرح الأنباري : يقال : قالها خداش بن زهير في يوم عكاظ (وانظر شعره المجموع في هذه القطعة وحواشيها ٧٠) .
ـ ومعنى ارْفَضَّ : تفرّق وتبدّد .

(٤) أي الظرف (خلف) متعلّق بالخبر المحذوف : أي : زيد (مستقرٌ) خلفك .

ولا يَصْلُح أَن تكونَ الكافُ في موضع نَصْبٍ بـ ﴿ كَفَرُوا ﴾[٥] لأَنَّ ﴿ كَفَرُوا ﴾ في صِلَةِ ﴿ الَّذِيْنَ ﴾ ؛ لا يصلُح أَنْ يكُونَ : إن الَّـذِينَ كَفَرُوا كَكُفرِ آلِ فِرْعَوْن ؛ لأَنَّ الكافَ خارِجَةٌ مِنَ الصِّلة فلا يَعْمَلُ فيها ما [٦/ب] يعملُ في الصِّلة .

ومَعْنى ﴿ آلِ فِرْعَوْنَ ﴾ أَيْ : أَتْباعُه فيما دَعا إليه من رُبوبيَّتِه ؛ فَهُمْ آلُه ؛ لأَنَّ مَرْجِعَ أَمْرِهم إليه بالنَّسَب ؛ وكُلُّ مَنْ كانَ يَرْجِعُ أَمْرُ القوم إليه بالنَّسَبِ فَهُمْ آلُه في حَقٍّ كانَ أَو باطِل .

والفَرْقُ بين الآلِ والأَصْحَابِ أَنَّ الآلَ يرجعونَ بالنَّسَبِ الأَوكَدِ الأَقْرَب . وأَمَّا الأَصْحَابُ فَمِنَ الصُّحْبَةِ ؛ كالأَصحابِ في السَّفر ، وفي طَلَب العِلْمِ وغَيْرِه .

وقد كَثُر في الْمُوافقة على الْمَذْهَب كقولهم : أَصْحَابُ مالِك وغَيْرِه . ولا يُوصَفُونَ بأَنَّهم آلُ مالك . وإنَّما قيل : آلُ فِرْعَون لأَنَّهم رجَعُوا إليه في اتِّبَاعِهِ على عِبَادَتِه[٦] .

والآيَة تَتَضَمَّنُ التَّشْبِيْهَ لحالِ الْمُشْرِكين في اجْتِهادهم في كُفْرِهم ، وتَظَاهُرِهم على

---

(٥) يُريد : ﴿ كَفَرُوا ﴾ من الآية ١٠ من سورة آل عمران : ﴿ إِنَّ الَّذِيْنَ كَفَرُوا لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوالُهُم وَلاَ أَوْلاَدُهُمْ مِنَ اللهِ شَيْئاً أُوْلَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ ☆ كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ ... ﴾ .
- قال الفرّاء (معاني القرآن ١٩١/١) : يقول : كفرت اليهود ككفر آل فرعون وشأنهم . وقال النَّحّاس (إعراب القرآن ٣١٣/١) تعليقاً على قول الفرّاء : لا يجوز أن يكون الكاف متعلّقة بـ ﴿ كفروا ﴾ لأنّ : كفروا داخلٌ في الصّلة ، و ﴿ كَدَأْب ﴾ خارجٌ منها .
- وفي الجامع لأحكام القرآن ٢٣/٤ تفصيلٌ وزيادة .

(٦) في اللسان (أول) كلام مفصّل عن الآل والأهل ؛ وقال ابن الأثير (النهاية في غريب الحديث ٨١/١) : اختُلفَ في آل النّبيّ ﷺ ، فالأكثر على أنهم أهل بيته ، قال الشّافعي رضي الله عنه : دلَّ هذا الحديث أي « لا تحلُّ الصَّدقة لمحمد وآل محمد » أن آل محمّد هم الذين حرمت عليهم الصدقة ، وعُوِّضوا منها الخمس ، وهم صليبة بني هاشم وبني المطّلب . وقيل : آله : أصحابه ومَنْ آمن به . وهو في اللغة يقع على الجميع .
- وانظر كتب التعريفات ، وفروق اللُّغة ، مثل كلّيات أبي البقاء ٢٦٨/١ و ٣٦١/٢ وكتاب فروق اللغات للجزائري ٤٦ .

النَّبيِّ ﷺ ، والتَّكذيبِ بآياتِ اللهِ عَزّ وجَلّ بحالِ آل فِرْعَوْن في تَظاهُرهم على مُوسى عليه السَّلام ، وتكذيبهم بآياتِ اللهِ التي جاءَ بها .

ونَظيرُ لفظِ هذا التَّشبيه قولُ امرئ القَيس[7] ، ووَصفَ الدِّيارَ وما عاناهُ من التَّرَسُّمِ لها والتَّذكُّرِ بها ؛ وقولُ اللهِ جَلَّ اسْمُهُ أكرمُ وأَعْظَمُ وأَفْصَحُ وأَوْضَح ، وأَبْيَنُ وأَحْسَن ؛ :

وُقوفاً بها صَحْبِي عَلَيَّ مَطِيَّهُمْ ... يَقُولونَ : لا تَهْلِكْ أَسًى وتَجَمَّلِ
وإنَّ شِفَائي عَبْرَةٌ لو سَفَحْتُها ... فهَلْ عندَ رَسْمٍ دارسٍ من مُعَوَّلِ[8]
كَدَأْبِكَ من أُمِّ الْحُوَيْرِثِ قَبْلَها ... وجارَتِها أُمِّ الرَّبابِ بِمَأْسَلِ[9]

يقول : لقيتَ مِن هذِه الدِّيار كما لقيتَ مِن أَهْلِها . أي : عادَتُكَ العَنَاءُ بها ، والبُكاءُ فيها كعادتك في العَناء قَبْلَها بِهَوى ساكِنيها [٧/أ] . ويقال : ما زالَ ذلكَ دأبَهُ ، ودِيْنَهُ ، ودَيْدَنَهُ ، وشَأْنَهُ ، وعادَتَهُ : بِمَعْنًى .

وقال اللهُ تَعالى في سُورة أُخرى : ﴿ كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ والَّذِيَنَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا

---

(٧) ديوان امرئ القيس بشرح الأعلم ٩ ، من معلَّقته .

(٨) في الدِّيوان : عبرةٌ إن سفحتُها .
ـ قال الأعلم : المُعَوَّل من العَويل والبكاء ... ويُحتمل أن يكون من التَّعويل على الشَّيء ؛ أي : إن البكاء على الرسوم لا يُجدي شيئاً ، فلا ينبغي أن يعوَّل عليه .

(٩) في الديوان : كدينك . وروى في شرح القصائد السَّبع الطوال (٢٧) وشرح القصائد التسع المشهورات (١٠٥) : كَدَأْبك .
ـ والدين والدأبُ واحد .
ـ وأمّ الْحُوَيرث ، وأمّ الرباب امرأتان من (كلب) . وأمّ الحويرث هِيَ (هرّ) التي ذكرها أيضاً باسمها في شعره .
يقول ـ كما شَرَح الأنباري ـ أصابك من هذه المرأةِ من التَّعبِ والنَّصَبِ كما أصابكَ من هاتين المرأتين . وفيه قولٌ آخر ، وهو أن يكون المعنى ، لقيتَ من وقوفك على هذه الدّيار وتذكّرك أَهْلَها كما لقيت من أمّ الحويرث وجارتها .

بآيَاتِ اللهِ فَأَخَذَهُمُ اللهُ بِذُنوبِهِمْ إِنَّ اللهَ قَوِيٌّ شَدِيْدُ العِقَابِ ☆ ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّراً نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيْمٌ ☆ كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ والَّذِيْنَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ كانُوا ظَالِمِيْنَ ﴾ [الأنفال : ٨/٥٢ـ٥٤] .

تكريرُ قَوْلِه تَعالى ها هُنا : ﴿ كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ ﴾ إنَّما هو تَصْريفٌ للقَوْلِ بالذَّنْبِ بِما كانُوا عَليه من قُبْحِ الفِعل ؛ ولأنَّه على نَوْعين مُختلفين مِنَ العِقاب .

وإنَّما صارَ التَّكذيبُ بآياتِ اللهِ من أعْظَمِ الإجرام ، لأَنَّهُ مِن أَبْعَدِها عنِ الصَّواب لِما يَتْبَعُهُ من تَضْييع حُقوقِ اللهِ تَعالى فيما يَلْزَمُ مِن طاعَاتِهِ الَّتي لا تَصِحُّ إلاَّ بآياتِه الَّتي جاءَتْ بها رُسُله .

والتَّكذيبُ : نِسْبَةُ الْخَبر إلى الكَذِب ؛ فالمكذِّبُ بالْحَقِّ مَذْمومٌ ، والمكذِّبُ بالباطِل من أَجْلِ أنَّهُ باطلٌ قد ظَهَر أَمْرُهُ مَحْمُود .

فَإنْ قيلَ : لِمَ وَجَبَ من تَكذيبهم بآياتِ اللهِ عَزَّ وجَلَّ تَعْجيلُ عُقوبَتِهِمْ ولم يَجبْ في غَيرهم ؟ قيلَ : لأَنَّهُ لَمَّا لَم يكُنْ فِيهِمْ مَنْ يُفلِحُ ، وكانَ في تَعْجيلِ عُقوبَتِهِمْ زَجْرٌ لِغَيْرِهِم يَصْلُحُ بِهِ وَجَبَ تَعْجِيلُها لَهُم .

سُوْرَةُ الأَنْعَام

قَوْلُـهُ عَزَّ وجَلَّ : ﴿ قُـلْ أَنَـدْعُـوا مِنْ دُوْنِ اللهِ مـا لا يَنْفَعُنَـا ولا يَضُرُّنَـا ونُرَدُّ عَلَى أَعْقَابِنَـا بَعْـدَ إِذْ هَـدانَـا اللهُ كالَّـذِي اسْتَهْوَتْـهُ الشَّيَـاطِيْنُ في الأَرْضِ حَيْرانَ لَـهُ أَصْحـابٌ يَدْعُونَهُ إِلى الهُدَى ائتِنَـا قُلْ إِنَّ هُـدى اللهِ هُوَ الْهُـدى وأُمِرْنـا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ العَـالَمِيْنَ ﴾[1] [الأنعام : ٧١/٦] [٧/أ] .

نَبَّـهَ اللهُ نَبِيَّـهُ ﷺ على حُجَّتِـه على مُشرِكي قومِـه مِنْ عَبَـدَةِ الأَوثـانِ بقولِـه : قُلْ يا مُحَمَّد لهؤلاءِ العـادلينَ بربِّهم الأَوثـانَ والأَنْـدادَ الآمِرينَ لـكَ بـاتِّبـاع دِيْنِهِمْ وعِبـادَةِ آلِهَتِهِمْ : أَنَـدْعُـو مِن دُونِ اللهِ حَجَراً أَو خَشَبـاً لا يقْـدِرُ على نَفْعِنـا ولا ضَرِّنـا[2] ، ونَـدعُ عبادةَ مَنْ بِيَدِه النَّفْعُ والضُّرُّ والْحَياةُ والْمَوْتُ ؟!

فَلا شَـكَّ إِن كُنتُم تعقلونَ وتُمَيِّـزونَ بينَ الْخَير والشَّرِّ أَنَّكم تَعْلَمُـونَ أَنَّ خِـدْمَـة من يُرْجى ويُرْهَب ضَرُّه أَحـقُّ وأَوْلى كما قـالَ تَعـالى : ﴿ ضَـلَّ مَنْ تَـدْعُوْنَ إلاَّ إيَّـاهُ ﴾ [الإسراء : ٦٧/١٧] .

قَوْلُهُ : ﴿ ونُرَدُّ عَلَى أَعْقَـابِنَـا ﴾ أي أَدْبـارِنـا ؛ لم نَظْفَر بِحُجَّـة[3] ؛ فيكونُ مَثَلُنَـا

---

(١) ـ والتفسير المذكور هنا من قوله : « ونَبّه الله نبيّه ... » إلى قوله : « فوجه التشبيه » مـأخوذٌ من تَفسير الطبري ١٥٢/٧ ـ ١٥٣ اختياراً واختصاراً بحروف الطبري تقريباً .

(٢) في تفسير القرطبي : أي ما لا ينفعنا إنْ دعوناه ولا يَضُرُّنا إن تركناه ؛ يريد الأصْنام .

(٣) في تفسير الطبري : لم نظفر بحاجة .

ـ قال النحاس : أي نرجعُ إلى الضَّلالة بعد الهُدى .

ـ والأَعقاب جمع عقب ؛ يقال : رجع فلانٌ على عقبيه : إذا أَدْبَر . وقـال أبو عُبَيـدة : يقـال لمن رُدَّ عن حاجته ولم يظفر بها : قد رُدَّ على عقبيه .

مثلُ الَّذي استَهْوَتْهُ الشَّياطين . والاستِهْواء : الـدُّعـاءُ إلى الهَوى . وقيل للضّـالِّ : يَهْوِي لأنَّهُ بمنزلةِ مَنْ يَمْضِي في جهَةِ السُّفْل كما يُقال : أَمْرُهُ في سَفال .

قولُه : ﴿ حَيْرانَ ﴾ منصوبٌ على الحال ؛ أيْ كالَّذي اسْتَهْوَتْهُ في حال حَيْرَته .

وهذا مَثَلٌ ضَربهُ اللهُ تَعالى لِمَنْ كَفر بَعْدَ إيمانِـه ، واتَّبعَ الشَّيـاطين من أَهل الشِّرْكِ بالله ؛ وأَصْحابُـه الَّـذينَ كانُوا في حـالِ إسلامـه ، المقيمونَ عَلى الـدِّين الحقِّ يـدعُونَـهُ إلى الهُـدى الَّـذي هُم عَليـهِ ؛ يَقُـولـون لـه : ﴿ ائْتِنَـا ﴾ وهـوَ يَـأْبى ذلـكَ ويَتْبَـعُ داعِيَ[٤] الشَّيطان ، ويَعْبُدُ الآلِهَةَ والأَوثانَ .

فَوَجْهُ التَّشْبيه في الْمَثَل : أَنَّ حالَ الصَّائرِ إلى الضَّلال بِكُفْرِهِ بعدَ الدُّعاء إلى الهُـدى بإيمانِه كحالِ الصَّائرِ إلى الضَّلال بسُلوكهِ غَيْرَ الْمَحَجَّـةِ[٥] في طريقـهِ ، بعـدَ الـدُّعـاءِ إلى الهُدى بلزومِ الْمَحَجَّة[٦] الَّتي تُؤدِّي إلى نَجاحِه .

قال ابنُ عَبّاسٍ[٧] رَحْمَةُ اللهِ عليه : هذا مَثَلٌ ضَربـهُ اللهُ تعـالى [٨/أ] للآلِهَـة ومَنْ يَدْعو إلَيْها ، والدُّعَاةِ الَّـذين يَـدْعونَ إلى اللهِ ؛ كَمَثَلِ رَجُلٍ ضَلَّ عن الطريق تـائهـاً إذْ ناداهُ مُنَادٍ : يا فلانَ بْنَ فلان ! هَلُمَّ إلى الطَّريق ، ولهُ أَصحابٌ يـدعونَـهُ إلى اتِّبـاعهم . فإن اتَّبع الدَّاعِيَ الأَوَّل انطلقَ بهِ حتّى يُلقيه في هَلكة ؛ وإنْ أَجابَ أَصْحَابَهُ اهْتَدى إلى الطَّريق . وإنَّما يَدْعُوه الشَّيطانُ باسْمِه واسْمِ أَبيهِ لِيَخْدَعه فيُضلّه .

والشَّياطينُ : غِيْلانُ الجِنّ . والغُوْلُ : اسْمٌ للذَّكرِ والأُنْثى .

---

(٤) في تفسير الطبري : دواعي الشَّيطان .

(٥) المحجّةُ : الطريقُ المستقيم ، والجمع محاجّ .

(٦) في ك : بلزومه الْمَحَجَّة .

(٧) رواه الطبري في تفسيره ١٥٢/٧ . وفي رواية المصنِّف ـ رحمه الله ـ شيء من اختصار فيما روى .

قالَ العَنْبَرِيُّ[٨] :

وغُـــــولا قَفْرَةٍ ذَكر وأُنثى   كأنَّ عَلَيْهِما قِطَـــعَ البِجَـــادِ[٩]

والغُولُ في كلامِهم الدَّاهيةُ أَيْضاً ، وكذلكَ الْحَرْبُ على التَّشْبيه ؛ قال الشاعر[١٠] :

الْحَرْبُ غُـوْلٌ أو كَشِبْـــهِ الغُـوْلِ[١١]
تَقْلِبُ لِـلأَوتَـــارِ والـــذُّحُـولِ[١٢]
حِمْـلاقَ عَيْنٍ ليسَ بِـــالْمَكْحُـولِ[١٣]

والشَّيطانُ أيضاً مِن أَسماء الْحَيَّة ، على التَّشْبيهِ ؛ قال الشّاعِرُ ـ وذكَرَ ناقةً[١٤] ـ :

تُـلاَعِبُ مَثْنى حَضْرَمِيٍّ كَـــأَنَّـــهُ   تَعَمُّـجُ شَيْطَـانٍ بِـــذي خِرْوَعٍ قَفْرِ

وقد ذكرتِ العربُ في أَشعارِهـا مـا تُعـانيـه في مجهول الأَرَضين من تلوُّنِ الغِيلانِ ،

---

(٨) هو أبو المِطْراب عُبَيد بن أَيّوب العنبري ، قال فيه البكري في السّمط : شاعرٌ إسلاميٌّ . وكان لصّاً مُبرّاً فنَذَر السُّلطانُ دمه ، وخلعه قومه ، فـاستصحب الوحوش وأَنِسَ بها وأَنِسَت بـهِ . ولـه في ذلـك أَشعـارٌ كثيرة . وكان يزعم أنه يُرافق الغول والسِّعلاة ، فمن ذلك قوله (السّمط ٣٨٤/١) :

فَلِلّــــهِ دَرُّ الغـــولِ أيُّ رفيقـــةٍ   لصـــاحبِ قفرٍ خـــائفٍ يتسَتَّرُ

(٩) البيت آخر ثلاثة أَبيات نَقلها في مجموع شعره من كتاب : شعراء أُمويّون (٢١١/١) .
ـ والبِجادُ : كِساءٌ مُخَطَّط من أكْسِيَةِ الأَعْراب .

(١٠) لم يُسمّه الجاحظ : (الحيوان ١٩٦/٦) .

(١١) في الحيوان : والحربُ غولٌ . وبعد هذا البيت بيت آخر هو :
تُزَفُّ بالراياتِ والطُّبول

(١٢) الأوتار جمع وتر : الثأر . ويُقال : وتَر فلاناً أي قتَل حميه . والذُّحول جمع ذحل : الثأر .

(١٣) حملاقُ العين : باطنُ أجفانها .

(١٤) البيت في اللسان (ع م ج) . والتَّعَمُّجُ : التَّلَوّي في السَّير والاعوجاج .
ـ وصف الشاعر زمامَ النّاقة ، وشبَّهه بالحيّة في تلوّيـه (تعمّج شيطـان) . والخِرْوع : نبـاتٌ معروفٌ ، وهو كُـلُّ نبـاتٍ ضعيف يَتَثَنَّى . والحضرمي نسبـة إلى حضرمـوت . والكلمـة صفـة للـزمـام (أي زمـامٌ حضرميّ) .

وتَسْمَعُه من أَصواتِ عزيفِ الجِنّان[١٥] في التَّعَرُّضِ لِلْمَسالِكِ هُناك . قال ذو الرُّمّة ، وذكر أرضاً قَطَعَها[١٦] :

للجنِّ في اللَّيْلِ في حافَاتِها زَجَلٌ كما تجاوَبَ يَوْمَ الرِّيْحِ عَيْشومُ[١٧]
هَنّا وهَنّا ومِنْ هَنّا لَهُنَّ بِها ذاتَ الشَّمائِلِ والأَيْمانِ هَيْنُومُ[١٨] !

وقال أيضاً ، وذكَرَ مَطِيَّتَهُ[١٩] :

وكَمْ عَرَّسْتَ بَعْدَ السُّرى من مُعَرَّسٍ بِهِ من كلامِ الجِنِّ أَصْوَاتُ سامِرِ[٢٠]

[٨/ب] وقالَ عُبَيد بنُ أَيُّوب العَنْبَرِيّ[٢١] :

فَلِلَّهِ دَرُّ الغُولِ أَيُّ رفيقةٍ لِصَاحِبِ قَفْرٍ خائفٍ ، يَتَقَتَّرُ[٢٢]
أَرَنَّتْ بِلَحْنٍ بعدَ لَحْنٍ وأوقَدَتْ حَوالَيَّ نيراناً تَبُوخُ وتَزْهَرُ[٢٣]

---

(١٥) الجِنّان جمع جانّ مثل حيطان وحائط . وعَزِيفُها : أصواتُها .

(١٦) ديوان ذي الرُّمّة ٤٠٨/١ ـ ٤٠٩ .

(١٧) في الديوان : في أرجائها ... كما تناوح .
ـ وعيشوم : شجرة تنبسط على وجه الأرض ، فإذا يبست فللرِّيح فيها زفير . أو هو ضربٌ من النَّبت يتخشخش إذا يبس وأصابته الرِّيح .

(١٨) هَنّا وهَنّا : يقولُ : يُسمع صوت الجنّ وزَجَلُها من ها هنا وها هنا . وهينوم : هينمةٌ . وهي : صوتٌ تسمعه ولا تفهم كلاماً . يريد : من أَيمانها وشمائلها .

(١٩) ديوان ذي الرُّمّة ١٦٨٥/٣ .

(٢٠) التَّعريس : النُّزول للنوم في آخر اللَّيل . وسامِر : قوم يسمرون ويتحدَّثون .

(٢١) من قصيدةٍ في مجموع شعره ٢١٢/١ ؛ ويُروى : تغنَّت بلحنٍ بعد لحن .

(٢٢) الأصل في معنى يتقتَّر : يستتر في القُترة . وكثر استعمالها لمعنى استتار الصائد لصيده في القُتْرة ليخدعه ويصيده . وكأنه يريد الاستتار من أيّ أحدٍ لأنه كانَ خليعاً مهدور الدَّم . والقُتْرَة هنا بئرٌ يحتفرها ليكمن (الصائد) فيها .

(٢٣) في مجموع شعره : تَغَنَّت .. زعموا أنَّ الغُول توقد ناراً باللَّيل للعبث والتَّخييل وإضلال السَّابلة .
ـ وتَبُوخُ : تَخمد . وتَزْهَرُ : تَتَّقد وتُضِيءُ .

وفي تلوُّن الغُول يقولُ عَبّاس بنُ مِرْداس[٢٤] :

أَصـابَتِ العـامَ رَعْـلاً غُـولُ قَـوْمِهِمُ   وَسْـطَ البيوتِ ولونُ الغُولِ أَلْـوَانُ[٢٥]

وقال كعب بنُ زهير ، وذكر امرأةً[٢٦] :

ومـا تَـدُومُ على حـالٍ تكونُ بِهـا   كَما تَلَـوَّنُ في أَثْـوابِهَـا الغُـوْلُ[٢٧]

وحكى ابنُ الأَعرابيّ قـال[٢٨] : نَـزَلْتُ ذاتَ مَرَّةٍ بـأعرابيٍّ من غَنِيّ[٢٩] فَقُلْتُ : ماأطْيَبَ ماءكم هـذا ، وأَعْـذى[٣٠] منزلكم . قـال : نعَمْ . على أَنَّـهُ بعيـدٌ منَ الخيرِ كُلِّـه : بعيدٌ منَ العِراقِ واليَمامَةِ والحِجَاز ، كثيرُ الجِنّـانِ كثيرُ الْحَيَّـات . فَقُلت : أتَرَوْنَ الجِنَّ ؟ قال : نَعَمْ ! مَكانُهَم في هذا الْجَبل ـ وأشارَ بيدِه إلى جَبَلٍ يُقال لـه : سُوَاج[٣١] . قـال : ثُمَّ حَدَّثني أَشياء[٣٢] .

---

(٢٤) العَبّاس بن مِرْداس السُّلمي : مخضرم (أُمُّه الخنساء) ويُدعى فارس العُبَيد : شاعر فارس . لـه صُحبة . توفي سنة ١٨ هـ . جمع باقي شعره الدكتور يحيى الجبوري وطبعه .

(٢٥) الشعر في الحيوان ١٦/٦ ؛ وهو في المورد ٣/٢/

ـ ورعل بن مالك بن عوف أبو بطنٍ من قبيلة سُليم (قوم الشاعر) . قال ابن حزم في جمهرة الأنساب عنهم : « إحدى القبائل التي لعنها رسول الله ﷺ لقتلهم أهل بئر معونة » ص ٢٦٢ .

ـ والمعنيُّ جماعةٌ من الصَّحابة رضوان الله عليهم غدر بهم بنو رعل بن مالك هؤلاء .

(٢٦) ديوان كعب بن زهير ٨ ؛ وقَبْلَهُ :

لكنّهـا خُلّـةٌ قـد سِيْـطَ مِنْ دَمِهـا   فَجْـعٌ وَوَلْـعٌ وإخـلافٌ وتبـديـلُ

(٢٧) تلوَّنُ أي تتلوَّنُ .

ـ يقال تغوَّلت الغول أي تخيَّلت وتلوّنت ؛ قال في اللسان : التَّغوُّل التَّلوُّن ، ومنه تغوَّلت المرأة إذا تلوَّنت .

(٢٨) الخبر في الحيوان (١٨٢/٦) بألفاظ مُقاربة .

(٢٩) يعني من قبيلة غَنِيّ ، والنسبة إليها غَنَوي .

(٣٠) العَذاة والعِذى الأرضُ الطَّيِّبةُ التُّربة البعيدة من المياهِ والسِّباخ .

(٣١) سُواج : جبل في بلاد غَنِيّ .

(٣٢) في الحيوان : ثُمَّ حدَّثني بأشياء .

وقال الأَصْمَعِيُّ : السُّيوف المأثورةُ هي التي يُقال إنَّها من عَمل الشَّياطين لِسُلَيمان بنِ داوودُ[٣٣] .

وقد تَزَيَّدَ بَعْضُ العَرب في هذا الباب بما تَعلَّق بهِ قَوْمٌ من المُلْحِدَةِ في نَفْيِ ما جاءَ بهِ الكتابُ ﴿ لَيّاً بأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْناً فِي الدِّيْنِ ﴾ [النِّساء : ٤٦/٤] ، وجَحَدُوا أنْ يكونَ هذا الصِّنْفُ منَ المَخْلُوقاتِ في العالم . وما أَعْجَبَ هذا القَوْل مَعَ الإقرارِ أنَّ أنواعَ الْحَيوان ـ وهو بَعْضُ المخلوقات ـ لا يَقَعُ الإحْصَاءُ عَلَيْها ، ولا يُحِيْطُ العِلْمُ بها . فكيفَ يَكُونُ العَجْزُ عن مَعْرِفَةِ الشَّيءِ حُجَّةً في نَفْيهِ ؟

عَلى أنَّ دَعاوى العَامَّة في هذا الباب كَثيرةٌ ، وأَكاذِيْبُ العَربِ جَمَّةٌ . فمن ذلكَ قولُهم إنَّ أَبا لَيْلى [٩/أ] الطُّهَوي[٣٤] قَتَل الغُول ، وكَذلك يَقُولونَ عن تَأَبَّطَ شَرّاً[٣٥] ،

---

(٣٣) قال في اللسان : سيف مأثور : في مَتْنِه أُثر . وقيل : هو الذي يُقال إنَّه يعمله الجِنُّ ، وليس هو من الأُثْر الذي هو الفِرَنْد .

(٣٤) شاعِرٌ إسلاميٌّ ، وهو من قومٍ من بني طُهَيَّة يقال لهم بنو عبد شمس بن أبي سُود ؛ وكان يكنى أبا البلاد ـ كذا في مصادر ترجمته ، غير أن كنيته في النسختين : ك ، و : ف : أبو ليلى ـ وقيل له أبو الغُول : لأنه فيما زعم رأى غولاً فقتلها .

وقال الجاحظ (الحيوان ٢٣٥/٦) : أبو البلاد هذا الطهوي كان من شياطين الأعراب ، وهو كما ترى يكذب وهو يَعْلَم ، ويطيلُ الكذبَ ويحبّره !!

(المؤتلف والمختلف للآمدي ٢٤٥ ، والحيوان ٢٣٥/٦ ، وشرح الحماسة للمرزوقي ٣٩/١ ، وشرح التبريزي ١٤/١ ، وخزانة الأدب ٤٣٨/٦) .

وانظر تحقيقاتنا عليه في القطعة ١٥٩ من (الحماسة المغربية) لأبي العباس الجراوي ، طبع دار الفكر بدمشق .

(٣٥) تأبَّط شرّاً (لقب ثابت بن جابر) أحد الشعراء اللصوص ، ومن رؤوس الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي ، كان قريناً للشنفرى وعمرو بن برّاق ، وهم من العَدَّائين .

وفي جملة ما قيل في تلقيبه بـ (تأبّط شرّاً) أنّه جاء أُمَّه بالغُول . وقيل : لأنَّه قتل الغُول ، ثم احْتملها إلى أصحابه فقالوا : لقد تأبّط شرّاً .

(ينظر ديوان تأبّط شرّاً وأخباره : جمعها وشرحها وحقّقها علي ذو الفقار شاكر ، وما أورده من المصادر والمراجع) . ومن شعره ـ وقد قتل الغول !! ـ :

فأَضْرِبُها بلا دَهَشٍ فَخرَّتْ ... صَريعاً لليَدَيْنِ ولِلْجِران

ويَرْوُونَ لَهُ في ذلكَ الأَشعارَ الكاذِبَة ، وأن عمرو بن يربوع[٣٦] تزوَّج السِّعلاة وولدت له ؛ وما جَرى هذا الْمَجْرى .

وقد كانَ بَعْضُ أَهْلِ النَّظرِ لا يُنكر تَطَرُّقَ القَتْلِ على هذا القَبيلِ إلاّ لِمَكانِ السِّحْرِ منهم والحِيلَة .

واحتجَّ بَعْضُ مُجّان الْمُتَكَلِّمينَ[٣٧] لِمُشارَكَتِهِمْ في النِّتاج بالْحُمُرِ الأَخْدَرِيّة[٣٨] ؛ لأَنَّ الأَخْدَرَ فَرَسٌ كانَ لأَرْدَشِيْر تَوَحَّش فَحَمى عاناتٍ من الْحَميْرِ فَضَرب فيها ؛

وبالزَّرافَةِ وهي بَيْنَ النّاقَةِ ، والضَّبُع ، والبَقَرةِ الوَحشية ؛ واسْمُها أُشْتُركاوْبَلَنْكْ[٣٩] ؛ وذلكَ أَنَّ الضِّبْعانَ[٤٠] بِبِلادِ الْحَبَشة يَسْفِدُ النّاقةَ فتجيءُ بولدٍ بين خَلْقِ النّاقَةِ والضَّبُع . فإنْ كانَ ذكراً عَرَضَ للبَقَرة فأَلْقَحَها زرافةً .

وسُمِّيَتْ زَرافةً[٤١] لأَنَّها جَماعَةٌ وهي واحِدٌ ؛ قال الشّاعر[٤٢] :

قَومٌ إذا الشَّرُّ أَبدى ناجِذَيْهِ لَهُمْ ... طارُوا إِلَيْهِ زَرافاتٍ ووُحْدانا[٤٣]

---

(٣٦) لـه أَخْبـارٌ تجري هـذا المجرى في نـوادر أبي زيـد ١٤٧ ، وسمط اللآلي ٧٠٣ ، والحيوان ١٨٥/١ ، ٣٠٩ ، و ١٦١/٦ ، ١٩٧ .

(٣٧) يعني الجاحظ . ولا يَسُوغُ ما يصفُه به المؤلِّف . غيرَ أنَّ الجاحظ أثار حفيظة الْمُتَحفِّظين والمتشدِّدين بأمور كثيرة ؛ ونخصُّ منها أُسلوبه العامّ في التّأليف والتّصنيف .

(٣٨) يراجع الحيوان ١٣٩/١ ، واللسان (خ د ر) والأَساس ، والتّاج .

(٣٩) في اللسان والصحاح (زرف) : الزّرافة يقال لها بالفارسيّة : اشتركاوبلنك . وينظر الحيوان ١٤٣/١ ، وكلام على الزرافة في وفيات الأعيان ٤٠٠/٤ .

(٤٠) الضِّبْعان : ذَكَر الضَّبُع .

(٤١) يقال فيها زَرافة (بفتح الزاي) وزُرافة (بضمّها) .
ـ والزَّرافة ، في اللُّغة ، الْجَماعةُ من النّاس ، أو العشرة منهم . وجمعها : زرافات . (وقالوا في جمع الزّرافة ـ الحيوان المعروف ـ زُرافات وزَرافي) .

(٤٢) هو قُريط بن أُنَيْف ، وقيل بل الشعر لبعض شعراء بَلْعَنْبَر .

(٤٣) البيت من حماسيّة مَشهورة ، هي الأُولى في حماسة أبي تمام (تراجع بشرح المرزوقي ٢٧/١) . =

والكِلاَبُ تَسْفِدُ الذِّئابَ في أَرْضِ سَلُوق فَتُنْتِج الكِلاب السَّلُوقيّة[٤٤] . وهذا يَسْتَحيلُ من هذا القَبيلِ لمبايَنَةِ الجِنْس والتَّوحُّش من الإنس .

فأمَّا قولُ القَعْقَاعِ بن مَعْبَد بن زُرَارة[٤٥] في ابْنِه عَوْفِ بنِ القَعْقاع : « واللهِ لَمَا أرى في عَوْفٍ من شَمائِلِ الجِنّ أَكْثَرَ مِمَّا أَرى فيهِ مِنْ شَمائل الإِنس » فعلى جهة التَّمثيل ، والتَّشْبيهِ ، والمبالغة في الوَصْف ؛ كَنَحْوِ ما وردَ في أَشعارِهم مِن ذلك .

قال أَبُو الْجُوَيْرِيَة العَبْدِي[٤٦] ، وذَكَرَ قَوماً[٤٧] :

= ـ الناجذ : الضِّرس . أي إذا اشتدَّ الشَّرّ سارَعُوا إليه غير متوقِّعين لتجمُّع ، ولا معرِّجين على تأهُّب ، لكنَّهم يتبادرون أَفْراداً وجماعات .

(٤٤) نسبت الكلاب السلوقية إلى موضعين :
أحدهما : سَلَقْيَة : مدينة من مدائن الرُّوم .
والثَّاني : سَلُوق : موضع باليَمن .
(يراجع مُعجم ما استعجم ٧٥١/٣ ـ ٧٥٢ ، ومعجم البلدان : سَلُوق ، وسَلُوقية ، وسليقية ، والحيوان ٣١٢/١ ؛ و ١٩٨/٢ . ولم يذكر الجاحظ غير سلوق اليمن) .

(٤٥) الخبر في الحيوان ٢٣٦/٦ .
ـ والقعقاع بن معبد من رجال بني تميم ؛ قال ابن دريد (الاشتقاق ٢٣٧) : كان القعقاع عظيم القَدْر في بني تميم . وقد أخذ المِرْباع ، ونافَر خالدَ بنَ مالكٍ النهشلي إلى ربيعة بنَ حُذارَ الأسدي ، فنفَّر القعقاع (أي قدَّمه وغَلّبه) . وأدرك القعقاع الإسلام ، وله صُحْبَة . وينظر جمهرة أنساب العرب لابن حزم ٢٣٣ .
وللقعقاع أخبار في كتب الآداب والتواريخ .

(٤٦) أبو جُوَيرية عيسي بن أوس العبدي ، أحد بني عبد الله بن مالك بن عامر بن الحارث .. شاعر مُحْسِن متكن ـ كما وصفه في المؤتلف والمختلف ١٠٨ ـ وهو شاعر إسلامي أُمويّ . وبقي من شعره شيءٌ ، يغلب عليه المديح . توفي أواخر دولة بني أُميّة (قدّر الزركلي وفاته بنحو ١٢٠ هـ) .
(المؤتلف والمختلف ١٠٧ ، ومعجم الشعراء ٩٥ ، وسمط اللآلي ٣٢٣) .
ـ وانظر تحقيقاتنا على القطعة ١٦٧ من الحماسة المغربية لأبي العباس الجراوي (طبع دار الفكر) .

(٤٧) والبيت في السِّمط ٢١٨ ، والأمالي ١٠٦/١ ، وهو في خمسة أبيات في الوحشيات ٢٦١ .
ـ والبيت يختلط بقطعة منسوبة لزهير بن أبي سُلمى في العقد ٣٩٣/٣ ، والعمدة ١٠٥/٢ .
ـ وهو في قصيدة في ذيل شعر زهير الذي لم يروه الأصمعي ولم يختره الأعلم الشنتمري . (يراجع ديوانه =

إِنْسٌ إذا أَمِنُوا جِنٌّ إذا فَزِعُوا مُرَزَّؤونَ بَهَالِيلٌ إذا حَشَدُوا

وقال لَبيد بنُ رَبيعة[٤٨] [٩/ب] :

غُلْبٌ تَشَذَّرُ بِالذُّحُولِ كَأَنَّهُم جِنُّ البَدِيِّ رَوَاسِياً أَقْدامُها[٤٩]

وقالَ النَّابِغَة[٥٠] :

سَهِكِيْنَ مِنْ صَدإِ الْحَدِيْدِ كَأَنَّهُمْ تَحْتَ السَّنَوَّرِ جِنَّةُ البَقَّارِ[٥١]

وقالَ زُهَيْر[٥٢] [وذكَرَ الْخَيْلَ][٥٣] :

= بشرح الأعلم بتحقيق د . فخر الدّين قباوة ٢٢٨) .
ـ وفي البيت بين الروايتين خلافٌ يسير .

(٤٨) ديوان لبيد ٣١٧ .
ـ والشعر المنقول هنا إلى آخر ما قال حاتم ، والتعليق بعده : في حيوان الجاحظ ٦/١٨٨ ـ ١٨٩ .

(٤٩) روى في الدّيوان : كأنّها جنٌّ . وفي نسخة ك : تشذَّر في الذُّحول . وفي الديوان : كأنّها .
ـ غُلْبٌ : غِلاظ الأعناق . تشذَّر : تهدّد وتتوعّد . والذُّحول : الأحقاد . البَدِيّ : موضع : وهو وادٍ لبني عامر . رواسياً : ثوابتا .

(٥٠) ديوان النابغة ٥٦ .

(٥١) البيت في سياق مدح قَوْمٍ ذكرهم . و : سَهِكين : أي عليهم سُهْكَة الحديد ؛ وهي الرائحة المتغيّرة . والسَّنَوَّر : ما كان من حَلَقٍ ، وقيل : هو السِّلاحُ التّام . والبقّار : هو اسمُ رَمْلٍ كثير الجنّ : وهو من أدنى بلاد طيِّئ إلى بني فزارة .
وإنّما شبّههم بالجنّ لِنُفوذهم في الحرب . وإذا أرادت العرب المبالغة في وصف الرجل نسبوه إلى الجنّ » .
انتهى من شرح الأعلم على الدّيوان .

(٥٢) ديوان زهير بن أبي سُلْمى بشرح الأعلم ٣١ وروايته فيه ، مع البيت الذي قبله :

إذا فَزِعُوا طاروا إلى مستغيثهم طِوالَ الرِّماحِ لا ضعافٌ ولا عُزْلُ
بِخَيْلٍ عَلَيها جِنَّةٌ عَبقريَّةٌ جديرونَ يَوماً أن ينالُوا وَيَسْتَعْلُوا

والشعر من قصيدة في مدح سنان بن أبي حارثة الْمُرّي وقومه .
ـ وتابع المؤلف في هذه الفقرة ما رواه الجاحظ ، وأثبته في الحيوان ٦/١٨٩ .

(٥٣) ما بين معقوفتين من : ك .

عَلَيْهِنَّ فِتْيَـــانٌ كَجِنَّـــةِ عَبْقَرٍ   جَدِيْرُونَ يَوْمـاً أَنْ يَفيؤُوا ويَسْتَعْلُوا

وقالَ حَاتم[٥٤] :

عَلَيْهِنَّ فِتْيَـــانٌ كَجِنَّـــةِ عَبْقَرٍ   يَهُزّونَ بـالأَيْـدِي الوَشِيْجَ الْمُقَـوَّمـا

عَبْقَر[٥٥] ؛ قيل : أرضٌ يَسْكُنهـا الجنّ ، فصـارت مثلاً في وَصْفِ الشَّيءِ الْمَنْسُوبِ إِلَيْها . وذلكَ قِيل لِكُلِّ شَيءٍ رفيعٍ : عَبْقَرِيّ .

وفي الْحَديثِ في صِفَةِ عُمَرَ[٥٦] : فلَمْ أَرَ عَبْقَرِيّاً يَفْرِي فَرِيَّهُ ؛ أَي يَعْمل عَمَلَه .

وعَبْقَرِيُّ القَوْمِ : كَبِيرُهُم وشَدِيدُهُم .

---

(٥٤) لم أجده في الديوان في طبعة الزيداني ـ مصر ١٣٢٦ ، ولا في طبعة صادر . وله في الديوان ميميّة مطولة على الوزن والرويّ .
ـ والوشيج : أصْلُه عُروقٌ ثم جعل للرمـاح أنْفُسِهـا . والمقوّم : المثقَّف ، جعل الرمـاح مثقّفـة ليـدلّ على عنايتهم بآلة الحرب استعداداً لها .
وأكثر الشّعراء من ذكر التقويم مع الوشيج (الوشيج المقوّم) .

(٥٥) عبقر : أرْض كان يسكنهـا الجنّ ـ فيا زعمـوا ـ . وقـال ابن سيـده : عَبْقَر : قريـة بـاليمن تـوشّى فيهـا الثيابُ والبُسط فثيـابهـا أجود الثيـاب فصـارت مثلاً لكل منسوبٍ إلى شيء رفيع . فكلّما بـالغوا في نعت شيءٍ مُتَناهٍ نسبوه إليه . وقيل : إنّما يُنسبُ إلى عبقر الذي هو موضع الجنّ . وقال أبو عُبَيد : ما وجـدنـا أحداً يدري أين هذه البلاد ولا متى كانت .
وقـالوا : ظُلْمٌ عبقريّ ، وهـذا عبقريّ للرّجل القويّ . وخـاطب الله تعـالى العرب بمـا تعـارفوه فقـال : ﴿ عَبْقَرِيٌّ حِسَانٌ ﴾ [الرّحمن : ٧٦/٥٥] .
(ينظر اللسان : عَبْقَر . ومثله في كتب اللغة المطوّلة . ومعجم البلدان عبقر ٧٩/٤) .

(٥٦) من مناقب عمر بن الخطـاب رضي الله عنـه ، من حـديث مشهور في صحيح البخـاري ، ومسلم ومسنـد الإمام أحمد . وفي النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ، ونقله في اللسان .
ـ ووردت الكلمـة : فَرْيَـهُ ، و : فَريَّـه . وفي اللسـان : « العرب تقـول : تركتُـه يفري الفَرِيّ إذا عمـل العمل أو السّقي فـأجـاد . وقـال النّبي ﷺ في عمر رضي الله عنـه ورآه في منـامـه : « ينزع عن قليبٍ بغَرْب (بـدلوٍ) فلم أرَ عبقريـاً يفري فَرِيَّـهُ » . قـال أبو عُبَيـد : « هو كقولـك : يعمل عملـه ، ويقول قوله ، ويقطَع قطعه » .

وقال أَعْرابيٌّ ، وذَكَر رَجُلاً : « ظَلَمَني واللهِ ظُلْماً عَبْقَرِيّاً »[٥٧] ، يُرِيـدُ : أَغْرَب في ظُلْمِي .

ويُقالُ : عَبْقَر : أَرْضٌ يُعْمَلُ فيها البُرودُ ؛ ولِذلكَ نُسِبَ إليها . قال الشّاعر[٥٨] :

حَتَّى كَـأَنَّ رِيَـاضَ القُفِّ أَلْبَسَهـا   مِنْ وَشْيِ عَبْقَر تَجْليـلٌ وتَنْجِيْـدُ[٥٩]

ومن هذا قيلَ لِلبُسط : عَبْقَرِيَّة ؛ تُنْسَبُ إلى تلك البِلاد .

وكَما نَسبُوا إلى هذا القبيل كُلَّ غَريب ، وضَرَبُوا بِهِ المَثَل في كُلِّ عجيب ، فكذلكَ ذكَر فُحُول الشعراء في أَشعارهم أَنَّ لهم شَياطِينَ يَقُولونَ عَلى أَلْسِنَتِهم[٦٠] ؛ إشارةً بذلك إلى الإحْسان ، وذَهَاباً إلى وَصْفِ [١٠/أ] الشِّعْرِ ، كَقولِ الفَرَزْدَق[٦١] ، وذَكَر قَصِيْدةً :

كَـأَنَّهـا الـذَّهَبُ العِقْيـانُ حَبَّرهـا   لِسَـانُ أَشْعَرِ خَلْـقِ اللهِ شَيْطـانـا

وقالَ أَبُو النَّجم[٦٢] :

---

(٥٧) وصفوا الظُّلم بالعبقري ، لوصفه بالتَّناهي في معنى الظُّلم . وانتهى هنا الأخذ عن الجاحظ في هذا المقطع .

(٥٨) هو ذو الرُّمّة (ديوانه ١٣٦٦/٢) .

(٥٩) قال أبو نصر الباهلي في شرح البيت : الرياض : الواحدة روضة . وهي كل موضع مستدير فيه ماءٌ ونَبْت . و : القُفُّ ما غَلُظ من الأرض ولم يبلغ أن يكون جَبلاً في ارتفاعه . والتنجيد : التزيين . ومنه نَجّد فلان بيته إذا زَيّنه . فشبّه الزَّهر بوشي عَبْقَر .

(٦٠) قال أبو عثمان : « ... فإنهم يزعمون أنَّ مع كلِّ فحل من الشعراء شيطاناً يقول ذلك الفحل على لسانه الشعر ... » ، وانظر كلامه بطوله في الحيوان ٢٢٥/٦ ـ ٢٢٩ .

(٦١) البيت في ديوانه ٨٧٥/٢ ، وفيه : « لسان أشعر أهل الأرض ... » ؛ وقبله :

لَيَبْلغَنَّ أَبـا الأَشبـالِ مِـدْحَتَنـا   مَنْ كان بـالغَـوْرِ أو مَرْوى خُراسـانـا

واخترت رواية الجاحظ في الحيوان لهذا البيت ٢٢٧/٦ ؛ فقد اختارها . والبيتان من قصيدة في مدح أسد بن عبد الله .

ـ الذَّهب العِقيان : الخالص . وحَبّر الشّيء : زيّنه ونمّقه ؛ يقال : حَبَّر الشعر والكلامَ والْخَطَّ .

(٦٢) اسمه الفَضْل ، أو المفَضَّل بن قُدامة ، واشتهر بـ (أبي النَّجم ، العِجْلي) ، من رُجّاز الإسلام الفُحول =

إنِّي وكُـــــلُّ شـــــــاعِرٍ مِنَ البَشَرْ
شَيْطــانــهُ أُنْثى وشَيْطــانِي ذَكَرْ[٦٣] !

وقال ابنُ مَيَّادة[٦٤] :

ولَمّـا أَتــاني مـاتقـولُ مُحــارِبٌ ... بَعَثْتُ شَيــاطيني وجُنَّ جُنُـونُهـا
وحُكْتُ لَهُمْ مِمّـا أَقـولُ قَصـائـداً ... تُغالى بها صُهْبُ الْمَهارى وجُوْنُها[٦٥]

وهم يُشَبِّهُونَ النِّساءَ بالجِنِّ إذا أَغْرَبُوا في وصف حُسْنِهِنَّ ، وبالَغُوا في نَعْتِ خَلابَتِهِنَّ

= المقدّمين ، وفي الطبقـة الأُولى منهم ؛ ونقل أبو الفرج قول أبي عمرو بن العلاء : كان أبو النجم أبلـغ في النَّعت (الوصف) من العَجّاج .
وكانت وفاته سنة ١٣٠ هـ .
يراجع طبقات فحول الشعراء ٧٤٥ ، والشِّعر والشُّعراء ٦٠٣ ، والأغاني (الثقافة) ١٠/١٥٠ ، وما أوردوا من مصادر ومراجع .

(٦٣) البيتان من أرجوزة مشهورة لأبي النجم ، ولها خَبَرٌ ، أَوَّلُها :
تذكَّر القلبُ وجهْلاً ما ذكَرْ
ـ وهما في ديوانه ١٠٣ ـ ١٠٤ .

(٦٤) هو أبو شَراحيل (أو شُرَحْبيل) ، وقيل أبـو حرملـة الرَّمّـاح بن أَبْرَد . من مخضرمي الـدَّولتين . وكانت وفاته سنة ١٤٩ في صدر دولة أبي جعفر المنصور .
جُمع الباقي من شعره في (شعر ابن مَيّـادة : جمعـه وحقّقـه د . حنـا جميل حـداد ـ مجمع اللغـة العربيـة بدمشق ١٤٠٢ هـ ـ ١٩٨٢ م) . وهي الطبعة التي بين يديّ .

(٦٥) هما البيتان ٢ ، ٣ من قصيدة أثبتها في مجموع شعره ٢٣١ . وقبلها شعرٌ من القصيدة ضائع .
وفيه : تغَنَّت شياطيني . و : حاكَتْ لها ... ترامَتْ بها .
ـ ومحارب اسم قبيلة يهجوها الشاعر : وهم بنو محارب بن خصفة بن قيس عيلان .
ـ والمهاري : إبل كريمة منسوبة إلى مهرة بن حيدان . وصهب جمع أصهب ، وهو من الإبل ما كان شعره يميل إلى الحمرة وأصلُه مسودّ . والْجُون جمع جَوْن ، وهو : كل لون سوادٍ مُشْرَب حُمرة .
وقولـه : (تُغـالى بهـا) من قـولهم غـالى بـالشيء : اشتراه بثمنٍ غـالٍ . أي قصـائـد أثمن من كُـلِّ غـالٍ ؛ أو يُغالى في طَلَبها لأهمِّيتها .
ورواية : ترامت بها أي سارت بها (الرُّكبان) فتغلغلت في البلاد . والمعنيان بعضها من بعض .

وخِداعِهنَّ ، كما قالَ الأَخْطَل[٦٦] :

وتَغــوَّلَتْ لِتَروعَنــا جِنِّيَّــةٌ   والغَـانِيــاتُ يُرِيْنَـكَ الأَهْـوالا[٦٧]

وقال المُقَنَّع الكِنْدي[٦٨] :

وفي الظَّعـائِنِ والأَحْـداجِ أَحْسَنُ مَنْ   حَلَّ العِراقَ وحَلَّ الشَّامَ واليَمَنـا[٦٩]
جِنِّيَّـةٌ مِن نِسـاءِ الإنْسِ أَحْسَنُ مِنْ   شَمْسِ النَّهـارِ وبَـدْرِ اللَّيْـلِ لـو قُرِنـا

وقال الآخر :

جِنِّيَّــــةٌ بَرَزَتْ لِتَقْتُلَني   مَطْلِيَّــةُ الأَقْرابِ بــالمِسْــكِ[٧٠]

وأحسن الآخَرُ في قوله على غير هذا الوصف[٧١] :

دقَّتْ وجَلَّتْ واسْبَكَرَّتْ وأُكْمِلَتْ   فَلَوْ جُنَّ إِنْسانٌ مِنَ الْحُسْنِ جُنَّتِ[٧٢]

---

(٦٦) من قصيدة للأخطل مشهورة ، في ديوانه ١٠٦/١ .

(٦٧) تغوّلت : تلوّنت . لتروعنا : لتعجبنا بجمالها وجهارة منظرها . والغانيات جمع غانيـة : الجميلة (غنيت بجمالها عن الزينة) .

(٦٨) المقنَّع لقب لـه ، كان يتقنَّع لجمالـه خشيـة العَيْن . ومـال الـزركلي في ترجمتـه إلى معنى تَقنُّـع الرؤساء السَّادة .

واسمه محمد بن عمير أو اسم أبيه ظفر ، وعمير جَدُّه .

شاعر إسلامي أمويّ ، بقي من شعره نزر يسير . واشتهر بقطعة حماسيّة مُعجبة .

وفاته نحو سنة ٧٠ كما قدَّر في الأعلام .

(الشعر والشعراء ٧٣٩/٢ ، واللآلي ٦١٥ ، والأغـاني ٦٠/١٧ ، والحماسـة بشرح المرزوقي ١١٧٨/٣ ، وفيـه ثناء على شعره) .

(٦٩) البيتان في الشعر والشعراء ٧٣٩ ـ ٧٤٠ .

ـ والأحداج جمع الحِدْج ، وهو مركب من مراكب النساء نحو الهَوْدَج .

(٧٠) الأقراب جمع قُرب ، وهو الخاصرة .

(٧١) هو الشنفرى أحد الصعاليك في العصر الجاهليّ .

(٧٢) هو من قصيدة مفضَّليّة (الأنباري ٢٠٢ ، وطبعة دار المعارف ١٠٩) .

وقَريبٌ مِنهُ قَوْلُ الآخر[٧٣] :

إنَّ شَرْخَ الشَّبابِ والشَّعَرَ الأَسْـ ... ـوَدَ ما لَمْ يُعاصَ كانَ جُنُونا[٧٤]

وقول[٧٥] الآخَر[٧٦] :

قالَتْ عَهِدتُكَ مَجْنُوناً فقلتُ لَها ... إنَّ الشَّبابَ جنونٌ بُرْؤُهُ الكِبَرُ[٧٧]

وقالُوا : جِنُّ الشَّباب ، كما قالُوا : شَرْخُ الشَّباب ، وعُنْفُوان الشَّباب .

حَدَّثَنا محمد بن علي بن المهتدي ، عن محمد بن المأمون ، عن محمد بن القاسم عن أحمد بن يحيى ، عن سَلمة ، عن الفرّاء قال : يُقال : كانَ هذا في عِهِبَّاء[٧٨] شَبابِه - وغيرُ الفَرّاء يَقْصُرُ - بمعنى : عُنفوانِ شَبابِه ، وشَرْخ شَبابه ، ورَيِّق شَبابه ، وجِنّ شبابه ، وغُلَواء شَبابه ، ورَيَّان شبابه ، ورِيّ شبابِه ، وأَنْشَدَ الفَرّاء[٧٩] :

= قال في شرح المفضّليات : أراد : دقّت محاسنها ورَقّت ، والمعنى : دقّت في حسنها وجَلّت في خَلْقها . واسبكَرّت : طالت وامتدّت .

(٧٣) هو حسان بن ثابت (وفي نسبتها إليه كلام ، انظره في حاشية محقق ديوان حسان ٢٣٧/١) .

(٧٤) البيت أول قطعة (في ديوان حسان ٢٣٦/١) من سبعة أبيات .
- وعاصاه من عاصى معاصاة : بمعنى تمطى .

(٧٥) في : ف ؛ وقال . ورجحت ما في ك ، لحسن تسلسل الكلام المعطوف بعضه على بعض .

(٧٦) هو العُتْبي : محمد بن عبيد الله . أحد العلماء الرُّواة . وله شعر حسن . من أهل البصرة . وذكرت له كتب التراجم مؤلفات . توفّي سنة ٢٢٨ هـ .
(وفيات الأعيان ٣٩٨/٤ وانظر إحالات المحقق) .

(٧٧) البيت هو ثاني بيتين للعتبي في الحماسة الشجرية ٦٣٨/٢ ، وقبله :
لَمّا رأتْنيَ هندٌ قاصراً بصري ... عنها ، وفي الطَّرْفِ عن أمثالِها زَوَرُ
- وفي اللسان : جِنُّ الشباب : عنفوانُه .

(٧٨) في اللسان (ع هـ ب) : عِهِبى الشباب وعِهِبَّاؤه : شَرْخُه .

(٧٩) والشاعر هو جرير ، والبيت في ديوانه (٩٦٣/٢) .

أَجِنُّ الصِّبــا أَمْ طــــائِرُ البَيْنِ شَفَّنِي   بِذاتِ الصَّفا تَنْعَابُه ومَحاجِلُه[٨٠]

ومن تشبيهاتهم في هذا الباب قَوْلُ الرَّاجِزِ[٨١] :

فقلت : واللهِ لَتَرْحلنّـــــــــــــــا
قــلائصـــاً تَحْسَبُهُنَّ جِنّـــا[٨٢] !

وقول القطاميّ[٨٣] :

يَتْبَعْنَ ســاميــةَ العَيْنَيْنِ تحسبهــا   مجنونــةً أَوْ تَرَى مــالا تَرَى الإبِـلُ[٨٤]

[١٠/ب] وقول الْخَطفى[٨٥] :

يَرْفَعْنَ بــاللَّيْــلِ إذا مـــا أَسْــدَفــا
أَعنــاقَ جِنّــانٍ وهـــامــاً رُجَّفـــا
وعَنَقــاً بَعْــدَ الكَــلالِ خَيْطَفـــا[٨٦]

---

(٨٠) رواية الديوان :

أَجِنُّ الهــوى أم طــــائرُ البَيْنِ شَفَّنِي   بِجُمْـدِ الصَّفـا تَنْعـابُـه ومَحـاجِلُـهْ

ـ لم أَجد ذات الصفا ، ولا جُمد الصَّفا ، فلعله من خاصّ ديارهم .

ـ ويقال : نَعَب الغُراب : صَوَّت . والمحاجل جمع مَحْجَل كأنه مصدر ميمي من حجل : يعني : شقّه نعيبُ الغُراب : ونَزْوُه هنا وهناك في ديارهم (إشعاراً بالفُرقة وسفر الأحبّة) .

(٨١) الرَّجَز في الحيوان ١٨٠/٦ . وروايته : لَتَرْحَلَنَّا ؛ بالنون ؛ وهي أَمثل .

(٨٢) القلائص جمع القَلُوص : النَّاقة الفتيّة . وقوله لترحلنّا : من رحل الناقة : شدَّ عليها الرِّحال .

(٨٣) القطامي لقب غَلَب عليه لشعرٍ قاله ، وهو عمير بن شُيَيم ، من الأراقم من تغلب . شاعر أُموي مشهور عدَّه ابن سلاّم في شعراء الطبقة الثانية من الإسلاميين . في وفاته خلاف . ولعلها سنة ١٠١ هـ . راجع الأعلام ، ومقدمة محقّقي ديوانه .

(٨٤) البيت من قصيدة للقطامي (ديوانه ٢٧) .

ـ يصف النُّوق في أثناء الرِّحلة . وسامية : رافعة . وتحسبها مجنونةً : من نَشاطها .

(٨٥) الخطفى لقب جدّ جرير : واسمه حُذيفة بن بدر (كما في الأغاني ٣/٨ ووفيات الأعيان ٣٢٧/١) . ونقل في اللسان أنَّه يقال له : عوف ، في رواية .

(٨٦) الشعر في الأغاني ٣/٨ والحيوان واللِّسان (خ ط ف) . ورُوي : بعد الرَّسيم . =

وبه سُمّيَ الْخَطَفى .

وكَان عُمر بنُ عَبد العَزيز نَهى النّاسَ عن حَمْلِ الصِّبيان على ظُهورِ الْخَيْلِ يَوْمَ الْحَلْبَة ، قال : تَحمِلُونَ الصِّبْيان على الجِنَّان[٨٧] ؟!

كُلُّ ذلكَ واردٌ في كَلامِهم على سبيل الْمُبالَغةِ في الوَصْفِ والإغراب في القَوْل . والعامَّةُ تَزْعُم أنَّ الشّياطينَ يُغَيِّرون خَلْقَهُم وَيُبَدِّلُون صُوَرهم ، وذلكَ باطِلٌ لا حقيقة له . وإنَّما يُخَيِّلُون بسِحْرِهم وحِيَلِهم ، وفِيهمُ العرامَةُ[٨٨] واللعب والْمَرَحُ والعَبَثُ ؛ وهم أهْذَبُ لطافَةً وأقلُّ آفةً ، وأخَفُّ أبْداناً ، وأَحَدُّ أذهاناً ، وأكثرُ مَعرفةً ، وأَدَقُّ فِطْنَةً . ولهمُ الذَّهابُ في الهَواء والتَّصَعُّدُ في السَّماء كما نَطَقَ بهِ الكِتاب .

وكانَت الفِرقَةُ من العرب[٨٩] إذا وقَعت في تِيْهٍ من الأَرض ، ونَزلُوا الأَوْدِيَةَ الموحِشَةَ خافُوا عَبثَ الجِنّان ، فيقومُ أَحَدُهم فيرفعُ صوته ويقولُ : إنّا عائذون بِسَيِّد هذا الوادي فلا يُؤذِيهم أحدٌ ما أَقَامُوا هُناك[٩٠] !

وحُكي عن عُمَير بن ضُبَيْعة[٩١] قال : بَيْنا أنا أَسيرُ في فَلاةٍ مع ابن ظبيان عَرَضَتْ

= ـ وأسدفَ الليل : أظلم . والجِنّان جمع الجان : وهو ضربٌ من الْحَيّات أكحل العينين يضرب إلى الصُّفرة ، إذا مشت رفعت رؤوسها . والعَنَقُ : ضربٌ من السير المنبسط . والخيطف : مأخوذ من الخطف وهو الْخَلْسُ ؛ وهو سرعة انجذاب السَّير كأنه يختطف في مشيه عنقه أي يجتذبه .

(٨٧) الخبر في الحيوان ١٧٩/٦ .
ـ والْحَلْبَةُ : خيل تجتمع للسباق من كل أوب ، و : الدّفعة من الخيل في الرهان خاصّة .

(٨٨) يقال : عَرَم عَرَامةً وعُراماً : شَرِسَ واشتدّ .
ـ وعَرَم عَرْماً : اشتدَّ ؛ وخَبُث وكان شرِّيراً .

(٨٩) يعني في الجاهلية . قال القرطبي (١٠/١٩) : ولا خَفاءَ أنّ الاستعاذة بالجنّ دون الاستعاذة بالله كفرٌ وشِرك .

(٩٠) تُراجع كتب التفسير (سورة الجنّ) ، واللسان (ع وذ) .

(٩١) الخبر في عيون الأخبار (١١١/٢) في باب عَقَده للجِنّ . وهو بألفاظ العيون مع شيءٍ من حذف بعض التّفصيل أو الاعتراض .

لنا عَجُوزٌ وصَبيّ يبكي فقال : إنِّي منقطعٌ فلو تَحَمَّلْتَماني ! فقال صاحبُ عُمَير : لو أَرْدَفْتَهُ ! فَحَمَلَهُ خلفَهُ فمكثا ساعةً فَنَظَر في وجْهِ عُمَيرٍ وتنفَّسَ ، فخرجَ من فيهِ نارٌ[92] . فأخَذَ له عُمَير السَّوْطَ فبكى ، فكفَّ عَنْهُ . ثم فَعل ذلكَ مِراراً حتى حَمل عَلْيهِ بالسَّيف . فلَمّا رأى الجِدّ منهُ وَثَب وقال : قاتَلك اللهُ ما أشدَّ قلبك[93] !

قال الأصمعي[94] : كتب عامِلُ عُمَان إلى عمر بن عبد العزيز : إنّا أُتينا بِسَاحِرَةٍ [١١/أ] فألقيناها في الماءِ فطَفَتْ ، فأَجابَهُ : لَسْنا من الْمَاءِ في شَيءٍ ، إنْ قامَت البَيِّنَةُ وإلاَّ خَلّ عنها[95] .

وروى أَبُو زيد عن بَعْض العَرب قال : رُبَّما نَزلْنا بجمعٍ كثير ، ورأَيْنا خِياماً ، وقِباباً ، ونَاساً ، ثم فَقَدْناهُم من ساعَتِنَا !

وقال شُمَير بن الْحَارث[93] :

---

(٩٢) في عيون الأخبار : مثل نار الأتُّون .

(٩٣) وزاد في العيون بعده : ما فعلته قطُّ في وجه رجلٍ إلا ذهب عقله !

(٩٤) الخبر في عيون الأخبار ١١٢/٢ .

(٩٥) في العيون : وإلاّ فَخلِّ عنها .

(٩٦) الخبر في الحيوان ٢٠٠/٦ .

(٩٧) شُمَير بن الحارث الضَّبِّي (وقيل فيه : سمير) بالسين ، والأبيات منسوبة إلى أكثر من شاعر ، فقد وردت لتأبط شرّاً ، ونسبت إلى شمير ، أو سمير أو شمر أو سهم بن الحارث الضَّبِّي . وروي البيت الثالث ، وفي قافيته (عِمُوا صباحاً) من أبيات حائية لحزع بن سنان الغسّاني .

ـ والأبيات في الحيوان لشمر بن الحارث الضبي (١٩٦/٦) وكان رواها لسهم بن الحارث في ٤٨١/٤ ـ ٤٨٢ ، ونوادر أبي زيد ١٢٣ ، وخزانة الأدب ١٧٠/٦ ، وينظر الإنصاف لابن السيد ١٢٨ .

ـ وفي حواشي ديوان تأبط شرّاً ٢٥٤ تفصيلٌ آخر . وأورد المحقق القطعة في القسم الثاني من الديوان : المختلط النسبة مما ليست من شعره ونُسب إليه .

ـ وفي كتب النحو واللغة والتفسير من القطعة أبيات مفرّقة ، والبيت الثالث من شواهد النّحو .

ـ وانظر كلاماً مطوّلاً عن الشعر في قافيته الميمية ، والقصيدة الحائية التي منها (عِمُوا صباحاً) وتحقيقاً مفيداً في كتاب (تنزيل الآيات على الشواهد من الأبيات ـ شرح شواهد الكشاف للأستاذ محب الدين أفندي ، طبع بذيل الكشّاف ص٥١٠ ـ ٥١١) .

ونـارٍ قَـدْ حَضَـأتُ بُعَيْـدَ هَـدْءٍ		بـدَارٍ لا أُرِيْـدُ بهـا مُقَـامـا[98]
يسـوى تَحْليـلِ راحِلَـةٍ وعَيْنٍ		أُكالِئُهـا مَخَـافَـةَ أَنْ تَنَـامـا[99]
أَتـوْا نَـاري فَقُلْتُ: مَنُونَ ؟ قَـالُـوا:		سَراةُ الجِنّ، قلت: عِمُوا ظَـلاما[100]
وقمتُ إلى الطَّعـامِ فقـالَ مِنْهُم		زعيمٌ: نَحْسُدُ الإِنْسَ الطَّعـامـا ![101]

ورُويَ أَنّهم كانُوا يَسْمَعُون في الجاهِلِيَّةِ من أَجْوافِ الأَوْثانِ هَمْهَمَةً[102] ، وأَنّ خالداً لّما هدَم العُزّى[103] رَمَتْهُ بـالشَّرِرِ[104] . وقـد حَمل ذلـك قومٌ على حِيَلِ السَّـدِنـة لِمَكانِ التكسُّب ، وجـائـز أن يكـون ذلـك من أعـابِث الجنّ ، كما قـدّمنـا القـول في تضليلهم واستهوائهم .

قوله تعالى : ﴿ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ العَالَمِيْنَ ﴾ [الأنعام : ٧١/٦] ، أي[105] : يـدعونـه ويقولون له : أُمرنا لنسلم لربِّ العالمين .

---

(٩٨) حضأت النار : سَعرتُها ، وبُعَيْد هَدْءٍ : أي بعد هزيع من الليل حين سكن النـاس وهـدؤوا ، والهـدء : الثلث الأول من اللَّيل .

(٩٩) روى في ديوان تأبط شراً : وعير : أكالئه مخافة أن يناما ، وتكون العير هنا : مؤق العين ، أو إنسانها (البُؤبو) أو لحظها ، وتحليل الرّاحلة : إراحتُها وحَلّ حِمْلِها عنها ن

(١٠٠) في ديوان تأبط شرّاً : « فقلتُ مَنُون أنتم : فقالوا الجنّ » .

(١٠١) في الديوان : « فقلت : إلى الطعام ! » .

(١٠٢) الهَمْهَمةُ : كلامٌ بصوتٍ خفيّ يُسمع ولا يُفهَم .

(١٠٣) العُزّى : أعْظَمُ الأصنام عند قُرَيش . وكانت قريشٌ قـد حَمَتْ لهـا شِعْبـاً من وادي حُراض يقـال لـه : سُقام (يضاهون به حَرم الكعبة) . وكان للعُزّى سَدَنـةٌ . ولم تزل العُزّى معظمـة عنـدهم حتى بعثَ الله نبيه ﷺ فعابها ، وغيْرَها من الأصنام ونهاهم عن عبادتها ، ونزل القرآن فيها .
ونقل ابن الكلبي في الأصنام : (٢٧) أنه لم تكن قريشٌ بمكة ، ومن أقام بهـا من العرب يعظمون شيئـاً من الأصنام إعظامهم العزّى ، ثم اللاّت ، ثم مناة .

(١٠٤) يراجع خبر هـدم العزى في الأصنـام ٢٥ ـ ٢٧ ، والحيوان ٢٠١/٦ ومغـازي الـواقـدي ٨٧٣/٣ ، وتـاريـخ الطبري ٦٥/٣ : وفيه : « وكانت ـ أي العُزّى ـ بيتاً بنخلة يعظمه هـذا الحيّ من قُرَيش وكنـانـة ومضر كلها . وكان سدنتها من بني شيبان من بني سُلَيم حلفاء بني هاشم » .

(١٠٥) هذا الكلام في شرح الآية الكريمة بحروفه تقريباً في اللسان (أ م ر) .

والعربُ تقولُ : [أمرتُك أن تفعلَ][106] وأمرتُـكَ لِتَفْعَل ، وأمرتـك بـأن تفعل . فَمَن قال : « أمرتكَ بـأن تفعلَ » فـالبـاءُ للإلصـاق ؛ فـالمعنى : وقع بهـذا الفعل . ومن قال : « أمرتكَ أن تفعل » فعلى حذف الباء . ومن قال : « أمرتُـك لتفعل » فقـد أخبر بالعِلّة التي لها وقع الأمر ؛ المعنى : أُمِرْنا للإسلام ، وإقامة الصَّلاة .

(106) زدنا هذه العبارة من اللّسان ؛ وهي لازمةٌ ؛ يؤيّد ذلك ما فصّله المؤلّف ، في السطور التالية .

سُوْرَة الأَعْراف

قولُـه عَزَّ وجَلّ : ﴿ وَهُـوَ الَّـذيْ يُرْسِـلُ الرِّيـاحَ بُشْراً بَيْنَ يَـدَيْ رَحْمَتـهِ حَتّى إذَا أَقَلَّتْ سَحَاباً ثِقالاً سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمرات كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تذَكَّرُونَ ﴾ [الأعراف : ٥٧/٧] .

قُرِئَ : ﴿ نُشُراً ﴾[١] ، و ﴿ نُشْراً ﴾[٢] بإسْكانِ الشِّين .

وعَنْ حَمْـزَةَ والكِسَـائِيّ : ﴿ يُرْسِـلُ الرِّيـاحَ نَشْراً ﴾[٣] بفتـح النُّـون ؛ والنَّشْرُ : خِلاَفُ الطَّيِّ ؛ كنَشْرِ الثَّوْبِ بَعْدَ طَيِّه . فَلَمّا كانَتِ الرِّيـاحُ بِمَنزلَـةِ الْمَطْوِيّ في امْتِنـاعِ الإدراكِ ثُمَّ صـارت تُـدْرَكُ في الآفـاق كانتْ كَنَشْرِ الشَّيء[٤] بعـدَ طَيِّـه في الإدْرَاك . فاسْتُعِيْرَ[٥] لها هذا الوصفُ مُبالَغةً في الْمَعْنى المشـارِ إلَيْـهِ من حَـالِهـا . والاستعـارةُ[٦] :

(١) قرأ بها نافع وأبو عمرو وابن كثير .

(٢) قرأ بها ابنُ عامر .

(٣) قَرأ بها حمزة ، والكسائيّ ، وابن كثير .

- وانظر في القِراءات السابقة ، ومَنْ قرأ بها ، ومصادرها : معجم القراءات القُرآنية ٣٧٠/٢ ـ ٣٧١ .

- و : نُشُراً ـ بضمّ الشّين : جمع ناشِر على معنى النَّسب ، أي ذات نَشْر (مثل شَاهِد وشُهُد) ؛ ويجوزُ أن يكون جمع نَشور (مثل رَسُول ورُسُل) .

- ونَشْراً ـ بسكـون الشين ـ مصـدر من معنى نشر الثـوب (ضـد طـواه) ؛ أو من معنى نشر الله المـوتى (أحياهم بعد الموت) .

(يراجع تفسير القرطبي ٢٢٩/٧ ، والبحر المحيط ٣١٦/٤) .

(٤) في ك : كنشر الثوب .

(٥) يبدأ من ها هنا سقـطٌ في نسخـة ك . وينتهي عنـد : « أنشر الله الموتى » . وهو مقـدار ورقـة من ورق نسخة الإسكوريال ؛ وهو من سهو الناسخ ، أو النسخة التي نقل عَنْها .

(٦) هذا تعريف الرّماني للاستعارة في كتابـه (النكت في إعجـاز القُرْآن) ص ٨٥ من ثلاث رسـائل إعجـاز =

تعليقُ العبـارة على غير مـا وُضِعَتْ لَـهُ في أَصْلِ اللُّغَـة عَلى جِهَـةِ النَّقْل . وهِيَ إذا أُحْكِمَ وَضْعُها ، وهُذِّبَ مَوْضِعُها كانت أحْسَن مَوْقِعاً وأَعذَبَ مَوْرِداً ؛ ولها من الْحَظّ في الدَّلالَـةِ أكثَرُ من حَظِّ التي بُدِّلَتْ بها . ولا بُدَّ أن يكونَ فيها مَعْنى التَّشبيه . قال ذو الرُّمّة[٧] :

أَو دِمْنَـةٌ نَسَفَتْ عَنْهـا الصَّبَـا سُفَعـاً كَما تُنَشَّرُ بَعْـدَ الطِّيَّـةِ الكُتُبُ[٨]

وقال الفَرَّاء : « النُّشُر مِن الرِّياحِ : الطَّيِّبَةُ اللَّيِّنَةُ الَّتي تُنشِئُ السَّحاب » .

قولُه جَلّ وعَلا : ﴿ بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ﴾ [الأعراف : ٧/٥٧] ، أَيْ قُدّام رَحْمَتِهِ .

والإقلالُ : حَمْلُ الشَّيءِ بـأَسْرِهِ حَتّى يَقِلّ في طـاقَـةِ الحـامِل لـه . يُقـال : استقلَّ بِحَمْلِهِ ، وأَقَلّه .

ومَوْتُ البَلَدِ : تَعَفِّي مَزارِعِهِ ، ودُروسُ مَشارِبه حتّى يَحْدُثَ الْجَدْب به .

والتَّشْبيهُ في الآية مقرونُ الْمَعْنى بـالـدَّليل عَلى أَنَّ إحيـاءَ الأَمْوات بعـدَ أَنْ صـاروا رُفـاتـاً في التُّراب كإحيـاء الأَرْضِ بـالنَّبـاتِ والإخْراجِ مِنْ كُـلِّ الثَّمراتِ بعـدَ الْمَـوْت [١٢/أ] ، والْجَفافِ والانْدِراس .

= القُرآن . وفيه : « ... على جهة النقل للإبانة » .

ـ وانظر باب الاستعارة من تحرير التحبير ٩٧ وحواشيه .

(٧) ديوانه ١/١٥ .

(٨) قبل هذا البيت قوله : (في الديوان) :

أَسْتَحْـدَثَ الركبُ من أشيـاعهم خبراً أم راجـع القلبَ من أطرابـهِ طربُ

أم دمنـةٌ نسفت عنهـا الصَّبـا سُفَعـاً كما تُنَشَّرُ بعـدَ الطيّـةِ الكتبُ

أراد أستحدث الركبُ خَبَراً أم دمنةٌ هاجت حزنهم حين وقفوا عليها ؟ أراد : أن دمنةٌ نسفت عنهـا الصَّبـا سَيْلاً في حال سُفْعَتِها ؛ أو الصَّبا نسفعت تلك السُّفَع (لون السواد الضارب إلى الْحُمرة) فـاستبـانت الأرضُ كما تَنَشَّرُ الكتب بعد أن كانت مطويّة .

(٩) معاني القرآن للفرّاء ١/٣٨١ .

ومثلُ ذلك قَوْلُه تعالى : ﴿ واللهُ الَّذي أَرْسَلَ الرِّياحَ فَتُثيرُ سَحَاباً فَسُقْنَـاهُ إلى بَلَـدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها كَذلِكَ النُّشُورُ ﴾ [فاطر : ٩/٣٥] .

وإنَّما سُمِّيَ الإحْياءُ نُشوراً على الْمَعْنى الَّذي قدَّمْنا ذِكْرَهُ لأَنَّهُ إظهارُ ما كانَ مَطْوِيّاً بالموتِ من النَّماء والتَّصرُّفِ بالْحَرَكة . ويُقال[١٠] : أَنْشَرَ اللهُ الْمَوْتَى فَنَشَروا ؛ أي أَحْياهم فَحَيُوا .

قال الأعشى ، وذكَر امْرأَة[١١] :

لَـوْ أَسْنَـدتْ مَيْتـاً إلى نَحْرِهـا	عـاشَ ولم يُنْقَـلْ إلى قـابِرِ[١٢]
حَتّى يقـولَ النّـاسُ مِمّـا رأَوْا	يـا عَجَبـاً لِلْمَيِّتِ النّـاشِرِ[١٣]

وقولُه تعالى : ﴿ فَانْظُرْ إلى أَثَرِ رَحْمَةِ اللهِ كَيْفَ يُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إنَّ ذلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَديْرٌ ﴾ [الرُّوم : ٥٠/٣٠] .

الرَّحْمَةُ ها هُنَا الْمَطَرُ . وكَذلك في قَوْلِه تَعالى : ﴿ إنَّ رَحْمَةَ اللهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [الأعراف : ٥٦/٧] .

وأَنشد مُحَمَّد بن القَاسِمِ الأنباري[١٤] عن أحمد بن يَحْيى[١٥] لِجَميْل[١٦] ـ وهو مِنْ

---

(١٠) ينتهي هنا السَّقط الذي في نسخة : ك .

(١١) ديوان الأعشى ١٣٩ ، والبيتان من قصيدة يهجو بها علقمة بن عُلاثة . وهما من المقدمة الغزليّة من القصيدة .

(١٢) في ك : « عاش ولم يُحْمَلْ إلى قابر » .

(١٣) الناشر هنا بمعنى المنشور . من نشر الله الموتى : أحياهم .

(١٤) هو أبو بكر محمد بن القاسم (٢٧١ ـ ٣٢٨) قال فيه أبو البركات الأنباري في نزهة الألبّا : « من أعلم الناس وأفضلهم في نحو الكوفيّين ، وأكثرهم حفظاً للغة ، أخذ عن أبي العباس ثعلب ... وألّف كتباً كثيرة في علوم القرآن ، والحديث ، واللغة ، والنحو ... » .

(١٥) هو ثعلب أحد أئمة اللُّغة ، والأدب (٢٠٠ ـ ٢٩١) طبع له كتاب (مجالس ثعلب) .

(١٦) في ك : « جميل بن معمر » .
ـ وهو جميل بثينة شاعر الغزل الأمويّ الشهير .

أبيات المعاني ـ:

هَـوَاكِ لِقَلْبِي يـا بُثَيْنَـةُ كالَّـذِي أَقَـامَ فَـأَحْيَـا الْمَيْتَ وهُـو دَفِيْنُ[١٧]
وليسَ بِـــذا فَقْرٌ إلى ذا وإنَّ ذا لَصَبٌّ بِهــذا في الْحَيــاةِ ضَنِينُ[١٨]

يعني بـالَّـذِي أَقـامَ فـأَحْيـا الْمَيْتَ وهو دَفينُ : الْمَطَر . وهو لا يَفْتَقِرُ إلى النَّبت ؛ والنَّبَاتُ مُفْتَقِرٌ إِلَيْهِ .

حَدَّثَنا العُشاريّ قال ؛ حَدَّثنا عُمَرُ بنُ شاهين قال ، حَدّثنا أَحْمَد بنُ عِيسى قـال : حَدَّثنا هاشم قال : حَدّثنا يَعْلى قال ، حَدّثنـا ابن جَراد قـال[١٩] : « كان النَّبي ﷺ إذا اسْتَسْقى قال : اللَّهُمَّ اسْقِنـا غَيْثـاً مُغيثـاً ، هَنِيـاً مَرِيّـاً ، تُوَسِّعُ بـهِ لِعِبَـادِكَ : تَغْزُرُ بـهِ الضَّرْع ، وتُحْيِي [بِهِ][٢٠] الزَّرْع » .

ومِمّا وصفت الشُّعَراء من خِصْب الأَرْض وآثارِ الغَيْثِ بها قول بَعْضِ بني سعد[٢١] :

وخَيْفَـاءَ أَلْقى اللَّيْثُ فيهـا ذِرَاعَـهُ فَسرَّتْ وسَاءَتْ كُـلَّ مـاشٍ ومُصْرِمِ
تَمَشّى بها الـدَّرْمـاءُ تَسْحَبُ قُصْبَهـا كأَنْ بَطْنُ حُبْلى ذَاتِ أَوْنَيْنِ مُتْئِمِ[٢٢]

---

(١٧) لعلَّ الأنباري أنشده في كتابه (الأمالي) . قال الزركلي : « اطلعت على قطعة منها (أي من الأمالي) كتبت في المدرسة النظامية ... » .

(١٨) في ك : « وليس بذي فقر إلى ذا ... » .

(١٩) لم أجد الحديث بهذا اللفظ ، والذي في مسند الإمام أحمد (٢٣٥/٤) : « اللَّهُمَّ اسقنا غيثاً مُغيثاً مريعاً طَبَقاً غَدَقاً غَيْرَ رائثٍ نافعاً غيرَ ضارّ » .

(٢٠) به من : ك فقط .

(٢١) البيتان في : معاني الشعر للأُشنانداني ٢٧ ؛ وهُمَـا لرجلٍ من بني سعد بن زيـد منـاة . وروايـةُ البيتين مطابقة ؛ والشَّرح التّالي منه .

(٢٢) خيفاء : روضةٌ فيها رطب ويبيس ، وهما لونان : أخضر وأصفر . وكُلّ لونين : خَيْف .
وقوله : ألقى الليثُ فيها ذراعه : يقول مُطِرت بنوء الذراع وهي ذراع الأسد فَسَرّت المـاشي (صاحب الماشية) وساءَت الْمُصْرِم : الذي لا مال لـه (ليس عنـده مـاشيـة) ، والْمُصْرِم يتلَهّفُ على مـا يرى من حسنها وليس له ما يُرعيها . =

يَعْنِي بالماشي : صاحب الماشية ، والْمُصْرِم : الذي لا مال له . والدَّرماءُ : الأَرنَبُ ؛ والأونان : العِدْلان .

وأحْسَنَ الآخَرُ في قوله ، وذكر راعِياً[٢٣] :

رَعى ترائكَ في أكنافِ ذي أَمَرٍ زُهْرَ الْحَواشِي فَلا مَاءٌ ولا حَطَبُ
إذا اسْتَثارَ كَنُوفاً خِلْتَ ما بَرَكَتْ عَلَيْهِ يُنْدَفُ في حافاتِه العُطَبُ[٢٤]

[١٢/أ] الترائك : ما تركه الغيث . ويريد بِزُهْرِ الحواشي : النَّوْر . وقوله : لا ماءٌ ولا حَطَبٌ : أي الأَرْضُ مُخْصِبَةٌ رَطْبَةٌ لَيْسَ بها حَطَبٌ كقولِ الآخَرِ[٢٥] :

يَأتيكَ قَابِسُ أَهْلِها لم يَقْبِسِ

والكَنُوفُ : الناقةُ التي تبرُك في كنَفِ الإبلِ .

= وقوله : تمشي بها الدّرماء : يعني الأرنب . وإنّما سُمّيت درماء لتقارب خَطْوِها ؛ وذلك لأنّ الأرْنبَ تدرمُ درماً ؛ تقارب خطوها وتُخفيه لئلاّ يُقصّ أثَرُها .

والأَوْنان : العِدْلان ؛ يقول : كأن عليها عدلين لخروج جنبيها وانتفاخها .

وقال ابن بري : إنّ الشاعر هنا يصف روضة كثيرة النبات تمشي بها الأرنب ساحبة قصبها حتى كأن بطنها حُبلى . والقصب : المعي .

(٢٣) البَيْتان في معاني الشعر للأُشناندانى ٣٤ ـ ٣٥ ، ولم يسمّ قائلها .

(٢٤) الترائك : ما تركه الغيث . وزُهْر الْحَواشي : النَّوْر . وقوله : ذي أَمَرٍ من أمرِ الرجل إذا كثرت ماشيته .

وقوله : لا ماء ولا حَطب : يريد أنّ الأرض مخصبة رطبة فليس بها حطب .

والكَنُوف : الناقة التي تنزل في كنف الإبل أي في ناحيتها .

يقول : هذه الناقة غزيرة ؛ فإذا بركت انصبّ اللبنُ من أَخْلافِها (ضروعها) في مَبْرَكها فكأنه نديف قُطن . والعُطْب والعُطَب : القُطن .

ـ وفي حاشية معاني الشعر من تعليق الأستاذ التَّنُوخي : « ذو أمر : موضع كما جاء في البلدان ... إلخ » ، قلت : اسم المكان هو : ذو أَمَرّ (براء مشدّدة) فليس هو المقصود .

(٢٥) البيت في معاني الشعر ٣٥ ، وفيه :« لم يقتبسْ » كأنه صدرٌ ، أو من قافية مقيّدة . والذي في الجمان هنا : الصّواب .

يَقُول : هي غزيرةٌ يَنْصَبُّ[٢٦] من أَحاليلها في مَبْرَكها ، ويدلُّ بذلك على حُسْنِ مَرْعَاها . وأهل الصَّنعة يُسَمُّون هذا : التَّتْبيع[٢٧] . وهو أن يريدَ الشاعرُ المَعْنى فلا يأتي باللفظِ الدَّالِّ عَلَيْهِ بل بلفظٍ تابعٍ له ؛ فإذا دَلَّ التَّابعُ أَبانَ عن المَتْبُوع . ومن ذلك قَوْلُ امرئ القَيْس[٢٨] :

ويُضحي فَتِيْتُ المِسْكِ فوقَ فِراشها نَؤوم الضُّحى لم تَنْتَطِقْ عن تَفَضُّلِ[٢٩]

وإنما أراد أن يذكر تَرَفُّه هذه المرأةِ ، وأنَّ لها مَنْ يَكْفيها ؛ فأَتى باللَّفظِ التَّابعِ لِذلكَ ؛ ولم يَذكُره بلفظِه الخاصّ ؛ فكذلك وَصَفَ هذا الشَّاعِرُ النَّاقَةَ بالغَزارة ، وهو يُشيرُ بذلكَ إلى وَصْفِ الخِصْبِ وكَثْرَةِ الكَلأ وجَوْدَةِ المَرْعى .

وقال الطَّائيّ ، وذكر السَّحابَ وحَمِيْدَ أَثَرِهِ في الأَرْضِ[٣٠] :

---

(٢٦) اختصر المؤلف هنا جداً ، والمقصود : « ينصَبُّ اللبن » . وعبارة الأشناندانى : « فإذا بركت انصبَّ اللبن ... » إلخ ، وابن ناقيا من هنا أخذ .

(٢٧) هذا نوع جعله ابن رشيق من أنواع الإشارة (التي فيها الكناية والتورية وغيرها) . وأول من بحث فيه قدامة بن جعفر ، قال : « ومن أنواع ائتلاف اللفظ والمعنى الإردافُ وهو أن يريدَ الشاعر دلالةً على معنى من المعاني فلا يأتي باللفظ الدّالّ على ذلك المعنى بل بلفظ يدلُّ على معنى هو رِدفُه وتابع له ؛ فإذا دلَّ على التابع أبان عن المتبوع بمنزلة قول ابن أبي ربيعة : بعيدة مهوى القرط .. » وضرب بيت امرئ القيس مثلاً أيضاً .

وأورده العسكري تحت : الأَرداف والتَّوابع .

(نقد الشعر ٨٨ ـ ٨٩ ، والصناعتين ٣٥٠ ـ ٣٥٢ ، والعمدة ٢١٥/١ ـ ٢٢٠ ، وقارن بما في تحرير التحبير ٢٠٧) .

(٢٨) ديوان امرئ القيس بشرح الأعلم الشنتمري ١٧ .

(٢٩) في الديوان : وتُضحي .

ـ نؤوم الضحى : لها من الخَدم من يكفيها ، فهي لا تهتمّ بأمرها . ولم تنتطق عن تفضُّل : أي ليست بخادم (لا تقوم بالخدمة في منزلها) فتتفضّل (تلبس ثوباً واحداً للخدمة) وتنتطقُ لذلك .

(٣٠) هو أبو تمام الطائي . والشعر في ديوانه ٥٢٠/٤ ، والأبيات هي (١٠ ، ٩ ، ١٢ ، ١١) كما تسلسلت في الديوان .

إذا ما ارْتَدى بالْبَرْقِ لم يَزَلِ النَّدى ... لَهُ تَبَعاً أو يَرْتَدي الرَّوْضُ بالبَقْلِ[٣١]
سَحاباً إذا أَلْقَتْ على خِلْفِهِ الصَّبا ... يداً قالَت الدُّنيا : أَتى قاتِلُ المَحْلِ[٣٢]
تَرى الأرضَ تهتزُّ ارتياحاً لوَقْعِهِ ... كما ارتاحَت البِكْرُ الهَدِيُّ إلى البَعْلِ[٣٣]
إذا انْتَشرتْ أَعلامُهُ حَولَهُ انْطَوتْ ... بُطونُ الثَّرى مِنْهُ وَشيكاً على حَمْلِ !

ومن نَظائِرِ الآيةِ أيضاً قَوْلُه عزَّ وجَلَّ : ﴿ وَالَّذي نَزَّلَ مِنَ السَّماءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنْشَرْنا بِهِ بَلْدَةً مَيْتاً كَذٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴾ [الزُّخرف : ١١/٤٣] .

ووَجْهُ التَّشبيه [١٣/أ] في إخراجِ الأَمواتِ بإخراجِ النَّباتِ أَنَّ الْمَنْزِلَةَ فيهما سواء ، فالقادِرُ على أَحَدِهما قادِرٌ على الآخرِ في مُقْتَضى العَقْل . واحتجَّ تعالى بذلك عَلى مَنْ أَنكَر حالَ البَعْثِ كَما احْتَجَّ بابْتِداءِ الْخَلْقِ ، فقال جَلَّ اسْمُه : ﴿ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُوْنَ ﴾ [الأعراف : ٢٩/٧] . وقد وردت الحكايةُ عَنْهُم بالْحُجَّةِ عَلَيْهِم في قَوْلِه تَعالى : ﴿ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيْدُنا قُلِ الَّذي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ [الإسراء : ٥١/١٧] .

تَشْبيهٌ آخَرُ مِن هذِهِ السُّورَة :

قَوْلُهُ عَزّ وجَلّ : ﴿ وَاْتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذي آتَيْنَاهُ آياتِنا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطانُ فَكَانَ مِنَ الغَاوِيْنَ ☆ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إلى الأَرْضِ واتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الكَلْبِ إنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذٰلِكَ مَثَلُ القَوْمِ الَّذيْنَ كَذَّبُوا بآيَاتِنَا فَاقْصُصِ القَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الأعراف : ١٧٥/٧-١٧٦] .

النَّبأ : الْخَبَرُ عَن الأَمرِ العَظِيم . يُقال : لِهذا الأَمْرِ نَبأ . ومنهُ صِفَةُ النَّبيِّ ﷺ : « ونَبَّأَهُ اللهُ » : جَعَلَهُ نَبيّاً .

---

(٣١) إذا ما ارتدى بالبرق يعني السحاب المذكور في البيت قبله في الديوان ، وبعده في نصّ المؤلّف هنا : « سحاباً .. » .
ـ وقوله : أو يرتدي الروضُ بالبقل : أي إلى أن يرتدي ...

(٣٢) « جَعل الصَّبا كالتي تحلبُ خِلْفَ السحاب ؛ واستعارَ اليدَ والخِلْفَ ؛ لأنَّ من شأن الحالب أن يضع يده على أخلاف الناقة » من شرح الديوان .

(٣٣) الهَدِيّ : التي تُهْدى (تُزَفّ) إلى زوجها .

ومَعْنى قوله : ﴿ فَٱنْسَلَخَ مِنْهَا ﴾ أيْ خَرَج وانْفَصَل . ومنه قولُـه تَعـالى : ﴿ وَآيَـةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ ﴾ [يس : ٣٦/٣٧] .

وقولُه : ﴿ فَأَتْبَعَـهُ الشَّيْطَـانُ ﴾ يَعْنِي بـالتَّزْيِينِ لِـذلـك الضَّلال حتّى مـالَ إليـه وتَمَسَّكَ به . وقيل : أَتْبَعَهُ الشَّيطانُ كُفّارَ الإنْسِ فكانوا مَعَهُ على الكُفْرِ .

وفي الآية دلالةٌ على النَّهْيِ عن تَقْليد من لا يُؤْمَنُ عَليه الارْتِداد .

والغَاوِي : يَعْني الْخَائِبَ مِنْ رحمة الله ؛ وأَصْل الغَيّ : الْجَهْلُ والضَّلال .

قـال تعـالى : ﴿ وعَصَى آدَمُ رَبَّـهُ فَغَوى ﴾ [طه : ٢٠/١٢١] . ثم قيـل للخـائب مِنَ الظَّفر بالشيء : قد غوى . وعلى هذا المعنى قول الْمُرقّش[٣٤] [١٣/ب] .

فمن يلـق خيراً يحمـد النّـاسُ أمره ومن يَغْوِ لا يعدم على الغيّ لائمـاً[٣٥]

والذي أُوتي الآيات فانسلخ منها : بلعم بن باعُور[٣٦] من بني إسرائيل ؛ وقيل[٣٧] : أُميّة بن أبي الصّلت الثّقفي[٣٨] : وإنما آتاه الله الآيات باللُّطف له حتى تعلّمها وصار بها عالماً . فقصَّ الله تعالى قصّته ليحذر الناس من مثل حاله .

---

(٣٤) هـو المرقّش الأصغر ، اسمـه : ربيعـة بن سفيـان ، ابن أخي المرقش الأكبر ، والمرقّش لقب . والأصغر أشعر من عمّه ، وأطول منه عمراً . وله خبر مع فاطمة بنت المنـذر ، ويُعَدُّ في عشاق العرب . وهو من الفرسان .

(٣٥) البيت من قصيدة مفضّلية (شرح الأنباري ٥٠٣) ، وطبعة دار المعارف ٢٤٧ .
- يقال : غوى الرجل يغوي غَيّاً وغَوايةً : إذا كان من أهل الغَيّ .

(٣٦) أطال المفسّرون في هذه القصة (يراجع تفسير القرطبي مثلاً ٧/٣١٩-٣٢٠) .
واسم الرجل كما روى ابن عباس وابن مسعود : بَلعام بن باعوراء . ونقل القرطبي قال : قـال مـالـك بن دينار : « بُعث بلعام بن باعوراء إلى ملك مَدْين ليدعوه إلى الإيمان فأعطاه وأقطعه فـاتّبع دينـهُ وترك دين موسى ، ففيه نزلت هذه الآيات » .

(٣٧) في ك : « وقال » هو سهو .

(٣٨) ورُوي أيضاً أنها نـزلت في أُميّـة بن أبي الصّلت الثّقفي : وأميـة بن أبي الصّلت شـاعر جـاهلي أدرك الإسلام . وكان يرجو أن يكون النّبي الموعود ، وكان يقرأ الكتب ويُخـالـط أهل الكتـاب ويسمع منهم=

وقال الحسنُ البَصريّ[٣٩] : آيات الله : دينه .

قوله : ﴿ ولَوْ شِئْنا لَرَفَعْناهُ بِهَا ﴾ [الأعراف : ١٧٦/٧] ، أي : كُنّا نحُولُ بَيْنَـهُ وبينَ الكُفر ، فَيَسْتَحِقّ الرِّفعة بها ﴿ ولَكِنَّهُ أَخْلَدَ إلى الأَرْضِ ﴾ أي : سَكَنَ إلى الدُّنيا واتَّبع هواه . وأصل الإخلاد : اللُّزوم على الدَّوام .

قال زُهيرُ بن أبي سُلْمى[٤٠] :

لِمَنِ الـدِّيـارُ غَشِيْتُهـا بـالغَرْقَـدِ كالوَحْيِ في حَجَرِ المسيلِ الْمُخلَـدِ[٤١]

واللهث : النَّفَسُ الشديد الذي يَلْحَقُ الإنْسانَ من شِـدَّةِ الإعيـاء . وهو في الكِلاَب طباع . ويُسْتعارُ ذلك لمن بَهْظَهُ أَمْرٌ أو ساوَرَه هَمٌّ أو لَقِيَـهُ مَكرُوهٌ ، كما قـال الأَزدي[٤٢] يمدحُ رَجُلاً[٤٣] :

= بقرب مجيء النّبي المبشَّر به . ولكنه حسده وكفر به ، ومات على الشرك سنة ٥ للهجرة .

(٣٩) الحسن بن يسار البصري : تابعيّ ، كان إمام أهل البصرة ، عالم ، فقيه ، ناسك ، شهير ؛ ذو شأن عظيم . (٢١ـ١١٠) وكان حَبْر الأُمّة في زمانه .

(٤٠) ديوان زهير بن أبي سُلمى (بشرح ثعلب ٢٦٨) ، ونقلها ملحقاً على شرح الأعلم ٢٢٩ .

(٤١) الوحي : الكتابة . قال ثعلب في شرحه : وإنما جعله في حجر المسيل لأنه أصلب منه . وأخلد : أقام . وضبطه في الديوان بكسر الدّال .

ـ وفي الديوان : لمن الديار غشيتها بالفدفد : وهو المرتفع فيه صلابة وحجارة . ورواية المؤلف : بالغَرْقَد . وهي كذلك في تفسير القرطبي ٣٢٢/٧ .

وقلت في معجم ما استعجم ١٩٩٤/٣ الغَرْقَدُ على لفظ الشجر : موضع . ونقل البكري عن أبي سعيد ـ وقد أنشد بيت زهير :

وأرى العيون وقد ونى تقريبها ظَمِأى فَحَشَّ بها خلال الغرقد

الغَرْقد شجر وقد يكون مكاناً . وبيت زهير هذا يؤكد إيراده اسم ذلك المكان .

(٤٢) هو أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي من أزد عمان ، من قحطان (٢٢٣ ـ ٣٢١) : من أئمة اللُّغة والأدب . وهو صاحب المقصورة (مقصورة ابن دريد) التي مدح بها آل ميكال ، واتصل بالخدمة السلطانية ، ونال شهرةً وجاهاً . من آثاره الاشتقاق ، والمقصور والممدود ، وجمهرة اللغة ، والمجتبى ، والملاحن ، والأمالي ، وديوان شعر مطبوع .

(٤٣) هو ـ كما في الديوان ـ الحارثي العُماني .

لَنِعْمَ فَتى الْجُلّى ومُسْتَنْبِطُ النَّدى ... ومَلْجَأُ مَحْرُوبٍ ومَفْزَعُ لاهِثِ[٤٤]
عياذُ بنُ عَمْرِو بنِ الْحُلَيْسِ بنِ جابِرِ بْـ ... ـنِ زَيْدِبنِ منظورِ بنِ زَيْدِبنِ وارِثِ[٤٥]

ومَعْنى التَّشْبيه في الآيَة أنَّ الكافِرَ التّارِكَ لآياتِ اللهِ تَعالى ، العَادِلَ عَنْها ، الَّذي لا يُصْلِحهُ شَيءٌ كالكَلْب في لَهْثِه ولو دَبَّرْتَهُ بكلِّ شَيءٍ لم يَتْرُكه ، ولم يَنْزِعْ عنه . ولِذلكَ ذكَر الشيءَ وضِدَّه . فالتَّقديرُ : كَمَثَلِ الكَلْبِ لاهِثاً . ويُقال : لَهث يَلْهَثُ لَهْثاً فهو لاهِثٌ ، ولَهْثَان ، ولَهَّاث .

ووصَفَ بَعْضُ الشُّعراء [١٤/أ] كَلْبَ الهِرَاشِ[٤٦] ، وعَبَّر عن هَيْئَةِ لَهْثِه بتشبيهٍ أبْدَعَ فيهِ فقال ، أَنْشَدْنيه بَعْضُ الأَشراف ، :

جَرِيءٌ عَلى النَّاسِ مُسْتَأسِدٌ ... مُدِلٌّ عَلَى كُلِّ قِرْنٍ بَطَلْ[٤٧]
ويَرْفَعُ في سَطَواتِ المِصَالِ ... لَهُ ذَنَباً مثلَ قَرْنِ الوَعِلْ[٤٨]
دَلُوقُ اللِّسانِ كما زَالَ عن ... ذُبابٍ منَ السَّيْفِ عافِي الخِلَلْ[٤٩]

(٤٤) في الديوان : فَنِعم ... وملجأ مكروب .
المحروب : الَّذي سُلِبَ ماله .

(٤٥) سَمّى البلاغيون هذا النَّسق ، والسَّرْد باسم (الاطّراد) : قال في العُمدة ، ومن حُسن الصَّنعة أنْ تطرَّد الأسماء من غير كُلفة ؛ ولا حَشو فارغ . (العمدة ٦٦/٢ ، وتراجع كتب البلاغة أيضاً) .

(٤٦) الهِراشُ : إغراء بعض الكلاب ببعض ؛ و : هو جَرْو هِراش : مُعَدٌّ لذلك .

(٤٧) أدلّ عليه : اجترأ ، فهو مُدِلّ . والقِرْنُ : المماثل في الشجاعة .

(٤٨) صال على قِرْنه : سَطا وحَمَل عليه . ولم أجد في مصادر الفعل : المِصَال . وقد ضُبِطت الكلمة في النُّسختين ضبطَ حركاتٍ بكسر الميم . قُلت : لعلّه الْمَصَال ، على أنّه مصدرٌ ميميّ . والخِلل جمع خِلّة : بطانة يغشى بها جَفنُ السيف . والمراد من (عافي الخلل) أن قرابَ السيف رثّ بحيث يبدو طرفه ، فشبَّه امتداد لسان الكلب بذلك السَّيف الذي ظهر ، ولم يستره قرابُه .

(٤٩) يقال : دَلَق السَّيف : أَخْرَجَهُ .
ـ وذباب السيف حدّه ، وطرفه الذي يُضرب به .

وحَدَّثنا[٥٠] الأميرُ أبو محمّد الحسَنُ بنُ عيسى بنِ الْمُقْتَدِرِ باللهِ رضي الله عنه عن أبي الفَرج الأَصْفَهاني عن جَحْظَةَ قال : حدَّثنا عُبَيد الله بن عبد الله بن طاهر قال : لَمَّا أَطْلَقَ أخي طاهر عَليَّ بْنَ الْجَهْم من الْحَبْسِ أقامَ مَعَهُ بالشاذياخ[٥١] مُدَّةً فخرجوا يوماً إلى الصَّيْد ، فاتَّفقَ لَهُمْ مَرْجٌ كثيرُ الطَّير والوَحْشِ . وكانت أيّام الزَّعفران[٥٢] ؛ فقال عليّ بن الْجَهْم[٥٣] :

وَطِئنا رياضَ الزَّعْفَرانِ وأَمْسَكَتْ   عَلَيْنا البُزاةُ البيضُ حُمْرَ التَّدارُجِ[٥٤]

---

(٥٠) الخبر في الأغاني ٢٣٨/١٠ ، وفيه حَدَّثني جحظة ، ومحمد بن خلف ، وكيع ، وعمّي ، قالوا : حدّثنا عُبَيد الله بن عبد الله بن طاهر ... إلخ الخبر .

(٥١) الشّاذياخ : من ضواحي نيسابور قصبة خراسان . وكانت قديماً بستاناً لعبد الله بن طاهر بن الحسين ، ملاصقاً لمدينة نيسابور ، فبنى داراً له ، ثم أمر الجند بالبناء حوله ، فعمرت حتى اتصل بناؤها ببناء نيسابور ، وصارت من محالّها . (معجم البلدان) .

(٥٢) الزَّعْفَران : نباتٌ بصلي معمّر ، من الفصيلة السّوسنيّة ، منه أنواع برّيّة ، ونوع صبغي طبي مشهور . ويقال له : الجاديّ ، والْجِسَادُ ، والرَّيْهُقَان ، والصَّفَران .
- وتختلف أيام إزهار الزعفران من نوعٍ منهُ إلى آخر .
(انظر : الموسوعة في علوم الطبيعة ٤٨٩/١ ، والمعتمد في الأدوية ٢٠٢ - ٢٠٤) .

(٥٣) علي بن الجهم شاعر عَبّاسي مشهور (ت ٢٤٩ هـ) .
- والشعر في ديوانه ١٢٠ ، (في تكملة الديوان) ، واختار المؤلف الأبيات ١ ، ٢ ، ٥ من القطعة (وهي في ثمانية أبيات) .
- والقطعة التي منها هذه الأبيات في : الأنوار ومحاسن الأشعار للشمشاطي ١٩١/٢ في ستة أبيات .

(٥٤) البُزاة جمع البازي ، من جوارح الطير ، معروف . والتَّدارجُ جمع تَدْرُج وهو جنس طير من فصيلة التَّدرجيات ، أنواعه عديدة ، جميعها برّية تألَفُ الحِراج والآجام الغضّة الأشجار . يتميّز بشكل ذيله المتراكب الريش ، المستطيل .
- والدرارج - كما روي في تكملة الديوان ، وهي رواية الأغاني - جمع درّاج : جنس طير من عمارة الحجليّات وفصيلة الطيهوجيّات ، قريب الشّبه من الحجل يتميز بقوة منقاره ودقّته ، وبقصر ذنبه واستطالة رسغه الأملط . وكنّاه العرب بـ (أبي الْحَجّاج ، وأبي خطّار ، وأبي ضَبَّة) .
(الموسوعة في علوم الطبيعة : دراج ، وتدرج . وحياة الحيوان للدَّميري) .

ولَمْ تَحْمِهـا الأَدْغـالُ مِنّـا وإنَّما أَبَحْنَا حِمَاهَا بالكِلابِ البَوازِجِ(٥٥)
ومن دَالِعَـاتٍ أَلْسُنـاً فكـأنَّهـا لِحِيٌّ شُيُوخٍ خاضِبِيْنَ كَواسِجِ(٥٦)

والأصل في هذا الوصفِ الْمُعْتَوَرِ بين هذين الشاعرَيْن بالتَّشْبِيهِ ماذكره عَبدةُ بنُ الطّبيب(٥٧) من حالِ الثَّور بقوله(٥٨) :

لِسَـانُـه عن شِمال الشِّدْقِ مَعْـدُولُ(٥٩)

تَشْبيهٌ آخَرُ مِن هذهِ السُّورةِ أَيْضاً :

قولُه عَزّ وجَلّ : ﴿ أُولَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الغَافِلُونَ ﴾ [الأعراف : ١٧٩/٧] . وصفَهُم بأَنَّهُم لا يُبْصِرُونَ بعيونهم ولا يعقلون بقلوبهم ، فجعلهم في تركهم الحقَّ وإعراضهم عنه بمنزلة [١٤/ب] مَنْ لا يسْمَعُ ولا يَعْقِلُ .

---

(٥٥) في الديوان ، والأغاني : بالكلاب النوابج ، وشرحها المحقق : النوابج كالنوابح .
ـ وفي حاشية لقطعة لابن المعتز في الأنوار ومحاسن الأشعار ٢٠١/٢ ، عند عنوان عن البُزاة والكلاب البوازج : « الظاهر أنَّ : بوزج ، صفة للكلب . والجيم علامة العجمة لاغير ؛ على هذا ـ والكلام للمحقّق ـ أرى أنها معرّبة من الفارسية : بوز ـ بوزك ؛ أي سريع العَدْو ، وذكيّ الفهم ؛ ضد كودن : الدَّخيلة في العربيّة » .

(٥٦) دلَع لِسانَهُ : أخرجه . ودَلَع لسانُه دُلوعاً خرج واسترخى كلسان الكلب .
الكواسج جمع كوسج : وهو الذي لحيته على ذقنه لا على عارضَيْه .
ـ وروى في تكملة الديوان : لحىً من شيوخ .

(٥٧) عبدة بن الطبيب (واسم الطبيب : يزيد) : شاعر مخضرم ، أَسْلَم وشهِدَ الفتوح . وأبلى فيها بلاءً حسناً . وكانت وفاته سنة ٢٥ هجرية .

(٥٨) من قصيدة مفضَّليّة (شرح الأنباري ٢٨٢ ، ودار المعارف ٢٨٢) : ١٤٠ .

(٥٩) والبيت بتمامه :
مُسْتَقبِلَ الرِّيحِ يَهْفُو وهو مبتركٌ لِسَانُـه عن شمال الصِّدْقِ مَعْدُولُ
والشاعر يصف هنا ثوراً وحشيّاً . وهو مستقبل الرّيح : يستروح بها من حرارة التَّعب وجهد العَدْو .
وقوله : لسانه .. إلخ . يريد أنه قد دلع لسانه يلهث من الإعياء .

قال الشَّاعِرُ[٦٠] :

أَصَمُّ عَمّــــا ســـــاءَهُ سَمِيْـــعُ

وقال الآخر :

وكـــلامٍ سيّءٍ قـــد وَقَرتْ عنـهُ أُذْنـايَ ومـا بِي من صَمَمْ[٦١]

ثمَّ قال : ﴿ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ﴾ . وذلـك أَنَّ الأَنْعَامَ تُبْصِرُ مَنافِعَها ومَضارَّها فَتَلزمُ بَعْضَ ما تُبْصِرُه ؛ وهؤلاء يَعْلَمُ أَكْثَرُهُمْ أَنَّهُ مُعَانِدٌ فَيُقْدِمُ على النَّار[٦٢] . قال اللهُ تَعـالى : ﴿ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ ﴾ [البقرة : ١٧٥/٢] أَيْ عَلى عَملِ أَهْلِ النَّار[٦٢] .

ونظيرُ هذِه الآيـة قَوْلُـه تَعالى في سُورةٍ أُخْرى : ﴿ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنَّ هُمْ إلاّ كالأَنْعـامِ بَـلْ هُمْ أَضَـلُّ سَبِيْـلاً ﴾ [الفرقـان : ٤٤/٢٥] ، أي ليس يسمعون ما تقول يا محمد سماع طالب للإفهام بل كسماع الأنعام !

ومِنْ نَظائرِ الآيةِ أَيْضاً قوله تعالى : ﴿ وَمَثَلُ الَّذِيْنَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّـذِي يَنْعِقُ بِمَـا لا يَسْمَعُ إلاّ دُعَـاءً وَنِـداءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لا يَعْقِلُـونَ ﴾ [البقرة : ١٧١/٢] . وإنَّما يُقـالُ للصَّحيحِ البَصَرِ الَّذي لا يُعْمِلُ بَصَرهُ : أَعْمى ؛ لأَنَّه قد حَلَّ محلَّ من لا يُبْصِرُ . وكـذلـكَ يُقـال للسَّمِيْعِ الَّـذي لا يَقْبَلُ : أَصَمّ . ومِنْ ذلـكَ قولُـهُ تعـالى : ﴿ إِنَّـكَ لا تُسْمِعُ الْمَـوْتى وَلا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعاءَ ﴾ [النمل : ٨٠/٢٧] . كما قال جَلَّ اسْمُه : ﴿ أَمْ عَلى قُلُوْبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ [محمد : ٢٤/٤٧] .

وأَضافَ الْمَثَلَ إلى الَّـذين كَفَروا ثُمَّ شَبَّهَـهُ بـالرَّاعي ولم يَقُلْ كالغَنَمِ ؛ لأَنَّ الْمَعْنى : ومَثَلُ الَّـذينَ كَفَروا فيما يُـوعَظُـونَ بـهِ كالبَهـائم التي لا تَفْقَـهُ مـا يقـول الرَّاعي أَكْثَر من

(٦٠) الرّجز في تهذيب اللُّغة ١٢٥/٢ ، و ١٢٦/١٢ ، وتفسير القرطبي ٢١٤/١ .
ـ وهو في شرح شواهد الكشاف ٤٣٧ .

(٦١) وَقَرت ، ووَقِرت (أُذنه) : ثَقلت أو صَمّت .

(٦٢-٦٢) ما بين الرقمين لم يرد في : ك . ولعله سقط بنقلة عين لانتهاء الفقرة أيضاً بكلمة (النار) .

الصَّوْتِ(٦٣) . فالتَّقْديرُ : ومَثَلُ واعِظِ الَّذينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذي يَنْعِقُ بما لا يَسْمَعُ . والعربُ تَحْذِفُ إذا دَلَّ الْمَعْنى على ما يُريدون ، كما قال تعالى : ﴿ وأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ العِجْلَ ﴾ [البقرة : ٩٣/٢] . أيْ سُقُوا حُبَّ العِجْل . فأَضْمَر الحبّ لأنَّ الْمَعْنى مَعْلُومٌ . وكذلك قولُه تَعالى : ﴿ مَثَلُ الَّذيْنَ يُنْفِقُونَ أَمْوالَهُمْ فِي سَبيلِ اللهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنابِلَ ﴾ [البقرة : ٢٦١/٢] . الْمَثَلُ للنَّفَقَةِ ؛ أيْ : مَثَلُ نَفَقَةِ الَّذينَ يُنفقون .

وقيل : الْمَعْنى : وَمَثَلُ الَّذينَ كَفَرُوا في دُعَائِهِمْ آلِهَتَهُمْ وأَوْثانَهُمْ وهي لا تَفْقَهُ [١٥/أ] كمثل النّاعق بِمَا لا يَسْمَعُ إلاّ دُعاءً ونِداءً .

وتأويْلُ قَوْلِه : ﴿ يَنْعِقُ ﴾ : يُصَوِّتُ بالغَنَم . وهو النَّعيقُ والنُّعاق ؛ ومنه قولُ الأخطل(٦٤) :

فانْعِقْ بِضَأْنِكَ يا جَرِيْرُ فَإنَّما ... مَنَّتْكَ نَفْسُكَ في الْخَلاءِ ضَلالا(٦٥)

وتقول العَرَبُ : أَبْلَدُ مِنْ راعي الضَّأن . ويُقالُ في الْمَثَل : أَحْمَقُ من رَاعي ضأنِ ثمانين(٦٦) .

---

(٦٣) نقل القرطبي في تفسيره الجامع ٢١٤/٢ قال : شَبَّه تعالى واعِظَ الكفار وداعِيَهم ، وهو محمد ﷺ بالرّاعي الذي ينعق بالغنم والإبل فلا تسمع إلا دعاءه ونداءه ، ولا تفهم ما يقول . وفيه أيضاً : المعنى : مَثَلُك يا محمد ومثل الذين كفروا كمثل الناعق والمنعوق به من البهائم التي لا تفهم . فحذف (المنعوق به) لدلالة المعنى .

ـ وانظر تفسير الطبري ٤٧/٢ .

ـ وأفرد الشريف المرتضى مجلساً لتأويل هذه الآية في أماليه ٢١٥/١ .

(٦٤) الأخطل من الشعراء الذين أنبتتهم الدّولة الأموية : مدّاحٌ ، يميل بشعره إلى البداوة . له ديوان معتنى به . (١٩ ـ ٩٠ هـ) .

(٦٥) البيت من قصيدة في ديوانه ١١٦/١ ، وهي من نقائضه (انظر نقائض جرير والأخطل ٨١ ؛ والبيت فيها هو الحادي والأربعون) . وردَّ عليه جرير بنقيضته التي فضحه فيها ، وقال :

والتَّغلبيّ إذا تنحنح للقِرى ... حكَّ استَهُ وتمثّل الأمثالا !

ـ يُعيِّره الأخطل أنّه راعي ضأن لا مكان له في الْمَفاخِر !

(٦٦) في مجمع الأمثال للميداني ٢٢٤/١ : إنه لأحمقُ من راعي ضأن ثمانين .

قال الأَصْمَعِيّ[٦٧] : كان لدى ذي الإصْبَع العَدْوانيّ[٦٨] أَرْبَعُ بنـاتٍ فزوّجَهُنَّ . وزارَ الكُبْرى فقـال : كيف رأَيْتِ زوجـك ؟ قـالت : خيرُ زوج : يُكرمُ أَهْلَـهُ ، ويَنْسى فَضْلَـه . قـال : فما مـالُكُمْ ؟ قـالت : الإبل : نـأكلُ لُحْمَـانَها[٦٩] ، ونشربُ أَلْبَـانَهـا ، وتَحمِلُنا ورحالنا . قال : زوجٌ كريمٌ ، ومالٌ عميم .

ثمّ زارَ الثّانية فقال : كيفَ رأَيْتِ زَوْجَك ؟ قـالَتْ : يُكْرِمُ الْحَليلـةَ[٧٠] ، ويُقَرِّبُ الوَسِيلة . قالَ : فَما مالُكُم ؟ قالَتْ : البَقر : تَألفُ الفِناء[٧١] ، وتَمْلأُ الإناء ، ونِساءٌ معَ النِّساء ؛ فقال : رَضِيْتِ وحَظِيْتِ .

ثمَّ زارَ الثّـالثـةَ فقـال : كيفَ رأَيْتِ زَوْجَـك ؟ فقـالت : لا سَمْحٌ بَـذِرٌ ، ولا بَخيلٌ حَكِرٌ[٧٢] . قالَ : فَما مالُكُم ؟ قالتْ : المِعْزى . قال : جذوٌ مُغْنِيَةٌ[٧٣] .

ثمَّ زارَ الرّابعـة فقـال : كيفَ رأَيْتِ زوجَـك ؟ قـالَتْ : شرُّ زوجٍ : يُكْرِمُ نَفْسَـهُ ويُهِيْنُ عِرْسَهُ[٧٤] . قال : فما مَالُكَم ؟ قالَتْ : شَرُّ مالٍ ؛ الضّأن : جُوْفٌ لا يَشْبَعْنَ[٧٥] ،

(٦٧) الخبر في الأَغاني ٨٥/٣ ، وأمالي الشريف المرتضى ٢٤٤/١ ، والكامل ٦٧٨ .

(٦٨) اسمه حُرثـان بن حـارثـة (أو ابن ثعلبـة) ، وذو الإصبع لقب . وهـو أحـد الحكـاء الشُّعراء . وعُمِّر طويلاً .

(٦٩) اللحم : يُجْمَعُ على لُحوم ، ولُحمان ، وأَلْحُم ، ولِحَام .

(٧٠) حليلةُ الرّجل : زوجُه .

(٧١) الفِناء : الساحةُ في الدّار ، أو بجانبها .

(٧٢) منه حكَر السِّلعةَ : جمَعها لينفردَ بالتّصرُّف فيها ، فهو حَكِر . وبَذِرٌ : وصف للمبالغة من التّبذير .

(٧٣) في الأغاني : جـدوى . وفي أمـالي المرتضى : جـذوة مغنيـة . وقـال : الجـذوة : القطعـة . وفي الكامل : جذوٌ مغنية (كما هي هنا في الْجُمَان) .

(٧٤) عرسه : زوجه .

(٧٥) جُوف جمع جوفاء : العظية الجوف . والهيم : العِطاش . لا يَنْقَعْنَ : لا يَرْوَيْن !

وهِيْمٌ لا يَنْقَعْنَ وصُمٌّ لا يسمَعْن ، وأَمْرَ مُغْوِيَتِهِنَّ يَتْبَعْن[٧٦] ؟ فقال لها[٧٧] : « أَشْبَهَ امْرُؤٌ بَعْضَ بَزِّه »[٧٨] !

قَوْلُها : أَمْرَ مُغْوِيَتِهِنَّ يَتْبَعْن ؛ تَعْنِي أَنَّ الواحِدَةَ مِنْهُنَّ تَسْقُطُ في ماءٍ أو وَحْلٍ ، أو ما أشْبَهَ ذلِك فَيَتْبَعْنَها إِلَيْه .

والهِيْمُ : العِطَاشُ . قالَ بَعْضُ الْمُفَسِّرينَ في قولِه تَعالى : ﴿ فَشَارِبُونَ شُرْبَ الهِيمِ ﴾ [الواقعة : ٥٦/٥٥] . إنَّها الإبل العِطَاش . قال ذُو الرُّمَّة[٧٩] : [١٥/ب]

فَراحَت الْحُقْبُ لم تقصع صرائرها وقد نشْمْنَ فلا رِيٌّ ولا هِيْمُ[٨٠]

---

(٧٦) يتبعنها لأنَّ القطيع من الضَّأن يمرُّ على قنطرةٍ ـ مثلاً ـ فتزلّ واحدة فتقع في الماء ، فيقَعْنَ كلّهن اتّباعاً لها ! قاله الشريف .

(٧٧) فصل المقال في شرح كتاب الأمثال ٤٩ ، وكتاب الأمثال ٥٣ ، وجمهرة الأمثال ٢٥/١ ، والفاخر ٧٢ .

(٧٨) البَزّ : الثّوب الجيّد .
ـ وروي المثل أيضاً : أَشْبَه امرأً بعضُ بَزّه .

(٧٩) ديوان ذي الرُّمّة ٤٥٣/١ .

(٨٠) في الديوان : فانصاعت الحقب لم تقتل صرائرها . والصرائر جمع صرّة : شدّة العطش . يُقال : قصعتُ عنّي صارّة العطش : إذا رويت .

سُوْرَةُ يُونس

عليه السَّلام

قولُه عَزَّ وجَلَّ : ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّماء فاخْتَلَطَ بِهِ نَباتُ الأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ والأَنْعامُ حَتَّى إذا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنا لَيْلاً أَوْ نَهاراً فَجَعَلْنَاهَا حَصِيْداً كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ كَذلِكَ نُفَصِّلُ الآياتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [يونس : ١٠/٢٤] .

[١](شَبَّهَ الْحَيَاةَ الدُّنْيا بالنَّباتِ على تِلْكَ الأَوصافِ من الاغْتِرار والْمَصيْرِ إلى الزَّوال . ويجوزُ أَنْ يكونَ شَبَّهَها بالْمَاء فِيْمَا يَكُونُ بهِ مِن الإمْتاعِ ثُمَّ الانْقِطاع .

قَوْلُهُ : ﴿ فَٱخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ ﴾ أي تجمَّع في النَّباتِ حَتَّى خالَطَهُ ، فَأَخذ النَّباتُ زُخْرُفَهُ ؛ والزُّخْرُف : حُسْنُ الأَلْوان[٢] ؛ كالزَّهر الَّذي يَرُوقُ البَصر . ومنهُ قِيْلَ[٣] : زُخْرِفَت الْجَنَّةُ لأَهْلِهَا .

قَوْلُه : ﴿ كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ ﴾)[١] ؛ يُقال غَنِيَ بالْمَكانِ : إذا أَقامَ بِهِ ، والْمَغاني : الْمَنازِلُ ؛ قال النَّابغة[٤] :

(١-١) ما بين هذين الرّقمين لم يرد في نسخة : ك .

(٢) قال ابن الأثير : الزُّخرف في الأصل : الذّهب ، وكمال حُسْن الشّيء ؛ ومنه الحديث « نُهِي أن تُزَخْرَفَ الْمَساجِد » أي تُنقش وتموّه بالذّهب ؛ ووجه النّهي يُحتمل أن يكون أنها تَشْغَل الْمُصَلّي .

(٣) وقال في النهاية (زخرف) : ومنه حديث صفة الْجَنّة : « لَتَزَخْرَفَت له ما بينَ خوافِقِ السّماوات والأَرْضِ » .

(٤) ديوان النّابغة الذّبياني بشرح الأعلم الشنتمري ٩٠ ، وقبله :

في إِثْرِ غانيةٍ رَمَتْكَ بِسَهْمِها ... فأصابَ قلبكَ غير أنْ لم تُقْصِدِ

وقوله : غنيت بذلك أي : أقامت وعاشت بما أودَعَتْكَ من حُبّها .

غَنِيَتْ بِـذلِـكَ إِذْ هُمُ لَـكَ جِيْرَةٌ ... مِنْهـا بِعَطْفِ رِسَـالَـةٍ وتَـوَدُّدِ

والتَّشْبيهُ في الآيَةِ أَحْسَنُ مَوْقِعاً وأَبْلَغُ مَعْنًى من جَميعِ ما وُصِفَ بِهِ حالُ الـدُّنْيـا ، ومَيْلُ[5] النُّفوسِ إِلَيْهَا مَعَ قِلَّةِ صُحْبَتِها والاستِمْتَاعِ بِلذَّتِهَا ؛ فكذلك حالُ النَّباتِ والْمَـاء في النَّضارَةِ والْحُسْنِ ، ثُمَّ العَوْدِ إلى الْجَفافِ واليُبْس .

وقد ذَكَرت العَرَبُ في أَشْعارِهَا ما يَطَّبِيْهـا[6] من ذلـكَ إلى نُزولِ الأَرْضِ والتَّجـاور بهَا مُدَّة دَوامِ الخِصْب ، ثم مـا يكونُ بعـد ذلـكَ من تَشَعُّبِ[7] الجيرانِ ومُفـارَقَـةِ تِلْـكَ[8] الأَوطان عندَ غُؤورِ[9] المِيَاه ، وذَهابِ الكَلأ .

قـال ذُو الرُّمَّـة[10] ، وذكَر الْمَنْزِلَ [١٦/أ] والاستِمْتـاعَ بجـوارِ مَيَّـةَ[11] فيـه حَتّى صَوَّح نَباتُهُ ونشَّتْ نِطافُه[12] :

أَقَامَتْ بِهِ حتّى ذَوى العودُ في الثَّرى ... وسَـاقَ الثُّرَيّـا في مُـلاءَتِـهِ الفَجْرُ[13]

---

(٥) « ميل » معطوفة على « حال الدُّنيا » .

(٦) يَطَّبيها : يستميلُها .

(٧) تشعُّب الجيران : تفرُّقهم .

(٨) في ك : « ومفارقة الأوطان » ؛ سقطت كلمة : تلك .

(٩) غُؤور مصدر ، يُقال غار الماءُ غَوْراً وغُؤوراً : ذهب في الأرض وسفل فيها .

(١٠) ديوان ذي الرُّمّة ٥٦١/١ ـ ٥٦٦ . والأبيات المختارة هي من ٣ ـ ٨ من القصيدة (وهي في ستين بيتاً) .

(١١) هي مَيَّة بنت طَلَبة بن قيس بن عاصم ، المنقريّة ، شاعرة من الجميلات . لها أخبار مع ذي الرُّمّة ، وله فيها أشعار . (من الأعلام) .

(١٢) نشّ الغدير : بدأ ماؤه في النضوب . والنِّطافُ جمع النُّطفة : الماء الصافي (قلّ أم كَثُر) .

(١٣) في الديوان : أقامت بها . أي أقامت مَيُّ ـ وأهلها حُلولٌ ـ في هذه الدّيار . وفي الديوان : حتى ذوى العود والتوى . ويرى الفرزدق أن الرواية هي : حتى ذوى العودُ والثّرى .
ـ جَعل للفجر مُلاءةً ـ وهي الثّوب الأبيضُ ـ يقول : ساقَ الثُّريّا بياضُ الصُّبح .
ـ ومعنى ذوى : جَفَّ وبقيت فيه بعض الرّطوبة .
ـ يقول : طلعت الثُّريّا عند الفجر ، وهذا في وقت يُبس البقل بعد النوروز .

وحَتّى اعْتَرى البُهْمى منَ الصَّيْفِ نافِضٌ　　كَما نَفَضَتْ خَيلٌ نَواصِيَها شُقْرُ[١٤]

وخاضَ القَطا مِنْ مَكْرَعِ الْحَيِّ باللِّوىٰ　　نِطافاً بَقاياهُنَّ مَطْروقةٌ صُفْرُ[١٥]

فَلَمّا مَضى نَوْءُ الزُّبَاني وأَخْلَفَتْ　　هَوادٍ منَ الْجَوْزاءِ وانْغَمَسَ الغَفْرُ[١٦]

رَمى أُمَّهاتِ القُرْدِ لَذْعٌ منَ السَّفا　　وأَحْصَدَ من قُرْيانِهِ الزَّهَرُ النَّضْرُ[١٧]

وأَجْلى نَعامُ البَيْنِ وانْفَلَتَتْ بِنا　　نَوًى عن نَوى مَيٍّ وجاراتِهَا شَزْرُ[١٨]

وقال أَيْضاً[١٩]، مُتَأَسِّفاً على الجِوَار، ومُسْتَشْرِفاً سَيْرَ الْحُمول[٢٠] من الدّار[٢١]:

(١٤) البُهْمى نبتٌ يُشبه السُّنبل. ونافِضٌ: يُبْسٌ يقعُ فيها فينفضُها كما تنفضُ الخيلُ نواصيها، وهذا في أول القيظ قبل شدّة الحرّ. وعن أبي عمرو بن العلاء: نافض: ريح الصَّيف.
ـ شبَّه شَوْكَ البُهْمى إذا وقعت عليه فابيضَّ بنواصي خيل شُقر.

(١٥) القَطا (جمع قطاة) طائر معروف. والْمَكْرَعُ: الموضعُ الذي تكرع فيه الإبل من ماء المطر، تدخُل فيه. والنطاف جمع النُّطفة: البقية من الماء.
ـ يقول: صار القَطا إذا جاءَ يشربُ وقع في نِطافٍ قد اصفرَّت، وذلك أنَّ الأَوطان قد ذهبت.

(١٦) مضى نوءُ الزُّبَاني: ذهبت الأَمطار. والزّباني نجمٌ (أحد الزُّبانَيَيْن)، وهما قرنا العقرب ينزلها القمَر. وأَخْلفَ النّوء: لم يُمطر. وهَوادٍ من الجوزاء: نجوم تطلعُ قِبَلَ الجوزاء واحدها: هادٍ. والغَفْرُ من منازل القَمر.

(١٧) أُمّهات القرد جمع أُمّ القِرْدان: وهي النُّقْرَة التي في أصْل فِرْسِنِ البعير من يده ورجله، والفِرْسِنُ: ما دون الرُّسْغ إلى الأَرض. واللَّذْعُ: النزع، وهو كالطعن. والسَّفى: وهو شَوْكُ البُهْمى.
ـ يقول: وقَعَ شوك البُهْمى فهو يتركَّزُ في أخفافِ الإبل. وأَحْصَدَ: يبس، ودنا حصادُه. والقُرْيان: مجاري الماء ومدافِعُه إلى الرِّياض، الواحد قَرِيّ. والزّهر يُطلق على النَّوْر، وعلى ثمر النَّبت الواحدة زهرة. والنّاضر والنَّضر: الناعم الْحَسَن.

(١٨) يقال: شالت نعامَتُهم، وخفّت نعامَتُهم: ارتحلُوا ومضَوْا. وقوله: أجلى أي انكشفوا ومضوا. انفتلت: انعطفت. ونوًى ـ عن ميّة ـ شزر: ليست على القصد، من نِيَّة السَّفر.

(١٩) ديوان ذي الرُّمة ١٣٥٥/٣ ـ ١٣٥٨، والأبيات المختارة ٣ ـ ٩ (عدا الثّامن) من القصيدة، وهي في تسعة وعشرين بيتاً. وأوّلها:

يا دارَ مَيّةَ لم يَتْرُكْ لها عَلَماً　　تقادُم العَهْدِ والهوجُ الْمَراوِيْدُ

(٢٠) في ك: بئر الحمول.

(٢١) أي من ديار مَيّةَ.

يـــا صَـــاحِبِيَّ انْظُرا ، آواكُما دَرَجٌ عالٍ ، وظِلٌّ منَ الفِرْدَوْسِ مَمْدودُ[٢٢]

هل تُبْصِران حُمولاً بعدَما اشْتَمَلَتْ مِن دُونِهِنَّ حِبالُ الأَشْيَمِ القُودُ[٢٣]

عَواسِفُ الرَّمْلِ يَسْتَقْفِي تَوالِيَها مُسْتَبْشِرٌ بِفراقِ الْحَيِّ غِرِّيْدُ[٢٤]

أَلْقى عِصِيَّ النَّوى عَنْهُنَّ ذو زَهَرٍ وَحْفٌ على أَلْسُنِ الرُّوَّادِ مَحْمُودُ[٢٥]

حَتَّى إذا وَجَفَتْ بُهْمى لِوى لَبَنٍ وابْيَضَّ بَعْدَ سَوادِ الْخُضْرَةِ العُودُ[٢٦]

ظَلَّتْ تَخَفَّقُ أَحْشَائي على كَبِدي كَأَنَّني من حِذارِ البَينِ مَوْرُودُ[٢٧]

وكذلكَ وَصف تنقُّل الوَحْشِيِّ في طَلَبِ الوِرْدِ ، وارْتِيادِ الرُّطْبِ[٢٨] ، فقال[٢٩] :

حَتَّى إذا مَعْمَعانُ الصَّيْفِ هَبَّ لَهُ بِأَجَّةٍ نَشَّ عَنْها الماءُ والرُّطَبُ[٣٠]

---

(٢٢) درج : من دَرَجِ الْجَنَّة : يَدْعُو لهما ، بمدارك إسلاميّة ، ويجعل ذلك في المقدّمة التقليدية القديمة .

(٢٣) الْحُمول : نساءٌ وإبل . وحبالٌ من الرمل . والأَشْيَم : مكان . والقُود : الطوال الأعناق . اشتملت : توارت .

(٢٤) العواسِفُ : الْحُمول : الإبلُ يأخذن على غير هُدى . ويستقفي : يتبع ، يحدو تواليَها يريد تواليَ هذه الإبل أي مآخيرها . ومستبشر : يعني حادياً (يسوق الإبل) غرّيداً مُتطرِّباً .

(٢٥) ألقى عصاه كناية عن النُّزول (بعد رحلة أو سفر) . وروض ذو زَهَر . وَحْفٌ : ملتفٌ . والرُّوّاد : الذين يرتادون الرَّعْي . محمود : وذلك إذا كان كثيراً فَرِحُوا بذلك .

(٢٦) وَجفت أي ذهبَتْ به ـ بالبُهْمى ـ الريح (والبُهْمى : نبتٌ كالسُّنْبُل) . لبن : مكان . واللِّوى : مُنْقَطَعُ الرَّمل حيث يَسْتَرِقّ .

(٢٧) مورود : محموم ؛ يقول : كأنه من حِذار الفُرْقة مَحْمُوم . فهو يُرْعَد .

(٢٨) الوحشي هو الحمار الوحشي . والرُّطْب : بسكون الطاء : المرعى الأخضر من العُشب والشَّجر ؛ والقطعة منه رُطْبَة .

(٢٩) ديوان ذي الرُّمّة ٥٣/١ ـ ٥٧ .
ـ والأبيات المختارة من قصيدة له ، وهي : ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٣ ، والقطعة المختارة في صفةِ الحمارِ الوحشيّ وأُتُنه في طلب الماء .

(٣٠) معمعان الصَّيف : شدّة الحرّ والتهابه . هبّ له : أي استيقظ الحمار له . والأَجَّةُ : التوهُّج ، وشدّة الحرّ . ونشّ الغدير : أخذ ماؤُه في النُّضوب . والرُّطَبُ : ما رَطُبَ من الكلأ .

وصَـوَّحَ البَقْـلَ نـآَّجٌ تَجيءُ بـِـهِ هَيْفٌ يَمَـانِيَـةٌ في مَرِّهَـا نَكَبُ[٣١]

وأدْرَكَ الْمُتَبقِّي مِنْ ثَميلَتِـــــــهِ ومِنْ ثَمائِلِهـا ، وآسْتُنْشِئَ الغَرَبُ[٣٢]

تَنَصَّبَتْ حَـوْلَـهُ يَـوْمـاً تُراقِبُـهُ صُحْرٌ سَماحِيجُ في أَحْشَائِها قَبَبُ[٣٣]

[١٦/ب] فَراحَ مُنْصَلِتاً يَحْدُو حَلائِلَهُ أَدْنى تَقاذُفِـهِ : التَّقْرِيبُ والْخَبَبُ[٣٤]

وقيل لأَعرابيَّةٍ : أَيْنَ مَنزِلكُم ؟ فَقالَتْ : حيثُ يَنْزِلُ الغَيْث .

وكذلكَ قِيل لِبَعْضِهِمْ : أَيْنَ تَنزِلُ ؟ فقالَ : حَيْثُ يكونُ الكَلأ .

وقَدْ أكثَر الشُّعراء من الدُّعاءِ بالسُّقْيا للدِّيارِ على تَصَرُّفِ حالاتِها ، منَ الإقامَـةِ بهـا والانتقال عَنْها وعِرْفانِ آيِهـا وتَنَكُّرِهـا ؛ كلٌّ ذلـكَ ضَنّـاً مِنهم بـالأَوطـان ، ورغْبَـةً من مُفارَقَـةِ المـآلِفِ[٣٥] والْمَحـالّ ؛ إذْ كانَ الْمَطرُ ومـا يكونُ عنـهُ من العُشْبِ والكَلأ سَببـاً لاجْتِماع الشَّمْلِ ، والتِئامِ الشَّعْب ، فَقال الأوَّل[٣٦] :

---

(٣١) صوّحه : شقّقه . نآّج من نأجت الرِّيح : اشتدَّت . والهَيْفُ : الحارّة . واليمانية : ريح الجنوب . وفيها نكبٌ أي اعتراضٌ وتحرُّف .
- يقول : صوّح النبتَ وقتٌ تجيء بمجيئه ريح . تجيء بدفعة من ريحٍ أشدّ منها .

(٣٢) أدرك المتبقّي : يريد أنَّ الحرَّ أدْرَك مـا بقي في جوفـه من علفـه ، فـأذْهَبـه ؛ وهو الثَّميلـة . استُنشِئ : شُمَّ . والغَرَب ما سال بين البئر والحوض من الماء . وإنَّما استُنْشِئَ من العَطش وطلب الماء .
والثَّميلة : البقية تبقى من العلف والماء في جوف البعير وغيره .

(٣٣) تنصّبت الأُتُنُ حول الفحل ، أي هي قيـامٌ تنظر مـا يفعـل في ورُوده (المـاء) . والصُّحْرَةُ : بيـاضٌ في غُفْرَة ؛ ويقال : أصْحَر : يضربُ إلى الْحُمرة . وسماحيج جمع سَمْحَج : وهي الطوال على وجـه الأرض . والقَبب : الضُّمور .

(٣٥) فراح الفحل منصلتاً أي منجرداً ماضياً مسرعاً . يحدو : يسوق . حلائله : أُتُنـه . والتَّقـاذف : العَـدْو : أن يرمي بيديه في السَّير . والخبب : أن يراوح بين يديه ، والتَّقريب : أن يضع رجله مكان يده .

(٣٥) المآلف جمع المألف : اسم مكان من ألِفَ .

(٣٦) البيت من قصيدة لقيس بن ذريح (قيس لبنى) ديوانه ١١٣ ، وروايته فيه :
سَقى طلَـل الـدّارِ التي أنتمُ بِهـا حَيـا ثُمَّ وَبْـلٌ : صَيِّفٌ وربيـعُ
والقصيدة التي منها هذا البيت تتداخل بقصيدة مماثلة للمجنون . =

سَقى طَلَلَ الدَّارِ الَّتي أنتُمُ بها   سَحائِبُ وَبْلٍ : صَيِّفٌ وربيعُ

وقالَ الآخر :

لا عَهْدَ لِي بَعْدَ أيّامِ الحِمى بِهِمُ   وعَلَّ ذاكَ ، سَقى اللهُ الحمى مَطَرا[37]

وقال ابنُ مُجَالِد الفزاريّ[38] :

أيا دِمْنَتَي وَهْدٍ سَقى خَضِلُ النَّدى   مَسِيْلَ الرُّبا حَيْثُ انْتَحى بِكُمَا الوَهْدُ[39]

ويا رَبْوَةَ الرَّبْعَيْنِ حُيِّيتِ رَبْوَةً   على النَّأيِ مِنّا واسْتَقَلَّ بِكِ الرَّعْدُ[40]

فَأَنْتِ الَّتي يَشْفِي فُؤادِيَ قُرْبُها   لإِلْفِي لَها قِدْماً ويَشْغَفُهُ البُعْدُ !

وقال الآخر[41] :

= (انظر ديوان قيس لبنى ١١٣ ، ومجنون ليلى ١٩٠ ، والأمالي ١٣٦/١ ، والسمط ١٣٣ ، وحواشي التّحقيق) .

(٣٧) قوله : وعَلّ ذاك : أي ولعلّ أيام الحِمى تَرْجِعُ مرّة أُخرى !

(٣٨) البيتان الأول والثاني في معجم البلدان (وهد) ٣٨٥/٥ ؛ لرجل من فَزارة .

ـ والبيت الثاني من قطعة (من قصيدة) في الأشباهِ والنَّظائر للخالديّين ١٨٥/٢ نَسَبها ليزيد بن الطَّثريّة ؛ وقال البكري في اللآلي إنها تُعزى إلى بعض بني أسد (سمط اللآلي ٢٠٦) ، وتراجع إحالات محقّق الأشباه والنّظائر .

ـ ولم أجد البيت ولا القصيدة في ديوان يزيد (شعره المجموع) في طبعة بغداد .

(٣٩) روى في معجم البلدان :

أيا أَثْلَتَيْ وَهْدٍ سَقى خَضِلُ النَّدى   مَسِيْلَ الرُّبا حيثُ انحنى بكما الوَهْدُ

ويا رَبْوة الحيّين حُيّيت ربوةً   على النأي منا ، واستهلَّ بكِ الرَّعْدُ

وروى في الأمالي أيضاً : واستَهلَّ .

ـ والوَهْد ، والوَهْدَةُ : المطمئن من الأرض ، والمكان المنخفض كأنه حُفرة .

ـ وفي ك : انتهى الوهد .

(٤٠) استقلَّ بك الرَّعْد : أصابك ؛ والمقصود بإصابة الرَّعْد : نزول المَطَر (لأن مع الرعد عادةً المَطر) ، ويقال استهلّ المَطَرُ وهل : اشتدّ انصبابه .

(٤١) البيتان منسوبان لأعرابيّ (في الكامل ١٣٢٠) ؛ وهما مع بيت ثالث يجيءُ قبلهما ؛ وهو :

أَلَمْ تَعْلَمي يا دار بَلْجاءَ أَنّني   إذا أَجْدَبَتْ أو كانَ خِصْباً جَنابُها

وتنسب أيضاً لرفاعة بن قيس ، وغيره .

أَحَبُّ بِـلادِ اللهِ مـــا بينَ مَنْعِـجٍ إليَّ وفَلْجٍ أن يَصُوبَ سَحـابُهـا[٤٢]
بِـــلادٌ بهـــا نِيطَتْ عَلَيَّ تَمائِمي وَأَوَّلُ أرضٍ مَسَّ جِلْـدي تُرابُهـا[٤٣]

وقال ذُو الرُّمَّة[٤٤] :

أَلاَ يـا ٱسْلَمي يـا دارَ ميٍّ على البِلى وَلا زَالَ مُنْهَلاًّ بِجَرْعـائِـكِ القَطْرُ[٤٥]

وقال طَرَفةُ[٤٦] ، واحْتَرَس الدَّارَ من تَعْفِيَةِ[٤٧] آثارِها بالقَطْرِ :

فَسَقى ديـارَكِ ، غَيْرَ مُفْسِـدِهـا صَـوْبُ الرَّبيـعِ وديْمَـةٌ تَهْمِي[٤٨]

[١٧/أ] وقال آخر ، مُسْتَسْقِياً للظَّاعِنينَ[٤٩] رَجاءً أن يَقْرُبَ مَحَلُّهم :

= ـ وفي الأبيات روايـات . وهي أبيـات مشهورة (انظر مثلاً الأمـالي ٨٣/١ ، ومعجم البلـدان (فلج) ، واللآلي ٢٧٢ ، واللسان ٢٩٦/٩) ، والشعر فيه لرفاع بن قيس الأسدي .

(٤٢) منعج ، موضع ذكره البكري في معجم ما استعجم ١٢٧١/٤ ، وتحليتـه في ٨٧٦/٣ في رسم ضَرِيّـة ، قـال : وأمّا منعج فإنه وادٍ خارج عن الحمى (حِمَى ضَرِيّة) ، وفي ناحية دار غَلِيّ بين أضاخ وأمرة .
ـ وحِمى ضَرِيّة من ضَرِيّة إلى المدينة المنوّرة .
ـ وفَلْج : موضع في ديار بَني مازن ـ كما رسَم البكري ـ وهو في طريق البصرة إلى الكوفة .

(٤٣) ويروى في البيت : « بلاد بها حَلَّ الشبابُ تمائمي ... » ، و « عَقَّ الشبابُ تمائمي » .
ـ وقوله : نِيطَتْ عليَّ تمائمي ، من نِيْطَ عليه الشيء : عُلّق .

(٤٤) ديوان ذي الرُّمّة ٥٥٩/١ ، والبيت في مطلع القصيدة من مشهور شعره .

(٤٥) والانهلال : شدّة الصَّب . والْجَرْعاء : مرتفعٌ من الرّمل مُسْتَوٍ .
ـ يقول : أحيّيك ـ أيتها الدار ـ بالسلامة وإن كنت بالية .

(٤٦) ديوان طرفة ٩٧ ؛ والبيت شائع فاش في كتب البلاغة .
ـ وفي الديوان : فسقى بلادك .

(٤٧) التّعفية من عَفَت الرّيح الأثر : عَفَتْه : أزالته ومحته .
ـ وفي ك : واحترس للدّار من تعفيه ...

(٤٨) في الديوان : فسقى بلادك .
ـ الصوب : الوقع ، وصوب الربيع : مطر الرَّبيع . وهمى : سال ، والديمة : المطر الدّائم في لين .

(٤٩) الظّاعنون جمع الظّاعن : مِن ظَعَن : إذا سار وارْتَحل .

سَقى الجِيْرَةَ الغَادِيْنَ وَسْمِيٌّ عارِضٍ هَزيمُ الْحَيا ، سَبْطُ الرّواقَيْنِ مُمْرِعِ[٥٠]
بِسُحْبٍ كأجفانِي وبَرْقٍ كَحُرْقَتِي ورَعْدٍ كإعوالي وغَيْثٍ كَأَدْمُعِي

وقال لبيدُ بنُ رَبيعة مُستَرْزِقاً للدّيار مَرابيعَ الأَنواء ، أَو مُخْبِراً بِذلكَ ، وعلى الوَجْهَيْنِ فُسِّرَ قَوْلُه[٥١] :

رُزِقَتْ مَرابيعَ النُّجومِ وصَابَها وَدَقُ الرَّواعِدِ جَوْدُها ورِهَامُها[٥٢]
فَعَلا فروعَ الأَيْهُقَانِ فَأَطْفَلَتْ بالْجَلْهَتَيْنِ ظِبَاؤُها ونَعامُها[٥٣]

وقال ذُو الرُّمّة أَيْضاً : يدعُو لِلْمَنْزِل باكْتِساءِ الرِّياضِ عن مُنْهَلِّ السَّحائب[٥٤] :

تَرَدَّيْتَ مِنْ أَفْوافِ نَوْرٍ كَأَنَّها زَرابِيُّ وانْهَلَّتْ عليكَ الرَّواعِدُ

---

(٥٠) العَارِض : السّحاب المعترض في الأُفق . الوسميّ : مطر الربيع الأول ؛ لأنه يَسِمُ الأرض (يترك فيها أثر المَطر) . والحيا : المطر . والهزيم من الغيث : ما لا يستمسك كأنه منهزمٌ عن سحابة . والسّبط من المطر : السَّحُّ الواسع الكثير . ويقال : ألقت السَّحابةُ على الأرض أرواقها أي ألَحّت بالمطر والوبل . وفي الحديث : « إذا ألقت السماء بأرواقها ـ أي بجميع ما فيها من الماء ـ » . والأرواق : الأثقال (يعني مياهها المثقلة للسحاب) .

(٥١) ديوان لبيد ٢٩٨ ، والسبع الطّوال ٥٢١ .

(٥٢) مرابيع النجوم : أمطار الربيع . صابها : جادها أو أصابها . الوَدَق : المطر . الجود : المطر الكثير الشديد الرهام : المطر اللّيّن (ورى في الديوان : فَرِهامُها) .

(٥٣) الأَيْهُقان : جرجير البَرّ (ينبت طبيعةً ، وله استعمالٌ في الطبّ ، ويؤكل مطبوخاً ونيئاً) ، وأطفلت : صار لها أطفال . الْجَلْهتان : جَنْبَتَا الوادي (وهو ما استقبلك من حروف الوادي وما فوقه قريباً من يمين أو شمال) .
ـ يقول : خلت الدّيار فتَناتَجتْ فيها الوَحْش .

(٥٤) ديوان ذي الرمّة ١٠٨٩/٢ .

تردّيت : يدعو للرسم : ردّاك الله من ألوان نورٍ كأنه زَرابِي : وهي البُسط . وانهلّت : من الانهلال اشدّة وقع المطر . والرواعد : سحابات فيها رعد .
ـ ورواية الديوان : من ألوانِ نورٍ كأنه .
ـ ورواية (ف) في السطر التالي : « ما يكونُ من الأمطار والأنداء .. » .

ومَذْهَبُ الْمُحْدِثِينَ في ذِكْرِ ما يَكُونُ مِنَ الأَمْطار والأَنْواء عندَ سُؤالِ السُّقْيا للدِّيارِ من اكْتِسائها بِزَخارِفِ النَّباتِ ومَوْشيِّ الرِّياض أَشْهَرُ من مَذاهِبِ الْمُتَقَدِّمين ؛ وتَصَرُّفُهم في ذلكَ أَكْثَر ، كَقَوْلِ الطّائي[(٥٥)] :

يا دارُ دارَ عَلَيْكِ إرْهامُ النَّدى واهْتَزَّ رَوْضُكِ في الثَّرى فَتَرأدا[(٥٦)]
فَكُسِيْتِ مِن خِلَعِ الْحَيَا مُسْتَأسِداً أُنُفاً يُغادِرُ وَحْشَهُ مُسْتَأسِداً[(٥٧)]

وقالَ ، وذَكَرَ الدِّيَارَ أَيْضاً[(٥٨)] :

كَساكِ مِنَ الأَنْوارِ أَصْفَرُ فاقِعٌ وأَحْمَرُ ناصِعٌ وأَبْيَضُ ساطِعُ[(٥٩)]

وقالَ أَيْضاً[(٦٠)] :

سَقى رَبْعَهُمْ لا بَلْ سَقى مُنْتَواهُمُ من الأَرْضِ أَخْلافُ السَّحابِ الحواشِكِ[(٦١)]

---

(٥٥) ديوان أبي تمام ١٠١/٢ .

(٥٦) إرهام من الرِّهْمَة : المطرة الصغيرة القَطْر والجمع رِهَم ورهام . وترأدّ الغصنُ : تمايل .

(٥٧) نَبْتٌ مستأسد : إذا طال واتّصل . وقوله : يغادرُ وحَشَهُ مستأسداً : المعنى أنّه قوّى الوحشَ الراعية فصارت مثل الأسد ، وكنى بِخَلَعِ الْحَيا عن النَّبات واخضرار الزرع عامَّة .
ـ وضبط الوحش في ديوانه بالضم (وحْشُهُ) ، وأظنه الصواب في النصب وحده .

(٥٨) ديوان أبي تمام ٥٨١/٤ .

(٥٩) فاقع من صفات الأصفر ؛ نقل التبريزي : والاشتقاق لا يمنع أن يوصف الأبيضُ بالفاقع إلا أنهم لم يستعملوه .

(٦٠) ديوان أبي تمام ٤٥٧/٢ .

(٦١) الْمُنْتَوى : الموضع الذي ينتوون إليه (ينوونه ويرحلون إليه) . أخلاف جمع خِلف ، والخِلْفُ من كل شيءٍ ما كان في أثره وجاء بعده . والخُلوف جمع خِلف : ضرع الناقة . وقال في الديوان (شرح التّبريزي) : استعار الأخلاف للسَّحاب . والحواشك : الكثيرة الماء ، وأصله في الضرع : يقال حشَك الخِلف والضرع : امتلأ باللَّبن .
ـ وفي الديوان : سقت ربعهم لا بل سقت ...

وأَلْبَسَـــهُ وَشْيَ الرَّبِيــعِ وعَصْبَـــهُ ويُمْنَتَــهُ نَبْتُ الثّرى الْمُتَـلاحِـكِ[٦٢]

[١٧/ب] .

وقال البُحْتُرِيّ[٦٣] :

سَقى الغَيْثُ أَكْنَـافَ الحِمى من مَحَلَّـةٍ إلى الحِقْفِ مِنْ رَمْـلِ اللِّـوى الْمُتَقَـاوِدِ[٦٤]
ولا زالَ مُخْضَرٌّ من الرَّوْضِ يــانِــعٌ عَلَيْـهِ بِمُحْمَرٍّ مِنَ النَّـوْرِ جَـاسِـدِ[٦٥]
شَقَـائِـق يَحْمِلْنَ النَّـدى فَكَـأَنَّـهُ دُمـوعُ التَّصابِي في خُـدُودِ الْخَرَائِـدِ[٦٦]

ومَعْنى هذا التَّشبيهِ من قَول أَبي تمّام[٦٧] :

مِنْ كُـلِّ زَاهِرَةٍ تَرَقْرَقُ بِـالنَّـدى فَكَـأَنَّهـا عَيْنُ الْمُحِبِّ تَحَـدَّرُ[٦٨]

وقال ابنُ الرُّوميّ[٦٩] :

لا يَحْرِمُ اللهُ الطُّلُـولَ الــدُّرَّسَـــا

---

(٦٢) العصب : ضربٌ من البُرود اليَمانيـة (يُجمع ويُشَدُّ ثمَّ يُصبغ ويُنسج فيأتي مَوْشيّاً لبقاء ما عُصِبَ أبيض) . واليُمنة : من بُرود اليمن . والمتلاحك : الذي يَتَّصِل بعضُه ببعض .
ـ وفي الديوان :
وأَلبسهم عصب الرّبيــع ووشيــــه ويُمنتـه نبت النَّـدى المُتَـلاحـك

(٦٣) ديوان البحتري ٦٢٣/١٠ .

(٦٤) الحِقف من الرمل : النَّقا يعوجُ ويَدِقُّ . واللوى من الرَّمل أو مُسترقّه . المتقاود من تقاود المكان : استوى .

(٦٥) الْجَسَدُ والجسادُ : الصّبغ الأحمر .

(٦٦) هذا البيت من : ف فقط ولم يرد في : ك .
ـ شقائق النُّعمان : النبات المعروف . والخرائد جمع خريدة : الفتاة البكر .

(٦٧) ديوان أبي تمام ١٩٥/٢ .

(٦٨) أي من كل (شجرة) زاهرة تضطرب بين أوراق نَوْرِها قطرات الطَّلّ فكأنها عينٌ تدْمَع .

(٦٩) ديوان ابن الرّومي ١٢٠٢/٣ .

سُقْيـــا يُحَلِّيهنَّ نَــوْراً مُلْبَســـا[70]
أَقــاحِيـــاً وحَنْــوَةً ونَرْجِسَـــا[71]
يَكادُ رَيّـــــاه إذا تَنَفَّسَـــــا[72]
يُنْشِئُ في تِلْـــكَ الْمَــواتِ أَنْفُســـا[73]

وقد استَعْمَلُوا من الاستعارةِ والتَّشْبيهِ ، وضَرْبِ الْمَثَل بالرِّياضِ والنَّباتِ في أحْوالٍ صَرَفُوا إلَيْها أعِنَّة القَوْلِ ، وسَلَكُوا فيها مَذْهَبَ البَديع من هذا البَـاب عَلى عـادَةِ تَوسُّعِهم في طُرقِ الْمَعاني ، وتَصَرُّفهم في قَصْدِ الأَغْراض ، ما يَخْرُج بنـا ذِكْرُهُ عن قَصْـدِ السَّبيل ؛ كنحو ما ذَهَبُوا إليهِ من وَصْفِ الشَّبيبةِ ونَضارَتِها وحُسْنِ أَيّـامِ الصّبـا وغَضَـارَتِهَـا ، فَمِنْ ذلِكَ ما جاءَ من تَشْبِيهِ النِّساء في حُسْنِهنَّ وغَضـاضَـةِ شَبـابِهنّ ، كقولِ الأول[74] ، وذكر امرأةً

فمــا رَوضَـــةٌ من ريـــاضِ القَطـــا	كأنَّ المصـــابيــحَ حَــوْذَانُهَـــا[75]
بــأَحْسَنَ مِنهـــا ، ولا مُـزنَـــةٌ	سَفُــوح تكشَّف إدجـــانُهَـــا[76]

(٧٠) في الأصل المخطوط (ف) : سَقيا يُحلّيهنّ . وفي ك : سُقْيـاً (بضم السين وبفتحهـا) وفوق السّين كلمـة (معاً) .
- ورواية الديوان : سَقياً تردّيهنّ .

(٧١) في الديوان : أقاحياً أو حنوةً أو نرجساً .
- الأقاح جمع الأقحوان وهو نبت طيب الرائحة . والحنوة : نبت سهليّ طيب الرائحة .

(٧٢) في الديوان : تكاد رَيّاهُ .
- والرّيا من كل شيء : طيب رائحته .

(٧٣) في الدّيوان : تُنشئ .

(٧٤) في ف : « كقول الأعشى » والْمُثْبَتَ من ك . والبيتان لقيس بن الخطيم (ديوانه ٢٥) .
- ويقال : غضّت المرأة غضاضة وغُضوضةً : رقّ جلدها وظهر دَمُها ، وكانت طرية نضرة .

(٧٥) في معجم ما استعجم ١٨٠١/٣ : روضُ القَطا ، على لفظ جمع قَطـاة : موضع . والْحَوْذان جمع الْحَوذانـة بقلـةٌ من بقول الرّياض ، قال الأزهري : رأيتها في رياض الصّمّان وقِيعانها ، ولها نَوْرٌ أصفر رائحته طيِّبة .

(٧٦) أدْجَنَ المطر : دام ولم يَقلع أيّاماً . ورواية ديوان قيس : دَلوحٌ تكشَّفُ أدجانُها ...

وقال الأعشى في مثل ذلك[٧٧] :

مَا رَوْضَةٌ مِن رِياضِ الْحَزْنِ مُعْشِبَـةٌ   خَضراءُ جادَ عَليها وَابِلٌ هَطِـلُ[٧٨]
يَوْماً بِـأطْيَبَ مِنْهـا نَشْرَ رَائِحَـةٍ   وَلا بِـأَحْسَنَ مِنها إِذْ دَنا الأُصُلُ[٧٩]

وقال الآخر :

كأنَّهـــا رَوْضَـــةٌ مُنَـــوَّرَةٌ   تَجْمَـعُ طِيْبـاً ومَنْظَراً حَسَنـا[٨٠]

وقال الطّائي[٨١] :

غَيْـدَاءُ جَـادَ وليُّ الْحُسنِ سُنَّتَهـا   فَصاغَها بِيَدَيْـهِ رَوْضَـةً أُنُفـا[٨٢]

وقال النَّهْدِيّ[٨٣] :

جَـديـدةُ سِرْبـالِ الشَّبـابِ كأنَّهـا   سَقيَّـةُ بَرْدِيٍّ نَمَتْهـا غُيُـولُهـا[٨٤]

---

(٧٧) ديوان الأعشى ٥٧ . وفي ف : وقال أيضاً .

(٧٨) الْحَزْن : الْمُرتفع من الأرض .
- وروى في الديوان : جاد عليها مسبلٌ هَطِلُ .

(٧٩) النّشر : تضوّع الرائحة وانتشارها . والأُصل جمع الأصيل : وقت الغروب .

(٨٠) نَوّر الشجر خرج نَوْرُه .

(٨١) ديوان أبي تمام ٣٦١/٢ .

(٨٢) الأغيد من النبات : الناعم المتثنّي ؛ ومن الناس الموصوف بالنُّعومة . و : غَيِدَ أي تمايل وتثنّى في لين ونعومة .
- استعار الشاعر وليّ الحسن من المطر الوَلِيّ - الذي يكون بعد الوسميّ -. وسنَّتها : صورتها . ووليّ الحسن أي عميم الحسن . قال في الشرح : لأنَّ من شأن النبت أن يكثر إذا أصابه الوليّ بعد الوسميّ ، فَدَلَّ بقوله : (وليّ الحسن) على أن الجمال في هذه المذكورة عميم .

(٨٣) هو عبد الله بن العجلان النهدي من قضاعة . شاعر جاهلي من المتيّمين ، ومن سادة قومه . طلق زوجته (هند) بعد زواجه منها سنين دون أن تنجب فتزوجت غيره فمات أسفاً .
(له أخبار في الأغاني وكتب العشّاق) .

(٨٤) البيت من قطعة حماسية (المرزوقي ١٢٥٩/٣) ، والتّبريزي ١٣٠/٣) . =

واعتمد الهُذَلِيّ الْمُبالغةَ في الْمَعْنى بالتَّتْبيع ، فأدْرَكَ شأوَ الإحْسَان بقوله[٨٥] :

تَكادُ يَـدي تَنْـدى إذا مـا لَمَسْتُهـا وَتَنْبُتُ في أَطرافِهـا الـوَرَقُ الْخُضْرُ

وقال العَبَّاسُ بن الأَحْنَف[٨٦] :

وَقَدْ مُلِئَتْ مَـاءَ الشَّبـابِ كَـأَنَّهـا قَضِيبٌ مِنَ الرَّيْحـانِ رَيَّـانُ أَخْضَرُ

وقال الآخر[٨٧] ، وكَنّى عن ذكرهنّ بأَحْلى عِبَارة ، وأَعْذَب استِعارة :

أُحِبُّ اللَّـواتي هُنَّ مِنْ وَرَقِ الصِّبـا وَفيهِنَّ عَنْ أَزواجِهِنَّ طِماحُ[٨٨]

وقال الآخَرُ في التَّأسُّف على عَصْرِ الشَّبابِ والتَّعَلُّلِ بـالـدُّعـاء لـهُ ، ووَصْفِ نَضـارَةِ أيَّامه :

فـلا يُبعـدِ اللهُ عَصْرَ الشَّبـابِ فَـأَيَّامُـهُ كالرِّيـاضِ الأُنُفْ[٨٩]

= ـ والبرديّ : غـدير لبني كـلاب . والغُيـول جمع غَيْـل : المـاء الجـاري على وجـه الأرض (معجم ما استعجم ٢٤٠/١) .

(٨٥) هو أبو صخر الهُذَليّ (ديوان الهذليّين بشرح السكري ٩٥٧) .
ـ ويُنسب البيت للمجنون ، (ديوان مجنون ليلى ١٣٠) .
ـ وفي ك : وينبت في أعطافها .

(٨٦) ديوان العباس بن الأحنف : ١٤٦ ؛ وفيه : وقد مُلّيت لين الشباب .
ـ وفي ك : وقال الأحنف والعبّاس .

(٨٧) البيت من قطعة في أمالي الْمُرتضى ٤١/١ دون عزو . وعزاها في مصارع العشاق إلى بعض الأعراب .

(٨٨) روي في الشطر الأول : أُحبّ اللواتي في صباهنّ غِرّةٌ .
وبعد هذا البيت :
مُسِرّاتُ حُبٍّ مُظهراتُ عَـداوةٍ تَراهُنّ كالْمَرْضى وهنّ صحـاحُ !

(٨٩) الروضة الأُنف : التي لم تُرْعَ من قَبل ؛ والأُنُف من كلّ شيء : الجديد ، يوصف به المذكر والمؤنث .

وأخذ محمود بن الحسن الورّاق[٩٠] هذا التشبيه ، وأطلق عنان الاستعارة فيما يليه ، فقال[٩١] :

سَقْيـــاً لأَيّــــامٍ مَضَتْ وَكَأَنَّ أَوْجُهَهـــا الرِّيـــاضُ[٩٢]
أَيّـــامَ يَجْنُبُنَـــا الهَـــوى وَتَقـودُنـــا الْحَـــدَقُ المِراضُ[٩٣]
جَـــادَ السَّـــوادُ بِنَفْسِـــهِ وَنَشا بِعـارِضِـكَ البَيـاضُ[٩٤]
فَمَتى أَطَفْتُ بِلــــــذَّةٍ فَلِعَـــارِضي فيهـــا اعْتِراضُ !

وقال أَبو العَتاهية يذكر ما نضاه من ملابس شبابه ، وأحسن في تشبيه الحالين وجوداً وعدماً[٩٥] :

عَرِيتُ مِنَ الشَّبـابِ وَكُنْتُ غَضّـاً كَما يَعْرى مِنَ الـــوَرَقِ القَضِيْبُ

وكأنّما اجتنى ثمرة هذا البيت من قول الجعدي[٩٦] :

وَمـــا البَغْيُ إلاّ عَلى أَهْلِـــهِ وَمـــا النَّـــاسُ إلاّ كَهـــذا الشَّجَرْ

---

(٩٠) محمود الورّاق شاعر عَبّاسي أكثر شعره في الزُّهد والمواعظ والحكم (جمع شعره الباقي في مجلة المورد ٢٣٣/٢/٣) ، وأخبرني الدكتور وليد قصّاب أنه أعاد جمع ديوانه ، وهو يطبعه في الرّياض .

(٩١) الشعر في مجموع شعره : ١٤٠ طبع مؤسّسة الفنون ـ عجمان ـ د . وليد قصاب .
ـ وفي الأُصول شيء من الاختلاف في الرّواية .

(٩٢) يُقال : سَقْياً ورَعْياً .
ـ والقافية مُطْلقة في : ك ؛ ولم يضبط ناسخ (ف) القوافي هنا .

(٩٣) جنبه : قاده إلى جنبه ؛ يعني أيّام كان يجاري الهوى ويجاريه . والْحَدَق جمع الْحَدَقة : السَّوادُ المستديرُ وسط العين ؛ وتُطلق مَجازاً على العين . والمراض جمع مريض (ومريضة) وتوصف العين بذلك دلالة على الفُتور وهو مستحسنٌ عندهم في العين . ويقال أعينٌ مِرَاضٌ ومَرْضى .

(٩٤) العارض : صفحة الخدّ ؛ والشيب يبدأ ـ في المعتاد ـ من ها هنا : طرف الشعر الذي عند الأُذنين .

(٩٥) ديوان أبي العتاهية ٣٢ .
ـ وفي الديوان : عريت من الشباب وكان غَضّاً ...

(٩٦) ديوان النابغة الجعدي ٢١٩ .

تَرَى الغُصْنَ في عُنْفُوانِ الشَّبا ... ب يَهْتَزُّ ذا بَهَجاتٍ خَضِرْ
[١٨/ب] زَمَاناً مِنَ الدَّهْرِ ثُمَّ الْتَوى ... فَعادَ إلى صُفْرَةٍ فانْكَسَرْ

وقال أبو تمّام[٩٧] :

أَصْبَحَتْ رَوْضَةُ الشَّبابِ هَشيما ... وَغَدَتْ ريحُهُ البَليلُ عَقِيما[٩٨]
شُعْلَةٌ في الْمَفارِقِ اسْتَوْدَعَتْني ... في صَميمِ الفُؤادِ ثُكْلاً صَميما[٩٩]

وإنَّما ذكَرْنا هذا الفَصْلَ دُونَ غَيْرِهِ من البَابِ الْمُشارِ إليه ؛ لأنَّهُ يَرْجِعُ في الْمَعْنى إلى الأَصْلِ الْمَذْكُورِ في تَأْويلِ الآيَة ، إذْ كانَ الشَّبابُ يَؤُولُ إلَى الهَرَم ، وصِحَّتُه تُفْضِي إلى السَّقَم ، وَوِجْدَانُه إلى العَدَم ؛ كما قال الأَوَّل[١٠٠] :

كانَتْ قَناتي لا تَلِينُ لِغَامِزٍ ... فَأَلانَها الإصْبَاحُ وَالإمْسَاءُ[١٠١]
وَدَعَوْتُ رَبِّي بالسَّلامَةِ جَاهِداً ... لِيُصِحَّني فَإذا السَّلامَةُ دَاءُ !

وهو مِنْ قَوْلِ حُمَيد بن ثور ـ أو قولُ حُمَيدٍ منهُ[١٠٢] ـ :

أَرى بَصَرِي قَدْ رَابَني بَعْدَ صِحَّةٍ ... وَحَسْبُكَ دَاءً أَنْ تَصِحَّ وَتَسْلَما[١٠٣]

(٩٧) ديوان أبي تَمّام ٢٢٣/٣ .
(٩٨) في الديوان : ... ريحه البليل سَمُوما .
ـ وفي ك : واغتدت .
(٩٩) قال في شرح الديوان : الشعلة تحتمل وجهين : أحدهما شعلة النار ، والآخر شعلة الفرس : يقال فرسٌ أَشْعَل إذا كان في ذنبه بياض .
(١٠٠) الشعر في ديوان النَّمر بن تولب ١٢٩ في القسم الذي نُسِبَ له ولغيره ؛ وانظر عيون الأخبار ٣٢٢/٢ .
(١٠١) يقال غَمزَ التِّينَ (وغيره من الثَّمرات) جَسّه ليعرفَ أناضِجٌ هو أم فِجٌ ؛ ومنه : غَمَزَ الْمُثَقِّفُ القَناةَ : إذا عَضَّها وعَصَرها . وقول الشاعر : كانت قناتي لاتلينُ : أي كان شابّاً قويّاً كالقناة الصُّلبة التي تستعصي على المثقّف ؛ ثم ألانه الزّمان وغيّر قوّته إلى ضعف .
(١٠٢) ديوان حميد بن ثور الهلالي ٧ .
(١٠٣) يقال : رابَني هذا الأمر وأرابني إذا رأيت منه ماتكره . وفي الديوان عند هذا البيت : يريدُ أنَّ الصّحّةَ والسَّلامة تؤدّي إلى الهَرم .

وقال النَّمِرُ بْنُ تَوْلَب[١٠٤] :

يَـوَدُّ الفَتَى طُـولَ السَّـلامَـةِ جَـاهِـداً فَكَيْفَ تَرى طُوْلَ السَّلامَةِ يَفْعَلُ[١٠٥]

وقيل لِبَعْضِ العَربِ[١٠٦] : ماتَ فُلانٌ أَصَحَّ ما كانَ ؛ فقـالَ : أَو صَحِيْحٌ مَنِ الْمَوْتُ في عُنُقِه ؟

وما أَحْسَن قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ[١٠٧] : « كَفى بالسَّلامَةِ دَاءً » .

وفي بَعْضِ مَواعِظ العرب : مَن أَقامَ شَخَص[١٠٨] ، ومَنْ زادَ نَقَص ، ولو كانَ يُمِيْتُ النَّاسَ داءٌ لأَعاشَهُمُ الدَّواء !

وقِيْلَ لِلْمُوبذ[١٠٩] : مَتى أَتاكَ نَعْيُ ابْنِكَ ؟ قالَ : يَوْمَ وُلِد !

وأَنْشَدَنِي أَبي عن أَبيه :

تَصَرَّفْتُ أَطْـوَاراً لَـدى كُـلِّ عِبْرَةٍ وَكانَ الصِّبا مِنِّي جَديداً فَأَخْلَقا[١١٠]

---

(١٠٤) ديوان النّمر بن تولب ٨٧ .

(١٠٥) في الديوان : طول السّلامة والغِنى ؛ والرواية هي ما رواه المؤلف . ينظر رغبة الآمل ٢١/٣ .
ـ وفي ك : يرى .

(١٠٦) الخبر في عيون الأخبار ٣٠٦/٢ .

(١٠٧) ورد في الجامع الصَّغير للسُّيُوطي ٢٢٧/٢ نقلاً عن الدّيلمي في مُسند الفردوس ، وقال إنه ضعيف . واشتهر فأوردته كتب الأدب : المصون ١٤٦ ، والصّناعتين ٤٤ ، والكامل ٢٨٤ ، ونثر الدّر ١٩٥/١ .

(١٠٨) أصل معنى شخَص : ارتفع . ويقال شخص فلان من بلد إلى بلد : ذهب أو سار في ارتفاع . يريد : شخص بعد إقامة .

(١٠٩) الموبذ : فقيهُ الفُرس وحاكمُ الْمَجُوس كقاضي القُضَاةِ لِلْمُسلمين .
ـ ورد في كتب الأدب والثقافة العامة لقب الموبذ ، وفيها نقولٌ عن أكثر من واحدٍ منهم تلقَّب بهذا اللقب .
(يُنظر مثلاً : عُيون الأخبار ١٢٩/٢ و ٤٧/١ ؛ وبهجة المجالس ٢٠٢/٢ ، والنهاية في غريب الحديث ٣٦٩/٤ . وفي العيون ١٥٣/٢ الموبذ في العصر الإسلامي) .

(١١٠) أَخْلَق : أَصْبَح خَلَقاً ؛ والْخَلَقُ : البالي من الثياب والجلد وغيرها ؛ يريد : تبدَّلت أحوالُه .

وَمـــا زَادَ شَيءٌ قَـــطُّ إلاَّ لِنَقْصِـــهِ   وَمـا ٱجْتَمَـعَ الإِلْفـــانِ إلاَّ تَفرَّقـــا

وكان الْحَسنُ[١١١] ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ كَثيراً ما يتَمثَّلُ بهذا البَيْتِ :

يَسُرُّ الفَتى مـــا كانَ قَـــدَّم مِنْ تُقًى   إذا عرفَ الـدّاءَ الَّـذِي هُو قَـاتِلُـهْ

وقالَ أَبُو النَّجْمِ[١١٢] :

كُلُّنـــا يـــأْمُـلُ مَـدّاً في الأَجَـلْ   وَالْمَنـــايـــا هِيَ آفـــاتُ الأَمَـلْ

وقال الآخر[١١٣] :

إنَّ الفَتى يُصْبِـحُ ـ لِـلأَسْقـــام ـ
كَـــالغَرَضِ الْمَنْصُـوبِ لِلسِّهـــام
أَخْطَـــأَ رامٍ وَأَصـــابَ رَام

وقوله تعالى[١١٤] : ﴿ وَظَنَّ أَهْلُهَـا أَنَّهُمْ قَـادِرُونَ عَلَيْهَـا ﴾ [يونس : ٢٤/١٠] ، أي : قادِرُونَ على استِصْحَابِ تلـكَ الحـالِ ، فَجُعِلُوا على غَيْرِ شَيءٍ مِنْهـا عنـدَ ذَهـابِ زِيْنَتِها واستِحْصَادِ نَبَاتِها .

ومن نَظـائِرِ هـذِهِ الآيَـةِ قَوْلُـه جَـلَّ اسْمُـه في سُورَةٍ أُخرى ، ﴿ وَٱضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِـهِ نَبَـاتُ الأَرْضِ فَـأَصْبَحَ هَشِيماً تَـذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيءٍ مُقْتَدِراً ﴾ [الكهف : ٤٥/١٨] ، الْهَشِيْمُ : النَّبَـاتُ الْجَـافُّ

(١١١) هو الحسن البصري أحد التابعين : من ساداتهم وكُبَرائهم ، توفي بالبصرة سنة ١١٠ هـ . ومن كلامه : ما رأيتُ يقيناً لا شكَّ فيه أشبه بشكٍّ لا يقين فيه إلا الموت !

(١١٢) هو أبو النجم العجلي : راجز مشهور ؛ والرجز في ديوانه (شعره المجموع) ١٤٧ .

(١١٣) الرجز لأبي النجم العجلي في مجموع شعره ٢١٨ (عن الحيوان) وفيه : أخطأهُ رامٍ ...
ـ والغَرَضُ : الْهَدَفُ الَّذي يُرْمى فيه الشَّيءُ الْمَقْصُود .
وقوله : للأسقام ، أي : منها أو بسببها .

(١١٤) المؤلف بدأ بهذه الآية من هذه السورة في عرض التَّشبيه الذي فيها (انظر صَدْرَ كلامه فيما سَبَق) .

الذي تَسْفِيْهِ الرِّياح[١١٥] ؛ فأَعْلَمَ الله تَعالى أَنَّ الحياة الدُّنيا زائِلَةٌ ، ودَلِيلُ ذلكَ أَنَّ الَّذي مَضى منها بمنزلةِ ما لَمْ يَكُنْ !

وقال النَّبيُّ ﷺ[١١٦] : « الدُّنْيا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ ، فَمَنْ أَخَذها بحَقِّها بُورِكَ لَهُ فِيْها » . يعني : غَضَّة حَسَنة ، وأَصْلُه من خُضْرَةِ النَّباتِ ؛ وسُمِّيَ الْخَضِر[١١٧] لأَنَّه[١١٨] كانَ إذا جلس اخضرَّ ما حوله ، ومنه قيل للرَّجل إذا مات شابّاً : قد اخْتُضِر[١١٩] .

وحُكِيَ أنَّ شَيخاً منَ العَرب كانَ قد أُولِعَ به شابٌّ إذا رآه قال : أَجْزَزْتَ يا أَبا فُلان ! فيقولُ الشَّيخ : وَتُخْتَضَرون ! وشَبِيهٌ بهذه الحكاية أنَّ شيخاً قال له شابٌّ ، ورآه يَرْسُف في مَشْيه : يا عَمّ ، مَن أَلْبَسَكَ هذا القَيْد ؟ قال : الدَّهْر ، وهو في عَمَلِ قيدٍ لكَ إن تَراخى بكَ[١٢٠] !

وأَنشدني بعض أصحابنا لأبي الطّمحان[١٢١] :

---

(١١٥) سَفَتِ الرِّيح التُّرابَ ونحوه سَفْياً : ذَرَتْهُ أو حَمَلَتْهُ ؛ فالرِّيحُ سافيةٌ .

(١١٦) أخرج البُخاري من حديث حكيم بن حزام قال : « سألت النَّبيَّ ﷺ فأعطاني ، ثم سألتُه فأعْطاني ، ثمّ سألتُه فأعطاني ثمَّ قال : إنَّ هذا المالَ خَضِرَةٌ حُلوةٌ ، فَمَن أخذه بطيب نفسٍ بُورك له فيه ، ومَنْ أَخذه بإشراف نفس لم يُبارَك له فيه . وكان كالذي يأكُل ولا يَشْبَع ، واليدُ العُلْيا خيرٌ من اليدِ السُّفلى » : (ينظر فتح الباري ٢١٦/١١) .

(١١٧) الْخَضِرُ : العبدُ الصّالح الذي أورد القرآن الكريم خبره في قصة موسى عليه السّلام . وفي تاج العروس (خ ض ر) كلام موسَّع فيه .

(١١٨) في نسخة : ف : أنّه ؛ والمثبت من : ك .

(١١٩) في نسخة ف : احتضر (بالحاء) من سهو النّاسخ .

(١٢٠) ينظر الخبر بمعناه في بهجة المجالس ٢٣٠/٢ .
من أجزَّ النَّخلُ : حانَ أنْ يُقْطَعَ ثمرُه . واخْتَضره : قطعه أَخْضَر ! ورسفَ في قيده : مَشى فيه رُوَيداً .

(١٢١) هو أبو الطَّمَحان القَيْني (واسمُه حنظلة بن الشَّرقي) أحد بني القَيْن بن جسر من قُضاعة : شاعر فارس صعلوك ، مخضرم . قالَ الدكتور يحيى الجبوري (قصائد جاهلية نادرة ٢٠٩) أدرك أبو الطمحان الإسلامَ ولم يرَ الرسول ﷺ ، وبقي أعرابياً جافياً رقيق الدِّين .

حَنَتْني حَـانِيـاتُ الـدَّهْرِ حتّى ... كَـأَنّي خَـابِـلٌ أدْنُـو لِصَيْـدِ[122]
قَريبُ الْخَطْـوِ يَحْسَبُ مَنْ رآني ... ـوَلَسْتُ مُقَيَّـداً ـ أَنّي بِقَيْـدِ[123]

وقال لَبِيْدُ بنُ رَبيعة[124] :

أَلَيْسَ وَرائي إنْ تَراخَتْ مَنِيَّتي ... لُزُومُ العَصَا تُحْنَى عَلَيْها الأَصابِعُ
أُخَبِّرُ أَخْبَـارَ القُرونِ الّتي مَضَتْ ... أَدِبُّ كَـأَنّي كُلّما قُمْتُ راكِـعُ[125]

وقال جَرير[126] :

أَرى مَرَّ السِّنينَ أَخَـذْنَ مِنّي ... كَما أَخَـذَ السِّرارُ مِنَ الهِـلالِ

---

(١٢٢) البيتان في بقية شِعر أبي الطَّمَحان (في قصائد جاهليّة نادرة ٢١٩) وهما أيضاً في عيون الأخبار ٣٢٣/٢ ، ومحاضرات الراغب ٣٢٩/٢ .
ـ وفي نسخة ف : كأني حافِلٌ (بالفاء) ولم أر لها وجهاً . وأثبتُ ما في : ك . وروي في المصادر على الوجهين : كأنّي خاتِلٌ و : كأني حابِلٌ .
ـ وختَل الصَّيد : تخفّى له فهو خاتل . وحبَل الصَّيد : نصبَ له الحِبَالةَ وصادَه بها . والحِبَالَةُ والأُحبول والأُحبولة : المصيدة .

(١٢٣) في : ك ، وتحت كلمة (وأنّي) : وأَمْشِي . فكأنّها رواية أُخرى للبيت ؛ وهي بخطِّ الناسخ نفسه بخطٍّ دقيق .

(١٢٤) ديوان لبيد ١٧٠ ـ ١٧١ .

(١٢٥) تراخت منيَّته : مُدَّ لهُ في الأَجل . وقوله : أَدِبُّ أي يمشي مشياً رُوَيْداً . وفي المثل : أَعْيَيْتني من شبٍّ إلى دبٍّ . أي منذ شببت إلى أن دببت على العَصا .

(١٢٦) ديوان جرير (دار المعارف ٥٤٦/٢) ، وفيه : رأَتْ مَرَّ السِّنين .
ـ والبيت من قصيدة طويلة في هجاء الفرزدق ، وهو الثامن فيها ، وقبله :

دَعِيني إنَّ شَيْبي قـد نَهـاني ... وتجربتي وحِلمي واكْتِهـالي
رأت مرَّ السِّنين ... ...

قال ابن حبيب : أراد : رأت السِّنين . والسِّرار : ليلتان تبقيان من الشهر . إذا كان تامّاً كان سراره ليلتين ، وإذا كان ناقصاً كان سراره ليلة .

وقالَ بَعْضُ الأَعْرابِ[١٢٧] :

قَصَرَ الْحَـوادِثُ خَطْـوَهُ فَتَـدَانى | وَحَنيْنَ صَـدْرِ قَنـاتِـهِ فَتَحـانى
صَحِبَ الزَّمـانَ عَلى ٱخْتِلافِ فُنُونِـهِ | فَـأَراهُ مِنْـهُ شِـدَّةً وَلَيـانـا[١٢٨]
مَـا بَـالُ شَيْخٍ قَـدْ تَخَـدَّدَ لَحْمُـهُ | أَنْضَى ثَـلاثَ عَمائِمٍ أَلْـوانـا[١٢٩]
سَوْداءَ دَاجِيـةً ، وسَحْـقَ مُفَـوَّفٍ ، | وَأَجَـدَّ أُخْرى بَعْـدَ ذاكَ هِجـانا[١٣٠]
ثُمَّ الْمَماتُ وراءَ ذلِـكَ كُلِّـه | وكَـأَنَّما يُعْنى بِـذاكَ سِـوانـا

وقـال أبو عبيـدة[١٣١] : رأى إيـاسُ بنُ قتـادةَ شعرةً بيضـاء في لحيتـهِ فقـال : أرى الموتَ* يَطْلُبُني وأَراني لا أَفوتُهُ ؛ وأَعُوذ باللهِ من فَجْأَةِ[١٣٢] الأُمور* . يا بَنِي سَعْد ! قـد وَهبْتُ لَكُمْ شَبابي فَهَبُوا لِي شَيْبِي [٢٠/أ] ولَزِمَ بَيْتَه .

وقال قَيْسُ بنُ عاصِمٍ[١٣٣] : الشَّيْبُ خِطامُ[١٣٤] الْمَنِيَّة .

ولِبَعْضِهِم :

---

(١٢٧) الشعر في عيون الأخبار ٢٣٥/٢ ، وديوان المعاني ١٥٩/٢ باختلاف في التَّرتيب والرِّواية .
(١٢٨) يقال : لان ليناً وليانا : إذا سهل وانقاد .
(١٢٩) خدّد لحم الفرس : هُزِل . وخدّد الفرس : ضمَّره وهَزَله . وأنضى الثوب : أبلاه .
(١٣٠) السَّحْق : الْخَلَقُ البالي . والهِجَانُ من الأشياء : أجْوَدُها وأكرمها أصْلاً .
ـ وفي ك : مجاناً .
(١٣١) الخبر في : عيون الأخبار ٣٢٤/٢ ، وبهجة المجالس ٢١١/٢ .
وأورد المؤلف الخبر بحروفه تقريباً .
وما بين نجمتين ليس في ك .
(١٣٢) في عيون الأخبار : من فُجاءات الأمور .
(١٣٣) الخبر في عُيون الأخبار ٣٢٤/٢ .
ـ وصـاحبـه : قيس بن عـاصم بن سنـان المِنقري ، السَّعـدي التَّميمي ، أحـد أُمراء العرب وعقـلائهم ، والموصوفين بالحِلم والشَّجاعة فيهم ، من الشُّعراء . له صُحبة ، وروى أَحاديث (الأَعلام ٢٠٦/٥) .
(١٣٤) الخِطام هو : الزِّمامُ ، وما وُضِعَ على خَطم الجمل لِيُقاد به . والعبارة في البصائر والذَّخائر ٣٥٧/١ .

ذهبَ الشَّبـابُ ومَيْعَـةٌ كانَتْ لـه ... إلا بَقـايـا لُبْسَـةِ الْمُتَجَمِّـلِ[١٣٥]
وبقيتُ أَرْتَقِبُ الحِمامَ كَراكِبٍ ... عَرفَ الْمَحلّ فباتَ دونَ الْمَنْزِلِ[١٣٦] !

ومن أبياتِ المعاني لرجلٍ من طَيِّئ :

سَرَيْنـا وأَدْلَجنـا فكانت رِكَـابُنـا ... يَسِرْنَ بِنَـا في غيرِ بَرٍّ ولا بَحْرِ[١٣٧]
ومـا هي إلاّ لَيْلَـةٌ ثُمَّ يَـوْمُهـا ... وحَـوْلٌ إلى حَـولٍ وشهرٌ إلى شَهرِ
مَطـايـا يُقَرِّبْنَ البعيـدَ وإنْ نَـأَى ... ويَنْقُلْنَ أشـلاءَ الكريمِ إلى القَبْرِ
ويُنكِحْنَ أَزْواجَ الغَيُـورِ عَـدُوَّهُ ... ويَقْسِمْنَ مـا يَحْوِي البَخيلُ من الوَفْرِ !

وأَنْشَـدَنِي بَعْضُ الأَشْرافِ لعبـدِ الله بن الْمُعْتَزّ[١٣٨] ، وأنشـدنيـه محمـد بن علي العُشَاري[١٣٩] أَيْضاً :

نَسِيرُ إلى الآجـالِ في كُـلِّ سـاعَـةٍ ... وأَيَّـامُنـا تُطْـوى وهُنَّ رَواحِـلُ[١٤٠]
ولم أَرَ مِثْـلَ الْمَـوْتِ حَقّـاً كأَنَّـهُ ... إذا مـا تَخَطَّتْـهُ الأَمـانِيُّ بَـاطِـلُ[١٤١]

---

(١٣٥) ميعةُ الشيء : أوّله .

(١٣٦) دون هنا بمعنى قرب . أي بات قريباً من منزل النُّزول .

(١٣٧) ـ سرى الليل ، وبالليل : قطعه سيراً .
وأَدْلَجَ القومُ : ساروا في آخر الليل ، أو ساروا الليل كلّه .

(١٣٨) الشعر في ديوان ابن المعتز ٤١٣/٢ من قصيدة في خمسة عشر بيتاً ؛ وقبله :
ألم تَرَ أنَّ الـدهرَ يلعبُ بـالفتى ... ويـأكلُ منـهُ وهـو من بعـد آكِـلُ ؟
يسيرُ إلى الآجـال في كلِّ سـاعـةٍ ... وأيّـامُنـا تطـوى وهنَّ مراحِـلُ
ولم أرَ ... ...

(١٣٩) هو أبو طالب بن علي بن الفتح الحربيّ العشاريّ (٣٦٦ ـ ٤٥١) . والعُشاري لقب ؛ نقل الخطيب البغدادي عن أبي طالب أن جَدّه كان طُوالاً فلُقّب بالعُشَاري . قال الذَّهبي في السِّير (٤٨/١٨) كان أبو طالب فقيهاً عالماً زاهداً خيِّراً مُكثِراً .
(وفي حاشية سير أعلام النبلاء مصادر ترجمته) .

(١٤٠) رواحل جمع راحلة . ومراحل ـ على هذه الرواية ـ جمع مَرْحلة . والمعنيان : قريبٌ أحدهما من الآخر .

(١٤١) في النسخة (ف) حقّاً لأنّه . ورجحت مافي : ك ، والدّيوان .

وممَّا رَواهُ لَنـا العُشَـارِيّ من كَـلامِ عَبْـدِ اللهِ بنِ الْمُعْتَـزّ قَـوْلُـهُ : « أَهْـلُ الـدُّنْيَـا كَصُوَر[١٤٢] في صَحِيْفَةٍ كُلَّما نُشِرَ بَعْضُها طُوِيَ بَعْضُها » .

وأنشدني أيضاً لعبد الله[١٤٣] :

سَكَنْتُـكِ يـا دُنيـا برغمِيَ مُكْرَهـاً ... ومـا كانَ لي في ذاكَ صُنْـعٌ ولا أَمْرُ

فـإنْ أَرْتَحِـلْ يَـوْمـاً أَدَعْـكِ ذَمِيْمَـةً ... وما فيـكِ من عُودِي غِراسٌ ولا بـذرُ

[٢٠/ب] وأَنْشَدني أَبي عَن بَعْضِ السَّلَفِ[١٤٤] :

إذا أَبْقَت الـدُّنيـا على الْمَرْءِ دِينَـهُ ... فَما فـاتَـهُ مِنْهَـا فَلَيْسَ بِضَـائِرِ

وإنَّ امْرَأً لم يَرْتَحِـلْ بِتجـارةٍ ... إلى دَارِهِ الأُخرى فَليسَ بتَـاجِرِ[١٤٥]

فـإنْ تَـكُ بـالـدُّنيـا ضَنِيناً فَـإِنَّما ... بلاغُـكَ منها مثلُ زادِ الْمُسَافِرِ[١٤٦]

وقال الأصمعي : أَوَّلُ شِعْرٍ قيل في ذَمِّ الدُّنيا قَوْلُ ابنِ حَذّاق[١٤٧] :

---

(١٤٢) في ف : كصورة ، والمثبت من ك .

(١٤٣) في ف : كصورة ، والمثبت من ك .

(١٤٣) ديوان ابن المعتز من قطعة في ثلاثة أبيات ، والثالث يتوسطها ، وهو :

وجَرَّبتَ حتّى قـد قتلتـك خبرةً ... فـأنتِ وِعـاءٌ حشـوهُ الهمُّ والـوِزْرُ

(وفي الديوان : دعاءٌ ، بالدال ؛ وهو خطأ أو تصحيف) .

(١٤٤) الشعر لأبي العتاهية (ديوانه ١٤١ ـ ١٥٠) .

(١٤٥) في الديوان : وكل امرئٍ ...

(١٤٦) في الديوان : إذا كنت بالدنيا بصيراً .

ـ والضَّنين : البخيل . وزاد المسافر ما يتزوّدُه الرجل طعاماً له في سَفَرِه . وفي اللسان : السُّفْرَةُ : طعامٌ يُتَّخذُ للمسافر ، قال : وأكْثَرُ ما يُحمل في جلد مُستدير . وفي حديث عائشة رضي الله عنها : « صنعنا لرسول الله ﷺ ولأبي بكر سُفْرةً في جِراب » ، أي طعاماً لَمّا هاجَر هو وأبو بكر رضي الله عنه .

(١٤٧) في : ك : حذّاق ، بالحاء المهملة . والأظهر أنها في : ف : خذّاق بالخاء المعجمة .

والشّاعر هو يزيد بن خَذّاق . ذكر اسمه في تاج العروس (خ ذ ق) .

والشعر ، مع مقدّمته ، في عيون الأخبار ٣٠٨/٢ ، في أربعة أبيات ، والبيت الباقي هناك يقع بين الثاني والثالث هنا (وانظر الحاشية ١٤٩) .

[من البسيط]

هَــل لِلْفَتى من بَنـاتِ الــدَّهْرِ من وَاقِ   أَمْ هَلْ لَهُ مِن حِمَامِ الْمَوْتِ من رَاقِ[148] ؟!
قَــدْ رَجَّلُــونِي ومَــا رُجِّلْتُ مِن شَعَثٍ   وأَدْرَجُــونِي كَــأَنِّي طَيُّ مِخْرَاقِ[149]
هَــوِّنْ عَلَيْــكَ ولا تُــولَــعْ بــإِشْفَــاقِ   فَــإِنَّما مــالَنــا لِلْــوارِثِ البَــاقِي !

وكان عُمَرُ بنُ عَبـد العَزيـز رَضِيَ اللهُ عَنْـهُ لَيْسَ لَـه هِجِّيرَى[150] إلاّ إنشادُ هـذَيْنِ البَيْتَيْنِ[151] :

[من الطويل]

تُسَرُّ بِمَــا يَبْلى وتَفْرَحُ بــالْمُنى   كما اغْتَرَّ بـاللَّـذَّاتِ في النَّوْمِ حــالِمُ
نهــارُكَ يــا مَغْرورُ سَهْـوٌ وغَفْلَــةٌ   كَذلِكَ في الدُّنْيـا تَعِيْشُ البَهـائِمُ[152]

ويقول : كَمْ من مُستَقبِلٍ يَوماً ليسَ بِمُسْتَكْمِلِه ، ومُنْتَظِراً غَداً وليسَ من أَجَلِهِ .

وقال الشَّعبيُّ[153] : لا أَعْلَمُ لَنا ولِلدُّنْيا مَثَلاً إلاّ قَوْلُ كُثَيِّرٍ[154] :

---

(١٤٨) بنات الدهر ، حوادثه ومصائبه . و : راقٍ اسم فاعل من رقا ؛ والاسم : الرُّقية .

(١٤٩) هذا البيت ملفّق من البيتين الثاني والثالث في العيون ، وفيه :

قـد رَجَّلُـوني ومــا رُجِّلتُ من شَعَثٍ   وألبسُـوني ثيــابــاً غيرَ أَخْـلاقِ
وطيَّبُـوني وقــالــوا : أَيُّما رَجُـلٍ !   وأَدْرَجُـــــوني كأنّي طيُّ مِخْراقِ

ـ رَجَّل شعره : سرَّحه ، وسوّاه وزيَّنَهُ . والمِخْراق : ثوبٌ أو منديل يُلَفُّ ويُضْرَبُ به .

(١٥٠) في ك : هِجِّيرٌ . وفي ف : هِجِّيرى .

ـ والهِجِّيرُ والهِجِّيرى : الدَّأْبُ والعادة .

(١٥١) الخبر والشعر في عيون الأخبار ٣٠٩/٢ مع بيتٍ ثالث . (وانظر الحاشية ١٥٢) .

(١٥٢) هذا البيت ملفّق من بيتين ، وهما في عيون الأخبار ٣٠٩/٢

نهــارُكَ يــا مغرورُ سهـو وغفلــةٌ   وليلـــكَ نـومٌ والرَّدى لـــك لازمٌ
وسعيُـــكَ فيا سـوف تكره غِبَّـــهُ   كـذلـكَ في الـدنيـا تعيشُ البَهـائِمُ

(١٥٣) الخبر في بهجة المجالس ٢٨٦/٢ .

(١٥٤) ديوان كُثَيِّر ١٠١ ، والبيت من قصيدة مشهورة في مَدْح عَزَّة ؛ وقبله :

فـلا يبعــدنْ وصـلٌ لِعَـزَّة أَصبحَتْ   بعــاقبـة أسبـابـهُ قــد تـولَّتِ =

[من الطويل]

أَسِيْئي بِنَا أَو أَحْسِنِي لا مَلُومَةٌ ... لَدَيْنَا ، ولا مَقْلِيَّةٌ إنْ تَقَلَّتِ

وقال ابنُ هَمَّامٍ السَّلُوليّ(١٥٥) :

[من الطويل]

وذَمُّوا لَنا الدُّنيا وهُمْ يرضَعُونَها ... أَفَاوِيقَ حتّى ما يَدِرُّ لَها ثُعْلُ(١٥٦)

وكانَ بعضُهم يقولُ : المُسْتَغْنِي عنِ الدُّنيا بالدُّنيا(١٥٧) كالمُطْفِيء النّارَ بالتِّبْن !

وكان ابنُ مَسْعُود يَقُولُ : الدُّنْيَا دارُ مَنْ لا دارَ لَه . [٢١/أ] .

وقال المَسِيْحُ عَليه السَّلام(١٥٨) : أنا الذي كَفأتُ الدُّنيا على وَجْهِهَا ، فليسَ لي زَوْجَةٌ تَمُوتُ ولا بَيْتٌ يَخْرَب .

= - قال ابن سيده في شرح البيت : قولُه أسيئي : لفظةُ لفظُ الأمر ومعناه الشَّرط ؛ لأنه لم يأمُرها بالإساءة ، ولكنْ أعْلَمها أنها إن أساءت أو أحسنت فهو على عهدها . وقوله تقلّتِ : أصله تقلّيت .

(١٥٥) هو عبد الله بن هَمّام السَّلُولي من بني مرَّة بن صعصعة ، شاعر إسلامي أموي ، كان يقال له العَطّار لِحُسْنِ شعره . قال في اللآلي : شاعر إسلامي قديم ، أدرك معاوية وبقي إلى أيام سليمان أو بعده . قلت يعني أدرك معاوية وهو شاعر ذو شأن .

- توفي نحو سنة ١٠٠ (يُراجع الأعلام ومراجعه) .

(١٥٦) البيت في الكامل (٧٧/١) مع بيت آخر (ويراجع تخريجه فيه) ، والبيت المذكور :

إذا نَصبُوا للقول قالوا فأَحْسَنُوا ... ولكنَّ حسنَ القولِ خالَفَهُ الفِعْلُ

والشعر لابن همّام في النعمان بن بشير الأنصاري وكان والي الكوفة لمعاوية بن أبي سفيان ، قال في اللآلي : « وكان زاد أُناساً في أُعطياتهم وترك ناساً منهم ابنُ هَمّام » والشعر مرفوعٌ إلى معاوية يشكو عدم عطائه .

- أفاويق جمع أفواق ، وأفواق فِيْقَة : وهي اسمٌ لِلَّبن الذي يجتمع بين الحلبتين . والثُّعْلُ : خِلْفٌ زائد صغير في أخلافِ الناقة وضرع الشاة لا يدرّ من اللبن شيئاً .

(١٥٧) بالدنيا : سقطت من ك .

(١٥٨) الخبر في عيون الأخبار ٣٣٢/٢ .

وقال مُحَمّد بن الْحَنَفِيّة[159] : من كَرُمَت عَلَيْهِ نَفْسُهُ هَانَتْ عَليهِ دُنْيَاه .

وقال وُهَيْب بن الوَرْد[160] : مَنْ أرادَ الدُّنيا فَلْيَتَهَيَّأ لِلذُّلِّ .

وقيلَ لِمُحَمّد بنِ وَاسِع[161] : إنَّك لَتَرْضى بالدُّون ؛ فقال : إنَّما يَرْضى بـالـدُّون مَنْ رَضِي بالدُّنيا .

وقال أبو حازِم الْمَدَنِيّ[162] : أمّا الْمَاضي من الدُّنيا فَحُلْم ، وأمّا البَاقي فأمانِيّ .

وذكَر الْحَسن البَصْرِي الدُّنيا فأَنْشَد[163] :

[من الكامل]

أحـلامُ نَـوْمٍ أو كَظِـلٍّ زائـلٍ إنَّ اللَّبِيْبَ بِمِثْلِهـا لا يُخْـدَعُ !

وقال السَّمَيْدَع الرَّبَعِيّ : سمِعْتُ في جَوْفِ اللَّيْلِ نـداءَ شَيْخٍ كبيرٍ يَقُول : يـا خـالِقَ النَّسَماتِ[164] ، وعـالِمَ الْخَفِيّـات ، أَرِقْتُ اللَّيْلَ لِعَظَمَتِـكَ ، وخَشْيَـةَ عِقـابِـكَ ، وخَوْفَ نارِكَ ، لستُ بِعَزيز فأنْتَصِر ، ولا بِبغَافِلٍ فأَدَّكِر ؛ ثمَّ نادى : يا أهل الحِوَاء[165] ، اذْكُروا مَضاجِعَكُمْ غَداً ، ومُجاوَرَتَكُمُ البُعَداء .

وقال عليّ عَليه السَّلام : أَهْلُ الدُّنيا كركبٍ يُسَارُ بهم وهُمْ نِيامٌ ؛

---

(159) الخبر في بهجة المجالس ٢/٢٨٦ ، وعيون الأخبار ٢/٣٣٠ .

(160) الخبر في عيون الأخبار ٢/٣٣١ .

(161) الخبر في عيون الأخبار ٢/٣٣١ .

(162) الخبر في عيون الأخبار ٢/٣٣٠ . وأبو حازم من وجوه التابعين .

(163) في أمالي الْمُرتضى ١/١٦٠ .
والحديث هنا عن (الدُّنيا) .

(164) النَّسمات والنَّسَم جمع النَّسَمة ، والْخَلْقُ ؛ للصغير والكبير ولكل ما كان في جوفه روح .

(165) في ك : ياأهل الجفَاء ؛ وهي رواية مرجوحة .
ـ والحِواءُ : مُجْتَمع البُيوت .

ومن كلامه[١٦٦] : الدُّنيا دارُ صِدْقٍ لِمَنْ صَدَقها ، ودارُ نَجاةٍ لِمَنْ فَهِمَ عَنْها ، ودارُ غِنًى لِمَنْ تَزَوَّدَ مِنها ، مهبطُ وَحي الله ، ومُصَلّى ملائِكَتِه ، ومسجِدُ أنبيائِه ، ومتجرُ أَوْلِيَائِه ، رَبحُوا فيها الرَّحْمَةَ ، واكتَسبُوا فيها الْجَنَّةَ ؛ فَمَنْ ذا يَذُمُّها وقد آذنَتْ[١٦٧] بِبَيْنِها ونادَتْ بفراقِها ، فيا أَيُّها الذَّامُّ للدُّنيا ، متى استَذَمَّتْ إليكَ الدُّنْيا[١٦٨] ؟ متى خَدَعَتْكَ ؟ أَبِمَصَارِعِ آبائِكَ من البلى ، أَمْ بمضاجِعِ أُمَّهاتِك تَحْتَ[١٦٩] الثَّرى ؟ كم مَرِيْضٍ علَّلتَ بيَدِيك تطلُب له الشِّفاء ، وتستَوْضِحُ الأَطِبّاء ، غَداةَ لا يُغْنِي عنهُ دَواؤُك ، ولا يَنْفَعُه بكاؤُك !

وذكَر بعضُ الرُّواةِ قال : قُرِئَ [٢١/ب] على قَبْرٍ بالشَّام[١٧٠] :

[من البسيط]

بَاتُوا عَلى قُلَلِ الأَجْبالِ تَحْرُسُهُمْ	غُلْبُ الرِّجَالِ فَلَمْ تَنْفَعْهُمُ القُلَلُ[١٧١]
واستُنْزِلوا ، بَعْدَ عِزٍّ ، مِنْ مَعَاقِلِهِمْ	وَأُسْكِنوا حُفَراً ، يا بِئسَ مَا نَزَلُوا !
نَاداهُمُ صارِخٌ مِنْ بَعْدِ ما دُفِنُوا :	أَيْنَ الأَسِرَّةُ التِّيجَانُ وَالْحُلَلُ
أَيْنَ الوُجُوهُ الَّتي كانَتْ مُحَجَّبَةً	مِنْ دُونِها تُضْرَبُ الأَستارُ والكِلَلُ[١٧٢]

---

(١٦٦) منها في بهجة المجالس ٢٨٠/٢ .

(١٦٧) أي نادَت وأَعْلَمت .

(١٦٨) متى استذمت الدنيا إليك : أي متى فَعلت ماتُذَمُّها عليه ؟

(١٦٩) في ك : من الثرى .

(١٧٠) لم أجد من نسب هذا الشعر إلى قائله . وفي ترجمة أبي الحسن العسكري (٢١٤) أو (٢١٣ ـ ٢٥٤) أنه أنْشَدها المتوكّل ، وقد سأله أن ينشد شعراً من روايته (وفيات الأعيان ٢٧٢/٣ـ٢٧٣) ، والشعر في البصائر والذخائر ٢٢٢/٤ـ٢٢٣ ؛ وعيون الأخبار ٣٠٣/٢ ، وتاريخ أبي الفدا ٤٧/٢ ، وبعضها في بهجة المجالس ٣٢٣/٢ .

ـ وفي المصادر بيت ورد قبل آخر هذه الأبيات . وفي روايات القطعة شيء يسير من اختلاف .

(١٧١) القُلّة (وجمعها القُلَل) : أعلى الْجَبل .

(١٧٢) زاد في عيون الأخبار بيتاً بعد هذا ، هو قوله :

فأفْصحَ القبرُ عنهم حينَ ساءَلَهم — تلكَ الوجوهُ عَليها الدُّودُ تقتَتِلُ !

قَـدْ طَـالَ مَـا أَكَلُوا دَهْراً ومـا نَعِمُـوا   فَأَصْبَحوا بعـدَ طُولِ الأَكْلِ قَـدْ أُكِلُوا !

وممَّا رَواهُ الْمَرْزُبانيّ ، وأَنْبأنا بـه جَماعَـةٌ [من أصحـابـه][173] عنـهُ ، عن الأَزْدِيّ قال : كان امرؤُ القَيس[174] البَـدِيُّ[175] ـ وهو مُحَرِّقٌ الأَوَّل ـ رجلاً طويلَ الْمُصاحبة لِلَّذّات ، كثِيرَ العُكوفِ على اللَّهو ، فركبَ يَوماً إمَّا مُتَبدِّياً[176] وإمّا مُتَصَيِّداً ، فـانْقَطعَ عن أَصحابه ، فإذا هو برجلٍ كالمِفْـأَد[177] قـد جَمع عِظـامـاً من عظـامِ الْمَوْتى وهي بين يَدَيْه يُقَلِّبُها ؛ فقال : ما قِصَّتُكَ أَيُّهـا الرَّجُل ؟ ومـا بلغَ بـك مـا أرى من سُوءِ الحـال ، وشُسوفِ الجِسْمِ[178] ، وتَلْوِيح اللَّوْنِ[179] ، والانفرادِ في هذِه الفَلاة ؟

فقـال الرَّجُل : أَمَّـا مـا ترى من سُوءِ حَـالِي ، وشُسوفِ جِسْمِي ، وشُحـوبي[180] ؛ فـإنِّي على جَنـاحِ سَفَرٍ بَعيـدٍ ، وبِي مُـوَكَّـلانِ مُزْعِجَـان يَحْـدُوَان[181] بِي إلى مَنْـزِلٍ ضَنْـكٍ[182] الْمَحـلّ ، مُظلم القَعْر ، كريــهِ الْمَقَرّ ؛ ثُمَّ يُسلِماني إلى مُصَـاحَبَـةِ البلى ،

---

(173) ما بين قوسين سقط من ف .

(174) هو امرؤ القيس عن عمرو بن عـديّ بن نصر اللَّخميّ ، من قحطـان ثـاني ملوك الحيرة ، وهـو المعروف بامرئ القيس الأول ، والبَدِيّ والمنعوت بـالمحرّق ، وبمحرّق الحرب ؛ ولقّب بـ (ملـك العرب) . وكانت وفاته سنة 328 .

(ترجم له الزركلي في الأعلام 12/2 . وتراجع مصادره ومراجعه ؛ وتحـدّث عنـه الـدكتور جواد علي في تاريخ العرب قبل الإسلام 189/3 ؛ والدكتورة نينا ڤيكتورڤنـا پيغوليڤسكيـا في كتـابهـا : العرب على حدود بيزنطة وإيران من القرن الرابع إلى القرن السّادس الميلادي ؛ رجعتُ إلى ترجمته العربيـة . ينظر فيه ص 40 وما بعدها . وفيه تحقيقات مهمّة) .

(175) البَدِيّ : الأوّل .

(176) متبدّياً : من تبدّى : أقام في البادية .

(177) المِفْأد : خشبة يُحَرَّك بها التَّنُّور ، والسَّفُّود ، شبهه بذلك لِنُحوله .

(178) شسوف الجسم : ضمورهُ وهُزاله ؛ يقال شَسف الجسمَ ، وشَسُف .

(179) لوّحه : غيّره وأضمره . ولَوّحته الشمس : سفعت وجهه ، ولوّحته النّار . أحرقت جلده حتى سوّدته .

(180) في ك : وشحوب لوني .

(181) حدا به : ساقه ، وحثّه على السَّير بالْحُداء .

(182) الضَّنك : الضّيق من كل شيء ؛ والشِّدَّة .

ومُجاوَرةِ الهَلْكى ، تَحْتَ أَطْبَاقِ الثَّرى ؛ فلو تُركتُ بذلك الْمَنْزِل ، مع جَفائه وضِيْقِه ووَحْشَتِه ، وارْتِعاء أَحْناشِ الأَرضِ في لَحْمِي وعَصَبِي وعِظَامِي[183] ، حتى أَعودَ رُفاتاً ، وتصيرَ أَعْظُمي رِماماً ، كان للبَلاءِ انقضاءٌ وللشّقاءِ نِهايَةٌ ؛ ولكنّي أُدْفَعُ بعد ذلك إلى صَيْحَةِ الْحَشْرِ ، فأَرِدُ أهْوالَ مَواقِفِ الْجَزاء ، ثمَّ لا أَدْري : إلى أيِّ الدَّارَيْنِ يُؤْمَرُ بِي . فأَيُّ عيشٍ[184] [٢٢/أ] يَلْتَذُّ مَنْ إلى هذا الأمرِ صَيُّورُه[185] ؟

فلَمّا سَمِعَ الملكُ كَلامَهُ أَلقى نفسَهُ عن فَرسِه ، وجلَس بين يَدي الرَّجُل[186] ، وقال : أَيُّها الرَّجُل ! لَقد كَدَّر مَقالُكَ عَلَيَّ صَفْوَ عَيْشَتي ، ومَلكَ الإشفاقُ قَلْبي ؛ فأَعِدْ عَلَيَّ بَعْضَ قَولك ، واشْرَحْ لِي دِيْنَكَ ؛ فقال له : أَما تَرى هذه العِظَامَ الَّتي بينَ يَديَّ ؟ قالَ : بَلى ! قال : هذه عِظامُ مُلوكٍ غَرَّتْهُمُ الدُّنْيا بزُخْرُفِهَا ، واسْتَحْوذَتْ على قُلوبهمْ بغُرورِهَا ، وأَلْهَتْهُم عن التَّأَهُّبِ لِهذهِ الْمَصارع ، حتّى فاجأَتْهُم الآجالُ ، وخَذَلَتْهُمُ الآمالُ ، وغَصَبَتْهُم عِزَّةَ الْمُلكِ ، وسلَبتْهُمْ بهاءَ النَّعيم ، وسَتُنْشَرُ هذه العظامُ ، فتعودُ أجْسَاماً ثُمَّ تُجازى بأَعْمَالِها ، فإمّا إلى دارِ القَرارِ ، وإمَّا إلى مَحلِّ البَوار[187] .

ثُمَّ امْتُلِسَ[188] الرَّجُلُ فلم يُرَ لَهُ أثَر . وتَلاحَقَ أَصْحابُ الْمَلِك بِه ، وقد امْتُقِع لونُه[189] ، وتواصَلَتْ عَبَراتُهُ ، ورَكِبَ وَقِيْذاً[190] ؛ فَلَمّا جَنَّ عَليه اللَّيلُ ،[191] أَلقى

---

(١٨٣) عبارة (وعظامي) ليست في ك .

(١٨٤) في ك : فأيُّ حال .

(١٨٥) صِيْرُ الأمر وصَيُّوره ، وصَيُّورتَهُ : عاقبته .

(١٨٦) في ك : نزل عن فرسه ومثل بين يديه .

(١٨٧) البَوار : الهلاك ، ومحلّه : جَهَنَّم ، ودار القرار : الْجَنّة .

(١٨٨) امْتُلِسَ - وهي رواية ف - : كاختُطفَ من مَلسَ أي ذهبَ ذهاباً سريعاً .

- وفي ك : اخْتُلِسَ : من خَلسَ الشَّيءَ : استلبه في نُهزةٍ ومخاتلة .

(١٨٩) امتُقِعَ لونُه : تغيَّر (من حُزنٍ أو فَزع) .

(١٩٠) الوقيذ من قولهم : كان وقيذَ الْجَوانح أي محزون القلب .

ما كانَ عليـه من لِبَـاسِ المُلْـكِ ، ولَبِسَ طِمْرَيْن[191] ، وخرَج تَحْتَ لَيْلَتِـه ، فكانَ آخِرَ العَهْدِ بِهِ !

وأَنْشَدَنِي عُبَيْد الله بنُ بكر ، لإسْمَاعِيل بنِ القَاسِم[192] :

[من المتقارب]

أَنَلهُـو وَأَيَّـامُنَـا تَـذْهَبُ ... ونَلعَبُ وَالـدَّهْرُ لا يَلعَبُ

أَيَلْهُـو وَيَلعَبُ مَنْ نَفْسُـهُ ... تَمُـوتُ ، وَمَنْ بَيْتُـهُ يَخْرَبُ[193]

تَرى صُـوَرَ اللَّهْـوِ مَسْمُـومَـةً ... وَلكِنْ لَهـا رَوْنَـقٌ مُـذْهَبُ

سَيَصْـدُقُ مَنْ مَـاتَ في هَجْرِهِ ... وَقَـدْ كانَ في وَصْلِـهِ يَكْـذِبُ !

وأَنْشَدَنِي أَيْضاً لَهُ[194] :

[من الرّمل]

إنَّمَـا الـدُّنْيـا مَتَـاعٌ زَائِـلٌ ... فَـاقْتَصِـدْ فِيْـهِ وَخُـذْ مِنْـهُ وَدَعْ

[22/ب] عَجَبٌ لِلـدَّهْرِ كَم مِنْ أُمَمٍ ... قَدْ أَبـادَ الـدَّهْرُ، والـدَّهْرُ جَـذَعْ[195]

---

(١٩١) ما بين الرقمين سقط من ك .

ـ والطِّمْرُ : الثوبُ الْخَلَقُ البالي .

(١٩٢) ديوان أبي العتاهية : ٣٨ من قصيدة أَوَّلُها فيه :

أنلهـو وأيّـامُنـا تَـذهَبُ ... ونلعبُ والمـوتُ لا يلعبُ ؟!

وفي ديوانه البيتان الأوّلان (وهما الأول والثالث من قطعة في أحد عشر بيتاً) ولم يرد فيه البيتان الأخيران ؛ فهما ممّا يُضاف إلى ديوانه .

(١٩٣) في الديوان : تموت ، ومنزله يخربُ !

(١٩٤) الأبيات ١ ، ٣ ، ٤ من قصيدة في ديوان أبي العتاهية ٢١٧ ـ ٢١٩ ، وأرقامها فيها : ٦ ، ٢١ ، ٢٣ . ومطلع القصيدة :

خيرُ أيـامِ الفتى يـوم نفـعْ ... واصطنـاعُ الخير أبقى مـا صَنَـعْ !

(١٩٥) سقط هذا البيت من قصيدته في الديوان .

ـ والجذَع من الرجال : الشّابّ الحدَث .

يَـا أخَـا الْمَيْتِ الَّـذي شَيَّعَـهُ فَحَثَـا التُّرْبَ عَلَيْـهِ وَرَجَـعْ
لَيْتَ شِعْري مَـا تَـزَوَّدْتُ مِنَ ٱلـزْ زَادِ يَـا هَـذَا لِيَـوْمِ ٱلْمُطَّلَـعْ[196]

ولهُ ، مِمّا نقلتُه من مَجْمُوعِ شِعره[197] :

[من المتقارب]

نَفَى عَنْـكَ ظِـلَّ الشَّبَـابِ الْمَشِيبُ وَنـادَتْـكَ بـاسْمِ سِواكَ الْخُطُوبُ[198]
فَكُنْ مُسْتَعِـدّاً لِـدَاعِي الْمَنُـونِ فَكُـلُّ الَّـذي هُـوَ آتٍ قَرِيبُ[199]

وله أيضاً من أبيات[200] :

هُنَّ الْمَنَايَا، وَإِنْ أَصْبَحْتَ في لَعِبٍ، يَحُمْنَ حَوْلَكَ يَـوماً أَيَّما حَـوْمِ[201]
لا تَعْجَلَنَّ، رُوَيْـداً، إنَّهـا دُوَلٌ، دُنْيـا تَنَقَّـلُ مِنْ قَـوْمٍ إلى قَـوْمِ[202]

وله[203] :

[من الكامل]

مَـا زُخْرُفُ الـدُّنْيـا وَزِبْرِجُ أَهْلِهـا إلاَّ غُرورٌ كُلُّـهُ وَحُطَـامُ[204]

---

(١٩٦) في الديوان : لهولِ المُطَّلَع .

(١٩٧) لم يرد البيتان في ديوانه .

(١٩٨) نفى الشيء : نَحّاهُ وأبعده .

(١٩٩) أورد الميداني (٧٧١/٢) في أمثال المولدين التي أوردها في حرف الكاف قولهم : « كل ما هو آتٍ قريب » .

(٢٠٠) البيتان من قطعة في ديوانه ٣٤١ من ثلاثة أبيات ، وهما الثاني والثالث .
- ورواية الأوّل : « إنَّ الْمَنايا .. تحومُ حولكَ حَوْماً .. » ، ورواية الثّاني :
والـدَّهْرُ ذو دُوَلٍ فيـه لنـا عَجَبٌ دنيـا تنقَّـلُ ... ...

(٢٠١) في ك : هي المنايا . حولك يوماً . وفي الديوان : إنَّ المنايا .. تحومُ .. حوماً .

(٢٠٢) في الديوان : والدهر ذو دُوَلٍ فيهِ لنا عَجَبُ !

(٢٠٣) البيتان من قصيدة (في الديوان ٣٥١) في ٣٤ بيتاً ، والبيتان المختاران هما : ١٧ ، ١٨ .

(٢٠٤) في ك : ... غرور كلّها .

وَلَرُبَّ أَقْـــوَامٍ مَضَـــوْا لِسَبِيلِهِمْ وَلَنَمْضِيَنَّ كَمَـــا مَضَى الأَقْــوَامُ[٢٠٥]

قوله تعالى : ﴿ وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِراً ﴾ [الكهف : ٤٥/١٨] ، ﴿ كَانَ اللهُ ﴾ تأويلُهُ : إنَّ ما شاهَدتُم ليس بحادثٍ عندَه ، وإنَّه كذلك كانَ لم يَزَل[٢٠٦] ؛ هذا مذهب سيبويه والْخَليل . وقال الْحَسن : المعنى : كان مُقْتَدِراً قبلَ كَوْنِ الأَشْيَاء ؛ وهو على قَول من قال : ﴿ كان ﴾ من اللهِ ، بِمَنْزِلَة (كائن) . وقولُ سِيبَوَيْه أَحْسن ؛ لأَنَّ العَرب لا تعرِفُ (كانَ) في مَعْنى (يكون) إلاّ بأَن تدخلَ على الْحَرفِ آلةٌ تَنْقُله إلى معنى الاستِقبال ؛ وكذلك لا تَعْرِف الماضِي في مَعْنى الحال . فعَلى هذا جميعُ ما في القُرآنِ مِن هذا الباب ؛ نحو قولِه : ﴿ وَكانَ اللهُ غَفُوراً رَحِيْماً ﴾ [النِّساء : ٩٦/٤] ومواضع أخرى ، و ﴿ وَكَانَ اللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً ﴾ [الأحزاب : ٤٠/٣٣ ، والفتح ٢٦/٤٨] .

ونَظِيْرُ الآيَتين فيما تضمَّنَتا من تَشْبِيهِ حَالِ الدُّنيا : قولُه في سورةٍ أُخرى : ﴿ اعْلَمُوا أَنَّما الْحَيَاةُ الدُّنْيا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِيْنَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ [٢٣/أ] فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلاَدِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الكُفَّارَ[٢٠٧] نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيْجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرّاً ثُمَّ يَكُونُ حُطاماً وَفي الآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيْدٌ ﴾ [الحديد : ٢٠/٥٧] ، ﴿ الكُفَّار ﴾ : قيل : هاهنا الزُّرّاع[٢٠٨] ، وإذا أَعْجَبَ الزُّرَّاعَ نَباتُه ، مع عِلْمِهم به ، فهو في غايةِ ما يُسْتَحْسَن . ويكونُ ﴿ الكُفَّار ﴾ هاهُنا الكُفّار باللهِ عزَّ وجلّ ، وهم أَشَدُّ إعْجاباً بزينةِ الدُّنيا من المؤمنين . وقولُه : ﴿ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرّاً ﴾ أي : يأخذُ في الْجَفاف واليُبْسِ فتسمَعُ له ،

---

(٢٠٥) في الديوان : ولتَمضِيَنَّ (بالتاء) .

(٢٠٦) في بصائر ذوي التمييز ٣٩٣/٤ : « وفي كثير من وصف الله تعالى يُنبئ عن الأزليّة » .

(٢٠٧) ما بين الرقمين لم يرد في ك بخطأ من الناسخ ، وهو ثابت في النسخة ف .

(٢٠٨) في تفسير القرطبي ٢٥٥/١٧ : « الكفّار هنا : الزُّرّاع ؛ لأنَّهم يغطون البذر . والمعنى أنَّ الحياة الدنيا كالزرع يعجب الناظرين إليه لخضرته بكثرة الأمطار ، ثم لا يلبث أن يصبح هشيماً كأنْ لم يكن . وإذا أعجب الزُّرّاع فهو غاية ما يُستحسن ... وقيل : الكفّار هنا الكافرون بالله عزّ وجلّ ؛ لأنهم أشدّ إعجاباً بزينة الدُّنيا من المؤمنين ... » .

- ويلاحظ القارئ التطابق في المعنى وفي كثير من الألفاظ .

بما يَدْخُله من الرِّيحِ ، صَوْتَ الهائجِ ، قال ذُو الرُّمَّة[٢٠٩] :

[من الطويل]

وَهَاجَت بَقَايا القُلْقُلاَنِ وَعَطَّلَتْ حَوَالِيَهُ هُوْجُ الرِّياحِ الْحَوَاصِدُ

﴿ ثُمَّ يَكونُ حُطاماً ﴾ أي : مُتَحَطِّماً متكسِّراً ذاهِباً ، وكذلِكَ متاعُ الدُّنيا وزُخْرُفُها فإنَّما هو صائرٌ إلى الزَّوال ، ومُؤذِنٌ بالانْتِقال والاضْمِحْلاَل .

تشبيه آخَرُ من هذِه السُّورة :

قَوْلُه عزّ وجلّ[٢١٠] : ﴿ وَٱلَّذِيْنَ كَسَبُوا ٱلسَّيِّئَاتِ ﴾ إلى قوله : ﴿ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوْهُهُمْ قِطَعاً مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِماً ﴾ [يونس : ٢٧/١٠] ، وتُقرَأ[٢١١] ﴿ قِطْعاً مِنَ اللَّيْلِ ﴾ ، و (مظلم) من نعت القِطْع ؛ ومَن قرأ ﴿ قِطَعاً ﴾ جَعَل ﴿ مُظْلِماً ﴾ حالاً ؛ المعنى[٢١٢] : أُغشيت قِطَعاً مِنَ اللَّيل في حال ظُلْمَتِه ؛ لأَنَّهُ تعالى لَمَّا وصَف وُجوهَ الأَبْرارِ بأنَّها مُسفِرَةٌ ضاحِكَةٌ مُستَبْشِرَةٌ بما تَصِيْرُ إلَيْهِ من ثَوابِ رَحْمَتِه ، وَصَفَ وجوهَ هؤلاء بالظُّلمةِ والانكِساف . وكذلك قولُه تعالى : ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ﴾ [آل عمران : ١٠٦/٣] . ابْيِضَاضُها : إشراقُها وإسفارُها[☆] سُروراً بالْجَنَّة ،

---

(٢٠٩) ديوان ذي الرّمة ١٩٤/٢ .

ـ هاجت : يبست ، والقلقلان : نبت . وقوله : « وعطلت حواليه هوج الرياح » أي نفضت الرياح ما عليه من ثمره وورقه ؛ أي : كان متحلّياً كالحلي . والهُوج : التي تركب رأسها وتخلط في هبوبها . والحواصد : اللّواتي حتّت البقل كا يُحصد البقل .

(٢١٠) وتمامها : ﴿ وَالَّذِيْنَ كَسَبُواْ السَّيِّئَاتِ جَزاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَالَهُمْ مِنَ اللهِ مِن عاصِمٍ كَأَنَّما أُغْشِيَتْ وُجوهُهُمْ قِطَعاً مِنَ اللَّيلِ مُظْلِماً أُوْلَئِكَ أَصْحابُ النّارِ هُمْ فِيهَا خالِدونَ ﴾ .

(٢١١) يُنظر معجم القراءات القرآنية ٧١/٣ . والرّسم المصحفي ﴿ قِطَعاً ﴾ بفتح الطّاء . فكلمة مظلم في قراءة ﴿ قِطَعاً مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِماً ﴾ حال ، وعلى قراءة ﴿ قِطْعاً مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِماً ﴾ صفة .

(٢١٢) للتوسع ينظر تفسير الطبري ٧٧/١١ .

(☆) ينتهي هنا السقط الذي في ك ؛ وتتعانق النسختان . إلا أنّ في ك : « واسوداد المسودّة ... » وفي ف : « سروراً بالجنة ، واسوداد .. » . وبالجمع بين النسختين تقرأ العبارة على هذا الوجه : « وإسفارها =

واسْوِدَادُ الْمُسْوَدَّة لِمَا تَصِيْرُ إلَيْهِ من العَذاب والْخَيْبَةِ من الرَّحْمَةِ ، قال تَعالى : ﴿ ووُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ[٢١٣] ﴾ [عبس : ٤٠/٨٠] .

وقد شَبَّهت الشُّعراءُ بمثْلِ هذهِ الحالِ صاحبَ الْخَيْبَةِ والكآبَةِ ، كما قالَ الأوَّل ـ أنْشَدهُ التَّوَّزيّ ـ :

[من الطَّويل]

وَجَاءَتْ بَنُو عُكْلٍ كَأَنَّ وُجُوهَهُمْ ... إذَا حَسَرُوا عَنْها ظِلالُ صُخُورِ[٢١٤]

أي سُوْدٌ ؛ لأنَّ ظِلَّ الصَّخرةِ كَثِيف . وقال الآخَر :

[من الطَّويل]

وَأَنْتُمْ صِغَارُ الهَامِ صُعْلٌ كَأَنَّما ... وُجُوهُكُمْ مَطْلِيَّةٌ بِمِدَادِ[٢١٥]

[٢٣/ب] وقالَ عَلِيّ بنُ جُرَيْج الرُّومي[٢١٦] :

[من السَّريع]

وَجْهُكَ يَا جَعْفَرُ مِنْ قُبْحِهِ ... أَوْلَى مِنَ العَوْرَةِ بالسَّتْرِ[٢١٧]

كَأنَّما تَأْوِي إلَيْهِ الدُّجَا ... إذَا هِيَ انْفَضَّتْ عَنِ الفَجْرِ

وحدَّثني أبي عمّن حدَّثه ، قال : تقدَّم إلى شُرَيْح[٢١٨] رجلان : مسلمٌ ونَصرانيّ ،

= سُرور المؤمنين بالجنة ، واسوداد المسوّدة لِمَا تصير ... إلخ » .

(٢١٣) ﴿ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴾ غبار ؛ وهو كناية عن تغيّرها للغمّ والكآبة .

(٢١٤) في ك : « وجاءت بنو ذُهلٍ ... » .

(٢١٥) صُعل جمع أصعل : الدقيق الرأس والعُنق .

(٢١٦) ديوان ابن الرُّومي ١٠٥٥/٣ ؛ والبيتان هما الثالث والرابع من قصيدة في هجاء رجل يسمّى جعفراً .

(٢١٧) في الديوان : « يا جعفر في قبحه .. » .

(٢١٨) هو أبو أميّة شريح بن الحارث من أشهر القضاة الفقهاء في صدر الإسلام ، ولي قضاء الكوفة زماناً طويلاً ، واستعفى أيام الحجاج سنة ٧٧ هـ . كان شريح ثقة في الحديث ؛ علماً في القضاء ، مشاركاً في الأدب والشعر . ت ٧٨ هـ .

فألطَّ[٢١٩] المسلم بحجَّته وأوضح النَّصرانيّ ، فلم يزل شُريح يُوقِظ المسلم لحجَّته وهو يُلِطُّ بها ويُوضِحُها النَّصرانيّ ، حتّى مَتع النَّهار[٢٢٠] ، وكان يوماً قائظاً ، فَضجِرَ شُرَيح وقال للمسلم : قُم عنّي ! فإنّي أرى ظُلمَةَ الكُفر على وجه هذا الجاحِد أظهرَ من نُورِ الإسلام على وجهك !

وقد شَبَّهُوا بظلامِ اللَّيل أشياءَ لا موضعَ لذكرها ها هنا ، كقول الشاعر :

[من البسيط]

تَقَنَّعَتْ بِظَلامِ اللَّيْلِ وَٱئْتَزَرَتْ   بِالرَّمْلِ ، وَٱنْتَقَبَت بِالشَّمْسِ والقَمَرِ[٢٢١]

وليس من الباب المذكور ؛ لأَنَّ ذلك موضوعٌ على الذَّمّ ، وهذا على المدح وتزيين الصِّفة .

وفي تشبيه الآية تأويل آخر ، وهو أن يكون قوله تعالى : ﴿ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعاً مِنَ اللَّيْلِ ﴾ [يونس : ٢٧/١٠] يَعني لِما دَهمهُم من الرُّعب والْجَزَع قد سَدِرَت[٢٢٢] أعينُهم فما يَروْنَ إلاّ ظُلمة ، كما قال الشاعر :

[من الوافر]

ظَلِلْنا نَخْبِطُ الظَّلْمَاءَ ظُهْراً   لديهِ ، وَالْمَطِيُّ لَها أُوَارُ[٢٢٣]

ومن ذلك قول الطّائي[٢٢٤] :

[من الكامل]

---

(٢١٩) ألطَّ فلانٌ دون الحق بالباطِل أي ستره ، والمراد : غيَّب حُجّته بغفلته عنها .

(٢٢٠) مَتَع النهار : بلغ غاية ارتفاعه ؛ وهو ما قبل الزوال .

(٢٢١) يعني اتخذت القناع ، والإزار ، والنِّقاب .

(٢٢٢) سدرت أعينهم : لم تكد تُبصر .

(٢٢٣) الأُوار : شدّة حَرّ الشَّمس ، ولفح النّار ، ووهج العطش .

(٢٢٤) ديوان أبي تمام ٧٧/٣ .

عَـــادَتْ لَـــهُ أَيَّـــامُـــهُ مُسْـوَدَّةً   حَتَّى تَـــوَهَّمَ أَنَّهُنَّ لَيَـــالي

ويدخل في هذا الباب أيضاً قوله[٢٢٥] :

[من الكامل]

مَا إنْ تَرَى الأَحْسَابَ بِيضاً وُضَّحاً   إلاَّ بِحَيْثُ تَرى ٱلْمَنَـــايَـــا سُـودا

وقال البحتريّ في اعتذاره إلى الفتح[٢٢٦] :

[من الطّويل]

عَـــذيري مِنَ الأَيَّـــامِ رَنَّقْنَ مَشْرَبي   وَلَقَّيْنَنِي نَحْساً مِنَ الطَّيْرِ أَشْـأَمـا[٢٢٧]

[٢٤/أ] وَأَلْبَسْنَني سُخْطَ ٱمْرِئٍ بِتُّ مَوْهِناً   أَرى سُخْطَـــهُ لَيْـلاً مَـعَ اللَّيْـلِ مُظْلِما

وقد نظر في هذا البيت خفيّاً إلى قول النّابغةِ في استعطافِ النُّعمان[٢٢٨] :

[من الطويل]

فـإنَّـكَ كَـاللَّيْـلِ الَّـذي هُـوَ مُـدْرِكي   وَإنْ خِلْتُ أَنَّ الْمُنْتَـأَى عَنْـكَ وَاسِعُ

فشبَّهه بـاللّيلِ من أجل سُخطـهِ وغَضْبـه . ونقل البُحتريّ تشبيهـه إلى وصفِ السّخـط ، وجَعل ذلك موجوداً في الحقيقة عنده . وقد أحال بعضُ أصحابِ الْمَعـاني بقولِ البحتري على قول مُحَمّد بن أبي عُيَينة[٢٢٩] :

[من الخفيف]

---

(٢٢٥) ديوان أبي تمام ٤١٧/١ .

(٢٢٦) ديوان البحتري ١٩٨٢/٣ ، والمقصود بالشعر : الفتح بن خاقان وزير المتوكّل . والبيتان المختـاران همـا : ١٠ ، ١١ من القصيدة .

(٢٢٧) معنى : رنّقن مشربي أي كدّرنه . والطير هنا التّطيُّر والتّشاؤم . ورُوي في البيت الثاني : « وأكسبنني » والْمَوْهِنُ : منتصف الليل ، أو بعده .

(٢٢٨) ديوان النابغة الذُّبياني (بشرح الأعلم الشنتمري ٣٨) .

(٢٢٩) هو أبو المنهال محمد بن أبي عُيَينة من بني المهلب بن أبي صُفرة ، من شعراء الدولة العبّاسية .

طَـــالَ مِنْ ذِكْرِهِ بِجُرْجــــانَ لَيْلِي   وَنَهـــارِي عَلَيَّ كَـــاللَّيْــلِ دَاجِ[230]

ولا أراه عدَلَ عن مُلاحظَةِ بيتِ النّابغة ، كما ذكرنا .

وأنشد الصُّولي لمحمّد بن أحمد العَلويّ الأَصبهانيّ[231] :

[من الخفيف]

أَتُرى النَّجْمُ حَـارَ فِي الأُفْـقِ أَمْ أَسْـ   ـبَـلَ لَيْلِي عَلى نَهــــارِيَ ذَيْـــلا

أَمْ كَمَـــا عَـــادَ وَصْلُـــهُ لِيَ هَجْراً   عَـــادَ أَيْضـــاً بِـــهِ نَهـــارِي لَيْــلا

والوجه الأوّل في تأويل الآية هو المختار .

(٢٣٠) جرجان : مدينة عظيمة بين طبرستان وخُراسان (معجم البلدان ١١٩/٢) ؛ وفيه قيل إن أول من بناها المهلب بن أبي صُفرَة .

(٢٣١) أبو الحسن محمد بن أحمد الحسني العلوي الأصبهاني : شاعر ، أديب ، ناقد مبدع ، وهو صاحب (عيار الشعر) من كتب النَّقد المعروفة . وله ديوان شعر .

سُورَةُ هُود

عَلَيْهِ السَّلام

قولُه عَزَّ وجَلَّ : ﴿ وَهِيَ تَجْرِيْ بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ ﴾[١] [هود : ١١/٤١ـ٤٢] . الْجَرْيُ : مَرٌّ سريع ، كَمَرِّ الماء على وَجْهِ الأَرْضِ ، والسَّفِيْنَةُ تجْري بالماء ، والفَرَسُ يَجْري في عَدْوِه ، ويُقال : هذه العِلَّةُ تَجْري في أَحْكامِها ؛ أي : تَمُرُّ فيها من غَيْرِ مانِعٍ مِنْها . والْمَوْجُ : جمعُ مَوْجَةٍ ، وهي القِطْعَةُ العَظِيْمَةُ تَرْتَفِعُ عن جُملةِ الْمَاء الكَثِير ، وأَعْظَمُ ما يكونُ ذلك إذا اشْتَدَّتِ الرِّيْح .

فَدَلَّ التَّشْبِيهُ على عُظم شَأنِ الأمر ، مِن حالِ الماء ، وتَطبيقِه الأَرْض ، ومِن مُلابَسةِ الرِّياحِ له ، ومِنْ ذِكْرِ الاعْتِبار بِجَرْيِ السَّفينةِ في هذه الأَهْوَال . ونابَ لفظُه ، مع اختصارِه ، عن شرحٍ كَثِير .

ونَحْوُ هذا التَّشبيه : قولُه تَعالى في سورةٍ أُخْرى : ﴿ فَأَوْحَيْنَا إِلى مُوسَى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ العَظِيْمِ ﴾[٢] [الشعراء : ٢٦/٦٣] .

[٢٤/ب] وقد تَعاطَتْ الشُّعراءُ صِفَةَ مَوْجِ البَحْرِ في ارْتِفَاعِهِ بِمثْلِ ما ورَد في التَّنزيلِ ، فقال الأعشى في ذِكْرِ الْمَمْدُوح ، وخَالَفَ اللَّفظ[٣] :

---

(١) أورد المصنّف بعض الآية ٤٢ :
﴿ وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللهِ مَجْرِيها ومُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيْمٌ ☆ وَهِيَ تَجْرِيْ بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ : يَابُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلا تَكُنْ مَعَ الكافِرِينَ ﴾ .

(٢) الطَّود العظيم : الجبل العظيم ؛ وأصل الفَرْق : الفَصل ، ومنه فَرْق الشَّعر ، والفرقان لأنه يفرق بين الحقّ والباطل ، أي يفصل . والفِرْقُ ـ بكسر الفاء ـ القسم من كل شيء إذا انفرق .

(٣) في ك : وجاء بغير اللفظ .

[من البسيط]

وَمَا مُجَاوِرُ (هِيتٍ) إذْ طَمَا فَطَغَى ... يَـدُقُّ آذيَّـهُ البُـوصِيَّ وَالشُّرُعـا[٤]

يَجِيشُ طُوفَـانُـهُ إذْ عَبَّ مُحْتَفِـلاً ... يَكَـادُ يَعْلُو رُبَا الْجُرْفَيْنِ مُطَّلَعا[٥]

هَبَّت لَـهُ الرِّيـحُ فَـامْتَـدَّتْ غَـوَارِبُـهُ ... تَرَى حَـوَالَيْـهِ مِنْ تَيَّـارِهِ تُرَعـا[٦]

وتناوَل الْمُحدَثون ذلك أيضاً : فقال البحتري[٧] :

[من الطَّويل]

أَلَسْتَ تَرَى مَـدَّ ٱلفُرَاتِ كَـأَنَّـهُ ... جِبَالُ شَرورى جِئْنَ فِي البَحْرِ عُوَّما[٨]

وفي عكس التشبيه قول ذي الرّمّة[٩] :

[من البسيط]

كَـأَنَّنَـا وَالقِنَـانُ القُـودُ تَحْمِلُنَـا ... مَـوْجُ الفُرَاتِ إذا ٱلتَجَّ الـدَّيـامِيمُ[١٠]

---

(٤) الأبيات في ديوان الأعشى ١٠٩ ، وترتيبها في القصيدة ٥٨ ، ٥٩ ، ٦٠ ، وهي في مدح هوذة بن علي الحنفي . وهيت : بلد بالعراق ، ومجاورها : نهر دجلة . وآذيّه : موجه ، وأطباق الماء التي ترفعها من متنه الريحُ دون الموج . والبوصيّ : نوع من السفن والزوارق ؛ أو الملاّح . والشُّرع جمع شراع ، وهو قلع السفينة الذي تسوقها به الريح .

- وروايته في الديوان : إن عرضت له ... قد كاد يسمو إلى الجرفين مطلعاً .

(٥) جاش : غلا واضطرب . وعبّ البحر : ارتفع وكثر موجه . والْجُرف : المكان الذي يأخذه السَّيل ويجرفه .

(٦) الغوارب جمع غارب ، وغارب كل شيء : حَدُّه ، والغوارب : أعالي الأمواج .

- ورواية الديوان : حوالِبَهُ (بالباء الواحدة) : وحوالب النهر : الفروع التي تحلبه أي تعينه وتمدّه . وتُرعا : جمع ترعة . وفي الديوان : تَرَعا أي مترعةً مملوءة إلى آخرها .

(٧) ديوان البحتري ٢٠٩٠/٤ .

(٨) شَرَورى : جبل مطلّ على تبوك في شرقيّها .

(٩) ديوان دي الرّمّة ٤١٣/١ .

(١٠) القنان : جمع قُنَة : الصغار من الجبال . والقُود : الطوال المستطيلة الواحدة قوداء . والتجّ : صار ذا لُجّة (من كثرة السّراب صار كاللّجّة : وهي الماء الكثير) الدّيامِيم : الفلوات جمع ديومة .

وقال أيضاً[11] :

[من الطّويل]

تَظَلُّ القِنانُ الصُّوُ فيها كأنَّها قَراقيرُ مَوْجٍ عَضَّ بالسَّاجِ قِيْرُها[12]

وقال في تشبيه المطايا[13] :

[من البسيط]

بِأيْنُقٍ كَقِداحِ النَّبْعِ قَدْ ذَبَلَتْ مِنْها الثَّمائِلُ أَمْثالُ القَراقِيرِ

وقال يصفُ جَملاً في سيره ، ويشبّه دفَّيْه في خطوه بالموج[15] :

[من الرجز]

كَأَنَّ دَفَّيْهِ إذا تَزَيَّدا
مَوْجانِ ظَلاَّ لِلْجَنوبِ مَطْرَدا[16]

وقد وردَ في التنزيل ، في صفة موج البَحر بالعِظَمِ والارتفاع ، تشبيهٌ آخر ، وهو قولُه عزّ وجلّ في سورة لقمان : ﴿ وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلَلِ ﴾ [لقمان : ٣٢/٣١] ، لأنَّ موج البحر يعظُم فيصير كالظُّلَلِ في ارتفاعِه وتغطيتِهِ ما تَحته ، قال النّابغةُ الْجَعْديّ ،

---

(١١) ديوان ذي الرّمّة ٢٣٧/١ ، وروي أيضاً : تظل الوحاف الصدء فيها ...

(١٢) الوحاف : الحجارة لا تبلغ أن تكون جبلاً .
ـ في ك ، والديوان : غَصّ ؛ وتأويل المعنى عليها بعيد . ومعنى عَضّ بالشّيء : لَزِق به .

(١٣) ديوان ذي الرّمّة ١٨١٩/٣ .

(١٤) القداح : السّهام . والنّبعُ : شجر متين الخشب . والثائل : ما بقي في أجواف الأَيْنُق من العلف . يقول : ضمرت بطونها .

(١٥) ديوان ذي الرّمّة ٢٩٩/١ .

(١٦) في الديوان : يريد : كأنّ جنبيه إذا تزيّد في سيره موجان تطردهما الْجَنُوب . والتّزيُّد : نوع من سير الإبل .

وذكر البَحر[17] :

[من الوافر]

يُمَـــــاشِيهِنَّ أَخْضَرُ ذُو ظِـــلاَلٍ   عَلَى حَــافَــاتِــهِ فِلَــقُ الــدِّنــانِ

(17) رواه في مجاز القرآن ١٢٩/٢ للنابغة الجعدي .

[٢٥/أ] سُوْرَة الرَّعْد

قَوْلُهُ عزَّ وجَلّ : ﴿ لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِيْنَ يَدْعُونَ مِنْ دُوْنِهِ لاَ يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إلاَّ كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الكَافِرِينَ إلاَّ فِي ضَلالٍ ﴾ [الرّعد ١٣/١٤] . ﴿ دعوةُ الْحَقّ ﴾ : قيلَ الدَّعوةُ الَّتي يُدْعى اللهُ بها على إخلاصِ الوَحْدانِيّة . و ﴿ الَّذِيْنَ يَدْعونَ مِن دُونِهِ ﴾ : الذين يدعونَهم أَرباباً . والاستجابةُ والإجابَةُ : واحِدٌ ، إلاّ أنَّ الاستجابةَ تُبْنَى على طلَب الْمُوَافقة ؛ قال الشّاعر[1] :

[من الطَّويل]

وَدَاعٍ دَعَا : هَلْ مِنْ مُجِيبٍ إلَى النَّدَى   فَلَمْ يَسْتَجِبْهُ عِنْدَ ذَاكَ مُجِيبُ[2]

البَسط والنَّشر والفَرش : من النّظائر ؛ ونقيضه : القَبض ، والبُلوغ والوصول واللحوق : نَظائر ؛ يقال : بلغَ بلوغاً فهو بالغ ، والشّيء مبلوغ ، ومنه البَلاغة ؛ لأنَّها تبلغُ بالمعنى مُنتهى البيان .

قال مُجاهد : معنى قولِه تعالى : ﴿ كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ ﴾ أي : كباسِطِ كفّه من غيرِ تَناول الإناء ، ليبلغ فاه بِبَسط كفِّه ودُعائه . وقال الحسن[3] : كباسط كفّيه إلى الماء فماتَ قبل أن يصلَ إليه .

---

(١) هو كعب بن سعد الغنوي ، شاعر إسلامي ، من التابعين . ويقال له كعب الأمثال لكثرة ما في شعره من الأمثال (انظر الأصمعيّات ٧٣ ومصادره) .

(٢) البيت من قصيدة أصمعية ، رثى بها الشاعر أخاه أبا المغوار (ص ٩٦) ، وبعده :

فقلتُ ادْعُ أُخرى وارفعِ الصوتَ دعوةً   لعلَ أبا المغوار منكَ قريبُ !

(٣) تفسير الطبري ١٣/١٢٨ .

والعربُ تضربُ المثلَ بأنَّ مَن سعى فيما لا يُدركه كالقابضِ على الماء ؛ قال الشاعر[٤] :

[من الطويل]

وَإنِّي وَإيَّاكُمْ وَشَوْقاً إلَيْكُمْ كَقَابِضِ مَاءٍ لَمْ تَحُزْهُ أَنَامِلُهْ[٥]

وقال الأحوص[٦] :

[من الطويل]

وَأَصْبَحْتُ مِمَّا كَانَ بَيْني وَبَيْنَها ـ سِوَى ذِكْرِهَا ـ كَالقَابِضِ الْمَاءَ باليَدِ[٧]

وقال الآخر[٨] :

[من الطويل]

وَمَنْ يَصْحَبِ الدُّنْيا يَكُنْ مِثْلَ قَابِضٍ عَلَى الْمَاءِ خَانَتْهُ فُرُوجُ الأَصَابِعِ

وممّا يقرُب من المعنى ، ويدخل في تأويله أيضاً قول الآخر متغزِّلاً :

[من البسيط]

[٢٥/ب] إنِّي وَإيَّاكِ كَالصَّادي رَأَى نَهلاً وَدُونَهُ هُوَّةٌ يَخْشى بِهَا التَّلَفَا[٩]

---

(٤) هو ضابئ بن الحارث البُرجمي كما نسبه في مجاز القرآن ٣٢٧/١ .

(٥) رواية أبي عبيدة في مجاز القرآن ، والطبري : لم تسقه أنامله .

(٦) من شعراء الغزل في العصر الأُمويّ ، واسمه عبد الله بن محمد ، أنصاري ، شاعر مُحسن . له ديوان مجموع .

(٧) نسبه ـ وبيتاً آخر قبله ـ إلى الأَحوص الأصفهانيُّ في كتاب الزهرة ١٨٣/١ ، وقد ورد البيتان في قصيدة لأبي دهبل الجمحي في الأغاني ١٣٦/٧ . والقصيدة في ديوان أبي دهبل ٢٨ . ويُراجع استغراب جامع ديوان الأحوص ٢١٩ .

(٨) البيت في العقد ١٠٩/٣ غير منسوب ؛ وفيه : ومن يأمن الدُّنيا ...

(٩) الصّادي : العطشان .

رَأَى بِعَيْنَيْـــهِ مَـــاءً عَــزَّ مَــوْرِدُهُ   وَلَيْسَ يَمْلِــكُ نَحْـوَ المـاء مُنْصَرَفَــا

وقال الآخر :

[من الطويل]

وَإِنِّي عَلَى هِجْرَانِ بَيْتِكِ كَالَّـذي   رَأَى نَهَـلاً رَيّـاً وَلَيْسَ بِنَـاهِـلِ

رَأَى بَرْدَ مَـاءٍ ذِيـدَ عَنْـهُ وَرَوْضَـةً   بَرُودَ ٱلضُّحَى فَيْنَانَـةً بِالأَصَائِلِ(١٠)

وقد تضمّنت الآية البيانَ عمّا يوجبه دعاءُ الحقّ للخالق تعالى من الإجابة على شرائط الحكمة بما يكون فوق الأُمنية ، وخيبة الدّاعي بغيره كخيبة مَن دعا الماء من قعر البئر ليجيبه .

---

(١٠) ذيد عنه : مُنِع منه .

سورة إبراهيم

[عليه السلام]

قوله عزّ وجلّ : ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لاَ يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلاَلُ البَعِيدُ ﴾ [إبراهيم : ١٨/١٤] .

أي : فيما يُتلى عليكم : ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ . وتكون ﴿ أعمالهم ﴾ على البدل المُشْتمل على المَعنى(١) . العصف : شِدّةُ الرِّيح ؛ يقال : يوم عاصِف ؛ أي شَديد الرِّيح ؛ وعَصَفت الرِّيح : اشتدَّت(٢) .

والتَّشبيه في هذه الآية كالتَّشبيهِ في قولِه تَعالى : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالأَذَى ... ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ ... ﴾(٤)

---

(١) ذكر العكبري وجوه الإعراب في الآية ؛ في إملاء ما منّ به الرحمن ٦٧/٢ .

(٢) ينظر تفسير الطبري ١٩٦/١٣ .

(٣) تمام الآية : ﴿ يَاأَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلاَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ، فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْداً لا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللهُ لا يَهْدِي القَوْمَ الكَافِرِينَ ﴾ .

ـ وفي تفسير القرطبي ٣١١/٣ « عبّر تعالى عن عدمِ القَبُولِ وحرمان الثواب بالإبطال ، والمراد الصَّدقة التي يُمَنُّ بها ويُؤذى لا غيرها ... » وفصل في التشبيه المقصود في ٣١٢/٣-٣١٣ .

(٤) في الكامل ٨٩٣ قال سعيد بن سلم ، عرَض لي أعرابيّ فمدحني فبلغ فقال :

ألا قل لساري الليل لا تخش ضَلّةً ... سعيدُ بن سلمٍ ضوءُ كلِّ بلادِ
لنا سيّدٌ أربى على كلِّ سيِّدٍ ... جَوادٌ حثَا في وجهِ كلِّ جَوادِ

قال : فتأخَّرت عن بِرّه قليلاً ، فهجاني فبلغ فقال : لكل أخي ... البيتين .

[البقرة : ٢٦٤/٢] . فبيَّن الله أنَّ أعمال الذين كفروا ، في ذهابها وإحباطها ، كرمادٍ ذهبت به الرِّيح يوم عصفها ، وكذلك يبيِّن أنَّ العمل يَبطُل بالْمَنِّ والأذى ، كما يَبطلُ بالرِّياء ، وكما يُذهِبُ الوابلُ التُّرابَ من الصَّفا .

أنشد أبو العبّاس محمّد بن يزيد لأعرابي يهجو سعيدَ بنَ سلم الباهليّ وقد كان مدحه فلمْ يُثِبه[٤] :

[من الطويل]

[٢٦/أ] لِكُلِّ أخِي مَدْحٍ ثَوَابٌ يَعُدُّهُ وَلَيْسَ لِمَدْحِ البَاهِلِيِّ ثَوابُ
مَدَحْتُ ابنَ سَلْمٍ وَالْمَدِيحُ مَهَزَّةٌ فَكَانَ كَصَفْوانٍ عَلَيْهِ تُرَابُ !

صَفْوان و صفاً : واحد ، ويُثنَّى الصَّفا : صَفَوَان ، وصُفِى : جَمْعُه . ومن قال : صفوان ، فجمعه : صفوان ، قال الشاعر[٥] :

[من الطَّويل]

وَلَسْتُ بِجُلْبٍ جُلْبِ غَيْمٍ وَقَرَّةٍ وَلاَ بِصَفاً صَلْدٍ عَنِ الْخَيْرِ مَعْزِلِ[٦]

والصَّلد : الأملس الصُّلب ، قال رؤبة[٧] :

[من الرّجز]

لَمَّا رَأَتْنِي خَلَقَ الْمُمَوَّهِ
بَرَّاقَ أَصْلادِ الْجَبِينِ الأَجْلَهِ

(٥) الشعر لتأبَّط شرّاً (ديوانه ١٧٤) .

(٦) الْجُلب : السحاب الذي لا ماء فيه ، وقيل : هو السحاب المعترض تراه كأنه جبل . يقول الشاعر : « لست برجل لا نفع فيه ، ومع ذلك فيه أذًى كالسحاب الذي فيه قرٌّ ولا مطر فيه » من الديوان . ويُنظر ما نقله المحقق من حواشي الطبري وغيره .

(٧) البيتان من أرجوزة في ديوانه ١٦٥ ـ ١٦٧ ، والثاني في مجاز القرآن ٨٢/١ ، وتفسير القرطبي ٣١٣/٣ . والمموّه : الوجه المزيّن بماء الشباب ، وخلق المموّه : أي بالي الوجه من الكبر . والأجْلَهُ : الذاهب الشعر من مقدّم الجبين .

تشبيه آخر من هذه السورة :

قوله عزّ وجلّ : ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِيْنٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ، وَيَضْرِبُ اللهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ [إبراهيم : ١٤/٢٤ـ٢٥] .

قال ابن جُرَيج : الكلمةُ الطَّيِّبة : هي ذاتُ الأَصل في القَلب . ﴿ تؤتي أُكلها كلَّ حينٍ ﴾ : كلّما قالها صعدت إلى السماء ، ثمَّ جاء خيرُها ومنفعتُها[٨] .

وقد نقلت الشُّعراء هذا التشبيه ؛ أنشدني الأسديّ في أبيات ، ولم يُسَمِّ قائلَها :

[من الطويل]

أَأُمَّ أَبــانٍ قُلْتِ أَمْسِ كُلَيْمَــةً   خِلاساً كَنَبْتِ البَانِ في الشَّبَهانِ[٩]

وقيل : إنَّه عنى بالشَّجرةِ الطَّيِّبةِ : النَّخلةَ ؛ ويشهد بهذا التأويل ما جاء في الأثر من فضيلة النّخل ، وأنَّ النَّبي ﷺ بارك فيه ، وقال : « خير المال : سِكَّة مأبورة ، أو مُهرة مأمُورة »[١٠] . يعني : نخلاً مُلَقّحاً ، والمهرة المأمورة : الكثيرة النِّتَاج ، يقال : أَمِرَ القوم ، إذا كَثُروا .

وقال بعض [٢٦/ب] العرب : نِعْمَ المالُ باسِقاتُ النَّخل ، الرّاسخات في الوَحل ، المُطعِمات في المَحل ؛ يعني : التي تشربُ بعروقها من الأَرض .

---

(٨) ونقل القرطبي (٣٥٩/٩) قال مجاهد وابن جُرَيج : الكلمة الطَّيِّبة : الإيمان .

(٩) الشَّبَهان والشُّبُهان : قيل نوع من العِضَاه (شجر) وقيل هو الثُّمام (نوع من الرياحين) .

(١٠) الفائق في غريب الحديث ٦٠٤/١ ـ ٦٠٥ ، والنهاية في غريب الحديث ١٣/١ ، وفيه : « خير المال مُهرةٌ مأمورةٌ وسكّةٌ مأبورة » : السّكة : الطريقة المصطفّة من النّخل ، والمأبورة : الملقَّحة ، يقال : أبرت النخلة وأبّرتُها فهي مأبورة ومؤبَّرة ، والاسم : الإبَار . وقيل السّكّة سكّة الْحَرْث ، والمأبورة : الْمُصلحةُ له ، أراد : خير المال نتاجٌ أو زرع .

(١١) في الفائق في غريب الحديث ١٠٠/١ ، والنّهاية في غريب الحديث ١٤١/١ . قال : وهو ما شرب من النخيل بعروقه من الأرض من غير سقي سماءٍ ولا غَيْرها (يعني دون سقي الأنهار والآبار وما شابه) .

قـال النَّبيّ ﷺ[11] : « مـا سُقِي منهـا بَعـلاً فَفيـه العُشر » ؛ والبَعـل : مـا شَرِبَ بِعُروقه ؛ قال النابغة[12] :

[من الطويل]

مِنَ الـوارِدَاتِ المـاء بِـالقَـاعِ تَسْتَقي بِـأَذْنَـابِهَـا قَبْلَ اسْتِقَـاءِ الْحَنَـاجِرِ[13]

وقال أبو حاتم : من فضيلة النَّخلِ أَنَّ الله تَعـالى لم يجعلـه في بلادِ كُفر ، ومـا منـه شيءٌ إلاّ في بلدِ إسلامٍ ؛ وما قد وصلَ إليه الإسلام .

وممّا نقلت من خـطِّ المرزبـاني أنَّ قيصر كتب إلى عُمَر بن الخطّـاب[14] رحمـة الله عليـه : « إنَّ رُسُلي أخبروني أنَّ قِبَلَكم شجرة ليست بخليقـةٍ لشيءٍ من الخير ، تُخرج مثلَ آذانِ الحمير ، ثمَّ ينفلقُ عن مثلِ اللُّؤلؤِ الْمَنظوم ، في مثل قُضبانِ الفِضّة ، فتُصيبونَ منه مع طيبِ ريحٍ وطعم ، ثمّ يصيرُ كالزُّمُرُّد الأَخضر في مثـل قُضبـانِ الـذَّهب ، فتصيبـون منـه مع ذلـك ، ثمَّ يصير كاليـاقوت الأحمر والأصفر ، ثمَّ ينضـج فيكـون كالفَـالُـوذ ، ثمَّ ييبسُ فيكون عصمةً لِلْمُقيمِ وزاداً لِلْمُسَافر . فإن تصدقْ رُسلي فهي شجرةٌ من الْجَنَّة » .

فأجابه عمر : « هي النَّخلةُ التي أنبتها الله على مَريم حين نُفِسَت بعيسى ، فاتَّقِ الله ولا تجعلنَّـه من دونِ الله إلهـاً ﴿ إنَّ مَثَلَ عِيْسَى عِنْـدَ اللهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَـهُ مِنْ تُرابٍ ﴾ [آل عمران : ٣/٥٩] .

---

(١٢) هو النابغة الذُّبياني (ديوانه ٩٩) من قصيدة يخاطب بها النعمان بن الحارث ، وللقصيدة خبر .

(١٣) في الديوان : « تستقي : بأعجازها ... » .

ـ قوله من الواردات الماء : يعني النخل المغروسة في الماء ، وذلك أنعمُ لها ، أي : منعوا عدوّهم من النخل . والقاع : بطن الأرض . وقوله : تستقي بأعجازها (أو أذنابها) ، أي تتغذى من أُصولها . وأراد بالحناجر رؤوس النخل وأعاليها ؛ وضرب الحناجر مثلاً .

(١٤) القصّة في ديوان المعاني للعسكري ٢/٣٩ـ٤٠ مرويّة عن الشَّعبيّ . بألفاظ مقاربة

ـ وقوله : ليست بخليقة أي هي غير جديرة ؛ لاتصلحُ . والعبارة على هـذا الرسم لاتصحّ . وكأن أصلها : « ليست بخيلة بشيء من الخير » . وفي رواية العسكري : « أنّ بأرضك شجرة كالرجل القائم تفلق عن مثل آذان الحُمر ... » .

وقال ذَكْوان العِجْليّ يصفُ النَّخل :

[من الطويل]

تَرَى الباسِقَاتِ العُمَّ مِنْها كَأَنَّهَا ظَعَائِنُ مَضْرُوبٌ عَلَيْها قِبَابُها[15]
تَدُرُّ إذَا مَا الشَّوْلُ لَمْ يُرْجَ دَرُّهَا وَأَمْسَتْ مِنَ الألْبَانِ صِفْراً وِطَابُها[16]

وقال سالم بن عبد الله الوالِبيّ[17] :

[من الوافر]

تَخَرَّمَهَا العَطَاءُ فَكُلُّ يَوْمٍ يُجَاذِبُ رَاكِبٌ مِنْها قَرِيْنَا[18]
كَأَنَّ فُرُوعَهَا فِي كُلِّ رِيحٍ عَذَارى بِالذَّوائِبِ يَنْتَصِيْنَا[19]

[٢٧/أ] ومن مُستحسَن التشبيهات قول كعب بن الأشرف[20] :

[من الرّمل]

---

(١٥) العُمّ جمع العميم : الطويل من كل شيء .

(١٦) الشَّول جمع شائلة وهي الَّتي نقصت ألبانها إذا أتى على حملها أو وضعها سبعة أشهر .

(١٧) البيتان من قصيدة مُفَضَّلِيّة ٧٢ـ٧٤ للمرّار بن مُنقذ العَدوي ، الثاني هنا هو السابع هناك ، والأول هو الخامس عشر . وينسب بعض القصيدة للنمر بن تولب (معاني العسكري ٣٩/٢ ، وديوان النمر ١٣١) .
ـ وينظر تخريج القصيدة في المفضليات وديوان النمر .
ـ ولم يذكر اسم سالم بن عبد الله الوالبي في متابعات المحقّقين .

(١٨) تخرّمها : استأصلها . القرين : البعير المقرون بآخر .

(١٩) جوار جمع جارية : الشّابة . والذوائب : الضفائر . ينتصين من المُناصاة وهي المجاذبة . شبه سعف النخل بذوائب جَوارٍ قد أخذ بها بعضهنّ من بعض . أراد أن سعف النخلة ينال سعف الأُخرى مِن تقارُبها . وكان الأصمعي يخطئه في هذا الوصف ويقول : لم يكن له علم بالنخل وإذا تباعد النخل كان أجود له وأصلح لثمره . ورُدّ على الأصمعي بأن مقصد الشاعر أن كثرتها تريها للناظر كأنها متقاربة متشابكة .

(٢٠) قال العسكري (٣٩/٢) من أجود ما قيل في مطلع من الشعر القديم قول كعب بن الأشرف .. وينظر معجم الشعراء ٢٣١ .

وَنَخِيْــلٍ فِي تِــلاَعٍ جَمَّــــةٍ   تُخْرِجُ الطَّلْـعَ كَـأَمْثَــالِ الأَكُفّ

وقول ثَعلبة بن عُمَير الْحَنفيّ[٢١] :

[من الطّويل]

نَمَتْ مِثْـلَ أَغْمَــادِ السُّيُـوفِ وَبَرَّزَتْ   عَنِ اللِّيفِ بِـالأَعْنَـاقِ قَبْـلَ مَـدَى الرَّفْضِ

يُقال : رفض النخيل : إذا انتشر العِذْق .

وقال آخرُ في وصف تأليفها وتشبيه ليفها[٢٢] :

[من الرّجز]

جَــاءَتْ عَلَى غَرْسِ طَبِيبٍ مَــاهِرِ
عِشْرِينَ عِشْرِينَ بِــــذَرْعٍ وَافِرِ
تَرَى لَهَــا بَعْــدَ إِبَــارِ الآبِرِ[٢٣]
مَــآزِراً تُطْــوَى عَلَى مَــآزِرِ

ويُقال : مَن أرادَ النَّخل والأَرض فليغرس على عشرين ذراعاً . وفي مَثَلٍ للفُرْس : « تقول النَّخلة لأُختها : تباعَدِي عنِّي وأنا أَحملُ حَملك وحَمْلِي ! »[٢٤] .

ولعبد الصَّمد بن الْمُعَذَّل ، يصفُ حمل النّخل[٢٥] :

---

(٢١) ثعلبة بن عمير .
- وفي اللسان : رفض النّخلُ : إذا انتشر عِذْقهُ وسقط قيقاؤُه .

(٢٢) المقصود بالطّبيب هنا الخبير . وفي اللّسان : الطَّبُّ والطبيب : الحاذق من الرّجال ، الماهر بعلمه .
- والبيت الأول من الرّجز في اللسان - (ط ب ب) .

(٢٣) الآبر : الذي يأبر النخل (يلقحها) .

(٢٤) وشبيه بهذا المثل بألفاظه مثل دارج عند أهل الغوطة من الشّام حين (يفرّدون) النَّبات أي حين يأخذون الزّائد من النبت المزروع بأيديهم - بعد ظُهوره - اكتفاءً بما يُمكن أن يعيش وينفع ويكفيه الماء والمساحة والهواء والشمس والغِذاء .

(٢٥) عبد الصَّمد بن المعذّل شاعر عباسي من أهل البصرة ، ت ٢٤٠ تقريباً .

[من الرّجز]

كَـأَنَّـهُ فِي نَـاضِرِ الأَغْصَـانِ[٢٦]
زُمُرُّدٌ لاَحَ عَلَى تِيجَـانِ
حَتّى إِذَا تَمَّتْ لَـهُ شَهْرَان
وَانْسَـدَلَتْ عَثَـاكِـلُ القِنْـوَانِ[٢٧]
رَأَيْتَـهُ مُخْتَلِفَ الأَلْـوَانِ
مِثْـلَ الأَكَـالِيـلِ عَلَى الغَـوَانِي

وقال ابن المعتزّ[٢٨] يصفُ النَّخل[٢٩] :

[من الرّجز]

أَعْـدَدْتُ لِلْجَـارِ ولِلْعُفَـاةِ
رَوَازِقـاً فِي الْمَحْـلِ مُطْعِمَـاتِ
تَظَـلُّ فِيهـا الطَّيْرُ نَـاغِمَـاتِ
بِـأَلْسُنٍ كَثِيرَةِ اللُّغَـاتِ
كَـوَاذِبِ القَـوْلِ وَصَـادِقَـاتِ
ذَوَاتِ أَطْـواقٍ مُرَصَّعَـاتِ
[٢٧/ب] يَصْفِقْنَ فيهـا مُتَنَقِّـلاتِ
تَصْفِيـقَ نَشْـوَانٍ عَلَى الأَصْـوَاتِ[٣٠]

(٢٦) الأبيات من أرجوزة في ديوان المعاني ٤٠/٢ .
(٢٧) عثاكل جمع عُثكول العذق ، وهو في النخل بمنزلة العنقود للعنب .
(٢٨) أبو العباس عبد الله بن محمد المعتز بالله .
(٢٩) الأبيات من أرجوزة في ديوانه (بغداد ٥١٨/٢) .
(٣٠) صَفَق الطّائر وصَفَّق : ضَرب بجناحيه (أي يكون الفعل ثلاثياً ومضعَّفاً) .

بَيْنَ حَمَــــــامٍ مُتَهَــــــدِّلَاتِ[٣١]
أَبْــدَتْ مِنَ الكَــافُــورِ ضَــاحِكَاتِ[٣٢]
حَتّى إِذَا صِرْنَ إِلى مِيقَـــــــاتِ
رُحْنَ مِنَ الْجَــــوْهَرِ مُــــوقَرَاتِ
بِــــالـــذَّهَبِ الرَّطْبِ مُكَلَّــلاتِ
ثُمَّ تَبَــدَّلْنَ بِــــأَوْعِيَــــاتِ
لِلْعَسَـلِ الْمَــاذِيِّ ضَــامِنَــاتِ[٣٣]
كَقِطَـعِ العِقْيَــانِ يَــانِعَــاتِ[٣٤]
بِخَــالِصِ التِّبْرِ مُقَمَّعَــاتِ[٣٥]

وكان النَّبي ﷺ يقول[٣٦] : « إذا جـاء الرُّطَبُ فهنِّئـوني ، وإذا ذهب فَعَـزُّوني » .
وقال عليـه الصلاة والسلام[٣٧] : « أَطعموا نُفَسـاءَكُم الرُّطَبَ فـإنَّ الله لوعلم شيئـاً خيراً

---

(٣١) يُقال هَدَل الحمامُ يهدِلُ : إذا صَوَّت .
ـ واستعـار الشـاعر فعلاً خمـاسيّـاً (تهـدَّل) لمعنى هَـدَل . والـذي في كتب اللغـة لهـذا المعنى (هَـدَل) ، ولـ (تهدّل) معانٍ أُخَر من التدلّي والاسترخاء وما شابه .

(٣٢) الكافور : وعاء طلع النَّخل .

(٣٣) الماذِيّ : العسل الأَبيض الرَّقيق .

(٣٤) العقيان : خالص الذهب .

(٣٥) مُقَمّعات جمع مُقَمّعَة اسم فاعل من قَمّع ، يقال قَمّعت المرأة ابنتها بالحِنّاء أي خضّبت به أطرافهـا فصـار لها كالأقماع .

(٣٦) أخرج البَزّار من حديث عائشة رضي الله عنها « يـا عـائشـة إذا جـاء الرُّطب فهنِّئيني » ، وهو ضعيف .
ومن حديثها أيضاً : « لوعلم الناس وجدي بالرطب لعزوني فيه إذا ذهب » قال : وفيه خمسة على نسق ما بين ضعيف وكذّاب (ينظر تنزيه الشريعة المرفوعة للكناني ٢٤٠ ، ٢٥٥) .

(٣٧) أخرج ابن أبي حاتم وأبو يعلى من حديث عليّ ، رضي الله عنه ، رفعـه قـال : « أطعموا نفسـاءكم الوالـد الرُّطَب فـإن لم يكن رطب فتمر . وليس من شجرة أكرمَ على الله من شجرة نـزلت تحتهـا مريم » قـال ابن حجر : في إسناده ضعف . وجـاء في روايـات أُخرى : « ليس للنُّفسـاء خير من الرطب أو التّمر » و : « لوعلم الله أنَّ شيئـاً للنُّفسـاء خير من الرّطب لأمر مريم بـه » و : « ليس للنّفسـاء مثلُ الرّطب ، =

منه أطعمه مريم حين نُفِسَت بعيسى » قيل : يـا رسول الله ، ليس في كلّ أوان يكون ؛ قال : « فالتَّمر ، وخيرُ تمركُم البَرْنِيُّ أَهْنَؤُهُ وأدفَؤُهُ المقدورُ » .

وقال أنس بن مالك : أَوْلَمَ النَّبِيُّ ـ صلّى الله عليه ـ على صفيّة بتمر وسويق[٣٨] .

ومن مُلَحِ التشبيهات قول بعض الأعراب[٣٩] :

[من الطّويل]

وتَمْرٍ كَـأَطْفَـالِ الـزُّنُـوجِ أَتَـوْا بِهَـا ... وَقَـدْ عَمَّـموا بـالـزُّبْـدِ مِنْهـا رُؤُسَهَـا
فَمَـا زَالَتِ الأَنْيَـابُ تَفْرِي بُطُـونَهَـا ... كَمَا فَرَتِ الآسَـادُ يَوْمـاً فَرِيسَهَـا[٤٠]

تشبيه آخر في هذه السورة :

قوله عزّ وجلّ : ﴿ وَمَثَلُ كَلِمَـةٍ خَبِيثَـةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَـةٍ ٱجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الأَرْضِ مَالَهَا مِنْ قَرَارٍ ﴾ [إبراهيم : ٢٦/١٤] .

قيل : هي شجرة الْحَنْظَل[٤١] ، والحالُ ظاهرة في هـذا التّأويل . والعرب تضرب الْمَثَـل بمرارة الحنظـل وخُبث طعمِـه ، فيقـولـون : هـو أمَرّ من الشَّرْي ـ والشَّرْيُ :

= ولا للمريض مثل العسل » . قـال ابن حجر في هـذه الرّوايـات : أسـانيـدهـا صحيحـة . ينظر في فتح البـاري ٤٦٥/٩ ، وفي روايـة المؤلف (ابن نـاقيـا) : « خير تمركم البرني ... » ، روي من حـديث علي (انظر تضعيفه في : تنزيه الشريعة ٢٥٥) .

(٣٨) أخرج البخاري من حديث أنس رضي الله عنه « أن رسول الله ﷺ أعتق صفيّة وتزوّجها وجعل عتقها صـداقهـا ، وأولَم عليهـا بِحَيْس » . والْحَيْسُ : أن يؤخـذ التّمر فينزع نواه ويخلط بـالأَقِـط أو الـدّقيق أو السَّويق . (فتح الباري ١٤٩/٩ . وتُنظر روايات أُخر) .

(٣٩) كأنّه من العصر العباسي .

(٤٠) في ك هنا عبارة : (تشبيه آخر في هذه السُّورة) ؛ ولم ترد في (ف) .

(٤١) ذُكر هـذا التفسير في الجـامـع لأحكام القرآن (القرطبي) ٣٦١/٩ـ٣٦٢ . ووردت وجـوه أُخر من أنـواع الشجر والنبات ، ومن مقاصد مختلفة .
ـ وفيـه :الكلمـة الخبيثـة : كلمـة الكفر ، وقيل : الكافر نفسـه ؛ والشجرة الخبيثـة شجرة الْحَنظل كما في حديث أنس ... إلخ .

الْحَنظل ـ كما يقولون : أَحْلى من الأَرْي ، وهو العَسَل ؛ قال الشاعر يصف رجلاً :

[من المديد]

[٢٨/أ] وَلَـهُ طَعْمَـانِ أَرْيٌ وَشَرْيٌ　　وَكِـلاَ الطَّعْمَيْنِ قَـدْ ذاقَ كُـلٌّ[٤٢]

ويقولون : كأنّه صَرايَةٌ ، والصَّراء[٤٣] : الحنظل أيضاً ، وكذلك الهَبيد[٤٤] ؛ عن أبي عبيدة ، وقيل : الهَبيْدُ حَبُّ الْحَنظل ، يقال : تهبَّد الظَّلِيمُ[٤٥] ، إذا استخرج ذلك ليأكله ، وقال الشاعر[٤٦] :

[من المتقارب]

وَضَرْب الْجَمَاجِمِ ضَرْبَ الأَصَمِّ　　حَنْظَلَ رامَةَ يَجْني هَبِيدَا[٤٧]

وقال ذو الرّمّة[٤٨] :

[من الطويل]

---

(٤٢) كُلّ أصلها : كلٌّ ـ بالتشديد والتنوين الذي هو عوض عن كلمة ـ وحذف التّنوين ، يقول : قد ذاق كل من عرف هذا الرجل من خيره وشرّه .
ويقال : في فلان طعمان : أَرْيٌ وشري .

(٤٣) أي كأنّه صراية وكأنّه الصّراء . والصَّراية : الحنظلة إذا اصفرّت (والجمع صرايا وصراء) ، وترد لمعنى نقيع الحنظل .

(٤٤) الهَبيد ، والهَبْدُ : الحنظل ، أو حَبُّه ، أو شحمه ، واحدته هبيدة .

(٤٥) الظّليم : الذكر من النّعام . وتهبد ، واهْتَبد الظليمُ : نقرَ الحنظلَ فأكل هَبيده .

(٤٦) البيت آخر ثلاثة أبياتٍ في اللسان (هـ ب د) و (ش د ب) . وروايته فيه : حنظل شابة .

(٤٧) يقال ضربه ضربَ الأصم إذا تابع الضرب وبالغ فيه ، لأنَّ الأَصم إذا بالغ يظن أنه مقصّر فلا يُقلع ، فضرب المثل به . والمعنى أنهم يسرفون في الضَّرب ، ويجتهدون في إسرافهم وعقد مشابهة بين ضربهم الجماجم وضرب الأصمّ الحنظل .

(٤٨) ديوان ذي الرّمّة ١١٧٥ من قصيدة في المديح . والبيتان المختاران هما ٢٢ ، و ٢٣ . مُسَدَّم : مندفن . الأعقار جمع العقر : الحوض ، مقام الشاربة ، موضع أخفاف الإبل . القِردان جمع القُراد وهو الدويّبة المعروفة : تلصق بالإبل . شبّه القردان بصيصاء حبّ الحنظل . والنواد : سوابق منه تَنْدُر .

وَكَائِنْ تَخَطَّتْ نَاقَتِي مِنْ مَفَازَةٍ   إلَيْكَ وَمِنْ أَحْوَاضِ مَاءٍ مُسَدَّمِ[49]
بِأَعْقَارِهِ القِرْدانُ هَزْلى كَأَنَّهَا   نَوَادِرُ صِيصَاءِ الهَبِيدِ الْمَحطَّمِ

الصَّيصاء : قِشرُ حَبّ الْحَنظل .

وقال ذو الرّمّة أيضاً ، يصفُ شَجرة الْحَنظل[49] :

| من الطويل |

وَفَاشِيَةٍ في الأرضِ تُلقى بَنَاتُهَا   عَوَارِيَ لا تُكسى دُرُوعاً وَلاَ خُمْرا[50]
إذا مَا الْمَطَايا سُفْنَهَا لَمْ يَذُقْنَهَا   وَإنْ كَانَ أَعْلَى نَبْتِها نَاعِماً نَضْرا[51]
مُحَمْلَجَةِ الأمراسِ مُلْسٍ مُتُونُها   سَقَتْهَا عُصَاراتُ الثّرى ، نَبَتَتْ زُعْرا[52]

وقال النَّبيّ صلّى الله عليه[53] : « مَثَلُ المؤمن الذي يقرأ القرآن مَثَلُ الأُترجة : طيِّب طعمُها ذكيّ ريحها ، ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن مَثَل الحنظلة : مرٌّ طعمها ، كريه ريحها » .

---

(٤٩) ديوان ذي الرّمّة ١٤٤٢ ، والأبيات المستشهد بها هي ٥٦ ، ٥٧ ، ٥٩ من القصيدة .

(٥٠) وفاشية .. يعني نبات الحنظل ، وبَناتها : ثمار الحنظل ، وعواري : لا شيء عليها . والْخُمر جمع خمار ما تضعه المرأة على رأسها .

(٥١) المطايا : الإبل ؛ سُفْنَها أي شَمَمنَها : يعني شممن الحنظل ولم يذقنها .

(٥٢) محملجة : مفتولة مُدمجة . والأمراس : الحبال : يعني بها خيوطها التي هي معلقة بها . وزُعر مُلس بغير ورق .

(٥٣) أخرجه النّسائي وابن ماجة بألفاظ متقاربة . وينظر الفتح الكبير للسيوطي ١٣٠/٣ .

[١] سُورَةُ النَّحْل

قوله عزّ وجلّ : ﴿ وَللهِ غَيْبُ السَّمواتِ وَالأَرْضِ ، وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إلاَّ كَلَمْحِ البَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ ﴾ [الأنبياء : ٧٧/٢١] .

معنى « أو » في قوله : ﴿ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ﴾ البيانُ عن أنَّه على إحدى منزلتين ، إمّا لمح البصر وإمّا أقرب . وقيل : هو لشكِّ المخاطَب ؛ أي : كُونوا منها على هذا الشّكّ[١] .

والتّشبيه في الآية أبلغ الأشياء في وصف ما يُخبَر عنه بمثل هذه الحال من الوحى والسُّرعة وقُرب زمان الكَون ، قال الله تعالى في ذكر عَرش بلقيس : ﴿ قَالَ الَّذي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ﴾ [النَّمل : ٤٠/٢٧] . أي : قبل ارتدادَ الجفنِ على الْجَفن .

وقد كَثُر في كلامهم واشتهر على ألسنتهم قولُهم : فَعل كذا في طرفَةِ عين ولحظة عين ، حتى جعَلوا اللَّحْظة كنايةً عن الوقت والزّمان في الخِفّة والسُّرعة .

وقد شبَّهت الشُّعراء خُفوقَ البَرق ، وهو المَثَلُ في السُّرعة ، بلمحِ البَصَر ، وقالوا : أَوْمَضَ البرقُ ؛ إذا لاح ، وأومض الرَّجل ؛ إذا غَمزَ بعينه ، فَجَعلوا هذا الوصف مُشتركاً بين الحالين ، لِقياسِها في السُّرعة وخِفّة الحركة .

وأنشدني بعضُ الأشراف لدِعبل بن عليّ ، من أبيات[٢] :

---

(١) في كتب التفسير وجوهٌ يحتملُها اللفظ ؛ ويصح بها القصد . يراجع القرطبي مثلاً ١٥٠/١٠ .

(٢) أخلَّ بها الديوان الذي جمعه الدكتور عبد الكريم الأشتر (في طبعتيه) ، والثّاني منها في الدّيوان الذي جمعه الدكتور محمد يوسف نجم (طبعة بيروت) .

[من البسيط]

كَيْفَ السُّلُوُّ لِمَنْ أَعْضَاؤُهُ فِرَقٌ جِسْمٌ بِطُوسٍ وَقَلْبٌ دُونَهُ النَّجَفُ[٣]
مَا زِلْتُ أَكْلأُ بَرْقاً فِي جَوَانِبِهِ كَطَرْفَةِ العَيْنِ تَخْبُو ثُمَّ تُخْتَطَفُ

وأنشدني الأمير أبو محمّد الحسن بن عيسى بن المقتدر لعبدِ الله بنِ المعتزّ ، في وصف البازي وسُرعة مَرِّه[٤] :

[من الرّجز]

يَسْبِقُ طَرْفِي فِي السَّمَاءِ رَكْضَا
كَمَا رَأَيْتَ الكَوْكَبَ الْمُنْقَضَّا

وإنَّما قَرُبَ أَمرُ السَّاعة لأنَّه بمنزلةِ (كُن ؛ فيكون) فَمِن ها هنا صحَّ أنَّها كلَمح البَصَر وأقرب . وهو معنى قوله أيضاً : ﴿ وَمَا أَمْرُنَا إِلاَّ وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالبَصَرِ ﴾ [القمر : ٥٤/٥٠] ، لقوله جلَّ اسمه : ﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ [النَّحل : ١٦/٤٠] .

وقال ذو الرّمّة ، مُخبِراً بهذه الحال من أمر الله[٥] :

[من الطويل]

وَعَيْنَانِ قَالَ اللهُ: كُونَا؛ فَكَانَتَا فَعُولانِ بالأَلْبَابِ مَا تَفْعَلُ الْخَمْرُ[٦]

---

(٣) طوس : مدينة بخراسان ، فُتِحَت أيّام عثمان رضي الله عنه ، وبها قبر عليّ بن موسى الرضا وقبر هارون الرشيد . (معجم البلدان ٤/٤٩ ، مادّة : طوس) .
النَّجف : مدينة بظهر الكوفة في العراق ؛ بالقرب منها قبر علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه . (معجم البلدان ٥/٢٧١ ، مادّة : النجف) .

(٤) ديوان ابن الْمُعتزّ ٢/٤٥٦ من أُرجوزة قصيرة في الزُّرّق (من الجَوارح يُصاد بِهِ) وفيه :
يركضُ في جوّ السَّماء رَكْضا

(٥) ديوان ذي الرّمة ٥٧٨ .

(٦) قوله : « كونا فكانتا » يريد أن تجيئا فجاءتا . و « فعولان بالألباب .. » أي سَحَرتا الألباب وذهبتا =

الرّواية : « فعولان » بالرَّفع ، وقد أنكر ذو الرّمّة على مَنْ خالف الرَّفع في خبر حُكِيَ عنه .

وقال آخر ، متعلِّلاً في طلبِ الرِّزق برجاء الله تعالى ، ومُخبراً عن سُرعةِ حُكمه وحُسن قضائه :

[من البسيط]

لاَ تَضْرَعَنَّ لِمَخْلُوقٍ عَلَى طَمَعٍ ... فَإِنَّ ذَاكَ مُضِرٌّ مِنْكَ بِالدِّينِ[7]

وَٱسْتَرزِقِ اللهَ مِمَّا في خزائِنِهِ ... فَإِنَّ ذَلِكَ بَيْنَ الكَافِ وَالنُّونِ

تشبيه آخر من هذه السورة :

قوله عزّ وجلّ : ﴿ وَلاَ تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثاً تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللهُ بِهِ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ [النّحل : ٩٢/١٦] .

الأنكاث : الأنقاض ، والواحد : نِكْثٌ ، وكلُّ شيء نُقِضَ بعدَ الفَتل فهو أَنْكاث ، حبلاً كانَ أو غزلاً . يُقال : نكث فلانٌ الْحَبل ينكُثُه نكثاً ، والْحَبلُ مُنتَكِث : إذا انتقَضت قواه . ويُستَعار ذلك في نَقض العَهد وغيره .

وأَنشدنا[8] [مُحَمَّد بن علي العشاري ، عن أَحمد بن دُوسْتْ ، عن إسماعيل الصَّفَّار ، عن أحمد بن] سعيد الدِّمشقي ، قال : أَنشدنا الأَميرُ أبو العَبّاس عبد الله بن المعتزّ ، لنفسه[9] :

= بالعقول كما تذهب الخمر بعقول الناس .

(٧) ضَرَع ، وتضرَّع .

(٨) ما بين معقوفتين سقط سهواً من ناسخ : (ف) .

(٩) الأبيات مختارة من قصيدة ثبتت في ديوان ابن المعتز في باب الفخر ١٣٦/١ . وترتيبها فيه ٦ ، ٧ ، ٨ ، ١٩ .

[من البسيط]

وَإنَّ الْجَـدِيْـدَيْنِ اللَّـذَيْنِ تَضمَّنـا ... فَنَـائي بِـأَحْـدَاثٍ إليَّ سِرَاعِ[10]

هُمَا أَنْهَضَـاني قَبْـلَ أَنْ أَنَـا نَـاشِئٌ ... وَقَـدْ صَـارَعَـاني بَعْـدُ أَيَّ صِرَاعِ[11]

كَنَـاقِضَـةٍ إمْرَارَهــا حينَ أَحْكَمَتْ ... قُوَى الْحَبْلِ، خَرقاءِ اليَدَيْنِ صَنَاعِ[12]

وَتَصْدُقُـكَ الأَنْبَـاءُ إنْ كُنْتَ سَـائِـلاً ... وَحَسْبُـكَ مِمَّـا لا تَرَى بِسَمَـاعِ

وقولـه تعـالى : ﴿ تَتَّخِـذُونَ أَيْمَـانَكُمْ دَخَـلاً بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُـونَ أُمَّـةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ ﴾ [النَّحل : ١٦/٩٢] . الدَّخَل : هو ما دخل في الشَّيء على فَسَادٍ ؛ وقيل : الـدَّخَل : الغِلّ والْخَديعة .

وقيل : ﴿ هِيَ أَرْبَى ﴾ أي أَكثرُ عَدداً لطلبِ العِزِّ بهم ، وهو « أفعل » من الرِّبا ، قال الشاعر[13] :

[من الطويل]

وَأَسْمَرَ خَطِّيٌّ كَـأَنَّ كُعُـوبَـهُ ... نَوَى القَسْبِ قَدْ أُرْبِي ذِراعاً عَلَى عَشْرِ[14]

---

(١٠) الجديدان هما الليل والنَّهار . يقول إنَّ مرّ الأَيام ـ الذي أَسرع بالفنـاء إليـه ـ هو نفسـه الَّـذي نقلـه من الطفولة إلى الفتوة إلى الشباب . فكان فيما مضى عوناً له ثم صار بعدما كبر عوناً عليه .

(١١) في الديوان : إذ أنا ناشئٌ .

(١٢) « صَنَاعِ » صفة لـ « ناقضة » ؛ ومثلها خرقاء اليدين .
ـ والصَّناع التي تُتقن ما تعمله ، وعكسها الْخَرْقاء .

(١٣) هو حاتم الطَّائيّ : الشاعر ، الفارس ، الجواد .
ـ البيت من قصيدة قالها يذكُر فيها نَفْسَه ؛ وروايـة البيت في الـدِّيوان (ص ٤٦) . منسوقاً مع بيتين قبله :

متى يـأتِ يـومـاً وارثي يبتغي الغنى ... يجـدْ جُمْـعَ كَفٍّ غير مـلءٍ ولا صِفْرِ

يجدْ فرسـاً مثـلَ العنـانِ ، وصـارمـاً ... حسـامـاً إذا مـا هُـزَّ لم يَرْضَ بـالهَبْرِ

وأسمرَ خطّيـاً كأنّ كعـوبَـهُ ... نوى القسب قد أرمى ذراعاً على العشرِ

(١٤) البيت في صفة الرُّمح . والخط مكان تنسب إليه الرماح الجياد . والقَسب : التَّمر اليابس صلب النواة .=

ومنه : أربى فلانٌ ؛ للزِّيادة التي يَزيدها على غَرِيمه في أَرْشِ مالِه[١٥] .

قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ ﴾ أي : يُخبركم الله بالأمر[١٦] [بالوفاء ، فالهاء في ﴿ به ﴾ عائدة على الأمر] . وتحقيقه ؛ أي يُعاملكم مُعاملةَ الْمُخْتَبِر ليقعَ الْجَزَاءُ بالعمل .

وفي الآية دليل على نهيِ الذين بايَعُوا رسولَ الله عن نَقضِ عَهْدِه ؛ لقوله تعالى : ﴿ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا ﴾ [النَّحل : ١٦/٩٤] .

= وكعوبه : عُقَده . شبَّه كعوب الرّمح بنوى هذا التمر في صلابتها . و (أرمى ذراعاً على العشر) يريد : لا طويل ولا قصير فلا يكون مضطرباً ولا قاصراً .

(١٥) من معاني الأرش : الدّية ، وما يُدفَع بين السّلامة والعيب في السّلعة .

(١٦) ما بين معقوفتين لم يرد في (ف) من سهو النّاسخ .

سُورَةُ الكَهْفِ

قوله عزّ وجلّ : ﴿ وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقاً[1] ﴾[2] [الكهف : ٢٩/١٨] .

الْمُهْل : كُلّ شيءٍ أُذِيب حتّى انماع ؛ عن ابن مَسعود . وقيل : هو دُرْدِيُّ الزَّيت[3] ؛ عن ابن عبّاس . وقيل : هو الذي قد انتهى حَرُّهُ ؛ عن سعيد بن جُبَيْر . وهو « الحميم » أيضاً على هذا التفسير ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَسُقُوا مَاءً حَمِيماً فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ﴾ [محمد : ١٥/٤٧] .

وأنشد مُحَمّد بن يزيد ، للفَرزدق حين نَسَكَ[4] :

[من الطويل]

أخَافُ وَرَاءَ القَبْرِ إنْ لَمْ يُعَافِنِي ... أَشَدَّ مِنَ القَبْرِ التِهَاباً وَأَضْيَقَا[5]

إذا جَاءَني يَوْمَ القِيَامَةِ قَائِدٌ ... عَنِيفٌ ، وَسَوَّاقٌ يَسُوقُ الفَرَزْدَقَا

---

(١) مُرتَفقا : مُجتمعاً ؛ وقيل : منزلاً ، و : مَقرّاً ، و : مِهَاداً ، و : مجلساً . والمعنى متقارب .

(٢) وتمامها : ﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَاراً أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرابُ وسَاءَتْ مُرْتَفَقاً ﴾ .

(٣) دُردِيُّ الزَّيت : ما يبقى في أسفل وعائه ، ويقال له في دارجة الشام : العَكَر .

(٤) أنشدها محمد بن يزيد (المبرّد) في الكامل ١٥٦ وقدم لها ثمة : « وقال الفرزدق في أيام نسكه » . وهي في ديوانه (صنعة الصّاوي ٥٧٨/٢) ، وفيه : « حضر الحسن البصري جنازة النّوار امرأة الفرزدق ، فقال الفرزدق ياأبا سعيد (يعني الحسن) : حَضر هذه الجنازة خيرُ النّاس وشرّ النّاس . أنتَ خيرُهم وأنا شرُّهم ! قال : فما أعددت لهذا اليوم ياأبا فراس ؟ قال : شهادة أن لا إلّه إلا الله مُذ ثمانون سنة ، وأنشأ الفَرزدق يقول ... الأبيات » . ورواها الْمُرتضى في أماليه ٦٥/١ باختلافٍ في البيت الرّابع .

(٥) يريد بالمعافاة : العفو .

[٢٨/ب] لَقَدْ خَابَ مِنْ أَوْلادِ آدَمَ مَنْ مَشَى إلى النَّارِ مَغْلُولَ القِلادَةِ أَزْرَقَا[٦]
إذا شَرِبُوا فيها الْحَمِيمَ رَأَيْتَهُمْ يَذُوبُونَ مِنْ حَرِّ الْحَمِيمِ تَمَزُّقَا[٧]

وقوله تعالى : ﴿ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ ﴾ أي : إذا قُدِّم لِيُشْرَبَ انشوى الوجهُ من حرارته . ويجوز في تَسميته بالماء تأويلان :

أحَدُهما : أن يكون عَنى به الماءَ الْمُطلَق ، إلاّ أنَّه على هذه الصِّفة التي تزيد في عذاب شاربه .

و [الثاني] : يجوزُ أن يكونَ اسمَ الماءِ له مُستَعاراً ، كقوله تعالى : ﴿ ويُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ ﴾ [إبراهيم : ١٦/١٤] ، فسمَّاه ماءً على جهة الاستعارة وليس بماء .

والمياهُ ثلاثة[٨] : ماءٌ مُطلَق ، وماءٌ مُضاف ، وماءٌ مُسْتَعار ؛

فالْمُطلق : هو المتفجِّرُ من السَّحاب ، والْمُنْبجسُ من يَنابيعِ الأَرض ، كماء البحر الَّذي ذكره النَّبيُّ ﷺ ، فقال[٩] : « هو الطَّهورُ مَاؤه ، الحِلُّ ميتتُه » . فهذا هو الماءُ الْمُطلق الذي ذكرت الشعراء أنَّها ورَدته ، وقَافَتْه ، واستَسْقَته ، وشَامَته[١٠] . وإذا أَخبر مُخْبِرٌ أنَّه شربه ، أو قطعه ، أو تطهَّر به ، لم يَلتبس بماء سواه . وهو الَّذي تعتَورُهُ الصِّفاتُ مَدحاً وذمّاً ، فيُقال : عَذْبٌ ، ومِلْحٌ ، وأُجاجٌ ، وَنُقَاخٌ ، وصَافٍ ، وطَامٍ ، وأَزرق ، وأَسْمَر ، وأَخْضَر ، وأَطْحَل[١١] .

(٦) في الديوان : أولاد دارم . ودارم أحد أجداده . ورواية (الْجُمان) أعلى وهي المقصودة من الشاعر . وفيه : مشدود الخناقة أزرقا .
(٧) في الديوان : الصديد بدلاً من الحميم في الشطرين .
(٨) في ك : « والمياه ثلاثة : ماء مطلق وماء مستعمل وماء مضاف وماء مُستعار » ، فهي بذلك أربعة .
(٩) أخرجه أبو داود والترمذي والنَّسائي وابن ماجه وصحَّحه الترمذي . (يُنظر التاج الجامع للأصول ٨٠/١) .
(١٠) قافته من القيافة : تتبَّعتَه . وشامته من قولهم : شام البرقَ والسَّحابَ : نَظر إليه أين يقصد وأين يُمطر .
(١١) الماء الأُجاج : الشديد الْمُلوحة . والنُّقاخ : العذب . والطَّامِي من طما الماء إذا كان كثيراً غامراً . =

وقد وَصفت العرب في أشعارها جميع ذلك ، وأكثَرت من ذكر الماء الَّذي تَردُهُ في سُلوك القِفار المُوحِشة والبلاد النّازحة[١٢] ، ووصْفِه بالتَّغيُّر والأُسونة[١٣] ، والخُبْثِ والأُجونة[١٤] ، وبالَغتْ في ذَمّه وتشبيهِ بكلِّ ما يدلُّ على قِدَم عهدِه ، وكراهَةِ طَعمه ، وقُبح منظره ؛ إشارةً إلى ما تُعانيه من رُكوبِ الأَخطار المَهولة ، وتُلاقيه في قَطْعِ المَفاوِز[١٥] المجهولة ؛ كقول الهُذَليّ[١٦] :

[من الكامل]

وَلَقَدْ وَرَدْتُ الْمَاءَ فَوْقَ جِمَامِهِ   مِثْلَ الفَرِيقَةِ صُفِّيَتْ لِلْمُدْنَفِ
فَصَدرتُ عَنْهُ ظَامِئاً وَتَرَكْتُهُ   يهتَزُّ غَلْفَقُهُ كَأَنْ لَمْ يُكْشَفِ

[٢٩/أ] الفَرِيقة : حُلْبَةٌ تُطْبَخ للنُّفَساء مع حُبوب ، فَشبَّه ماءَ الفريقة بماء ذلك المَكان .

وكقول ذي الرُّمّة[١٨] :

= والأسمر من قولهم للماء والقمح : الأسمران ، على التغليب .
ويوصف الماء بالخضرة إذا كان كثيراً بعيد الغور ، وفي أسماء البحر خضارة . والأطحل : مالم يكن صافي اللّون .

(١٢) النّازحة : البعيدة .

(١٣) يقال : أَسِنَ الماء : تغيَّرت ريحه ؛ فهو آسِن .

(١٤) وأَجَنَ الماء يأجُنُ : تغيّر غير أنه شَرُوب ، أو : غشيه الورق والعِرْمض فتغيّرت رائحته وطعمه ولونه فهو آجن وأجين . وفي كتب اللغة : أجن أجْناً وأُجوناً ، وأجِنَ أَجَناً .

(١٥) المَفاوز جمع المفازة : وهي الصحراء الواسعة .

(١٦) هو أبو كبير الهُذَلي (ديوان الهذليّين ١٠٦/٢) .

(١٧) المُدنف من أدنفه المَرَضُ : براه حتى أشرف على الموت (ويقال في الحب والوجد وما شابه) .
والفريقة : تمرٌ يُطبخ بحلبة للنفساء ، أو حلبةٌ تُطبخ لها مع الحبوب كالمَحْلَب والبرّ (القمح) وغيرهما .
ـ والفريقة : حساءٌ يُعمل للعليل المُدنف .
قلت : والمعنى الثاني ـ الذي لم يذكره المصنف ـ هو المقصود بدليل قول الشاعر : « صُفِّيت لِلْمُدنف » .

(١٨) ديوان ذي الرّمّة : ٦٢٤/٢ ـ ٦٢٥ .

[من الطويل]

وَمَاءٍ كَلَوْنِ الغِسْلِ أَحْوى، فَبَعْضُهُ أَوَاجِنُ أَسْـــدَامٌ وَبَعْضٌ مُغَــوَّرُ[١٩]
وَرَدْتُ وَأَرْدَافُ النُّجـومِ كَـأَنَّهــا قَنَـادِيـلُ فيهنَّ الْمَصَابِيـحُ تـزْهَرُ[٢٠]

وقال أيضاً[٢١] :

[من الطويل]

ومـاءٍ صِرًى عَـافِي الثَّنَـايـا كَـأَنَّـهُ مِنَ الأَجْنِ أَبْوَالُ الْمَخَاضِ الضَّوَارِبِ[٢٢]

وقال الأعشى[٢٣] :

[من الخفيف]

وَقَليبٍ أَجْنٍ كَـــأَنَّ مِنَ الـــزَّفِّ..........
بِـأَرجـائِـهِ سُقُـوطَ نِصَـالِ[٢٤]

وقال أَيضاً[٢٥] :

---

(١٩) في الديوان : « كلون الغسل أقوى ... وبعضٌ معوّر » ونبّه على رواية الْجُمان .
- والغِسل هو الخِطميّ ، وكلّ ما تلزَّج مما يُغسل به الرأس يقال له : غِسْل . وأواجن : متغيِّرة جمع آجن . وأسدامٌ : مندفنة خربة . يقال : بئر سُدْمٌ أي خرب . ومُغَوّر أي مندفن .

(٢٠) أرداف النجوم ، أواخرها (نجوم تطلع في آخر الليل) .
يقول الشاعر : وردتُ في هذا الوقت عند السَّحر .

(٢١) ديوان ذي الرّمّة ١٩٨/١ .

(٢٢) صَرًى : قد طال حَبْسُه (مُكثه) وتغيَّر . وعافي الثنايا : دارس . والثَّنايا جمع الثَّنِيَّة : وهي الطريق ، أو الطريق في الْجَبل . الْمَخاض : الحوامل ، والضوارب : تضرب من يدنو منها لأنها لواقح .

(٢٣) ديوان الأعشى ٣ . ورواية الديوان : « كأنَّ من الرِّيش .. » . وفي ك : « كأن من الزُّرق » ؛ والمثبت من ف . وهو الرواية العالية .

(٢٤) القلب الأجن : البئر الرّاكدة . يقال آجن وأَجِن وأَجْن . والزّفُّ : صِغَارُ ريش النعام أو كُلّ طائر .

(٢٥) ديوان الأعشى ٢٢٣ ، وقبل البيت الْمُستشهد به ؛ وروايته :

وكم دون ليلى من عـــدوٍّ وبلـــدةٍ وسَهبٍ بـــه مُستـوضـحُ الآلِ يَبْرُقُ =

[من الطويل]

وَأَصْفَرَ كَـالحِنَّــاءِ دَاوٍ جِمَــامُــهُ   مَتَى مَا يَـذُقْـهُ فَـارِطُو القَوْمِ يبصُقُوا

وقال ذو الرُّمّة ، تابعاً لقوله[٢٦] :

[من الطويل]

وَكَـائِنْ تَخَطَّتْ نَـاقَتِي مِنْ مَفَـازَةٍ   وَمِنْ نَـائِمٍ عَنْ لَيْلِهـا مُتَـزَمِّـلِ[٢٧]

وَمِنْ جَوْزِ مَـاءٍ عَرْمَضُ الْحَوْلِ فَـوْقَـهُ   مَتَى ما يَـذُقْـهُ مَـائِحُ القَوْمِ يَتْفِلِ[٢٨]

وقال ذو الرُّمّة أيضاً[٢٩] :

[من الطويل]

وَمَـاءٍ كَلَـوْنِ السُّخْـدِ لَيْسَ لِجَمِّـهِ   سَوَاءَ الْحَمَـامِ الوُرْقِ عَهْدٌ لِحَـاضِرِ[٣٠]

= وأصفر كالحنّـــاء طـــام جمـــامـــهُ   إذا ذاقــه مستعــذبُ المـــاء يبصـــقُ

وصف الشاعر ماءً ورده في طريقه ، فهو أصفر كالحناء ، راكد ؛ إذا ذاقه متقدّمو الرّكب (وهم عادةً يألفون شرب الماء على علاته) - بصقوا ، ولم يسيغوه .

- وقوله : داوٍ من دوي الماء ، علاهُ شبه الدُّواية مما تسفيه الرياح . (والدُّواية : ما يعلو اللبن والحليب والمرَق : وهي ما يسمّى عند عامة أهل الشام القشطة) . والجِمام : جمع الجَمّ وهو من الماء: معظمه .

(٢٦) ديوان ذي الرمة ١٤٥١/٣ ، ومطلع القصيدة :

قِف العنسَ في أطـلال ميّـة فـاسـألِ   رسـومـاً كأخـلاقِ الرّداء المُسَلْسَـلِ

والبيتان هما برقم ٦٠ و ٦١ من القصيدة .

(٢٧) يريد : كم تخطّت ناقتي من إنسانٍ نائمٍ متزمّلٍ في ثيابه .

(٢٨) الجـوف : المطمئن من الأرض . والعَرْمضُ : الطُّحلب ؛ وعَرْمَضُ الحـول : أتى عليـه حـولٌ كامـل . والمائح : الذي يغرفُ بيده . ويتفِل : يبصق .

(٢٩) ديوان ذي الرّمّة ١٦٦٥/٣ من قصيدة أولها :

أشـاقتـك أخـلاقُ الرسـوم الـدَّوائرِ   بـأدعـاصِ حوضى المعنقـات النـوادر

والبيتان هما برقم ٢٥ و ٢٦ .

(٣٠) السُّخد : جلدة فيها ماء أصفر ينشق عن رأس الولد : ولد النّاقة ، فشبّه تغيُّره بذلك الحمام الوُرق . =

صَرًى آسِنٌ يَـزْوِي لَـهُ الْمَرْءُ وَجْهَـهُ   وَلَـو ذاقَـهُ ظَمْـآنَ في شَهْرِ نَـاجِرِ[٣١]

وقال آخر[٣٢] ، يصف أرضاً ضلَّ بها وأَصحابه :

[من الطويل]

وَلَمَّــا ٱمْتَطَيْنَــا صَعْبَهــا وَذَلُــولَهــا   إلى أَنْ حَجَبْنَــا الشَّمْسَ دُونَ السُّرادِقِ[٣٣]

تَقَتْنَــا بِفِلْـــذٍ مِنْ سرارة قَلْبِهـــا   فَحُمْنَــا عَلَيْــهِ بَيْنَ حَــاسٍ وَذَائِــقِ[٣٤]

يقول : أصبنـا مـاءً قليلاً في غـامضٍ من هـذه الأرض ، وشَبَّهـه بـالفِلـذ من اللَّحم والكَبِد ؛ لِقِدَمِهِ وتَغَيُّره .

وقال الآخر[٣٥] :

[من الكامل]

مُسْتَعْجِلِينَ إلى رَرِكِيٍّ آجِنٍ   هَيْهَـاتَ عَهْـدُ الْمَـاءِ بـالأَمْسِ[٣٦]

= والوُرقة : خضرةٌ إلى سواد . والجم من الماء : معظمه إذا تراجع . وفي شرح الديوان : ليس لجوفه عهدٌ بحاضر أي بمن يحضر سوى الحمام الوُرق .

(٣١) الصَّرى : الماء الذي طـال حَبْسُه وتغيَّر . والآسن والآجن واحـد . ويَزْوي يقبضُ (وجهه) من تغيُّره ومرارته . وشهر ناجر : تَمُّوز .

- وفي رواية الشعر في الديوان بعض خلاف .

(٣٢) البيتان في معاني الشعر للأشناندانى ٣٣ ؛ وفيه : قال ابن دريـد أنشـدني أبو عثان لمزاحم العقيلي أو غيره من عقيل .

(٣٣) الذَّلول : الدَّابة التي تذلّل للركوب ، وعكسها الصَّعب ، يصف الشاعر أرضاً ضلُّوا فيهـا فركبوا صعبهـا الذي لم يوطأ وذلولها الـذي قـد وُطئ ، يطلبون المـاء . وقولـه : حجبنـا الشمس دون السرادق يقول : أثرنا الغبار فحجبنا الشمس . وجعل الشاعر الغبار سرادقاً .

(٣٤) قوله : « تقتنا » يريد اتَّقتنـا ؛ من قولهم : تقي فلان عـدوّه بفلان أي جعلـه بيني وبينـه ، وسَرارة كلّ شيء : خالصه ؛ وجعل الماء قلباً للأرض لأنّه من بطنها ، و : « حُمنا عليه » : طفنـا بـه فَحَسـا بعضٌ وذَاق بعض .

(٣٥) لم أعرفه .

(٣٦) الرَّكِيّ جمع ركيّة : البئر التي تُحْفَر وتُستنبط .

وقال علقمة بن عَبَدَة[٣٧] :

[من الطويل]

إذا وَرَدَتْ مـــاءً كَـــأَنَّ جِمامَـــهُ مِنَ الأَجْنِ حِنَّـاءٌ مَعـاً وَصَبِيبُ[٣٨]

فلَمّا كانوا يلجؤون إلى وُرودِ هـذه الميـاه ، ويَلْقَوْنَ العَنـاء بِشُربهـا ، والكُلفَـة في تَناوُلِها ، وكان القرآنُ قد نزلَ بلسانِهم وعلى ما عُهِدَ من شَأنِهم ؛ ذكَر الله تعـالى لَهم من العذابِ الذي أعـدَّه للظّـالمين مـا يكونُ في بعضِ أحوالِهم مثـالٌ لـه ، فيـذكرون الكثيرَ باليسير ، والغائبَ بالحاضر ، فقـال تعـالى : ﴿ إِنَّـا أَعْتَـدْنَـا لِلظَّـالِمينَ نَـاراً أَحَـاطَ بِهِمْ سُرادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ ﴾ [الكهف : ٢٩/١٨] ، وقد فَسَّرناه .

والسُّرادق : ثَوْبٌ يُدَارُ حَوْلَ الفُسْطَاط . قال رُؤبة[٣٩] :

[من الرّجز]

يَـــا حَكَمُ بْنَ الْمُنْـــذِرِ بنِ الْجَــارُودْ
سُرَادِقُ العِـزِّ عَلَيْـــكَ مَمْـــدُودْ[٤٠]

وكَما خُوِّفوا بِشُرب هذا الماء فكذلك شُوِّقوا إلى أنهارِ الجنّة ومائهـا ، وإلى سلسبيلهـا وتسنيمها[٤١] ، لِيَرَوْا أنَّ ذلك أَنْفَسُ بالقياسِ إلى ما وَصَفُوه في أشعـارهم بـالصَّفـاء والرِّقَّـةِ

(٣٧) البيت في ديوان علقمة بن عَبدة ، وهو علقمة الفحل ٤٢ .

(٣٨) في الدّيوان : « فأوردتها ماءً كأن .. » . يعني ناقته . وجمام الماء : مـااجتمع منـه وكثر . والأَجْنُ : تغيُّر الماء . الحِنّاء معروف . والصَّبيب : شجَر يُختَضَبُ به .

(٣٩) ديوان رُؤبة ١٧٢ ، أورده وليم بن الورد في ما نُسِبَ إلى رُؤبة من سبعة أبيات . واحتجَّ المصنف بالبيتين الأول ، والخامس . والشعر منسوب للكذاب الحرمازي في الشعر والشعراء ٦٨٥/٢ .
ـ والكذاب الحرمازي كان معاصراً للعجاج ورؤبة .
ـ والحكم بن المنـذر بن الجـارود كان واليـاً على البصرة لهشام بن عبـد الملـك ، وتُراجـع نسبـة الشعر في حواشي مجاز القرآن ٣٩٨/١ .

(٤٠) في المصادر : سرادق المَجْد .

(٤١) في سورة المطفّفين ٢٧/٨٣ ﴿ وَمِزاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ ۞ عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ ﴾ . و﴿ تَسنِيم ﴾ : عينٌ=

والْخَصَر[٤٢] واللَّـذّة ، إذ كانَ لا يخرج وصفُهم عن مـاء العُيـون والسَّحـاب ، كما قـال جابر بن رَأْلان[٤٣] :

[من الطويل]

أَيَـا لَهْفَ نَفْسِي كُلَّما ٱلتَحْتُ لَـوْحَـةً ... إلى شَرْبـةٍ مِنْ مـاء أَحـواض مـارب

بَقَـايـا نِطـافٍ أَوْدَعَ الغَيْثُ صَفْوَهـا ... مُصقَّلَـةِ الأَرْجـاء زُرقِ المشـارِبِ[٤٥]

تَرَقْرَقَ مَـــاءُ الْمُـزْنِ فِيهنَّ وَٱلتَقَتْ ... عَلَيْهِنَّ أَنْفَـاسُ الرِّيَـاحِ الغَرَائِبِ[٤٦]

وقال امرؤ القَيس[٤٧] :

[من الطويل]

فلَمّـا اسْتَطَـابُـوا صُبَّ فِي الصَّحْنِ نِصْفُـهُ ... وَجَـــاؤُوا بماءٍ غَيْرِ طَرْقٍ ولا كَـــدِرْ[٤٨]

بِمَـــاء سَحَـــابٍ زَلَّ عن مَتْنِ صَخْرَةٍ ... إلَى بَطْنِ أُخْرَى ، طَيِّبٍ مَاؤُها ، خَصِرْ[٤٩]

= في الجنّة ، منصبّ ماؤها من علوّ .

(٤٢) الْخَصَر : البَرْد .

(٤٣) هو جابر بن رَأْلان السِّنْبِسي الطائي ، أحد شعراء حماسة أبي تمام ، واختار لـه أبو تمـام قطعتين برقم ٥٩ و ١٩٨ (في شرح المرزوقي على ديوان الحماسة) .

(٤٤) التحت : عطشت .
- ومارب مخففة من مأْرب .

(٤٥) النطاف جمع النطفة : الماء الصافي قلّ أو كثُر .

(٤٦) لم أعثر على الشّعر .

(٤٧) البيتان لامرئ القيس من قصيدة في ديوانه : ١٠٩ في عشرين بيتاً مطلعها :
لعمرُكَ مـــا قلبي إلى أهلـــه بِحُرْ ... ولا مُقْصِرٍ يـومـــاً فيـــأتيني بِقُرْ
واختار المؤلّف البيت التّاسع والعاشر ؛ وننقل شرح الأعلم على البيتين .

(٤٨) يقول : لمّا استطابوا أي أخذوا أطيب الماء ، صُبَّ في الصّحن ملء نصفه من الخمر ، والصّحن : القـدح الواسع ، والطّرق : الماء الذي بالت فيه الإبل وبعرت .

(٤٩) بيّن أنّه ماء جارٍ من ماء السَّحاب فقال : « بماء سحاب زلَّ عن متن صخرة » أي انحـدر عن متن صخرة إلى أخرى فوصفهُ بـالصَّفـاء والبرد لأنّـه يجري من صخرة إلى صخرة ، والْخَصِر : البـارد ، ولم يُسمع في صفة الماء أحسن من هذا .

[٣٠/أ] استطابوا : شَرِبوا ماءً عَذْباً ، وقيل : شَرِبُوا الطَّابَة ، وهي الخمرة اللذيذة ؛ يُقال : شيء طابٌ بمعنى طَيِّب ، وأنشد[٥٠] :

[من الرّجز]

مُبارَكُ الأَعْرَاقِ في الطَّابِ الطّابْ
ابن أَبي العَاصِي وآلِ الْخَطّابْ

ودليل هذا القول قوله : « صُبَّ في الصحن نِصفُهُ .. وجاؤوا بماءٍ » ، وإنَّما صَبُّوا الْخَمْرَ ثمَّ سنُّوا[٥٢] عليها الماء .

وقال أبو عُبيدة : سألت كُثَيِّراً : ما أَشْعَرُ بيتٍ قالت العربُ ؟ فقال : قول زهير[٥٣] :

[من الطويل]

وَلَمّا وَرَدْنَ الْماءَ زُرْقاً جِمامُهُ وَضَعْنَ عِصِيَّ الْحاضِرِ الْمُتَخَيِّمِ

ويُسْتَحسَنُ قول الطِّرِمّاح[٥٥] :

[من الطويل]

---

(٥٠) الشعر لكثيِّر بن كثيِّر النّوفلي يمدح به عمر بن عبد العزيز من ستّة أبيات ، وقبله :
يا عُمَرَ بنَ عُمَرَ بن الخطّاب
وهو في اللسان (ط ي ب) ؛ وتراجع الرّواية .

(٥١) في اللسان : الطّابُ : الطَّيِّبُ ، والطِّيْبُ أيضاً .

(٥٢) سَنَّ الماءَ : صَبَّه .

(٥٣) ديوان زهير ١٣ ؛ والبيت من المعلقة .

(٥٤) قوله : زرقاً جِمَامُه : أي صافٍ . و : ووضعن عصيّ الحاضر أي أقمن على هذا الماء ، والمتخيّم : الذي اتَّخذ خيمة .

(٥٥) ديوان الطِّرمّاح ٢٨٥ من قصيدة أوّلها :
بَرت لكَ حَمّاء العِلاطِ سَجُوعُ وداعٍ دَعَا من خُلّتيك نَزُوعُ
والأبيات المستشهد بها ٣٣ ، ٤٤ ، ٤٥ .

وَمَــا حَبْسُ أبكارٍ أطــاعَ لسَرْحِهــا جَنَى ثَمَرٍ بــالــواديَيْنِ وَشُــوعُ[٥٦]
بِمَــاء سَحَــابٍ غَــادَرَتْــهُ سَحَــابَــةٌ كَمَتْنِ اليَمَــانِي سُـلَّ وَهْـوَ صَنيـعُ[٥٧]
بِــأَطْيَبَ مِنْ فيهــا إذا مَــا تَقَلَّبَتْ مِنَ الأَرْضِ وَسْنَى وَالعُيــونُ هُجُـوعُ[٥٨]

وأخذ تشبيه الغدير بِمَتْنِ السَّيف من قول ذي الرُّمّة[٥٩] :

[من الطَّويل]

فَلما انشَــقَّ ضَــوءُ الفَجرِ حتَّى تَبيَّنتْ جَـدَاوِلُ أَمْثَـالُ السُّيوفِ القَـواطِـعِ[٦٠]

فقال العبّاسيّ[٦١] ، ونقل معنى التشبيه دون لفظه :

[من الطويل]

عَلَى جَـدولٍ رَيَّـانَ لا يَكْتُمُ القَـذَى كَـأَنَّ سَـواقيــهِ مُتـونُ المبــارِدِ[٦٢]

وله أيضاً[٦٣] :

[من الكامل]

---

(٥٦) الأبكار : النَّحل ، وهي صغارها وأحداثُها ، وسرحها : جماعتها . وأطاع لِسَرْحِها : أي دنا وانقاد له . والوشوع : الكثير .
وقول الشاعر : وما حَبْسُ أبكار عنى بالحبس الشيء المحبوس (المخبّأ) من العَسَل المجتنى .
- وفي الديوان ، وغيره من المصادر : « وما جَلْسُ ... » والْجَلْس هو العَسَل .
(٥٧) السيف الصَّنيع : المعتنى به ؛ الذي يُتَعَهَّد بالجلاء والصّقال .
(٥٨) قوله (بأطيب) خبر قوله : وما حَبْسُ أبكار ... إلخ . يقول ليس ذلك العسل المشوب (المخلوط) بماء صافٍ من ماء المزن بأطيب من فيها ... إلخ .
(٥٩) ديوان ذي الرّمّة ٨٠٤ .
(٦٠) رقم بيت الاستشهاد في القصيدة ٤١ ؛ وفيه : ضوء الصُّبح حتى تَعرَّفت .
(٦١) هو ابن المعتز ، والبيت في ديوانه (ط دار المعارف بمصر ٢/٢٤٤) ، وطبعة بغداد ٢/٩٥ .
(٦٢) هو ثالث أبيات قطعة قصيرة .
(٦٣) ديوان ابن المعتز (ط مصر ٢/٢٢٩) ، وط بغداد ٢/٥٨ ـ ٥٩ .

وتَرَى الرِّيــاحَ إذا مَسَحْنَ غَــديرَهُ صَقّلْنَــــهُ ونَفَيْنَ كُـلَّ قَـــذاة[٦٤]
مَـا إنْ يَـزالُ عَلَيْـهِ ظَبْيُ كَـارِعٌ كَتَطَلُّـــعِ العَـــذْراء في المِرْآةِ[٦٥]

وفي هذا التشبيه مُنَاسَبَةٌ لِقَولِ الآخر[٦٦] :

[من الطويل]

[٣٠/ب] لَنَا بِرَكٌ مِثْلُ الْمَرَايا تُريكَ مَا تَـأَخَّرَ في حَـافَـاتِهـا وتَقَـدَّمَـا
إذا عَبَّ فيهــا شَــارِبُ الطَّيْرِ خِلْتَـــهُ يَمُـدُّ إلَيْـهِ الفَرْخُ جيـداً لِيَطْعَمَـا

وأنشدني بعضُ الطّالبيِّين ، ولم يُسَمِّ قائلاً[٦٧] :

[من الكامل]

أَحْسِنْ بهَـا لُجَجـاً إذَا ٱلْتَبَسَ الـدُّجـا كَانَتْ نُجومُ اللَّيْلِ مِنْ حَصْبَـائِهـا[٦٨]
وَإذا تَنَفَّسَتِ الصَّبَـــا فِي مَتْنِهـــا حَكَتِ الـدُّروعَ بِحُسْنِ وَشْيِ رِدائِهـا[٦٩]
وَإذا ٱسْتَمَرَّ بِهَـا الهُبُـوبُ تَطَـايَرَتْ زُهْرُ الكَوَاكِـبِ في بسيطِ هَوائِهـا[٧٠]
وَتَرَجَّحَتْ فيهـــا السَّماءُ وَلَمْ تَـزَلْ خَضْراؤهـا تَرْتَـجُّ في خَضْرائِهـا[٧١]

وَأَمّا الْمَـاءُ الْمُضَـاف فكمَـاء العِنَبِ ومَـاء الرُّمَّـانِ والـوردِ ومـاء اللَّحمِ . قـال أبو ذُؤَيب ، ووصَفَ خَمْراً[٧٢] :

---

(٦٤) القذاة من مثل القش وما شابه .
(٦٥) الكارع : كل خائضٍ ماء ؛ شرب أم لم يشرب .
- ورواية الديوان : كتطلّع الحسناء .
(٦٦) يعني البِرَك الصناعيّة التي تأنقوا في تحسينها .
(٦٧) لم نعرفه .
(٦٨) عند شدّة اسوداد الليل تنعكس صور نجوم السماء على صفحة البِركة .
(٦٩) حكت : شابهت .
(٧٠) زهر الكواكب : المتلألئة .
(٧١) الخضراء الأولى : السّماء ، والثانية البركة (الواسعة العميقة) .
(٧٢) ديوان الهذليين ، شعر أبي ذؤيب الهذلي ٧٢/١ ، ورواية البيت ثمة : =

[من الطويل]

عُقَارٌ كَمَاءِ النِّيءِ لَيْسَتْ بِخَطْمَةٍ ... وَلاَ حَلَّةٍ ، يُلوي السّرورَ شِهابُها[٧٣]

وقال أيضاً[٧٤] ، وذكر الظبية :

[من الطويل]

فَسَوَّدَ ماءُ الْمَرْدِ فاهَا فَلَوْنُهُ ... كَلَونِ النَّؤُورِ وَهْي أَدْماءُ سَارُها[٧٥]

وقال بعض الْمُحدَثين في مُخاطَبةِ الدّار[٧٦] :

[من الكامل]

وَكَأَنّما حَصْبَاءُ أرضِكِ جَوْهَرٌ ... وَكَأَنَّ ماءَ الوَرْدِ قَطْرُ نَدَاكِ

فهذا وما جرى مجراه لا يُطلَقُ عليه اسم الماء .

وأمّا الماء الْمُستَعار فكقولهم : ماء الشَّبِيبة ، وماءُ الدُّرّ ، وماءُ الصَّبابة ، وماءُ الهَوى ؛ كقول ذي الرُّمّة[٧٧] :

[من الطويل]

أَدَاراً بِحُزْوى هِجْتِ لِلْعَيْنِ عَبْرَةً ... فَمَاءُ الهوى يَرْفَضُّ أَوْ يَتَرَقْرَقُ[٧٨]

= عُقارٌ كماء النِّيء ليسَتْ بِخَمْطَةٍ ... ولا خَلَّةٍ يَكْوي الشُّروبَ شِهَابُها

(٧٣) قوله : كماء النِّيء : أراد : في صفائها ؛ والنِّيءُ : ما قَطَرَ من اللحم .
والخمطة : الخمر أوّل ما تبدأ بالحوضة قبل أن تشتدّ . والخلّة : الحامضة والشُّروب : جمع الشَّرب (وهم الشاربون) .

(٧٤) ديوان الهُذليّين (شعر أبي ذُؤيب الهذلي) ٢٤/١ .

(٧٥) المرد : الغضّ من ثمر الأراك . والنَّؤُور : دخان الشحم يعالج به الوشم ويُحشى به حتى يخضرّ . والأدماء : البيضاء ؛ وقوله : سارُها أي سائرها .

(٧٦) لم أعرفه .

(٧٧) ديوان ذي الرُّمّة ٤٥٦/١ . والبيت أول قصيدة له من ٥٧ بيتاً .

(٧٨) حُزوى : موضع في ديار بني تميم . ويَرْفَضُّ : يسيل . ويترقرق : يتردّد (كمن يجيء ويذهب) .

ولا ماءَ للهوى ، وإنَّما أرادهُ استعارةً ، ذهب فيه إلى « الدّموع » إذ [٣١/أ] كانت تكون عن الهوى . وقال أعرابيّ[٧٩] :

[من الطويل]

يَهِيـجُ عَلَيَّ الشَّـوْقَ نَـوْحُ حَمامَــةٍ دَعَتْ شَجْوَها في إِثْرِ إِلْفٍ تَشَوَّقا[٨٠]
دَعَتْ ، فَبَكَتْ عَيْنَا مُحِبٍّ لِصَوْتِهَا وَفَاضَ لَهَا مـاءُ الهَوى فَتَرَقْرَقا !

وقال ذو الرُّمّة أيضاً[٨١] :

[من البسيط]

أأن تَرَسَّمْتَ مِن خَرقـاءَ منزلــةً ماءُ الصَّبابة من عَينيكَ مَسْجُومُ ؟ ![٨٢]

ولا ماءَ للصّبابة ، وإنما ذَهَبَ إلى الدُّموع لأنها عَنها[٨٣] .

وقال عمر بن أبي ربيعة :

[من الخفيف]

وَهْيَ مَكْنُونَــةٌ تَحَيَّرَ مِنْهــا في أَديمِ الْخَـدَّيْنِ مَـاءُ الشَّبَـابِ[٨٥]

وإنَّما ذهب إلى رونقه ورفيفه[٨٦] ، فلَمّا ناسَب الماءَ مِنْ هذه الجهة جعَلَه ماءً .

ويُقَال : سيفٌ له ماء ؛ يذهب إلى فِرِنْدِه ، ويقولون : هذا سيفٌ من ماء

---

(٧٩) لم أعرفه .

(٨٠) « هاج » : يكون لازماً ؛ ويكون متعدّياً .

(٨١) ديوان ذي الرّمة (١/٣٧١) ؛ والبيت مطلع قصيدة .

(٨٢) الترسم : التثبّت والنظر . وخَرْقاء : الفتاة التي يشبّب بها . والمنزلة : المنزل . ومسجوم : سائل منسكب .

(٨٣) أي لأن الدموع تكونُ عن الصّبابة وفرط الشوق .

(٨٤) ديوان عمر بن أبي ربيعة ٤٢٣ .

(٨٥) توصف الفتاة بأنها مكفوفة ، من السّتر والصّون .

(٨٦) رَفّ السّيفُ (وغيره) رفيفاً : برق ولمع وتلألأ .

الحديد ، يذهبون إلى صفائِه ورونقِهِ . قال الشّاعر[٨٧] :

[من الطويل]

وَأَبْيَضَ مِنْ مـاء الْحَـديـدِ كَـأَنَّـهُ شِهـابٌ بِكَفَّيْ قَـابِسٍ يَتَلَهَّبُ[٨٨]

وقالَ بَعْضُ العَرَب[٨٩] :

[من الطويل]

فَمَا وَجْدُ مَغْلوبٍ بِصَنْعاءَ مُوثَقٍ بِسَاقَيْـهِ مِنْ مـاء الحديـدِ كُبُولُ[٩٠]
يقولُ لَـهُ الْحَـدَّادُ : أَنْتَ مُعَـذَّبٌ غَـدَاةَ غَـدٍ أَوْ مُسْلَمٌ فَقَتِيـلُ
بِـأَكْثَرَ مِنِّي رَوْعَـةً يَـوْمَ رَاعَني فِراقُ حَبيبٍ مَـا إِلَيْـهِ سَبيـلُ

وقد جعل الله النُّطفة ماءً على سبيل الاستعارة ، فقال عزّ وجلّ : ﴿ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ﴾ [الطّارق : ٨٦/٦] .

وَقَالَ الشّاعر[٩١] :

[من البسيط]

وَذَاتِ مَـاءَيْنِ قَـدْ غَيَّضْتُ جَمَّهَا بِحَيْثُ تُسْتَمْسَكُ الأَرْماقُ بِالْحَجَرِ[٩٢]

الْحَجَر : يَعني الْحَصاة التي يُقْسَم عليها الْمَاء[٩٣] . والماءَان : ماءُ بَدَنِها وَمَاءُ الفَحْلِ في رَحِمِها .

---

(٨٧) لم يُذكر .
(٨٨) القابس اسم فاعل من قبس : أي أخذ النار أو أَوْقَدها .
(٨٩) لم أعرفه .
(٩٠) في النسخة (ف) : فما وجد مغلوب ؛ وفي (ك) : مغلول .
(٩١) لم أعرفه .
(٩٢) الأرماق جمع الرَّمَق : بقيّة الحياة .
ـ وفي حاشية (ك) : اسم هذا الحجر المذكور الصّفن .
(٩٣) هذه العبارة لم ترد في (ك) .

غَيَّضْتُ جَمَّهُمَا : يعني بإتعابهِ إيّاها حتّى ضَمرت . [٣١/ب] .

وسُمِّي العَرَق ماءً على الاستعارة ، قال ذو الرُّمَّة[٩٤] :

[من الطويل]

إذَا القَـوْمُ رَاحُـوا راحَ فيهـا تَقَـاذُفٌ إذا عَصَرَتْ مـاءَ الْمَطِيِّ الهَـوَاجِرُ[٩٥]

وَمِنْ أبيات المعاني[٩٦] :

[من الطويل]

وَأَقرى كَفُسْطـاطِ العِزيـزِ جَعَلْتُـهُ نَجِيَّ هَمُـومي وَهْـوَ لا يَتَكَلَّمُ
وَضَـاحٍ كَظِـلِّ النَّسْرِ مَلَّكْتُ شِكَّتي جَـوَانِبَـهُ وَالعِيسُ بـالمـاءِ تَهْجُمُ

أَقرى : يعني طويل الظّهر ، والناقةُ قَرْواءُ . قولـه : وَضـاحٍ : يُريـد ثوبـاً بـارزاً للشمس ، تَظلَّلَ بـه وجعَـل سِلاحَـهُ أطنـابـاً لـه . والعِيس بـالمـاء تهجم : أراد العَرَقَ ؛ وهاجِرَةٌ هَجُوم : تُخْرِج العَرَق .

وقال الآخَر[٩٧] يذكُرُ فَرساً نازَلَ عَلَيها :

[من الطويل]

تَـوقَّفَ مِنْ مَـاءِ النّفـوسِ وَمَـائِـهِ شَرِيجَيْنِ : مُبْيَضّـاً وآخَرَ أحْمَرَا
تَحَـدَّرَ مِنْ أَقْطـارِهِ وَهْـوَ نـاصِـعٌ فَلَمّـا عَـلا أَرْسَـاغَـهُ عـادَ أَغْبَرا[٩٨]

---

(٩٤) ديوان ذي الرّمة ١٠٢٧/٢ ؛ وفيه « يريد : راح في هذه الناقة تقـاذف أي تَرامٍ : في السَّير . وقولـه : إذا شربت ماء المطي الهواجر : يقول عصرتهـا فـأيبست جلودهـا » . وقولـه شربت يشبـه روايـة المؤلف : عصرت .

(٩٥) في الديوان » إذا شربت ماء المطيّ .

(٩٦) المقصود بأبيات المعاني ، مافيه معانٍ غريبة ، أو غامضة تحتاج إلى إيضاح وبسط .

(٩٧) لم يُذكر .

(٩٨) يقال : شرح الشراب بالماء : خلطه ومزجه .

تَوَقَّف : لبسَ وَقْفاً ، وهو السّوار[٩٩] . ماءُ النُّفوس : يَعني الدَّم . شَرِيْجَيْن : خليطَيْن .

وقال الأعشى[١٠٠] يذكر ناقته في مدح هَوْذَة[١٠١] :

[من الطويل]

أَلَمَّتْ بِأَقْوامٍ فَعَافَتْ حِياضَهُمْ قَلُوصي ، وَكَان الشُّربُ مِنْها بِائكا[١٠٢]

رجع بنا القول إلى تفسير قوله تعالى : ﴿ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقاً ﴾ [الكهف : ٢٩/١٨] . الْمُرادُ بذمِّ الشراب : التّأكيدُ في تخويفِهم وزَجْرِهم ، والمبالَغَةُ في كَفِّهم ورَدْعِهم . وقولُه : ﴿ مُرْتَفَقاً ﴾ أي : مَنزلاً ، كما قال : ﴿ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلاً ﴾ [الكهف : ١٠٢/١٨] . ـ ومرتفقاً على التميز ـ وقيل : المرتَفَقُ : الْمُتَّكأُ ، مِنَ المِرْفق ، قال أبو ذؤيب[١٠٤] :

[من البسيط]

نامَ الْخَلِيُّ وَبِتُّ اللَّيْلَ مُرْتَفِقاً كَأَنَّ عَيْنِيَ فيها الصَّابُ مَذْبوحُ[١٠٥]

---

(٩٩) الوقف : سوار من عَاج .

(١٠٠) ديوان الأعشى ٩١ .

(١٠١) هو هَوْذَةُ بنُ عليّ الحنفي ، كان والي اليمامة قبل الإسلام ، شاعر بني حنيفة وخطيبهم . مات سنة ٨ للهجرة غير مسلم .
ـ والقَلُوص : الناقة .

(١٠٢) أَلَمَّ بالقوم : زارهم زيارة قصيرة . والحياض جمع الحوض وهو الذي تشرب فيه الماشية ؛ كنّى به عن بيوتهم وضيافتهم . والقَلُوص : الناقة الفتيّة .

(١٠٣) « قوله تعالى : ﴿ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقاً ﴾ . أي مُتَكأً . من الارتفاق وهو الاتّكاء على مِرْفق اليد . وأُطلق عليها مرتفق مشاكلةً لقوله تعالى بعد : ﴿ وحَسُنَتْ مُرْتَفَقاً ﴾ وإلاّ فلا ارتفاقَ لأهل النار » . قاله في صفوة البيان .

(١٠٤) ديوان الْهُذَليّين ١٠٤/١ من شعر أبي ذؤيب الْهُذَليّ . ـ وينظر مجاز القرآن لأبي عبيدة ٤٠٠/١ ، وتفسير الطبري ٢٤١/١٥ .

(١٠٥) في ديوان الْهُذَليّين : وبتّ الليل مُشتجراً .
والصّاب : شجرة مُرّة لها لبنٌ (سائل أبيض) يُؤذي العين إذا أصابها . وقوله : مذبوح أي مشقوق .

[٣٢/أ] سُورَةُ الأَنْبِيَاءِ

قولُه عزّ وجلّ : ﴿ يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكِتَابِ ﴾[١] [الأنبياء : ١٠٤/٢١] .

جاء في التفسير ﴿ السِّجِلّ ﴾ : الصَّحِيفة التي فيها الكتاب[٢] ، وقال ابن عبّاس : ﴿ السِّجِلّ ﴾ : الصُّحُفُ تُطوى على ما فيها من الكِتَابة ، وقيل : ﴿ السِّجِلُّ ﴾ : كاتِبٌ كان لرسول الله ﷺ[٤] ، وقيل : ﴿ السِّجِلّ ﴾ : مَلَك . وقد قُرِئ : ﴿ السِّجْلِ ﴾ بإسكان الجيم ، وقَرأ حمزةُ بن حبيب ، وعليُّ بنُ حمزة الكسائي ، وعاصم بن بهدلة ، في رواية حَفص : ﴿ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ﴾ . وقَرأ الباقون : ﴿ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكِتَابِ ﴾ .

والآيةُ تتضمَّن تجديدَ الخلق لِلْجَزاء ، مِن إفنائِه ثمَّ إعادَتِه ، كما يُطْوى الكتابُ على ما فيه ، ثمَّ يُنشَر للعمل به .

وقد استَعمل[٥] الشُّعراء اسمَ : « الطَّيّ » في صِفاتٍ كثيرة ، استعارةً وتشبيهاً ،

---

(١) وفي هذه الآية قراءات في : ﴿ نطوي السماء ﴾ ؛ و ﴿ السّجلّ ﴾ ؛ والكتاب .
وقراءة ﴿ للكتاب ﴾ هي قراءة ابن كثير ، وابن عامر ، ونافع ، وأبي عمرو ، وعاصم ، وشعبة ، ويعقوب ، وأبي جعفر .
(ينظر كتاب : معجم القراءات القرآنية ١٥٥/٤) .

(٢) يُنظر تفسير الطبري ٩٩/١٧ ـ ١٠٢ ، وتفسير القرطبي ٣٤٦/١١ .

(٣) كلمة (نطوي) سقطت من (ف) .

(٤) رُوي في القرطبي عن ابن عَبّاس رضي الله عنهما ، قال القرطبي : وليس بالقويّ ؛ لأن كتّاب رسول الله ﷺ معروفون ليس هذا منهم ، وليس في أصحابه من اسْمُه السِّجلّ .

(٥) في (ك) : استعملت الشعراء .

من ذلك قول امرئ القيس[٦] يذكُر الحمار[٧] :

[من الطويل]

طَوَاهُ اضْطِمَارُ الشَّدِّ فَالبَطْنُ شَازِبٌ   مُعَالًى عَلَى الْمَتْنَيْنِ فَهْوَ خَمِيصُ[٨]

وقول ذي الرُّمّة أيضاً[٩] :

[من الطويل]

طَوَى طَيَّةً طَيَّ الكَرَى جَفْنَ عَيْنِهِ   عَلَى رَهَباتٍ مِنْ جَنَانِ الْمُحَاذِرِ[١٠]

وقال ، وذكر رامياً[١١] :

[من الطويل]

طَوَى شَخْصَهُ حَتَّى إذا ما تَوَدَّقَتْ   عَلَى هِيْلَةٍ مِنْ كُلِّ أوْبٍ تُهَالُهَا[١٢]

وقال جرير[١٣] ، وذكر الخيل :

[من الكامل]

وَطَوى الوَجيفُ مَعَ الطِّرادِ مُتُونَها   طَيَّ التِّجارِ بِحَضْرَمَوْت بُرُودا[١٤]

---

(٦) ديوان امرئ القيس ١٨٠ .

(٧) يصف الحمار الوحشي . والاضطمار : الضّمر . والشّدّ : العَدْو . وشازب : ضامرة (صفة للبطن) .

(٨) في (ف) : معارّ على المتنين . وفي (ك) : « تعالى » . وأثبتُّ ما في (ك) لموافقته الدّيوان .

(٩) ديوان ذي الرُّمّة ١٦٩١/٣ .

(١٠) البيت من صفة ذئب .

قوله طوي طيّةً أي أغمضَ عينه على نوم . وقوله : « من جَنان المحاذر » أي ما جَنَّ دونه مِمّا لم يره ؛ أي : يهابُ مِمّا لم يره . والجنانُ : القلب .

(١١) ديوان ذي الرُّمّة ٥٤٠ .

(١٢) طوى شخصه : يعني الصائد : تضاءَل . و : تودّقت : دنت (يعني الحمر الوحشية) . على ميلةٍ : أي على فزعة . ومعنى تُهالُها أي تُفزعها .

(١٣) ديوان جرير ٣٣٩/١ .

(١٤) التّجار جمع تاجر . والبُرود : الثياب .

ومنه قول ذي الرُّمّة[١٥] :

[من الرّجز]

وَقُلُصٍ مُقْـــــوَرَّةِ الْجُلـــــودِ[١٦]
عُـوجٍ طَـوَاهَــا طِيَّـــةَ ٱلبُرُودِ[١٧]
شَجّي بــأَلْحِيهَــا رُؤوسَ البِيــدِ[١٨]

وقال أيضاً[١٩] :

[من الطويل]

[٣٢/ب] طَوَى بَطْنَهُ التَّوْجَافُ حَتّى كَأَنَّـهُ   هِـلالٌ جَلَتْ عَنْـهُ ظَـلاماً سَحَـائِبُـهْ[٢٠]

واقتفى أبو نُواسٍ أثرهم أيضاً بقوله[٢١] :

[من مجزوء الرّجز]

طَيَّ   القَرَارِيِّ   الْحَبَرْ[٢٢]

---

(١٥) ديوان ذي الرُّمّة ٣٤٥ ـ ٣٤٦ من أُرجوزة له .

(١٦) قُلُص جمع قَلُوص وهي النّاقة الفتيّة . ومقورّة : ضامرة .

(١٧) أي اعوجّت من الضُّمر الواحد : أعوج ، والواحدة عَوْجاء . وطواها السَّفر .

(١٨) يُقال : شجَّها : أي عَلاها . والألحي : الفك . وطواها طِيّة البرود ما شجَّ بها من البيد وهو ركوبه لها وعلوه إياها .

(١٩) ديوان ذي الرُّمّة ٨٣٩/٢ .

(٢٠) البيت من صفة بعير . والتوجاف ضربٌ من سير الإبل يقول كأنه هلالٌ (لضموره) نضت عنه الرياح السحائب .

(٢١) ديوان أبي نواس ٤٤٠ .

(٢٢) من أُرجوزة له في مدح الفضل بن الربيع .
والبيت من وصف الإبل ، وقبله :

خُــوضــاً يُجــاذِبْنَ النُّخر
قــد انطــوت منهــا السُّرر =

وقال في معنى آخر[٢٣] :

[من الطويل]

طَوَى الْمَوْتُ مَا بَيْنِي وَبَيْنَ مُحَمَّدٍ وَلَيْسَ لِمَا تَطْوي المنيَّةُ نَاشِرُ[٢٤]

وقال الآخر في الغزل[٢٥] :

[من الطويل]

إنْ كَانَ هَذَا مِنْكَ حَقّاً فَإِنَّني مُدَاوِي الَّذي بَيْني وَبَيْنَكِ بِالْهَجْرِ
وَمُنْصَرِفٌ عَنْكِ انْصِرَافَ ابنِ حُرَّةٍ طَوَى وُدَّهُ، وَالطَّيُّ أَبْقَى مِنَ النَّشْرِ !

وقال العبّاس بن الأحنف في وصف امرأة[٢٦] :

[من البسيط]

شَمْسٌ مُقَدَّرَةٌ في خَلْقِ جَارِيَةٍ كَأَنَّمَا كَشْحُهَا طَيُّ الطَّوامِيرِ[٢٧]

فهذا الشاعر مِمَّن حاول نقل التَّشبيه في الآيةِ فظهرت كُلفته وبانت هُجْنَتُه ، وهو من حُذّاقِ الْمُحْدَثين وفُصَحائهم ، فَجمع في تشبيهِ الواحِدِ ، وفَخّم بذكر الطَّوامير ، وهو يَصِفُ اللَّطافَةَ . ولا سبَب لِمُجانبتِهِ الصَّوابَ ، إلا التَّعرُّضُ لآيِ الكِتَاب .

=

طــي القــراريّ الحِبَـرْ

ـ والقَراريّ : الخيّاط . والحِبَرُ جمع الحبرة : نوع من الثياب (من بُرد اليمن) .

(٢٣) الشّعر لأبي نواس في ديوانه ٩٥٦ .

(٢٤) المرثي هو محمد الأمين بن هارون الرشيد .

ـ والبيت رأسُ قطعة من أربعة أبيات .

(٢٥) لم يُذكر .

(٢٦) ديوان العباس بن الأحنف ١٣٦ .

(٢٧) في الديوان : شمسٌ ممثّلةٌ .

ـ الكشح الخاصرة ؛ والطوامير جمع الطومار ؛ والطّامُور وهو الصَّحيفة .

سُوْرَةُ الْحَجّ

قَولُه عزّ وجَلّ : ﴿ وَإِنَّ يَوْماً عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمّا تَعُدُّونَ ﴾ [الحج : ٤٧/٢٢] .

قِيل[١] : المُراد من الأَيّام : التي خلَق اللهُ فيها السّموات والأَرض ؛ عن ابن عبّاس .

المعنى : وإنَّ يوماً عند ربِّك من أيّام العَذاب ، في الثِّقَلِ والاستطالَةِ ، كألفِ سنةٍ ممّا تَعُدّون ، فكيفَ يَستعجلون بالعَذاب لولا أَنَّهم جُهّال ؟!

وهذا كقولهم : أَيّام الْحُزْنِ طِوال ، وأَيّامُ السُّرور قِصارٌ !

[٣٣/أ] أَنشدني بعضُ الأصحاب لشاعرٍ قديم[٢] :

[من الطويل]

مَسَاؤُكَ سُكْرٌ وَالصَّبَاحُ خُمارُ   نَعِمْتَ ، وَأَيَّامُ السُّرورِ قِصَارُ[٣] !

وَإلى هذا المعنى أشار ذُو الرُّمّة بقولِه[٤] :

[من الطويل]

---

(١) يُنظر تفسير الطبري ١٨٣/١٧ ، وتفسير القرطبي ٧٨/١٢ .

(٢) لم يُذكر .

(٣) « نعمت » جُملةٌ دُعائية ؛ والْخُمار : صداعُ الْخَمر .

(٤) ديوان ذي الرُّمّة ١٣٣٥/٢ من قصيدة في واحد وأربعين بيتاً .

وَمَا يَوْمُ خَرْقَاءَ الَّذي فيـهِ نَلْتَقي   بِنَحْسٍ عَلَى عَيْني وَلاَ مُتَطَـاوِلِ[5]

ومنه قول الآخر أيضاً[6] :

فانظُرْ كم بين الكلامَيْن في البلاغة ! وبين العبارتين في الرَّشاقة ! وإنَّما ذهب جرير إلى أنَّ العيون قتلنه ولم يُقَدْ منها ، ولو أُخِذَ القَوَدُ[7] منها لكان ذلك كالحياة لمن قتلنه ، فنظر في هذا المعنى إلى قوله تعالى : ﴿ وَلَكُمْ فِي القِصَاصِ حَيَاةٌ ﴾ [البقرة : ١٧٩/٢] .

قال الأَصمعي : فقلت : ففي بيت الأخطل زيادة بقوله : (وأَرْوى لِفُرَّاغِ الرِّجال ...) ، فقال : أجل ! هي زيادةٌ ، وقول جرير ـ على ذلك ـ أَحلى وأحسنُ إمتاعاً للأَسماع .

وإنَّما نقل الأخطلُ هذا المعنى من قول أرسطالس[8] : « العِشْقُ شُغْلُ قَلْبٍ فارِغ » .

قد أكثرت الشُّعراء في تغزُّلهم من وصف طُول اليوم وقِصَرِه بِقُرب المحبوب وبُعده ، كما قال الخزاعي[9] :

[من الوافر]

---

(٥) خَرقاء : اسمُ الْمُخَاطَبَة .
يقول : ليس هو بنحسٍ حين أراه ، هو يوم سُرور ؛ وليس هو بطويل ؛ أي هو قصيرٌ لسروره .

(٦) هو مجنون ليلى كما في اللسان ، وأورده المرزوقي دون نسبة ـ ثالث ثلاثة أبيات في شرح الحماسة ١٣٥٧ .
وهو في أمالي الْمُرتضى لبشر بن عبد الرَّحمن الأَنصاري .
ويُنظر مجموع شعر المجنون ، وحواشي القِطعة (ص ٢٥٦) .

(٧) القَوَد : القِصاص .

(٨) العبارة كما أوردها الثَّعالبي في التمثيل والمحاضرة (١٧٥) : « العشق داء لا يعرضُ إلاَّ للقلوب الفارغة ، وفي نسخة منه : العشق داءٌ يَعرِض للقلوب الفارغة » .

(٩) لم أعرفه ، فإن كان كثيِّر عزَّة ، كما توسَّمت من قبل ؛ فإنها لم يردا في ديوانه ولا في ملحقاته . وخلا منه ديوان أبي الشِّيص .

يَطُـولُ اليَـوْمُ لاَ أَلْقَـاكَ فيـهِ ... وَعَـامٌ نَلْتَقي فيـهِ قَصيرُ !
وَقَـالُـوا : لا يَضُرُّكَ نَـأْيُ شَهْرٍ ؛ ... فَقُلْتُ لِصَاحِبَيَّ : فَمَنْ يَضيرُ ؟

وأنشدني بعض البادية لجميل العذري[١٠] :

[من الكامل]

إنِّي لأَحْفَـظُ سِرَّكُم ويَسُرُّني ... ـ لو تعلمين بصالحٍ ـ أن تَـذْكُري[١١]
ويكونُ يـومٌ لا أرى لـكِ مُرْسَلاً ... أو نلتقي فيـه ، عَلَيَّ كَـأَشْهُرِ[١٢]
[٣٤/أ] يـا ليتني ألقى المنيَّـةَ بغتـةً ... إنْ كان يـوم لقـائِكُمْ لَمْ يُقْـدَرِ !
تُقضى الـدُّيـونُ ولَمْ يُنَجِّزْ عـاجلاً ... هـذا الغريمُ لنـا وليس بِمُعْسِرِ[١٣]

وقال الطَّائي[١٤] :

[من الكامل]

أعـوام وَصْـلٍ كان يُنْسِي طُـولَهـا ... ذِكْرُ النَّـوى فكأَنَّهـا أيَّـامُ
ثُمَّ انْبَرَتْ أيـامُ هَجْرٍ أَعْقَبَتْ ... بجَـوًى أسًى ، فكأنَّهـا أعـوامُ
[ثُمَّ انقضت تلـكَ السِّنونُ وأهلهـا[١٥] ... فكأنَّهـا ، وكأنَّهم أحـلامُ][١٦]

---

(١٠) ديوان جميل بثينة ١٠٨ .

(١١) اختار في الديوان : « إذ تَذكرين بصالحٍ أن تُذكَري » .

(١٢) كأنه قال : يمرُّ عليَّ كأشهر .

(١٣) لم يُنَجِّز : لم يُلزم بالنَّجاز والوفاء .

(١٤) هو أبو تمام الطائي والشعر في ديوانه ١٥١/٣ ، والقصيدة في مدح المأمون .

(١٥) انفردت (ك) بإيراد هذا البيت ، وفي حاشية الصفحة ، ولا يبعد أن يكون من إضافة الناسخ ، وهو متقن عارف بالشعر ، على أنَّ البيت الثالث يزيد مقصد المؤلف إيضاحاً .

(١٦) في حاشية (ك) إضافتان هما :

« ولصرّدر :

وأذكرُ يومـاً قصَّرَ الـوصـلُ طـولَـهُ ... كأنَّـا التقينـا منـه في ظـلِّ طـائر

لبعضهم :

=

والقليل من هذا الجنس ينوب عن الكثير ، والإطالَةُ في غيره أَوْلى بهذا الكتاب .

وقد قيل أيضاً في قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّ يَوْماً عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ ... ﴾ [الحج :٤٧/٢٢] ، أي في طول الإمهال للعباد لصلاح مَن يصلح منهم ، فكأنَّه ألفُ سنة لطول الأناة .

وقيل أيضاً : إنَّ مقدار العذاب في ذلك اليومِ لِشدَّته وعُظمه كمقدار عذاب ألفِ سنة من أيَّام الدّنيا على الحقيقة ، وكذلك نعيمُ الجنّة بِحَسَبِه .

والآية تتضمّن ما في استعجال الجاهل بالعذاب من اجتلابه البلاءَ على نفسه ، وما في إمهال الله تعالى العبادَ للصَّلاح من اغترار الجهّال .

[من الكامل]

= ويومٌ حواشيه مَلْمُومةٌ … علينا نُحاذِرُ أنْ تُفْرَجا
قنصتُ غزالَتَهُ والتَفَتُّ … أُريدُ أختَها فاحْتَمَتْ بالدُّجا »

- وبيت صُرَّدُر في ديوانه ٨٥ .

وصُرَّدر لقب ، وهو أبو الفضل علي بن الحسن بن علي بن الفضل البغدادي ، شاعر ، كاتب . مدح القائم العباسي ووزيره ابن المسلمة .

قال الذهبي في حقّه : الشّاعر المفلق أديب وقته ، ونقل عن غيره أنه أشعر من مهيار الدّيلمي .

ولد صُرَّدر سنة ٣٩٧ وتوفي سنة ٤٦٥ بعد أن تَقَنْطَر به فرسه قرب خراسان . ومعنى هذا أنَّ الشّاعر عاصر المؤلّف ، ثم إن ابن ناقيا عاش بعده عشرين عاماً . (ترجمته في سير أعلام النبلاء ٣٠٣/١٨ ؛ وتنظر إحالاته ومقدمة الديوان) .

- وأما الإضافة الثانية فقد تنازع البيتين عدد من الشعراء ، فنسبها التيفاشي إلى المنتجب العاني ، ونُسِب البيتان أيضاً برواية مقاربة جداً إلى عدد من الشعراء الآخرين (ينظر : سرور النّفس بمدارك الحواسّ الخمس ٤٤) .

- والمنتخب العاني هو أبو الفضل محمد بن الحسن الخديجي ، تردّد مؤرّخو الأدب في تعيين عصره ؛ وبعض أخباره وخصائص شعره تدلّ على تأخُّره في الزّمن (أواخر الخامس وأوائل السّادس) ، وشعره متطرّف عنيف مستغلق كما وصفه في تاريخ الأدب العربي ويكون الشعر المستشهد به من غير شعره .

وَقَصِيرَةُ الأَيّامِ وَدَّ جَلِيسُهَا لَو نَالَ مَجْلِسَهَا بِفَقْدِ حَمِيمِ[١٧]

وقال شُبْرُمَةُ بن الطُّفَيل[١٨] :

[من الطويل]

وَيَومٍ شَدِيدِ الْحَرِّ قَصَّرَ طُولَهُ دَمُ الزِّقِّ عَنَّا ، وَٱصْطِفاقُ الْمَزاهِرِ[١٩]

ويُروى : « ويومٍ كظلّ الرّمح »[٢٠] ، وليس كظلّ الرُّمح لطولِه فقط ، ولكنَّهم يريدون أنَّه مع الطُّول ضَيِّقٌ غيرُ واسع .

وأحسن جرير في تشبيه قصر اليوم بقوله[٢١] :

---

(١٧) في الحماسة : لو دام مجلسها .

قال المرزوقي : قوله : « قصيرة الأيام » يريد أنّها لا تُمَلّ . فالأيام في ملازمتها قصيرة ، حتى إن مُجالسها يودّ لو يدوم مجلسها له وإن فقد أقاربه .

والباء في « بفقد حميم » للعِوَض .

(١٨) شُبْرُمَة بن الطُّفَيل أحد شُعراء الحماسة ؛ ويظهر أنّه من التابعين : روى عن عليّ وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهما . (تنظر حواشي الصّفحة ٣٥٧ من الحماسة بتحقيق الدكتور عبد الله عبد الرحيم عسيلان) .

وله في الحماسة قطعتان . وفي أمالي المرتضى ٣٣٢/١ إشارة إلى عبد الله بن شبرمة .

ـ واسم شُبْرُمة مأخوذٌ من اسم نبات (اللسان : ش ب ر م ، والاشتقاق لابن دريد ٥٦٤) .

ـ والشعر ثابتٌ في ديوان يزيد بن الطثرية (ص ٧٣) بتحقيق د . حاتم الضامن . وتراجع حواشيه وإحالاته . وهو بشعر يزيد أشبه .

(١٩) البيت من قطعة حماسية (بشرح المرزوقي ١٢٦٩/٣) ، وهو أول ثلاثة أبيات هناك لشبرمة بن الطُّفيل .

ـ ورواية البيت « واصطكاك المزاهر » . ونبّه على رواية المؤلّف يقول : رُبَّ يوم من أيام الصيف شديد الحرّ جعل طوله قصيراً ما اشتغلوا به فيه من الشرب والقصف . و « دم الزّق » كناية عن الشّراب . واصطفاق المزاهر : الضرب على أوتار العود .

(٢٠) « ظلّ الرُّمح » يُضرب به المثل في الطّول . وروى الثّعالبي في (ثمار القلوب) بيت ابن الطثرية السابق على هذا الوجه :

ويومٍ كظلّ الرمح قصّر طوله دم الدّنّ عنّا واصطفاقَ المزاهرِ

(٢١) ديوان جرير ٩٦٣/٢ .

[من الطويل]

وَيَـوْمٍ كَـإِبْهـامِ القَطَـاةِ مُحَبَّبٌ   إليَّ صِبَـاهُ غَـالبٌ لِيَ بـاطِلُـهُ[٢٢]

ويعرض في قـول جرير مـا رواه الأصمعي[٢٣] قـال : قرأتُ على خلف الأحمر شعر جرير ، فلَمّا انتهيتُ إلى قوله :

[من الطويل]

وَيَـوْمٍ كَـإِبْهـامِ القَطَـاةِ مُحَبَّبٌ   إليَّ صِبَـاهُ غَـالبٌ لِيَ بـاطِلُـهُ
رُزِقْنا بِـهِ الصَّيْـدَ الغَريرَ وَلَمْ نَكُنْ   كَمَنْ نَبْلُـهُ مَحرومَـةٌ وَحَبـائِلُـهُ
فَيـالَـكَ يَـوْمـاً خَيْرُهُ قَبْـلَ شَرِّهِ   تَغَيَّبَ وَاشيـهِ وَأَقْصَرَ عَـاذِلُـهُ

فقال : ويله ! مامنفعةُ خيرٍ يَؤُول إلى شَرّ ؟ فقلت : هكذا قرأت على أبي عمرو ، فقال لي : صدقت وكـذا قـال جرير ، ومـا كان أبو عمرو ليُقرِئَـكَ إلاّ مـا سَمِع ؛ قلت : فكيف كان يجب أن يقول ؟ فقال : كان الأَولى أن يقول :

فيـالَـكَ يَـومـاً خَيْرُهُ دونَ شَرِّهِ[٢٤]

فَأروِهِ هكذا ، فقد كانت الرُّواة قديماً تُصلِحُ من أشعارِ القُدَماء ؛ فقلت : لا أرويه [٣٣/ب] بعدَهـا إلاّ هكـذا ؛ قـال : اِفعل ذاكَ ، فـإنَّ ابنَ مُقبِل[٢٥] كانَ يقول : إنّـا لَنُرسِلُ القوافِيَ عُوجاً فتأتينا بها الرّواةُ وقد أَقامَتْها !

(٢٢) نقله الثعالبي (في ثمار القلوب) مثالاً على (إيهام القطا) الذي يقال فيـه أقصرُ من إبهـام القطـا ، ومن إبهام الحُبارى .
- وفي الديوان : « مزيّن إليّ صباه » ...

(٢٣) الخبر في الموشح للمرزباني ١٩٨ - ١٩٩ إلى قوله : « لا أرويه بعدها إلاّ هكذا » . وفي العُمدة ١٩٢/٢ .

(٢٤) وكذا ثبت في ديوان جرير ٩٦٥/٢ ، ولم ينبّه على رواية أُخرى !

(٢٥) هو تميم بن أُبيّ بن مُقبـل ، أَحـد الشعراء المخضرمين ، ولـه ديـوانٌ مطبـوع (دمشـق ١٣٨١ هـ - ١٩٦٢ م بتحقيق الدكتور عزّة حسن) .

قـال الأصمعيّ : فقلتُ لِخَلف : أيُّ الرَّجلين عنـدك أَشعر ، أجرير أم الأخطـل ؟ فقال لي : قال الأخطل[26] :

[من الطّويل]

فَكَمْ قَتَلَتْ أَرْوَى بِـلا تِرَةٍ لَهَــا ... وَأَرْوى لِفُرَّاغِ الرِّجــالِ قَتُـولُ[27]

يقول : إنَّ قتلها إيّانا لا دية لها ولا عقل . وقال جرير في هذا المعنى[28] :

[من البسيط]

إنَّ العُيُـونَ الَّتي في طَرْفِهَــا مَرَضٌ ... قَتَلْنَنَـا ثُمَّ لَمْ يُحْيِينَ قَتْـلانـا[29] !

---

(٢٦) ديوان الأخطل (بشرح السكري ٦٥٤/٢) ؛ وفيه : وكم قتلت ...

(٢٧) التّرة : الوتر ، والثّأر . وفرّاغ الرجال : المتفرّغون لِلّهو . وأروى : اسم امرأة .

(٢٨) ديوان جرير ١٦٣/١ .

(٢٩) وروى ابن خلّكان ٣٢٢/١ « في طرفها حَوَرٌ » ، وهو المشهورُ المحفوظُ . والمقصود بالْمَرَض هنـا الانكسـار يكون عن رقّة وفُتور مما هو حَسن مُستحسن .

سُوْرَةُ النُّور

قوله عزّ وجلّ : ﴿ اللهُ نُوْرُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيْهَا مِصْبَاحٌ ٱلمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوْقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لاَ شَرْقِيَّةٍ وَلا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُوْرٌ عَلَى نُوْرٍ ﴾ [النُّور : ٣٥/٢٤] .

قوله تعالى : ﴿ نُوْرُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ معناه : اللهُ الحقُّ في السَّموات والأرض ، كما أنَّ الرَّجل إذا تكلَّم بالحقِّ قيل له : على كلامك نور[1] ! وقيل : هادي أهل السموات والأرض ؛ عن ابن عبّاس . وقيل : مُنَوِّر السّموات والأرض بنجومها وشمسها وقمرها ؛ عن ابن عبّاس أيضاً والحسن رضي الله عنهما[2] .

[٣٤/ب] قوله تعالى : ﴿ مَثَلُ نُوْرِهِ ﴾ أي : تنويره بالإيمان قلوبَ المؤمنين ، فأضاف النور إليه جلّ اسمه ، كما يقول : هذا أدب الله ؛ أي : تأديبُه . وقيل : مَثَلُ نور القرآن ، فكنّى عنه ولم يَجْرِ له ذِكْر ، قال الله تعالى : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ القَدْرِ ﴾ [القدر : ١/٩٧] . ولم يجر له ذكر ، قال : ﴿ حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ﴾ [ص ٣٢/٣٨] ، وقال أوس بن حجر :

[من الطويل]

(١) في تفسير القرطبي (٢٥٦/١٢) النور في كلام العرب : الأضواءُ المُدْرَكَةُ بالبصر ، واستُعمل مجازاً فيما صَحّ من المعاني ولاح ، فيقال منه : كلامٌ له نور . ومنه : الكتابُ المنير ... والناس يقولون : فلان نور البلد . وشمس العصر وقمره .

ويُنظر تفسير الطبري ١٣٧/١٨ ؛ والدّرّ المنثور ١٩٩/٦ .

(٢) يُراجع تفسير القرطبي ٢٥٦/١٢ ـ ٢٥٧ .

(٣) ديوان أوس بن حجر ٥ .

وَغَيَّرَهـا عنْ وَصْلِنَـا الشَّيْبُ إنَّـهُ شَفيعٌ إِلَى البِيضِ الحِسَانِ مُجَرَّبُ[٤]

يعني : الشبابَ .

وجائزٌ أن يكون عنى بالنُّور القرآنَ نفسَه ، كما قال تعالى : ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللهِ نُوْرٌ وَكِتابٌ مُبِينٌ ﴾[٥] [المائدة : ١٥/٥] .

و « المشكاة » في كلام العرب : الكُوَّةُ لا منفذَ لها[٦] . وأنشد[٧] :

[من الرّجز]

تُـدِيرُ عَيْنَيْنِ لَهَـا نَجْـلاَوَيْنْ
كَمِثْـلِ مِشْكَـاتَيْنِ مِنْ مِصْبَـاحَيْنْ

وقيل : هي في لسان الْحَبشة : الكُوّة[٨] . فإن قيل : كيف جاز أن يُخاطِبَ العربَ بذلك مع قوله عزّ وجلّ : ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِيْنٍ ﴾ [الشُّعراء : ١٩٥/٢٦] ، فالجوابُ : أنّه : جائزٌ اتِّفاقُ الاسم الواحد في لُغتين ، لا يُنكَرُ مثلُ ذلك [فيما يقعُ من الوفاقِ ، فقد يقعُ الوفاقُ في الأَبيات بين الشّاعرين فلا يُنكَرُ ذلك][٩] ، ومثلُه الوفاقُ بين أَهل اللِّسانين .

---

(٤) عن ابن الأعرابي أن الهاء في (أنه) للشباب ؛ وإن لم يَجْرِ له ذِكر لأنه عَلَمٌ . نقله في حاشية الديوان .

(٥) ويصح أن تكون الآية الكريمة من صفة رسول الله ﷺ ؛ قال القرطبي : « وسمّى تعالى نبيّه نوراً » واحتجّ بآية سورة المائدة .

ويُنظر كتاب : تذكرة المحبين في أسماء سيّد المُرسلين للرّصّاع .

(٦) اللسان (ش ك ا) .

(٧) العين النجلاء : الواسعة .

(٨) المعرب للجواليقي ٣٥١/٨ ، (وينظر الدّر المنثور للسّيوطي ٤٩/٥) .

(٩) ما بين معقوفتين من (ك) فقط .

[ويجوز][10] أن تكون المشكاة من جُملة ما أعربَتْهُ العَربُ من اللُّغات ، فغيَّرته ونطقت به فصار كلغتها .

ومنه قول الحارث بن حِلِّزة[11] :

[من الكامل]

لِمَنِ الدِّيارُ عفَتْ بِذي الحِلْسِ آيَاتُها كَمَهَارِقِ الفُرْسِ[12]

و « المهارق » فارسيّة مُعَرَّبة[13] .

وقال أوس بن حَجَر[14] :

[من الكامل]

نُبِّئْتُ أنَّ بَني سُحَيْمٍ أَدْخَلُوا أَبْيَاتَهُمْ تَامُورَ نَفْسِ الْمُنْذِرِ[15]

و « التامور » سريانية .

وقيل : « المِشْكَاة » : عَمُود القنديل الذي فيه الفَتيلة .

---

(١٠) ما بين معقوفتين من (ك) فقط .
ـ وفي المصطلح يقال : عَرَّبته : أي أدخلته في العربيّة .

(١١) الحارثُ بن حلِّزة اليشكري ؛ جاهلي من أصحاب المعلّقات .

(١٢) البيت مطلع قصيدة مفضَّلية هي برقم ٢٥ ، ص ١٣٢ ، وروايته ثمّة :
لمن الديار عَفَوْنَ بالْحُبْس آياتُها كَمهارق الفرس
في شرح ابن الأنباري : قال الأصمعي : الحبس موضع . والمهارَق جمع المهرق وهي الصحف ، وقال الأصمعي هو فارسي معرّب ، وكان أصله خرق حرير تُصقل وتكتب فيها الأعاجم تسمى مهر كرد فأعربته العرب وجعلته اسماً واحداً فقالوا : مهرق .

(١٣) في المغرب ٣٥١ ـ ٣٥٢ : المهارق : القراطيس ؛ من الفارسية مُهْر كَرْدَة .

(١٤) ديوان أوس بن حَجر ٤٧ .

(١٥) التامور : هنا الدم ، أُخذ (كما في المعرّب ١٣٣) من السريانية . وأشار الجواليقي إلى بيت أوس هذا .
ـ والمنذر هو المنذر بن ماء السّماء ، وكان قد قتل يوم عَين أُباغ ؛ فقال أوس بن حجر القصيدة محرّضاً .

قوله تعالى : ﴿ يَكادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ ﴾ يَعْني مِن صفائه ، وهذا من أبلغ الوصف . و (كاد) تجيء لِلْمُقارَبة ، كما قال جلَّ اسمه : ﴿ يَكَادُ ٱلبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ ﴾ [البقرة : ١٩/٢] . فأمّا قوله : ﴿ إذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاها ﴾ [النُّور : ٤٠/٢٤] ، فعلى التقديم [٣٥/أ] والتأخير ، كقول ذي الرُّمّة(١٦) :

[من الطويل]

إذَا غَيَّرَ النَّأْيُ الْمُحِبِّينَ لَمْ يَكَدْ ... رَسِيْسُ الهَوَى مِن حُبِّ مَيَّةَ يَبْرَحُ

يريد : لم يَبْرَح ، ولم يَكَد .

الدُّرّيُّ عند العرب : الشديد الإنارة والإضاءَة ، نُسِبَ إلى الدُّرّ ، فَشُبِّه صَفاؤه بِصَفائه . وقيل : الدُّرّيّ أحَدُ الكواكب الخمسة . وقال الفَرّاء(١٧) : العرب تُسمّي الكواكبَ العظامَ التي لا تُعْرَفُ أسماؤُها(١٨) : الدّرَارِيّ ، بلا هَمزة .

وَقَرَأ أبو عمرو والكسائي(١٩) : ﴿ دِرِّيءٌ ﴾ بكسر الدّال والهمزة .

وقال أبو عبيدة(٢٠) : الدِّرِّيءُ من قولهم : دَرَأَ الكوكبُ : إذا جَرى في أُفقِ السَّماء من موضعٍ إلى موضع . وقرأ حَمزة(٢١) : ﴿ دُرِّيءٌ ﴾ بالضَّمّ والهمزة ؛ فطَعَن الفَرّاءُ على

---

(١٦) ديوان ذي الرُّمّة ١١٩٢/٢ ، وفيه :

إذا غيَّر النَّأيُ المحبِّين لم أجد ... رسيس الهوى من ذِكر مَيّةَ يَبْرَحُ

ونبّه على رواية المصنّف .

- ورسيس الهوى : مسُّه . ونقل ابن دريد عن أبي زيد : يقال :

- رسّ الهوى وأرسّ : إذا ثبت في القلب . والرسّ والرسيسُ : بقية الهوى في القلب والسّقم في البَدن .

(١٧) قاله في معاني القرآن ٢٥٢/٢ .

(١٨) في معاني القرآن : « لا تعرفُ أسماءَها » . والمعنى واحد .

(١٩) وهي قراءة عاصم اليزيدي . يُنظر : معجم القراءات القرآنية ٢٥٣/٤ .

(٢٠) قاله في مجاز القرآن ٦٦/٢ .

- وينظر ما قاله الفرّاء في معاني القرآن ٢٥٢/٢ .

(٢١) وقرأ بها عاصم والمطوعي وشعبة والأعمش (معجم القراءات القرآنية ٢٥٣/٤) .

قراءَته ، وقال : ليس في كلام العرب « فُعِّيل » إلاّ أن يكون أعجميّاً ؛ كقولهم : مُرِّيق ؛ قال أبو عبيدة : لم يَغلط حَمزةُ في هذه القراءة ، والْحُجَّةُ أنَّه أراد : دُرُّوءٌ ، على مِثال : سُبُّوح وقُدُّوس ، فاستثقل الواو والضمّة فعدل بالواو إلى الياء ، والضَّمّة إلى الكسرة . وقرأ بعضهم[٢٢] : ﴿ دَرِّيٌّ ﴾ فلا يَجُوز في هذه القراءة إلاّ النّسبة ؛ قال النَّبيّ ﷺ في صفةِ الدَّجّال[٢٣] : « إحْدَى عَيْنَيْهِ عَوْراءُ لاَ حَدَقَةَ لَها ، وَالأُخرى كَأَنَّها كَوْكَبٌ دُرِّيّ ! » .

فأمّا تشبيهُ الزُّجاجةِ بالكوكبِ الدُّرّيّ فهي زيادة في صفةِ نُورِ المِصباحِ وإضاءتِه ، ومبالغةٌ في نعتِ إشراقه وتَأَلُّقه .

وقد شبَّهت الشُّعراء النجومَ بالمصابيح ، والْمَصابيحَ بالنجوم ، وكذلك النار على البُعد . وأَكْثَرُوا في تشبيه النجوم بالدُّرّ ، وشبَّهوا أيضاً الدُّرَّ بالنُّجوم .

فأمّا [٣٥/ب] تشبيهها بالمصابيح فكقول امرئ القيس[٢٤] :

[من الطويل]

نَظَرْتُ إِلَيْهَا وَالنُّجُومُ كَأَنَّها ... مَصَابِيحُ رُهْبَانٍ تُشَبُّ لِقُفَّالِ[٢٥]

وكقول أرطأةَ بنِ سُهَيّة[٢٦] :

---

(٢٢) وهي النَّصّ المُصحفيّ .
ـ وينظر في تفصيل هذه المسائل البحر المحيط لأبي حَيّان ٤٥٦/٦ .

(٢٣) يُنظر جامع الأصول ٣٥٩/١٠ .

(٢٤) ديوان امرئ القيس ٣١ .

(٢٥) قبل هذا البيت قولُه :

تنوّرْتها من أذرعات وأَهْلُها ... بيثربَ أدنى دارها نظرٌ عالِ

يقول : نظرت إلى هذه النار تُشَبّ (توقد) لِقُفّال (عائدين آيبين) ليلاً والنجوم كأنها مصابيح رُهبان .

(٢٦) البيتان معاً لِجَوّاس بن القَعطل الكلبي ، ذكره المرزباني في المختلف والمؤتلف ٩٩ وقال فيه : شاعر مُحسن ؛ وفيه :
=

[من الطويل]

إذا كانتِ الشِّعرى العَبُـورُ كَـأَنَّهـا ... مُعَلَّـقُ قِنـديـلٍ عَلَتْـهُ الكنـائسُ
ولاحَ سُهَيـلٌ من بعيـدٍ كَـأَنَّـهُ ... شِهـابٌ يُنَحِّيـهِ مِنَ الرِّيحِ قـابِسُ[٢٧]

وتناول المُحدَثون هذا التشبيه ، فقال ابن المعتز[٢٨] ، وقرن به غيره :

[من الكامل]

وَالصُّبْـحُ يَتْلُـو الْمُشْتَرِي فَكَـأَنَّـهُ ... عُرْيـانُ يَمْشي في الـدُّجـا بِسِرَاجِ

وقال أيضاً في تشبيه الكواكب بالدُّرّ[٢٩] :

[من الطويل]

كَـأنّ نُجومَ اللَّيْـلِ في فَحْمَـةِ الـدُّجا ... رُؤُوسُ مَـدارٍ رُكِّبَتْ في مَعَـاجِرِ[٣٠]

وشَرِكَـه في المعنى وبعض العبـارة ، واقْتَصر على تَشبيـه الشِّعرى ، عبـدُ العزيز بن عبد الله بن طاهر ، فقال[٣١] :

[من الرّجز]

= وأعرضت الشِعرى العَبُـور كأنهـا ... معلّـق قنـديـلٍ علتـه الكنـائسُ
ولاح سهيـلٌ عن يمين كأنـه ... شهـابٌ نحـاه وجهـة الريـح قـابسُ

وهما بلا نسبة في التشبيهات لابن أبي عون ٨ .

والبيت الثاني منسوب إلى أرطاة بن سهيّـة في ديوان المعـاني (لأبي هلال العسكري) ٢٣٨/١ ، ومجموعة المعاني ٤٥٦ .

(٢٧) هما شِعْرَيان : الشعرى العَبُور والغُمَيصاء ، فالعبور التي في الجوزاء ، والغميصاء التي في الذراع .
- وسهيل نجم ؛ هو في تراث العرب : نجمٌ يمانٍ .

(٢٨) ديوان ابن المعتز ٢٩٤/٢ .

(٢٩) ديوان ابن المعتز ٢٧٥/١ .

(٣٠) الْمَداري جمع المِدْرى : المِشط . والمعاجر جمع المعجر وهي العمامة .

(٣١) الرّجز في التشبيهات لابن أبي عون ٧ ، والديارات ٨٥ ، وديوان المعاني ٢٣٨/١ ، وسرور النفس ١٣٩ .

وَٱعْتَرَضَتْ وَسْـــطَ السَّماء الشِّعرى
كَـأَنَّهـا يَـاقُـوتَـةٌ فِي مِـدْرى

وقد شبَّه بعضُ المولَّدين النجومَ والثريّا تشبيهاً أبدع فيه ، فقال[٣٢] :

[من مجزوء الكامل]

وَتَرَى النُّجُـومَ الْمُشْرِقَـات | كَـأَنَّهـا دُرُّ العِصـابَـهْ[٣٣]
وَتَرى الثُّرَيّـا وَسْطَهـا | وَكَـأَنَّهـا رَدُّ الـذُّؤابَـهْ

وقد قال يزيد بن الطثرية في تشبيه نجوم الثريّا[٣٤] :

[من الطويل]

إذا مَـا الثُّرَيَّـا في السَّماء كَـأَنَّهـا | جُمَـانٌ وَهَى مِنْ عِقْـدِهِ فَتَبَـدَّدا

وقال الآخر ، وذكر امرأة[٣٥] :

[من الكامل]

أَتَتْنَـا بِلَيْـلٍ وَالنُّجـومُ كَـأَنَّهـا | قَلائِـدُ دُرٍّ حُـلَّ عَنْهـا نِظـامُهَـا

وقال آخر[٣٦] :

[من الخفيف]

وَرَأَيتُ السَّمَـاءَ كَـالبَحْرِ إلاَّ | أَنَّ مَرْسُـوبَـهُ مِنَ الـدُّرِّ طَـافِ[٣٧]

---

(٣٢) هما في ديوان المعاني ٣٣٥/١ لمخلد الموصلي ؛ قال : وتُروى لابن المعتزّ ؛ ولم أجدهما في ديوانه .
(٣٣) العصابة ما يُعْصَبُ به الرأس . وما يُسْتر به الرأسُ ويدورُ عليه قليلاً ؛ فإن زاد فهو عمامة .
(٣٤) شعر يزيد بن الطثريّة ٦٣ .
(ويُنظر ديوان المعاني ٣٣٤/١ ، ونهاية الأرب ٤٧/١) .
(٣٥) البيت في ديوان المعاني ٣٣٣/١ .
(٣٦) البيت في ديوان المعاني ٣٣٣/١ ، ونهاية الأرب ٣٣/١ .
(٣٧) الْمَرْسُوب : ما رسبَ في قعره (من الدُّرّ) .

[٣٦/أ] وقال أبو العتاهية[٣٨] :

[من المجتثّ]

أمَــــا تَرَوْنَ الثُّرَيَّــــا ... كَــأَنَّهَــا عِقْــدُ رَيّــا

[وقال آخر[٣٩] :

[من الطويل]

وَلَيْــلٍ رَقيــقِ الطُّرَّتَيْنِ كَــأَنَّما ... تَرودُ بـهِ الأَنْفَاسُ مِسْكاً مُضَوَّعا[٤٠]

كَـأَنَّ الثُّرَيَّـا فيــهِ دُرٌّ تَقــارَبَتْ ... مَسَـاقِطُـهُ مِنْ سِلْكِـهِ فَتَجَمَّعــا]

ولعبد بَنِي الْحَسْحَاس[٤١] ، وذكَر امرأةً فَشَبَّه عُقودَ نَحْرِها بنجومِ الثُّرَيَّا ، وقَرن بها تشبيهاً آخَر ؛ فقال[٤٢] :

[من الطويل]

كَـأَنَّ الثُّرَيَّـا عُلِّقَتْ فَوْقَ نَحْرِهـا ... وَجَمْرَ غضًى هَبَّتْ لَـهُ الرِّيحُ ذَاكِيـا

ويحتمل هذا البيت أيضاً وصفَ نحرها بالإنـارة وإن كان عـاطلاً ، كما قـال الفَزاريّ يمدح رجلاً[٤٣] :

---

(٣٨) لم يرد في دواوين أبي العتاهية المطبوعة .

(٣٩) ما بين معقوفتين لم يرد في (ف) .

(٤٠) ضاع المسك : فاحَ .

(٤١) ديوان سُحَيم عبد بني الحسحاس ١٧ .

(٤٢) والبيت في سياقه :

وجيـدٍ كجيـد الرِّيمِ ليس بعـاطـلٍ ... من الـدُّرِّ واليـاقـوتِ والشَّـذْرِ حَـاليَـا

كأنَّ الثُّريـا عُلِّقت فـوق نحرهـا ... وجَمْرَ غضًى هبَّت لـه الريـحُ ذاكِيَـا

إذا انـدفعت في ريطـةٍ وخميصـةٍ ... ولاثَتْ بـأعلى الرِّدْف بُرْداً يَمانِيَـا

(٤٣) هو أُسيد بن عَنقاء الفَزاريّ .

(الحماسة بشرح المرزوقي ١٥٨٦/٤ ؛ وأمالي القالي ٢٣٧/١ ، والصحاح : س وم) .

[من الطويل]

كَـأَنَّ الثُّرَيّـا عُلِّقَتْ فَـوْقَ نَحْرِهِ ... وَفي أَنْفِهِ الشِّعرى وفي خَـدِّهِ القَمَرْ[٤٤]

وتـأكيـدُ الـوصفِ : بـذكر الْجَمْر ، والعربُ تصفُ الجـاريـةَ فَتُشَبِّهُهَا بـالنّـار ، ويقولون : كأنَّها شُعلةُ نار ، وأنشَدَ من أبيات الْمَعاني[٤٥] :

[من الطويل]

وَشَعْثَـاءَ غَبْراءِ الفُروعِ مُنيفَـةٍ ... بِها تُـوصَفُ الْحَسْنـاءُ أَوْ هِيَ أَجْمَـلُ[٤٦]

دَعَـوْتُ بِهـا أَبْنَـاءَ لَيْـلٍ كَـأَنَّهُمْ ... وَقَدْ أَبْصَرُوهـا مُعْطِشُون قَـدَ أنْهَلُوا[٤٧]

وقال جميل ، في تشبيه النار على البُعد بالكوكب ، وتُروى لِكُثيِّر[٤٨] :

[من الطويل]

رَأَيْتُ وَأَصْحَـابي بـأَيْلَـة مَـوْهِنـاً ... وَقَدْ غابَ نَجْمُ الفَرْقَـدِ الْمُتَصَوِّبُ[٤٩]

لِعَـزَّةَ نـاراً مـا تَبُـوخُ كَـأَنَّهـا ... إذا ما رَمَقْناها على البُعْـدِ كَوْكَبُ[٥٠]

---

(٤٤) البيت هو الخامس من قطعة في الحماسة ١٥٨٦/٤ ـ ١٩٨٩ وموضوعها المديح .
ـ يقول : « إنـه قـد غُشّي من كل جـانب بمـا ينوّره : فـالثُّريـا فـوق نحره ، والشّعرى ـ يعني العَبُـور ـ مُرْكَزَةٌ في أنفه ، والقمر : متلألئٌ في خدّه ، فهو نورٌ على نور » اهـ من شرح المرزوقي .

(٤٥) البيتان في معاني الشعر للأُشنانداني ٤ ؛ والشَّرح منه .

(٤٦) يصف ناراً جعلها « شعثـاء » لتفرُّق أعـاليها بـالـدُّخـان ؛ كأنَّهـا شعثـاء الرَّأس وغبراء يعني غَبَّر رأسَها الدُّخان . وقوله : « بها توصف الحسناء » فإنَّ العرب تصف الجارية فتقول : كأنَّها شعلـة نـار ، وكأنها بيضة في روضة (أو هي أجمل) حسناً منها ، والمنيفة : المشرفة .

(٤٧) دعوتُ بها أبناء ليل يعني أضيافاً دعاهم بهذه النَّار وليس هناك دعاء وإنمـا دعـاهم بضوئهـا ، فلما رأوهـا كانوا من السرور بها كأنهم معطشون قد أوردوا إبلهم ، (المعطِش : الرجل الذي عطشت إبله) والنَّاهل الذي سقى إبله أول سقية .

(٤٨) الشعر في ديوان كثيّر ١٥٨ ، ولم يرد في ديوان جميل .

(٤٩) في الديوان : وقد لاحَ نجمُ ...

(٥٠) في الديوان : من البعد كوكبُ .

=

قوله عزّ وجلّ : ﴿ تُوْقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ ﴾ [النُّور : ٣٥/٢٤] ، ويُقرأ : ﴿ يُوْقَدُ ﴾[٥١] فَمَنْ ذكَّر عنى المصباح ، ومن أَنَّثَ عنى الزُّجَاجة . وقيل في قوله عزّ وجلّ : ﴿ مُبَارَكَةٍ ﴾ : إنَّه ليس في الشجرة شيء يُورقُ غُصنُه من أوّله إلى آخره مثل الزَّيتُون والرُّمَّان ، قال الشاعر[٥٢] :

[من الخفيف]

بُــورِكَ الْمَيِّتُ الغَريبُ كَمَــا بُــو ... رِكَ نَضْخُ الرُّمَّــانِ وَالــزَّيتــونُ[٥٣]

[٣٦/ب] قوله تعالى : ﴿ لاَ شَرْقِيَّةٍ وَلاَ غَرْبِيَّةٍ ﴾ أي : لا يستُرها عنِ الشَّمسِ في وقتٍ من النَّهار شَيء ، فهي شرقيّةٌ غَربيّة ، والشمسُ تُصيبُهَا بالغَداة والعَشِيّ ، فهو أنضَرُ لها وأجودُ لزيتها .

= ـ وقوله : ما تبوخ أي ما تخمد .

ـ والشاهد من كلمة أخذ أبياتاً منها ياقوت في معجم البلدان في رسم (أَيْلَة) .

(٥١) ﴿ يُوقَد ﴾ هو رسم المصحف . و « تُوقد » قراءة حمزة ، والكسائي ، وعاصم ، ونافع ، وشعبة ، والأعمش ، والحسن ، وزيد بن علي ، وقتادة ، وابن وثّاب ، وطلحة ، وعيسى ، والأعمش ، وحفص ، وخلف .

(٥٢) الشّاعر هو أبو طالب بن عبد المُطَّلب ؛ والبيتُ من قصيدة يرثي فيها مُسافِر بن أبي عمر بن أُمَيّة ؛ وكان قد مات بالحيرة عند النعمان بن المنذر في تجارةٍ .. قال ابن دريد : وكان مُسَافر من رجال قريش جَمالاً وجوداً وشعراً .

(ينظر مثلاً : الاشتقاق ١٦٦ ـ ١٦٧ ، ونسب قريش ١٣٦ ـ ١٣٧ ، وتفسير القرطبي ٢٥٣/١٢ ، والأغاني ٥٠/٩) .

(٥٣) والبيت من قطعة مؤثّرة ، ننقل هنا ما اختاره مصعب الزبيري في نسب قريش ؛ قال أبو طالب :

ليت شعري مســافرَ بن أبي عمـ ... ـرو و «ليتٌ» يقــولُهــا المحــزونُ

وهــل الركبُ قــافلــونَ إلينــا ... وخليلي في مرمسٍ مــدفــون !

بــورك الميّتُ الغريبُ كما بــو ... ركَ نضحُ الرمــان والــزيتــونُ

فتعــزّيت بــالجــلادة والصبـ ... ـرِ وإني بصــاحبي لضنينُ»

وروى أبو الفرج شعراً آخر لأبي طالب في رثاء مسافر بن أبي عمرو بن أميّة تدل على العلاقة الحميمة بينهما ، وفي بعضها :

تنــادَوا ولا أبــو أُميــةَ فيهمُ ... لقــد بلغت كـظّ النفـوسِ الحنــاجِرُ

وقال الحسن : ﴿ لاَ شَرْقِيَّةٍ وَلاَ غَرْبِيَّةٍ ﴾ أي : إنَّها ليسَتْ من شجَرِ الدُّنيا ، إنَّما هي من شجَرِ الْجَنّة .

تشبيه آخَرُ مِن هذه السُّورة :

قوله عزّ وجلّ : ﴿ وَٱلَّذِيْنَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيْعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إذا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً وَوَجَدَ اللهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللهُ سَرِيْعُ الحِسَابِ ﴾ [النُّور : ٣٩/٢٤] .

القِيْعَة : جمعُ قاع مثل جار وجِيْرَة . والقِيْعَةُ والقاعُ : ما انْبَسَط من الأَرض ولم يكن فيه نَبات ، والَّذي يسيرُ فيه يرى كأَنَّ فيه ماءً يَجري ؛ وذلك هو السَّراب ، والآلُ مثلُ السراب إلاّ أنَّه يرتفعُ في وقتِ الضُّحى كالماء بين السَّماء والأرض .

[قوله تعالى] : ﴿ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً ﴾ يجوزُ : يحسَبُه ويحسِبُه ، ويجوز : الظّمآن والظَّمَان بتخفيف الهمز[٥٤] .

قوله : ﴿ حَتَّى إذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً ﴾ أي : إذا جاء إلى موضع السَّراب رأى أَرضاً لا ماءَ فيها .

فأعلَمَ اللهُ ـ سبحانه ـ أنَّ الكافِرَ الذي يظنّ أنّ عمله قد نفعه عند الله ، كظنّ الذي يظنُّ أنّ السَّراب ماء ، فإنَّ عمَلَه حَبِطَ وذَهَب . فضرب الله هذا المثل للكافر فقال : إنّ أعمال الكفّار كهذا السَّراب ، يُظَنّ به الماء وليس بماء .

وقال ذو الرُّمّة في تشبيه السَّراب بالماء[٥٥] :

[من الطويل]

(٥٤) قُرئ يَحْسَبُه ويَحْسِبُه ؛ وقُرئ الظّمآن (بالمدّ) والظَّمان (بالتخفيف) .
ـ يُنظر معجم القراءات القرآنية ٢٥٨/٤ .

(٥٥) ديوان ذي الرُّمّة ١٢٢٦/٢ .

[٣٧/أ] كَأَنَّ مَطَايانا بِكُلِّ مفازة قَراقِيرُ في مَوْجٍ مِنَ الآلِ تسْبَحُ[٥٦]

وقال الأعشى[٥٧] ، فوصفه بصفة الماء :

[من الطويل]

وَخَرْقٍ مَخُوفٍ قَدْ قَطَعْتُ بِجَسْرَةٍ إِذَا خَبَّ آلٌ وَسْطَهُ يَتَرَقْرَقُ[٥٨]

وقال أيضاً[٥٩] :

[من المتقارب]

وبَيْدَاءَ يَلْعَبُ فِيها السَّرَا بُ لاَ يَهْتَدِي القَوْمُ فيها مَسيرا

وقال شَبِيب بن البَرْصَاء[٦٠] :

[من الطويل]

وَمُغْبَرَّةِ الآفَاقِ يَجري سَرَابُهَا عَلَى أَكْمِهَا قَبْلَ الضُّحَى فَيَمُوجُ[٦١] !

وقال آخَرُ[٦٢] :

[من الرّجز]

---

(٥٦) القَراقير جمع القُرقور : السُّفن الكبار . والآل : السَّراب .
- وفي الديوان : قراقير في صحراء دجلة تسبحُ .

(٥٧) ديوان الأعشى ٢١٩ .

(٥٨) الْخَرْق : الصحراء الواسعة تنخرق فيها الريح أي يشتدّ هُبوبها . والجسرة : الناقة الضخمة . وخَبّ (من الْخَبَب) أي خفق واضطرب .
يقول : وكم من صحراء واسعة مخيفة قد قطعتها بناقةٍ ضخمةٍ حين يخفق فوقها السَّراب ويضطرب .

(٥٩) ديوان الأعشى ٩٧ .

(٦٠) البَرْصَاء : لقب أُمّه ، ولم تكن كذلك لقّبت بذلك لبياضها . وهو شبيب بن يزيد الغطَفاني . من شعراء الدولة الأُمويّة : شاعر محسن فصيح .

(٦١) البيت من مفضّلية لشبيب (١٧١) . والبيت من صفة فلاة جرداء يلعبُ فيها السَّراب ويلتمع .

(٦٢) راجز لم يُذكر اسمُه .

وَبَلْــــدَةٍ يَسِيْرُ جـــارِي آلِهـــا[٦٣]
يُرَى بِهـــا العَـوْهَـقُ في وِئَــالِهـــا
كَـالنَّــابِ جَرَّتْ طَرَفَيْ حِبــالِهـــا
لَـوْلاَ حَــديثُ النَّفْسِ لَمْ أُبَــالِهـــا

العَوْهَقُ : النَّعامة . أي : قد عظم شخصها في الآل ، فهي كالنّاقة . ويقول : لولا أنْ يُتَحَدَّث عنّي أنّي جَبانٌ لم أسلك هذه الأرض .

وقال أيضاً ذو الرُّمَّة[٦٤] :

[من الوافر]

وَسَـــاحرةِ السَّراب مِنَ الْمَــوَامي ... تَرَقَّصُ في عَسَـــاقِلِهـــا الأُرومُ[٦٥]
يَمُـوتُ قَطـا الفَـلاةِ بِهـا أُوامــاً ... وَيَهْلِـكُ في جَـوانِبِهـــا النَّسيمُ[٦٦]
بِهـــا غُـــدُرٌ وَلَيْسَ بِهـــا بِـلاَلٌ ... وَأَشْبَـــاحٌ تَجُـــولُ وَلا تَرِيمُ[٦٧]

وقال آخر[٦٨] :

(٦٣) تداولت المصادر بيتين من هذه الأربعة ؛ وهما الأول والثاني . وروايتها في اللسان (أهـل) .

وبلـــدة مـــا الإنسُ من آهلهـــا
ترى بهـــا العـوهـقَ من وئـــالهـا

ويروى : « وبلدةٍ يَسْتَنُّ حـازي آلهـا » . ينظر اللسـان : أهـل ، والصحـاح : أهـل ، ومعـاني القرآن للأخفش ٢٨/١ . وشرح مُفصل الزمخشري لابن يعيش ٧٣/٥ .

(٦٤) ديوان ذي الرّمة ٦٧٤/٢ .

(٦٥) ساحرة السّراب : تسحر العيون وتخدعها بالسَّراب . والموامي واحدها مومـاة ؛ وهي مفـازةٌ : أرض قفرٌ بعيدة . والعساقل : السّراب . والأُروم : الأعلام واحـدهـا إرم وإرمي . تُجْعَلُ (أي الأعلام والصوى) للطرق . وربما كانت قبوراً .

(٦٦) الأُوام : شدة العطش .

(٦٧) الغُدر جمع الغَدير (يعني غُدراً وهميّـة من السَّراب) لأنهـا لا بلالَ فيهـا (أي لا مـاء فيهـا) ومـا تريم : ما تبرح .

(٦٨) لم يُذكر .

[من الطويل]

وَقُلْتُمْ لَنَـا كُفُّـوا الْحُروبَ لَعَلَّنَـا نَكُفُّ ، وَوَثَّقْتُمْ لَنَـا كُـلَّ مَـوْثِـق
فَلَمَّا كَفَفْنَـا الْحَرْبَ كَـانَتْ عُهُودُكُمْ كَلَمْعِ سَرَابٍ بِـالْمَـلاَ مُتَـأَلِّـقِ(٦٩)

« لعلّ » : جاءت ها هنا على غير شَكّ . ومنه قوله تعالى : ﴿ يا أَيُّهَا النَّاسُ [٣٧/ب] اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِيْنَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة : ٢١/٢] . أي : لِتَتَّقوا ، تكون لَعَلَّ بمعنى لام كَي(٧٠) . وقال بشر بن المعتمر(٧١) ، في هجاءٍ ، ذكر(٧٢) الاغترارَ بالسّراب أيضاً :

[من الكامل]

غَلَطاً كَمَنْ حَسِبَ السَّرابَ بِقَفْرَةٍ مَـاءً تَرَقْرَقَ وَسْـطَ قـاعٍ قَرْقَرِ(٧٣)
فَـأَراقَ نُطْفَتَـهُ وَأَمْعَنَ نَحْـوَهُ وَالآلُ لَمَّـا يَـدْنُ أَو يَتَـأَخَّرِ(٧٤) !

وقال آخر :

[من الخفيف]

---

(٦٩) الملا : الصَّحراء ، والفلاة ، والمتّسع من الأرض .

(٧٠) ينظر مغني اللبيب ٣١٩/١ .

(٧١) هو أبو سهل بشر بن المعتمر البصري ، كان متكلّماً بارعاً وشاعراً ، راوية ، نسَّابةً ؛ وله شعرٌ كثيرٌ في الاحتجاج للدّين ؛ وله شعر آخر كثير أيضاً . ويُعَدُّ في رؤوس المعتزلة وأتباعه : البِشريّة . وتوفي سنة ٢١٠ هـ .
(الوافي بالوفيات ١٥٥/١٠ ، والفَرق بين الفِرَق ١٥٦ ، وسير أعلام النبلاء ٢٠٣/١٠ ، والفهرست ٢٠٧ ، وتاريخ بغداد ١٤٥/٧ . وأكثر الجاحظ من الحديث عنه والإشارة إليه . وتنظر أمالي المرتضى ١٨٦/١) .

(٧٢) في ك : يذكر .

(٧٣) القاع : ما انبسط من الأرض ، والقرقر : القاع الأملس .

(٧٤) النُّطفة : الماء .
ـ يقول في صفة رَجُل ضعيف الرأي : إنه يشبه رجلاً خدعه نظره وظن السّراب ـ من بعيد ماءً ـ فأراق الماء الذي معه اطمئناناً إلى الماء ، فإذا هو سرابٌ !...

كَـالَّـذي غَرَّهُ السَّرَابُ بِمَـا خَيْـ ـيَـلَ حَتَّى هَرَاقَ مَـا في السِّقَـاءِ[٧٥]

قـولُـه عـزّ وجـلّ : ﴿ أَوْ كَظُلُمَـاتٍ في بَحْرٍ لُجّيٍّ ﴾ يعني أنَّ أعمـال الكافرين إنْ مُثِّلَت فَمَثَلُها كالسَّراب الذي ليس بشيء ، أو كهذه الظُّلمات التي وَصف ؛ لأنَّـه تبـارك وتعـالى لَمّـا وَصف نُوره الـذي هو لِلْمُؤمنين ، أَعْلَمَ تعـالى أنَّ قلـوبَ المـؤمنين وأعمـالَهم بمنزلةِ ذلك النُّور ، كما أنَّ قلوب الكُفّار وأعمالهم بمنزلة الظُّلمة ؛ قال الطّائيّ[٧٦] :

[من الكامل]

فِي لَيْلَـةٍ فِيهَـا السَّمَـاءُ مُضِرَّةٌ سَـوْداءُ مُظْلِمَـةٌ كَقَلْبِ الكَـافِرِ[٧٧]

وكما وصَف جلّ اسمُـه النُّورَ بـأبلغ مـا يكون من الـوَصف ، فكـذلـك أيضاً وصَف الظُّلمـة ، فجمـعَ في الـوصف بين اللَّيـلِ والسّحـابِ وتراكُبِ أمـواجِ البحر ، وهـو أشـدُّ ما يكونُ من الظُّلمة . ولذلك شبَّه امرؤ القيس اللَّيلَ بموجِ البحرِ في قوله[٧٨] :

[من الطويل]

وَلَيْـلٍ كَمَـوْجِ البَحْرِ أَرْخَى سُدُولَـهُ عَلَيَّ بِـأَنْـواعِ الهُمُـومِ لِيَبْتَلِي

وقـال تعـالى : ﴿ ظُلُماتٌ بَعْضُها فَوْقَ بَعْضٍ ﴾ [النّور : ٢٤/٤٠] ، كما قـال تعـالى : ﴿ نُورٌ عَلى نُورٍ ﴾ .

---

(٧٥) هَراق ، وأراق بمعنًى .

(٧٦) ليس للطّائي ، والطّائي عند المصنف ، هو في اختصاراته ، أبو تمّام ؛ وصواب العبارة : قالَ العَبّاسي ، وهو ابن المعتزّ . والبيت في ديوانه ٥٨٦/٢ من قطعة في الوصف .

(٧٧) وفي رواية للبيت « السماء مُرِزّة » : أي مصوّتة . وفي متن الديوان : « فيها السماء مَلِثّة » .

(٧٨) ديوان امرئ القيس ١٨ ، والبيت من المعلّقة .

سُورَةُ النَّمْلِ

قوله عزّ وجلّ : ﴿ وَأَلْقِ عَصَاكَ ، فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِراً وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى لاَ تَخَفْ إِنِّي لاَ يَخَافُ لَدَيَّ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴾ [النَّمل : ١٠/٢٧] .

وَقَوْلُهُ في السورة الأُخرى : ﴿ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّى مُدْبِراً وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلاَ تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الآمِنِيْنَ ﴾[١] [القصص : ٣١/٢٨] .

الاهتزاز : شِدَّةُ الاضطراب في الحركة ، وللحيوان حركةٌ تدلُّ عليه إذا رُئي عليها ، لا يُشَكُّ في أنَّه حيوانٌ بها ؛ وهي التَّصَرُّف بالنَّفْسِ مع كَونِ الشَّيء على البِنْيَةِ الْحَيَوانية . [وهذه الحال تَنْفي ما ادَّعاهُ بعضُ الْمُلْحِدَةِ في العَصا][٢] . وأَصْلُ العَصا من الامتِناع ؛ يقال : عَصِيَ يَعْصى ؛ إذا امْتَنَع . قال الشاعر[٣] :

[من الكامل]

تَصِفُ السُّيُوفَ وَغَيْرُكُمْ يَعْصَى بِها ... يَا ابْنَ القُيُونِ ، وَذَاكَ فِعْلُ الصَّيْقَلِ[٤]

فَأَمَّا قوله تعالى : ﴿ فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ ﴾ [الأعراف : ١٠٧/٧] إلى قوله : ﴿ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴾ [الأعراف : ١١٧/٧] . الثُّعْبان : الْحَيَّة الضَّخم

---

(١) سها ناسخ (ك) فانتقل نظره من كلمة ﴿ موسى ﴾ في آية النمل إلى كلمة ﴿ موسى ﴾ في آية القَصص . والْمُثبت صحيحاً ، من (ف) .

(٢) ما بين معقوفتين سقط من أصل (ف) غير أن الناسخ ـ فيما يبدو ـ أثبتها على حاشية الصفحة فلم تظهر ؛ فقد دلَّ عند كلمة (أصل) بإشارة استدراك .
والمثبت من (ك) ؛ وهو ملائم للسِّياق .

(٣) هو جرير ؛ والبيت في ديوانه (٩٤٣/٢) .

(٤) الصَّيقل : الذي يشحذ السُّيوف ويجلوها .

الطّويل ، وأَصله من : ثَعَبْتُ الماءَ أَثْعَبُهُ ثَعْباً إذَا فَجَّرْتُه ، فَسُمِّي بذلك لأنَّه يَجري مَجرى الماءِ[5] عند الانفجار . ومعنى « مُبين » : أي بَيِّنٌ أَنَّه حيَّة .

وأمّا تَشبيهُها بالجانّ فالْمُرادُ به أَنَّها في اهْتِزازها وخِفَّة حَرَكتها وسُرعتها كالجانّ ، وهي في صُورة الثُّعبان .

والإفك : الكَذِب ؛ وذلك أَنَّهم زَعموا أنَّ حِبالهم وعصيَّهم حَيّات ، وإنَّما قيل إنَّهم جَعلوا فيها الزِّئبق ، وَصَوَّرُها صُوَر الْحَيّات ، فاضْطَرب الزِّئبق لأنَّه لا يَستقرُّ ، فَلَمَّا أَلقى موسى عَصاه تَجَمَّعَتْ عِصِيُّهم وحِبالُهُم . قال الشّاعر ، أَنشده أَبُو عُبَيدة :

[من السريع]

أَنْتَ عَصَا مُوسَى الَّتِي لَمْ تَزَلْ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُهُ السَّاحِرُ[6]

وقُرِئَ[7] : ﴿ تَلَقَّفُ ﴾ و : ﴿ تَلْقَفُ ﴾ مُخَفَّفَةً وَمُثَقَّلَةً .

وقيل في تَشبيهها بالجانّ معنًى آخر . وذلك أنَّ الحيَّة إذا هَرِمت صَغُرَت في بَدَنِها ، وخفَّت في حَرَكتها ، فكأَنَّ الْمُراد أَنَّها في صُورة الثُّعبان القَديم الذي قد تضاءَل جِسمُهُ ولَطُفَت أَجزاؤه ، وهو أعظَمُ للآية ، وأَغْرَبُ في الْمُعجز . قال الشّاعر[8] ، يصف الْحَيّة :

---

(٥) في ك : كجري الماء .

(٦) أَفَك : كذَب ، وخدَع .

(٧) في معجم القراءات القرآنية ٣٨٩/٢ : النَّصّ المصحفي ﴿ تَلْقَفُ ﴾ ، وقرأ حمزة ، والكسائي ، ونافع ، وابن كثير ، وابن عامر ، وأبو عمرو : « تَلَقَّفُ » .
ـ ويُنظر حجّة القراءات ٢٩٢ .

(٨) الرَّجَز في الحيوان ١١٩/٤ (ومواضع أُخَر منه) دون نسبة . وهو فيه ٢٨٦/٤ لخلف الأَحمر . ونسبه ابن الشجري في حماسته ٩١٥/٢-٩١٦ إلى النابغة ، وهو في مجموعة المعاني ٤٧٧ ، قال : وقال النابغة وقد نسبت إلى خلف الأحمر . وفي التشبيهات ٥٦ لخلف أيضاً .
ـ والشّعر في ديوان النابغة المسمّى : التوضيح والبيان عن شعر نابغة ذبيان ص ٩٩ . ونقله محمد =

[من الرَّجز]

دَاهِيَـــــةٌ قَــــدْ صَغُرَتْ مِنَ الكِبَرْ
طَـــوِيلَـــــةُ الإطْرَاقِ مِنْ غَيْرِ قِصَرْ
كَــأَنَّهـا قَـدْ ذَهَبَتْ بِهَـا الفِكَرْ
شُقَّتْ لَهَـا العَيْنَـانِ طُـولاً فِي شَتَرْ[9]
مَهْرُوتَــةُ الشِّـدْقَيْنِ حَـوْلاءُ النَّظَرْ[10]
جَـاءَ بِهَـا الطُّـوفَـانُ أَيَّـامَ زَخَرْ[11]

وفي نَحْوِ هذه الصِّفة قول أعرابيّ قديم[12] :

لاهُمَّ إنْ كَـــانَ أَبُـــو حبر ظَلَمْ[13]
فَــابْعَثْ لَــهُ في بَعْضِ أَعْرَاضِ اللمَمْ[14]
لميمَـــــــةً مِنْ حَنَشٍ أَعْمَى أَصَمّ[15]
قَــدْ عــاشَ حَتَّى هُوَ لا يَمْشِي بِـدَمْ[16]

= أبو الفضل إبراهيم في ذيل الديوان الذي شرحه الأعلم الشنتمري ٢٣٠ .
- وفي النصوص بعض خلاف .
- والنّصّ في الحيوان في عشرة أبيات .

(٩) الشَّتَر : انقلاب الجفن من أعلى وأسفل وانشقاقه أو استرخاء أسفله .

(١٠) مهروتة : واسعة .

(١١) زَخَر : ارتفع ، وقد عنى أنّ تلك الأفعى معمّرة ، أدركت أيام نوح عليه السَّلام !

(١٢) الأبيات من رجز طويل في الحيوان ٢٨٣/٤ - ٢٨٤ ؛ وفي التقديم ثمّة : « وقال آخر وهو جاهِلِيّ » .
- واختار المؤلّف أبياتاً غير متسلسلة كما رواها أبو عثمان .

(١٣) في الحيوان : أبو عمرو .

(١٤) اللّمم : ما يُلمّ بالإنسان من شِدّة .

(١٥) لُمَيْمَة تصغير لم .

(١٦) لا يمشي بدم : أي لم يعد في استطاعته أن يُؤذي أو يجترح أمراً لكبره .

فَكُلَّما أَفْضَلَ فِيهِ الجُوعُ شَمّ[١٧]
كَأَنَّ صَوْتَ نَابِهِ إِذَا انتظَمْ
وَخْزَةُ إِشْفَى في عُطُوفٍ مِنْ أَدَمْ[١٨]

وهم يَصِفُونها على العُموم بالضُّؤولة واللَّطافة إذا بالَغوا في صِفَتها كما قال النّابغة[١٩] :

[من الطويل]

فَبِتُّ كَأَنّي سَاوَرَتْني ضئيلَةٌ ... مِنَ الرُّقْشِ في أَنْيَابِها السُّمُّ نَاقِعُ[٢٠]

إلاّ أنّ التأويل المأثور في الآية ما تقدّم .

وقد شبَّهت الشعراء الْحَيّات وآثارَها بالحِبَال والعِصيّ ، ونحوُ ذلك ؛ قال الشاعر[٢١] :

[من المتقارب]

وَمِنْ حَنَشٍ لاَ يُجيبُ الرُّقَا ... ةَ أَرْقَشَ ذي حُمَةٍ كالرِّشَا[٢٢]
أَصَمُّ سَميعٌ طَويلُ السُّبَا ... تِ مُنْهَرِتُ الشِّدْقِ عَاري القَرَا[٢٣]

---

(١٧) في الحيوان : أقصد منه الجوع : أي تنسَّم الهواء واكتفى به غذاءً !
(١٨) الإشفى : المخرز . والعُطُوف جمع عِطف ، وهو من كل شيءٍ جانبُه .
ـ وفي الحيوان : ضبطه المحقّق في « عَطُوفٍ » أي مَعْطُوف . وهو وجه مرجوح ـ ونسختا الْجُمان ضبطتا الكلمة بضم العين وهو الصّواب .
(١٩) ديوان النابغة الذبياني من اعتذارية مشهورة ٣٣ .
(٢٠) ساورته : واثبته . والضئيلة : حيّةٌ دقيقة قد أتت عليها سنون كثيرة ، فقلَّ لحمُها واشتدَّ سَمُّها . والرُّقش جمع رقشاء التي فيها سواد وبياض . وناقع : ثابت .
(٢١) لم يسمِّه أبو عثمان . والشعر في الحيوان ١٧٩/٤ .
(٢٢) الرّشا مسهلة من الرّشاء : الحبل ؛ والْحُمَةُ : ما تلسع به الحيّة .
(٢٣) في الحيوان : عاري النَّسا .

=

وقال الآخر[٢٤] :

[من الوافر]

كَـأَنَّ مَـزاحِفَ الْحَيَّـاتِ فيــهِ قُبَيْـلَ الصُّبْـحِ آثـارُ السِّيـاطِ[٢٥]

وقال ذو الرُّمّة[٢٦] :

[من الطويل]

وَمِنْ حَنَشٍ ذَعْفِ اللُّعـابِ كَـأَنَّـهُ عَلَى الشَّرَكِ العـاديِّ نِضْـوُ عِصـامِ

وقال ، وذكر النّاقة[٢٧] :

[من الطويل]

رَجيعَـةُ أَسْفَـارٍ كَـأَنَّ زِمَـامَهـا شُجـاعٌ على يُسْرى الـذِّراعينِ مُطْرِقُ[٢٨]

وقال حُمَيد بنُ ثور[٢٩] :

[من الطويل]

= ضبطت نسخة (ف) البيت برفع صفات الحنش ، وضبطتها النسخة (ك) بالجرّ ؛ وكذا ضبطت في طبعة الحيوان .

(٢٤) هو المتنخّل الهذلي ؛ والبيت في ديوان الهذليّين ٢٥/٢ .

(٢٥) مَزاحِف : آثار زحف الْحَيّات (مَشيها على طريقة الزّواحف) .

(٢٦) ديوان ذي الرُّمّة ١٠٦٦/٢ .

- يقول في صفة الناقة في سيرها : وكم جاوزت من حنشٍ ؛ ذَعْف اللعاب : سريع القتل . والشَّرَك : الطريق . ونِضْو : دقيق . وعصام : خيط القربة ، شبَّه القربة به .

(٢٧) ديوان ذي الرُّمّة ٤٦٨/١ .

(٢٨) رجيعة أسفار : أي سُوفر عليها قبل هذا (ذات خبرة) ثم رُدَّت من سفر وسَفر . والشجاع : الحيّة : شبَّه الزّمام به (الحبل الذي تقاد به) .

(٢٩) حميد بن ثور الهلالي ، وهو شاعر مُخَضرم ، عدَّه ابن سلام في الطبقة الرابعة من الشعراء الإسلاميّين . والشعر في ديوانه ١٣ .

فَلَمّـا أَتَتْـهُ أَنْشَبَتْ في خِشـاشِـهِ   زِمَاماً كَشَيْطانِ الْحَمَاطَةِ مُحْكَمَا[٣٠]
شَـديـداً تُـوَقِّيـهِ الـزِّمـامَ كَـأَنَّما   تَراهـا أَعَضَّتْ بـالْخُشَاشَـةِ أَرْقَما[٣١]

تشبيه آخر من هذه السورة :

قوله عزّ وجلّ : ﴿ وَتَرَى الجِبَالَ تَحْسَبُهَا جامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ ﴾ [النَّمل : ٨٨/٢٧] . يريد أنَّ الجبالَ من هَوْل اليوم وما ظَهَر من أمر الله تعالى فيه تَزولُ عن مواضعها ، فلا يكون لها قَرارٌ ولا ثَبات . فأخبَر بذلك عن شِدّة الأَمر عند النَّفخ في الصُّور ، وبَعْثِ الأموات من القُبور .

و « الصُّور » عند أهل اللُّغة : جمعُ صُورة ، يُنفخ فيها رُوحُها فتَحْيَا . وجاء في التَّفسير[٣٢] أنَّ « الصُّور » قَرْنٌ يَنْفُخ فيه إسْرافيل ؛ والله أعلم ، وعلى هذا التأويل تكون الجبال زائلة عن مواضعها بذلك النفخ حتّى تمرّ مَرَّ السحاب ، وتصيرَ لهذه الحالِ كالعِهْنِ من الخِفّة والذَّهاب ؛ قال الله تعالى : ﴿ وَتَكُونُ الجِبَالُ كَالعِهْنِ ٱلْمَنْفُوشِ ﴾ [القارعة : ٥/١٠١] .

ومعنى قوله تعالى : ﴿ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً ﴾ أي : كأنَّها غيرُ زائلةٍ لتَنَاسُبِ سَيْرِها ، واسْتِوَاء مَرِّها . قال الأعشى[٣٣] ، يصفُ امرأةً بوقار الْمَشي والحركة :

[من البسيط]

كَـأَنَّ مِشْيَتَهَـا مِنْ بَيْتِ جَـارَتِهَـا   مَرُّ السَّحَـابَـةِ لاَ رَيْثٌ وَلاَ عَجَـلُ

(٣٠) ـ في الديوان : كثعبان الحماطة .
ـ الخِشاش والخشاشة : عود يعرض في أنف البعير يُعلّق فيه الزمام . والحماطة شجرة تألفها الحيّات .
ـ يحسب البعير أن الفتاة علّقت بالخشاش حَيّة فهو يفزع منها .
(٣١) ـ في الديوان : « .. تَوَقّيه الزّمام كأنّما يَراها أعضت ... » .
(٣٢) تفسير القرطبي ٢٣٩/١٣ .
(٣٣) ديوان الأعشى ، والبيت من معلّقته المشهورة ٥٥ .

وأراد الآخر وَصْفَ هذه الحال ، فقال[٣٤] ، وغَيَّرَ التَّشبيه :

[من الرّجز]

مَـــالَـــكَ لاتَـــذْكُرُ أَوْ تَــزُورُ
حَــوْراءَ بَيْنَ حَـــاجِبَيْهَـــا نُــورُ
تَمْشِي كَمَـــا يَطَّرِدُ الغَـــدِيرُ

[وهو من قول امرئ القيس :

[من الطويل]

... سُمُـوَّ حُبَـابِ الْمَـاء حـالاً عَلَى حَـالِ

وأُنْشِدْتُ لِبَعْضِ الْمُحْدَثين[٣٦] ، في صِفَةِ رَقّاص :

[من الوافر]

إِذَا ٱخْتَلَسَ الْخُطَـا وَٱهْتَـزَّ لِينـا   رَأَيْتَ لِرَقْصِـهِ سِحْراً مُبِينـا[٣٧]
تَرَى الْحَرَكاتِ مِنْـهُ بِـلاَ سُكُـونٍ   فَتَحْسَبُهـا لِخِفَّتِهـا سُكُـونـا][٣٨]

وقال ابنُ مُقبل[٣٩] :

---

(٣٤) لم يُذكر .
ـ الرّجز في الغزل ، فقد ذكرها في البيت الأول ، وذكر حَوَر عينيها في البيت الثاني وأثنى على إشراقة وجهها ، وفي البيت الثالث وصف مشيتها وشبهه باطّراد الغَدير ؛ وعهد الشعراء أن يشبّهوا بمثل قول الأعشى أو قول امرئ القيس .

(٣٥) من قول امرئ القيس (ديوانه ٣١) .
سَمَوْتُ إليها بعدما نام أهلُها   سموّ حباب الماء حالاً على حالِ

(٣٦) لم يسمّه في مجموعة المعاني ٥٣٤ .

(٣٧) اختار المؤلف البيتين الأول والثّالث من أربعة أبيات .

(٣٨) ما بين معقوفتين لم يرد في (ف) .

(٣٩) ديوان تميم بن أبيّ بن مُقبل ٣٢٧ .

[من البسيط]

يَهْـزُزْنَ لِلْمَشْيِ أَوْصـالاً مُنَعَّمَـةً هَزَّ الْجَنُوبِ ضُحًى أَعْوَادَ يَبْرِيْنا[٤٠]
يَمْشِينَ هَيْلَ ٱلنَّقَا مَالَتْ جَوَانِبُـهُ يَنْهالُ حيناً وَيَنْهَاهُ النَّدَى حينا[٤١]

يُقال : هِلْتُ الشَّيءَ فانْهال ، والمصدَر الهَيْل . وفي الحديث : « كِيْلُوا وَلاَ تَهيلُوا »[٤٢] . وكلُّ ما أرسلْتَهُ إرسالاً من رَمْلٍ أو ترابٍ أو طَعامٍ فقد هِلْتَه . قال الله تعالى : ﴿ يَوْمَ تَرْجُفُ الأَرْضُ وَالجِبَالُ وَكَانَتِ الجِبَالُ كَثِيباً مَّهِيلاً ﴾ [المزّمّل : ١٤/٧٣] .

وقد شُبِّهَت النّاقة ونحوها في سرعة السير بالسحابة . قال لبيد ، وذكر النّاقة :

فَلَهَا هَبابٌ في الزِّمامِ كأنّها صهباءُ راحَ مع العشيِّ جَهامُهَا

الصَّهباءُ : السّحابة القليلة الماء ، فهي لخفَّتها سريعة .

---

(٤٠) الْجَنُوب : ريح الْجَنُوب . ويبرين : رمل (أي أرضٌ منبتةٌ رملية) في ديار بني سعد من تميم .
ـ في الديوان : « عيدان يبرينا » .

(٤١) في الديوان : « ينهاه الثّرى حينا » . ونبّه على رواية المؤلّف .

(٤٢) في النهاية لابن الأثير (هـ ي ل) شكا قومٌ إلى النّبي ﷺ قلّة طعامهم فقال : « أتكيلون أم تهيلون ؟ قالوا : نَهيلُ ، قال : فكيلوا ولا تهيلوا » .

(٤٣) ديوان لبيد ٣٠٤ .
ـ هَباب : نشاط ؛ والجهام : السّحاب الذي لا مطر فيه .

سُوْرَة العَنْكَبُوت

قولُه عزّ وجلّ : ﴿ مَثَلُ الَّذِيْنَ ٱتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنْكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتاً وَإِنَّ أَوْهَنَ البُيُوتِ لَبَيْتُ العَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ [العنكبوت : ٤١/٢٩] .

الاتِّخاذ : افتعالٌ من الأخذ .

والعَنكبوت : تُذَكَّرُ وتُؤنَّث[١] . قال الشاعر[٢] :

[من الوافر]

عَلَى هَطّالِهِمْ فيهِمْ بُيوتٌ كَأَنَّ ٱلعَنْكَبُوتَ هُوَ ٱبْتَنَاها[٣]

وتُجمع « العنكبوت » : عَناكب ، وَيُقال فيه : العَنْكَباء .

ومعنى الآية : أنَّ مَنْ عَبَدَ غيرَ الله فقد اتَّخذ وَلِيّاً من دُونه لا ينفَعُه ولا يَضُرُّه . فكانَ في اتِّخاذ ذلك كالعَنكبوت في اتِّخاذِهَا بَيْتاً لا يُجِنُّها من شَيء ، ولا يُكِنُّها من حَرٍّ ولا بَرد .

وقال الفرَزدق ، في هجاء جرير يفخر عليه[٤] :

---

(١) المذكر والمؤنّث لأبي بكر محمد بن القاسم الأنباري ٣٩٥/١ .

(٢) في معاني القُرآن للفرّاء ٣١٧/٢ : « والعنكبوت أنثى وقد يذكّرها بعض العرب ، قال الشاعر : البيت » . ولم يسمّ قائله . ونقله في اللسان : عنكب وهطل .

(٣) في الأصلين : « فيهم بيوت » ، وفي معاني القرآن والمذكر والمؤنث « منهم بيوت » .
ـ وهَطّال : جَبل .

(٤) ديوان الفرزدق ٧١٤/٢ ؛ والقصيدة من النقائض .

[من الكامل]

إنَّ الَّـذي سَمَـكَ السَّماءَ[5] بَنَى لَنـا بَيْتـاً دعَـائِمُـهُ أَعَـزُّ وأَطْـوَلُ[5]
بَيْتـاً ، زُرارَةُ مُحْتَبٍ بِفِنَـائِـهِ ، وَمُجَاشِعٌ ، وأَبُـو الفَـوَارِسِ نَهْشَـلُ[6]
لاَ يَحْتَبِي بِفِنَـاءِ بَيْتِـكَ مِثْلُهُمْ أَبَـداً إِذا عُـدَّ الفَعَـالُ الأَفْضَـلُ[7]
ضَرَبَتْ عَلَيْـكَ ٱلعَنْكَبُـوتُ بِبَيْتِهـا وَقَضَى عَلَيْـكَ بِـهِ الكِتَـابُ المُنْزَلُ[8]

يقول : بيتكم في الوَهن والضَّعف كبيتِ العَنكبوت الذي وصفَه الله تعالى .

وقال ذُو الرُّمّة ، يصفُ[9] دَلواً أرسلَها في رَكِيَّةٍ[10] :

[من الطويل]

فَجَاءَتْ بِنَسْجٍ مِنْ صَنَاعٍ ضَعِيفَـةٍ تَنُوسُ كَأَخْلاقِ الشُّفُوفِ ذَعَـالِبُـهْ[11]
هِيَ ٱنْتَسَجَتْـهُ وَحْـدَهَـا أَوْ تَعَـاوَنَتْ عَلَى نَسْجِهِ بَيْنَ الثِّيَابِ عَنَـاكِبُـهْ[12]

---

(5) سَمك السَّماءَ : رفعها .

(6) هم : نهشل بن دارم ، ومجاشع بن دارم ، وزرارة بن عَدُس بن زيد بن عبد الله بن دارم بن مـالـك بن زيد مناة بن تميم . وهم من رؤوس بني تميم وأعيانهم . قال ابن حزم عن زرارة إن في البيت وأنه ولد لـه عشرة من الأولاد (ينظر جمهرة أنساب العرب لابن حزم ٢٣٠ ـ ٢٣٢) .

(7) احْتَبى : جلس الحُبْوة . يعني مكانتهم ومفاخرهم .

(8) في الديوان : ضربت عليك العنكبوت بنسجها .

(9) في (ك) : يذكرُ دلواً .

(10) الرَّكِيَّة : البئر التي تُحْفَر .

(11) ديوان ذي الرُّمّة ٨٥٤/٢ ، وفيه : « وجاءت بنسج .. » .
ـ الصّناع : الماهرة في العمل . تَنُوس : تتذبذب (تتردَّد جيئةً وذهاباً) والأخلاق جمع الخلق : البـالي ؛ والشفوف : الثوب الرقيق ؛ والذَّعالب : جمع الذعلبة والـذّعلوب : طرف الثوب أو مـا تقطع من الثوب فتعلق . يقول : لنسج العنكبوت ذعالب تضطرب مثل اضطراب ذعالب الثوب الممزّق البالي .

(12) في الديوان : « بين المثاب » قال : « المثاب : مقـام السّـاقي حيث يضع رجليـه » كـذا في شرح أبي نصر الباهلي .
ـ قلت رواية ابن ناقيا هنا أعْلى وأجْلى . ولا وجه لردّ محقّق ديوان ذي الرُّمّة لهذه الرواية العالية .

[٣٩/ب] ومن مُستحسن تشبيهاتِه الَّتي تدخُل في هذا البابِ قولُه في وصف الظَّليم[١٣] :

[من الطويل]

وبَيْضٍ رَفَعْنا بالضُّحى عَنْ مُتُونِها ... سَمَاوَةَ جَوْنٍ كالخِبَاءِ الْمُقَوَّضِ[١٤]

هَجُومٍ عَلَيْها نفسَهُ غَيْرَ أنَّهُ ... مَتَى يُرْمَ في عَيْنَيْهِ بالشَّخْص يَنْهَضِ[١٥]

يُصَرِّفُ لِلأَصْوَاتِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ... سِمَاخاً كَبَيْتِ العَنْكَبُوتِ الْمُغَمَّضِ[١٦]

وقال الحكَميّ[١٧] ، وذكر الخمر[١٨] :

[من المنسرح]

هَتَكْتَ عَنْهَا ـ واللَّيْلُ مُنْسَدِلٌ ـ ... مُهَلْهَلَ النَّسْجِ مَالَهُ هُدُبُ[١٩]

مِنْ نَسْجِ خَرْقَاءَ لاتُشَدُّ لَهَا ... آخِيَّةٌ في الثَّرى وَلاَ طُنُبُ[٢٠]

---

(١٣) الظَّليم : ذكر النَّعام ، وتجمع على ظِلمان وظُلمان . (بكسر الظاء وضَمّها) .

(١٤) ديوان ذي الرُّمّة ١٨٣١/٣ .
السَّماوة شخص الظليم ، والجون : الأسود وشبَّهه بالخباء (البيت) الذي قلعت أوتادُه وهُدِم . والبيض هنا بيض النَّعام ، يقول : فزّعناه فقام عن بيضه .

(١٥) أي يرمي نفسه على بيضه يحضُنه ؛ وينهض : أي إذا رأى شخصاً فرَّ وهرب .

(١٦) السِّماخ : جوف الأذن ، يقول : يقلب سماخه يميناً وشمالاً يسمع الأصوات . شَبَّه سِماخَ الظليم ببيت العنكبوت ، أي لا يستبان لأن أذنيه مَصْلُومتان .

(١٧) هو أبو نواس الحسن بن هانئ ، الْحَكَميّ .

(١٨) ديوان أبي نواس ٨٦ .

(١٩) في الديوان : والليل معتكرٌ . ومهلهل : رقيق لأن النسيج ماله هدب .

(٢٠) الخرقاء التي لا تُحسن العمل (وعكسها الصَّناع) عنى العنكبوت لأنه نظر إلى ضعف بيتها . والآخيّة : عُرْوَة يمكّن طرفاها في أرض أو حائط وتُشَدّ فيها الدّابّة والجمع الأواخي . والطُّنُب : حبل الخيمة يُنسج بغير إبر النَّسيج (غليظ) .

وقال البُحتريّ[٢١] ، وناسَب بينَ نسجِ العنكبوت وبين العَرَضِ في تشبيـهِ صِنفٍ من الثِّياب :

[من الكامل]

أَيْنَ الـدَّبيقِيُّ الَّـذِي شَهِـدَتْ لَـهُ ... أَيْـدي النِّسَاءِ فَجَاءَ طَوْعَ المِغْزَلِ[٢٢]
وَالشَّرْبُ إِذْ يَحْكِي بِرِقَّـةِ نَسْجِـهِ ... نَسْجَ العَنَاكِبِ فِي الْمَكَانِ الْمُهْمَلِ[٢٣]
عَـدَلَ الهَـوَاءَ إِذَا صَفَتْ أَقْطَـارُهُ ... وَأَرَقَّـهُ نَسَمُ الْخَرِيفِ الْمُقْبِـلِ[٢٤]
فَكَـأَنَّـهُ عَرَضٌ يَقُـومُ بِنَفْسِـهِ ... فِي غَيْرِ مَـا جِسْمٍ لَـهُ مُتَقَبِّـلِ[٢٥]

قوله تعالى : ﴿ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ مُتَّصِلٌ بقوله : ﴿ ٱتَّخَذُوا ﴾ أي : لو عَلِمُوا أنَّ اتِّخاذَ الأَولياء كاتِّخاذِ العَنكبوت بيتاً ضعيفاً ، ليسَ أَنَّهم لا يعلمون أنَّ بيتَ العنكبوت ضعيف ، وذلك أنَّ بيت العنكبوت أَضعفُ البُيوت التي تَتَّخِذُها العَوامّ وأقلّها وقاية ؛ فكَذلك أولياؤُهم في الضَّعفِ والوَهن وعَدمِ النَّفع لهم ودَفعِ الضُّرِّ عنهم .

(٢١) لم يرد في ديوانه .
(٢٢) الدبيقي : نوع من الثياب ، يُنسب إلى دبيق بلدة بمصر .
(٢٣) في الأصلين : « والشَّرب » والمقصود نوع من الثِّياب . ولا بأس في أن تقرأ « والثوب » .
(٢٤) قد يمدحون الثوب المهلهل الركيك إذا كان مطلوباً كذلك لرقّته وشفافيته .
(٢٥) يبالغ فيقول كأنَّه عَرَضٌ لا جَوْهَرَ له (لا مادّة له) !!
ـ قلت : والشعر بعيد عن منهج البحتري المألوف .

سورة الأحزاب

قولُه عزّ وجلّ : ﴿ فَإِذَا جَآءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُوْرُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ ﴾ [الأحزاب : ١٩/٣٣] . يعني قوماً مِنَ الْمُنافقين[1] كان النَّبيُّ ﷺ إذا أَمَرَهم بالقتال وأن يستعدُّوا له نَظَرُوا إليه شاخِصَةً أبصارُهُم متغيِّرةً ألوانُهم . فَشَبَّهَهم في خوفهم من الْحَرب بالخائِفِ من الْمَوت ؛ [أي] : ينظُرون إليكَ يا مُحَمَّد إذا أمرتهم بأخذِ الأُهبةِ لِلْحَرَب كما ينظُر المغشيُّ عَليه منَ الْمَوت ، وهذا التَّشبيه أبلغُ في وصفِ الخائِفِ من جميعِ الأَوصاف ، وأوقعُ التَّشبيهات [لمثل هذه الحال] .

وقال النابغةُ في نحو ذلك من تشبيهِ حالِ الخائفِ ، وذَكَرَ امرأةً[2] :

[من الكامل]

نَظَرَتْ إِلَيْكَ بِحَاجَةٍ لَمْ تَقْضِهَا ... نَظَرَ الْمَرِيضِ إلى وُجُوهِ العُوَّدِ[3]

---

(١) ينظر ـ مثلاً ـ تفسير القرطبي ١٥١/١٤ وما بعدها .
وقبل هذه الآية الكريمة : ﴿ قَدْ يَعْلَمُ اللهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُم وَالقَائِلِينَ لإِخْوانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ولاَ يَأْتُونَ البَأْسَ إلاَّ قليلاً ☆ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُم يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإذا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُوْلَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيراً ﴾ .
قال في تفسير ﴿ الْمُعَوِّقِينَ ﴾ المعترضين منكم لأنْ يصدُّوا الناس عن النَّبيّ ﷺ ... قال مقاتل : هم عبد الله بن أُبيّ وأصحابه المنافقون .

(٢) ديوان النابغة الذُّبياني ٩٣ .

(٣) العُوّد جمع العائد (زائر المريض) .

أي : نظرت نظرَ خائف وأرادَتْ كلامَك فلم تقدر على ذلك ، وهو حاجَتُها ، قال العُقيليّ[٤] :

[من الطويل]

أَرَدْنَ الكَـلاَمَ فَـاْتَّقَتْ مِنْ رَقِيبِهَـا　　فَمَا كَـانَ إلاَّ وَمْؤُهـا بِـالْحَوَاجِبِ[٥]

وأخذ ابن الرُّوميّ لفظَ النّابغـة فقـال في تشبيـهِ الشَّمس عنـد غُروبِهـا ، وأغربَ في الوصف[٦] :

[من الطويل]

إِذَا رَنَّقَتْ شَمْسُ الأَصِيـــلِ وَنَفَّضَتْ　　عَلَى الأُفُقِ الغَرْبِيِّ وَرْساً مُذَعْـذَعـا[٧]
وَوَدَّعَتِ الـــدُّنْيـا لِتَقْضِي نَحْبَهَـــا　　وَشُـوِّلَ بَـاقِي عُمْرِهَـا فَتَشَعْشَعَـا[٨]
وَلاَحَظَتِ النُّـوَّارَ وَهْيَ مَرِيْضَـــةٌ　　وَقَدْ وَضَعَتْ خَدّاً إِلَى الأَرْضِ أَضْرَعا[٩]
كَمَـا لاَحَظَتْ عُـوَّادَهُ عَيْنُ مُـدْنَفٍ　　تَـوَجَّعَ مِنْ أَوْصَـابِـهِ مَـا تَـوَجَّعا[١٠]

---

(٤) البيت في اللسان (ومأ) و (س ل م) برواية مختلفة . قال :

فقلتُ : السّلامُ ! فـاتّقتْ مِن أميرِهـا　　فمـا كان إلاّ وَمْـؤُهـا بـالحَـواجِب

(٥) لم ترد رواية : « أردْنَ الكلام » في اللسان .
ـ يقال : وَمَأَ ، ويقال : أومأ (والمزيد أشهر) .

(٦) ديوان ابن الرُّومي ١٤٧٥/٤ .

(٧) مذعذع : مغرّق .

(٨) أصل معنى شوّل من شَوَّلَ لَبَنُ الناقة : نقص ؛ وشوّلت القِرْبَـةُ : قلَّ مـا بقي فيهـا من المـاء . واستعـاره الشاعر للشمس وقد أوشكت على المغيب .

(٩) خدّ أضرع : ذليل . والنّوّار : الزهر والمباهج على الأرض .
ـ ويقال ضرعت الشمس : دنت من المغيب .
ومعنى لاحظ : نظر بطرف العين الذي يلي الصُّدغ .

(١٠) المُدنف : الذي ثقل مرضه .
ـ ويقال دَنِفَت الشمس : دنت للغروب واصفرّت .

وقيل في قوله تعالى : [﴿ وَٱلْقَائِلِيْنَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ﴾ [الأحزاب : ١٨/٣٣] : إنَّه وصفٌ لِمَا قَبْلَه ؛ من قوله تعالى :][11] : ﴿ قَدْ يَعْلَمُ اللهُ الْمُعَوِّقِيْنَ مِنْكُمْ ﴾ وهم عبد الله بن أُبيّ [بن] سَلُول[12] وأصحابه ، وكانوا يوم الخندق يُعوِّقون الْمُؤمنين عن الْمُقامِ مع النَّبيِّ ﷺ ، والله أعلم .

---

(١١) ما بين معقوفتين لم يرد في (ك) بنقله عين من الناسخ بين عبارتي : « قوله تعالى » .

(١٢) أبو الْحُباب عبد الله بن أُبَيّ بن مالك الخزرجي ، كان سيد الخزرج قبل الإسلام ، وكانوا ينظمون له الخرز ليجعلوه صاحبهم (ملكهم) ، أي كانوا يتهيّؤون لتوليته . ثم جاء الإسلام فأسلم الأوس والخزرج ؛ وأسلم دون أن يتعمق الإسلام قلبه ، وكان رأس المنافقين ، ونبذه حتّى أولادُه ؛ وبقي معه في الباطن نفرٌ من الْمُنافقين .
توفي سنة ٩ هـ .

[٣٤] سُورَةُ سَبَأ

[٤٠/أ] قولُه عزّ وجلّ : ﴿ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيْبَ وَتَمَاثِيْلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ ﴾[1] [سبأ : ١٣/٣٤] .

المحاريبُ : شريفُ البُيوت ، ولذلك سُمّي المِحراب الّذي يُصلّى فيه ؛ لأنّه أشرفُ موضعٍ في الدّار .

قوله تعالى : ﴿ كَالْجَوَابِ ﴾ أكْثَرُ القُرّاء[2] على الوقفِ بغير ياء ، وكان الأصلُ الوقفَ بالياء ؛ إلاّ أنّ الكسرةَ تنوبُ عَنها ، فكانت بغيرِ ألفٍ ولامٍ ؛ الوقفُ عليها بغير ياء ؛ فَأُدْخِلَتِ الألفُ واللاّم وتُرِكَ الكلامُ على ما كانَ عليه قبل دُخولها .

والْجَوابي : جمعُ جابِيَة ، وهي الْحَوضُ الكبير ؛ قال الأعشى[3] :

[من الطويل]

---

(١) ﴿ يعملون ﴾ : أي الجنّ ؛ ﴿ له ﴾ أي : لسليمان عليه السلام . و ﴿ محاريب ﴾ جمع محراب : وهو في اللغة كل موضع مرتفع ؛ نقل في الجامع لأحكام القرآن ٢٧١/١٤ . وقيل للذي يُصَلّى فيه محراب لأنه يجب أن يرفع ويعظم ... وقال أبو عبيدة : المحراب : أشرفُ بيوت الدّار . و ﴿ تماثيل ﴾ جمع تمثال : وهو كل ما صُوّر على مثل صورة حيوان أو غير حيوان . و ﴿ جِفَانٍ كَالْجَوابِ ﴾ : الجفان جمع الْجَفْنَة : وهي القصعة العظيمة ، أو شبه القصعة ؛ وتجمع على جِفَن وجِفَان وجَفَنات . و ﴿ قُدورٍ راسياتٍ ﴾ : هي قدور النُّحاس (وما شابه من المعادن) ، ومعنى ﴿ راسياتٍ ﴾ : ثوابت ؛ لا تُحمل ولا تُحَرَّك لِعظمها . قال ابن العربي : وكذلك كانت قدور عبد الله بن جُدعان يُصعد إليها ـ في الجاهلية ـ بِسُلّم .

(٢) معجم القراءات القرآنية ١٤٧/٥ . وقرأ (كالْجَوابي) أبو عمرو ، وورش ، وابن وردان .

(٣) ديوان الأعشى ٢٢٥ .

نَفَى الـذَّمَّ عَنْ آلِ الْمُحَلَّـقِ جَفْنَـةٌ   كَجَـابِيَـةِ الشَّيْـخِ العِرَاقِيِّ تَفْهَـقُ(٤)
تَرَى القَـوْمَ فِيهَـا شَـارِعِيْنَ وَتَحْتَهُمْ   مِنَ النَّسْلِ وِلْـدَانٌ مَعَ القَوْمِ دَرْدَقُ(٥)

وقال لبيد بن ربيعة(٦) :

[من الكامل]

وَيُكَلِّلُـونَ إِذَا الرِّيَـاحُ تَنَـاوَحَتْ   شُرُعـاً تُمَـدُّ شَـوَارِعـاً أَيْتَـامُهَـا(٧)

وقال سُوَيْدُ بنُ أبي كاهل(٨) :

[من الرّمل]

وَإِذا هَـــاجَتْ شَمالاً أَطْعَمُـــوا   فِي قُـدُورٍ مُشْبَعَـاتٍ لَمْ تُجَـعْ(٩)

---

(٤) خصّ الشاعر العراقي (يعني المدني كأهل العراق) لقلة درايته بأحوال البادية .
وروي : السَّيح العراقي : والسَّيح : النهر ، وعلى هذا فالمعنى : نفى الذّم عنهم ـ أي أهّلهم للثناء ـ جفنة ضخمة تقدم للضيفان كأنها حوض الماء يمدّه نهر العراق .

(٥) رواية الديوان :
ترى القـوم فيهـا شـارعين ودونهم   من القـوم ولـدانٌ من النَّسـل دَرْدَقُ
وشرع الرجل في الماء : شرب بكفّيه ، أو تناوله بفمـه . والـدَّردق : الأطفـال ، والصغير من كل شيء .
يقول : ترى القوم من حولها مادّين أيديهم إليها يغترفون صفوفاً ، ومن خلفهم صفوف من النـاس ومن صغار الأطفال .

(٦) ديوان لبيد ٣١٩ .

(٧) رواية الديوان : حلجاً تمدّ شوارعاً ...
قولـه : يكللون : ينضّدون اللحم بعضـه فوق بعض ؛ وتنـاوحت : واجـه بعضُهـا بعضـاً . وتمدّ : يزاد فيها .

(٨) هـو سُوَيـد بن أبي كاهـل اليَشْكُرِيّ ، وكنيتـه أبـو سعـد ؛ شـاعِرٌ مخضرم من المعمَّرين ؛ تـوفي بعـد سنة ٦٠ هـ .

(٩) البيتان من عينيّة سويد المشهورة ، وهي أبرزُ شعره ؛ وكانت تسمى في الجاهلية اليتيمـة ، والقصيـدة في ديوان شعره : ديوان سويـد بن أبي كاهل اليشكري ص ٢٣ ـ ٣٥ وتنظر إحـالات المحقّق . والقصيـدة مفضليّة .
ـ والبيتان المختاران في الديوان ٢٧ ، والمُفضّليات ١٩٤ ، وهما برقم ٣٤ و ٣٥ من القصيدة . =

وَجِفَـــانٍ كَـــالْجَـوَابِي مُلِئَتْ   مِنْ سَمِينَاتِ الـذُّرى ، فيهـا تُـدَعْ[10]

وقال أبو خراش الهذلي[11] :

[من البسيط]

كَـابِي الرَّمَـادِ، عَظيمُ القِـدْرِ، جَفْنَتُـهُ   حِينَ الشِّتَـاء كَحَـوْضِ الْمَنْهَـلِ اللَّقفِ[12]

كابي الرّماد : عظيمُه منتفخُه ، ويُقالِ للفَرَس إذا [عثر] كبا . اللّقف : الـذي قـد تَلجّف في أسفله . وقال ذو الرُّمّة[13] :

[من الطويل]

فَمَـا مَرْبَـعُ الجيران إلاَّ جِفَـانُكُمْ   تَبَـارَوْنَ أَنْتُمْ والرِّيـاحُ تَبَـارِيـا[14]

لَهُنَّ إذَا أَصْبَحْنَ مِنْهُمْ أَحِفَّـــــةٌ   وَحِينَ يَرَوْنَ اللَّيْلَ أَقْبَـلَ جـائِيـا[15]

رِجـالٌ تَرَى أَبْنَـاءَهُمْ يَخْبِطُـونَهـا   بِأَيـدِيهِمُ خَبْـطَ الرِّبـاعِ الْجَوَابِيـا[16]

= ـ في المفضّليـات : وإذا هبّت شمالاً ؛ والمعنى إذا هـاجت أو هبت الريحُ شمالاً . والقـدور المُشْبَعـات : المملوءات .

(١٠) أراد بـ (سمينات الذُّرى) : الأسنمة . وقوله : « فيها تَرَعْ » أي فيها امتلاء .

(١١) ديوان الهذليّين ١٥٦ .

(١٢) يقـال : لَقِفَ الحوضُ ، ولقف الماء في الحوض : تَهَوّر من أسفلـه واتّسع ، أو : امتلأ فتفجّر من جوانبـه لأنه لم يجدّد ولم يطيّن .

(١٣) ديوان ذي الرُّمّة ١٣٢٤ .

(١٤) في الديوان : مرتع الجران ... والشمال تباريا
يقول : إذا هَبّتِ الشمال وجاءَ الشّتاء صنعتم الخيرَ لجيرانكم وأطعمتـوهم وآوَيتُمـوهم ؛ وكلّما ازداد الشتـاء قَسْوَةً ازدادتْ رعايتُكم لهم .

(١٥) في الديوان : وحين ترون ...
ـ « لهنّ » : أي لِلْجِفان . و « منهم » : من الجيران . و « أحِفّـة » : جَمْعُ حِفَـاف ، وهو أن يستـديروا حَوْلها .

(١٦) الرِّباع : أولاد الإبل في الرّبيع ؛ جَمْعُ رَبْعٍ . والجوابي : الحياض ؛ يقول : يخبطون الجِفَانَ كَمَـا تَخْبِطُ الرِّباعُ الحياضَ .

[٤٠/ب] وقال الرّاعي[١٧] ، وذكر امرأةً أضافَها :

[من الطويل]

فَبَــاتَتْ تَعُــدُّ النَّجْمَ في مُسْتَحيرَةٍ سَرِيعٍ بِـأَيـدِي الآكِلينَ جُمُودُهـا[١٨]

مُستحيرة : قد تحيَّر فيها الدَّسم ، فهي تُرى النجوم فيها .

وقال حسَّان بن ثابت[١٩] :

[من الطويل]

لَنَا الْجَفَنَـاتُ الغُرُّ يَلْمَعْنَ في الـدُّجَـا وَأَسْيافُنا يَقْطُرْونَ مِنْ نَجْدَةٍ دَمَـا[٢٠]

وقال الآخر ، وذكر قوماً[٢١] :

[من الطويل]

ثِقَـالُ الجِفَـانِ وَالْحُلُومِ ، رَحَـاهُمُ رَحَا الْمَاءِ ، يَكْتَالونَ كَيْلاً عَذَمْذَمـا

قال أبو عبيدة : كان لعبد الله بن جدعان جفنة يأكل منها القائم والرّاكب . [وقد روى ذلك المدائني] وذكر أنَّه وقع فيها صبيّ فغرق[٢٢] !

وذكر الكلبيّ قال : أصابت قُريشاً أزمة ، فخرج هاشمُ بنُ عبد مناف بغرائر[٢٣]

---

(١٧) ديوان الراعي النُّميري ٦٩ .

(١٨) الْمُستحيرة : الجفنة قد تحيَّر فيها الدَّسم ؛ والنَّجم هنا الثُّريا ؛ فالمرأة ترى نجومَ السماء فيها ؛ لأن الثُّريا في الشتاء تصيرُ في كبد السماء ، وإذا كبّدت السماء صارت على قمة الرأس فرآها الرائي في الماء وفي المرآة وفي كلّ شيء صفا . (شرحه ابن قتيبة في الأنواء ٢٣ ـ ٢٤) .

(١٩) ديوان حسان ٣٥ .

(٢٠) في الديوان : يلمعن بالضُّحى .
وللبيت خبر طويل بين النابغة وحسّان أوردته كتب النقد والأدب والمحاضرات .

(٢١) الجفان جمع الجفنة : أعظمُ ما يكون من القِصَاع (أوعية كبيرة يصبُّ فيها الطعام) .

(٢٢) يراجع الخبر في عُيون الأخبار ٢٦٨/٣ .

(٢٣) غرائر : جمع غِرارة : الكيس الكبير .

تحملها الإبلُ من الكَعك ، وجمع ذلك في الجفان ، وطبخ لحومَ الإبل فصبَّها عليه ، فكان أوَّلَ خِصبهم ، فخرج أُميّة بنُ عبد شمس يتكلَّفُ بعضَ ذلك فعَجَز عنه ، فسخرت منه رجالاتُ قريش ، فدعاه ذلك إلى مُنافرة هاشم ، فأبى هاشم الْمُنافرة لفضله وسِنِّه ، حتّى ذَمَرَتْهُ قريشٌ[٢٤] فأبى إلاّ على أن يُنفَى الْمُنفَّر من الْحَرَمِ عَشْرَ سِنين ، فنافَرهُ على ذلك ، فَقُدِّم هاشمٌ عَليه[٢٥] ؛ فقالَ بعضُ شُعَراء قريش[٢٦] :

[من الوافر]

تَكَلَّفَ هاشمٌ ما ضاقَ عَنْهُ ... وَأَعْيَى أَنْ يَقُومَ بِهِ ابنُ بِيض[٢٧]

أَتَاهُمْ بِالغَرَائِرِ مُتْأَقَاتٍ ... مِنَ أرْضِ الشَّامِ بِالبُرِّ النَّفِيض[٢٨]

فَأَوْسَعَ أَهْلَ مَكَّةَ مِنْ ثَرِيدٍ ... أَشَابَ الْخُبْزَ بِاللَّحْمِ الغَرِيض[٢٩]

وَظَلَّ القَوْمُ بَيْنَ مُكَلَّلاتٍ ... مِنَ الشِّيزى جَوَانِبُها تَفِيض[٣٠]

وفي هاشم يقول ابنُ الزِّبَعْرَى[٣١] :

---

(٢٤) المنافرة : المفاخرة والمحاكمة . والذَّمْرُ : اللَّوم والْحَضُّ معاً .

(٢٥) الخبر مشهور في تاريخ قُريش ؛ وينظر في طبقات ابن سعد ٧٥/١ .

(٢٦) هو وهب بن عبد قُصَيّ (طبقات ابن سعد ٧٦/١) .

(٢٧) ابن بيض : تاجرٌ مُكْثِرٌ من عاد ، كان لقمان بن عاد يجيزُهُ على شَرْطِ خَرْجٍ يَدْفَعُهُ للقمان ، وكان يَضَعُ الْخَرْجَ على ثنيّةٍ ، فيأتي لقمان فيأخذها ؛ وكان لقمان إذا رأى ابنَ بيض ، قد وضَعَ الخرج قال : سدّ ابن بيض الطريقَ ؛ أي : لم يجعل لي سبيلاً على أهله وماله .

(٢٨) الغَرَائر : جَمْعُ الغِرَارة ، وهي وعاءٌ من أوعية الطعام . ومُتْأقات : مملوءاتٍ ؛ أتأقَ الوعاءَ : ملأهُ . والنفيض : المنفوض : يعني الخالص من الشوائب (الجيد) .

(٢٩) ـ في طبقات ابن سعد : « من هشيمٍ وَشَابَ ... » .
وأشابَ وشابَ : خَلَط ومَزَج . واللَّحم الغريض : الطَّريّ .

(٣٠) ـ في طبقات ابن سعد : « فظلّ ... من الشيزاء حائرُها يفيض » .
الشِّيزى : القِصَاعُ والجِفان ؛ والأصلُ فيه أنّه شجرٌ تُعْمَلُ منه القصاعُ والجِفَان ، فلَمّا كثر ذلك أطلقوه عليهما .

(٣١) هو عبد الله بن الزبعرى .
ـ والشعر في ديوان ابن الزبعرى ٥٣ ـ ٥٤ .

[من الكامل]

[٤١/أ] عَمْرُو العُلَى هَشَمَ الثَّرِيدَ لِقَوْمِهِ ... وَرِجَالُ مَكَّةَ مُسْنِتُونَ عِجَافُ[٣٢]

كَانَتْ قُرَيْشٌ بَيْضَةً فَتَفَلَّقَتْ ... فَالْمُحُّ خَالِصُهَا لِعَبْدِ مَنَافِ[٣٣]

الْمُطْعِمِينَ إِذَا الرِّيَاحُ تَنَاوَحَتْ ... وَالظَّاعِنِيْنَ لِرِحْلَةِ الإِيلَافِ[٣٤]

وَالرَّائِشِينَ وَلَيْسَ يُوجَدُ رَائِشٌ ... وَالقَائِلِينَ هَلُمَّ لِلأَضْيَافِ[٣٥]

قوله تعالى : ﴿ وَقُدُوْرٍ رَاسِيَاتٍ ﴾ يعني ثابتات ، وسُمِّيت الجبالُ رواسِيَ لأَنَّها ثابِتَة ، والعَرب تصف القِدْرَ بهذه الحال ذهاباً إلى التَّمدُّح بحُبِّ القِرَى ، وأنَّها رَواكِدُ على أثافيِّها مبذولةٌ لِغَاشيها[٣٦] ، غيرُ عاطلةٍ من طارق ليل ، أو إنزال ضَيف ، وتأتي في وصفها بكلِّ ما يدلُّ على عُظْمِها ، وتُشبِّهُها في ذلك كما شَبَّهَتِ الجِفان ، ولهم عنايةٌ بهذا الباب ، قال النّابغة[٣٧] :

[من الطويل]

لَهُ بِفِنَاءِ البَيْتِ دَهْمَاءُ جَوْنَةٌ ... تَلَقَّمُ أَعْضَاءَ الْجَزُورِ العُرَاعِرِ[٣٨]

---

(٣٢) مُسْنِتُون : قَدْ أصابَتْهُمُ السَّنَةُ بالقحط والْجَدْب . والعجاف : المهزولون .

(٣٣) مُحُّ البَيْضَة : صفرة البيضة ؛ وقيل هو ما في البيضة كلّها من أصفر وأبيض .
وعبد مناف : هو والدُ عَمْرو (هاشم) .

(٣٤) في ديوان ابن الزبعرى (٥٣) في ما ينسب إلى عبد الله بن الزبعرى ، وإلى غيره من الشعراء :
الآخذون العهد من آفاقها ... والراحلون برحلة الإيلافِ
والمطعمون إذا الرياح تناوَحَتْ ... ورجالُ مكّة مسنتون عجافُ
(وانظر روايات الديوان) .

(٣٥) « الرّائشون » من قولهم : راشَ الرّجُلُ وارتاشَ ، إذا حسنت حاله وكانَ في خِصْبٍ ومال .

(٣٦) غاشيها : اسم فاعل من : غَشِي ؛ يقال : غَشِيه إذا جاءه وقَصد إليه .

(٣٧) هو النابغة الذبياني ، والشعر في ديوانه ١٧٥ من قصيدة يمدح بها النُّعمان بن الجلاح من بني عامر بن عوف .

(٣٨) دهماء : قدر سوداء لكثرة استعمالها ، وتلقّم أعضاء الجزور : أي تسعها لِعِظَمِها ، والعراعر : الضخمة .
ـ ورواية الديوان : أوصال الْجَزُور : جمع وُصْل .

بَقِيَّةُ قِدْرٍ مِنْ قُدُورٍ تُوُورِثَتْ لآلِ الْجُلاحِ كَابِراً بَعْدَ كابِرِ[٣٩]
تَظَلُّ الإِمَاءُ يَبْتَدِرْنَ قَدِيحَهَا كَمَا ٱبْتَدَرَتْ سَعْدٌ مِيَاهَ قُرَاقِرِ[٤٠]

وقال الفرزدق[٤١] ، وذكر طارقاً :

[من الطويل]

بَعَثْتُ لَهُ دَهْمَاءَ ، لَيْسَتْ بِلِقْحَةٍ ؛ تَدُرُّ ، إِذَا مَا هَبَّ نَحْساً ، عَقِيمُهَا[٤٢]
كَأَنَّ الْمَحَالَ الغُرَّ في حَجَرَاتِهَا عَذَارَى بَدَتْ لَمَّا أُصِيبَ حَمِيمُهَا[٤٣]
غَضُوباً لِحَيْزُومِ النَّعَامَةِ أُجْشِمَتْ بِأَجْوازِ خُشْبٍ زَالَ عَنْهَا هَشِيمُهَا[٤٤]
مُحَضَّرَةٍ لاَ يُجْعَلُ السِّتْرُ دُونَهَا إِذَا الْمُرْضِعُ العَرْجَاءُ جَالَ بَرِيمُهَا

وقال بعض الأَسديِّين[٤٦] :

[من الطويل]

---

(٣٩) كابراً بعد كابر .
ـ ورواية الديوان : تُورّثت .

(٤٠) القديم : الْمَغْروف ؛ من قدح الشيءَ : غَرفه ؛ ويقال للمغرفة : المقدحة . وقُراقر : ماءٌ لبني أسد بذي قار .

(٤١) ورد في ديوان الفرزدق ٨٠٣ البيتان الأوّلان فقط .
ـ والطارق هو الزائر (والضيف) يطرق ليلاً .

(٤٢) الدهماء صفة للقِدر (وأصل معنى الدُّهمة : السَّواد) . واللّقحة : تُنتج في أول الربيع فتكون لقاحاً واحدتها لِقحة ولَقحة ولقوح ، ويبقى اسم اللقاح عليها حتى ينتهي الصيف ؛ تدرّ اللَّبن في الشتاء (حيث تهب الرّياح الباردة) ، يصف قدراً وما فيها من اللحم الوفير .

(٤٣) ـ في الديوان : عَذارٍ بَدَتْ ...
والْمَحَال : جَمْعُ الْمَحَالة ، وهي الفِقْرَةَ مِن فِقَارِ ظَهْرِ البعير . وحَجَرَاتُها : نَوَاحيها ؛ جمع الْحَجْرَةِ ؛ يعني : نواحي القِدْر .

(٤٤) الحيزوم : الصدر أو وسطه ، والجمع حيازيم .

(٤٥) البريم : خيط للمرأة مزيّن بالجوهر ذو لونين تشدّه على عضدها أو وسطها .

(٤٦) البيتان في حماسة أبي تمام ١٣٣/٤ .

وَسَـوْدَاءَ لاَ تُكْسَى الرِّقَـاعَ نَبيلَـةٍ   لَهَا عِنْدَ قِرّاتِ العَشِيَّاتِ أَزْمَلُ(٤٧)
إذَا مَـا قَرَيْنَـاهَـا قِرَاهَـا تَضَمَّنَتْ   قِرَى مَنْ عَرَانَا أَوْ تَزِيدُ فَتَفْضِلُ(٤٨)

[٤١/ب] وقال آخر :

[من الطويل]

وَرَاكِدَةٍ عِنْدِي طَوِيلٍ صِيَامُهَا   قَسَمْتُ عَلَى ضَوْءٍ مِنَ النَّارِ مُبْصِرِ(٤٩)
طُروقاً فَلَمْ أُفْحِشْ ، وَقَسَّمْتُ لَحْمَهَا   إذَا ٱجْتَنَبَ العَافُونَ نَارَ العَذَوَّرِ(٥٠)

وقال آخر ، وذكر ضيفاً طَرقه :

[من الطويل]

وَقُمْتُ بِنَصْلِ السَّيْفِ وَالبَرْكُ جاهِدٌ   بَهَازِرُهُ ، وَالْمَوْتُ في السَّيْفِ يَنْظُرُ(٥١)
فَأَعْضَضْتُهُ الطُّولَى سَنَاماً وَخَيْرَهَا   بَلاءً ، وَخَيْرُ الْخَيْرِ مَا يُتَخَيَّرُ(٥٢)
وَبَاتَتْ رُحَابٌ جَوْنَةٌ مِنْ لِحَامِهَا   وَفُوهَا بِمَا في جَوْفِهَا يَتَغَرْغَرُ(٥٣)

---

(٤٧) أراد بالسَّوْداء قِدْراً . وقولَهُ : « لا تُكْسَى الرِّقاع » يعني أنّها عظيمةٌ لا تكفي الرقعةُ والرقعتان في سَتْرِها لِعِظَمِهَا ؛ وإنَّما تُسْتَرُ القُدُورُ لشدّةِ الزَّمانِ وضيقِ الأَحْوالِ . ونبيلة : عظيمة الشَّأْن . وقِرَّات العشيّات : العشيّات الباردة . والأَزْمَلُ : الصوت ؛ يعني غليانها ؛ وخصّ العشيّات الباردة لأنه يكثر عندها الضيفان .

(٤٨) قريناها قِرَاها : يعني ملأناها من اللَّحْمِ وغيره . يقول : تُطْعِمُ مَنْ أتانا ضيفاً وتزيدُ فتَفْضِلُ على غيرهم .

(٤٩) الراكدة من صفة النّاقة أي طالت إقامتها ومكثها . وطروقاً : ليلاً .

(٥٠) لم أفحش : أي لم أبخل . والعافون : طالبُو الخير . والعَذَوَّر : السيّء الخلق الشديد النَّفس .

(٥١) البَرْك : الإبل الكثيرة . والبهازرُ : جمع البُهزرة : الناقة الضخمة الجسيمة الصفيّة .

(٥٢) يقال : أعضضته سيفي : أي ضربتهُ به .

(٥٣) رُحاب صفة للقدْر ، يقال : قدرٌ رُحاب . والجونة : صفة وهي من الأضداد تكون للسوداء وللبيضاء . وأصل الغرغرة أن يتردَّد الماء في الحلق . واستعارة للقدر كنايه عن امتلائها باللحم .

وقال آخر[٥٤] ، وذكرَ طارقاً أيضاً :

نَصبنَا لَـهُ جَـوفَـاءَ ذاتَ ضَبـابَـةٍ ... منَ الدُّهْمِ مِبْطَاناً طَويلاً رُكودُهَا[٥٥]
فَإنْ شِئْتَ أثْوَيْنَاكَ في الْحَيِّ مُكْرَماً ... وَإنْ شِئْتَ بَلَّغْنَاكَ أَرْضاً تُريدُهـا[٥٦]

وقال مِسكين الدّارميّ[٥٧] :

[من الوافر]

كأَنَّ قُـدورَ قَـومي كُـلَّ يَـومٍ ... قِبَـابُ التُّركِ مُلْبَسـةُ الجِـلالِ[٥٨]
كأَنَّ الْمُـوقِـدِينَ بهـا جِمالٌ ... طَـلاهَـا الزِّفْتَ والقطرانَ طَـالِ[٥٩]
بِـأَيـديهِمْ مَغَـارِفُ مِن حَـديـدٍ ... أُشَبِّهُهـا مُقَيَّرَةَ الـدَّوالي[٦٠]

وقال الآخر[٦١] :

[من الطويل]

وقِـدرٍ كَجَوفِ اللَّيـلِ أجشَمْتُ غَلْيَهـا ... تَرى الفِيلَ فيها طَافِياً لَم يُفَصَّلِ[٦٢]

---

(٥٤) في حماسة أبي تمّام ٢/٤١٥ .

(٥٥) الضمير في قوله : « لـه » عـائـدٌ على ضيفٍ جـاء ليلاً . الجوفـاء : القِـدْر الواسعـة الجوف . والضَّبـابـة : ما يُعْقِبُ الْمَطَرِ مِنَ الظُّلْمَةِ ؛ استعاره للدُّخان ؛ والدُّهم : السُّود . والمبطـان : العظيم البطن . وقولـه : « طويلاً ركودُها » يعني ركُودَها على الأثافيّ .

(٥٦) قوله : « أثويْنَاكَ » يعني أقمتَ عِنْدَنا بَعْدَ إطعامِك ؛ يخاطب الضيف .

(٥٧) مسكين الدّارمي : اسْمُهُ ربيعة بن عامر الدارميّ التميميّ ، شاعرٌ عراقيٌّ مِنْ أشراف تميم وشجعانها .
ـ والشعر في حماسة أبي تمام ٤/٢٣٤ .

(٥٨) شبَّه قدور قومه المنصوبَةَ كلّ وَقتٍ بالقباب الْمُجَلَّلة بالأغطية السود .

(٥٩) يقول : هؤلاء الرجـال الـذين يوقـدون تحتهـا النـار قـد اسودّت ثيـابهم حتى أصبحـوا كالجمال المطليّة بالقطران .

(٦٠) الدَّوالي المقيَّرَة : النَّواعير التي طُلِيَتْ بالقار (بالزِّفت) .

(٦١) الشعر في عيون الأخبار ٣/٢٦٥ .

(٦٢) في اللسان عن ابن جنّي أنه يقال : استَفْيَل الجمل أي صار كالفيل (يعني ضخامةً) .

وَنحوُه في الإفراط قول الآخر[٦٣] :

[من الطويل]

تَرى البـازِلَ البُخْتِيَّ فَوْقَ خِوَانِـهِ   مُقَطَّعـةً أَعْضـاؤُهُ ومَفـاصِلُـهُ[٦٤]

وقال عمرو بن أحمر[٦٥] :

[من الطويل]

وَدُهْمٍ تُصـادِيها الـولائِـدُ جِلَّـةٍ   إذا جَهِلَت أجْـوافُهـا لَم تَحَلَّمِ[٦٦]

تَرَى كُـلَّ هِرْجَـابٍ لَجُـوجٍ لِهَمَّـةٍ   زَفُوفٍ بِشِلْوِ النَّابِ هَوْجاءَ غَيْلَمِ[٦٧]

لَهَـا لَغَـطٌ جِنْحَ الظَّـلامِ كَـأَنَّـهُ   عُجَـارِفُ غَيْثٍ رَائِـحٍ مُتَهَـزِّمِ[٦٨]

[٤٢/أ] إِذَا رَكَـدَتْ حَوْلَ البُيُوتِ كَـأَنَّما   تَرَى الآلَ يَجري عَنْ قَنَـابِلَ صُيَّمِ[٦٩]

[يقـول : أَلا ترى الإهـالـةَ تجري من هـذه القـدر كما يجري السَّرابُ عن مُتـونِ الْخَيل][٧٠] .

---

(٦٣) لم أعثر عليه .

(٦٤) البختي : نوع من الإبل . وهي جمال طويلةُ الأعناق .

(٦٥) قال ابن أحمر يصف قدوراً (في اللسان : ص د ي) والشعر في ديوانه ١٤٩ .

(٦٦) يقـال : صـاديتُ الرجلَ : داجَيْتُـه ودارَيْتُـه وسـاترتُـه (بمعنًى واحـد) ؛ ومَثَّـل لـه في اللسـان ببيت ابن أحمر السـابق . والولائـد : الجواري . والجِلّةُ : العظيـة الكبيرة . وقولـه : « إذا جهلت أجـوافهـا » يعني إذا غلت . ولم تَحَلّم : لم تَسْكُن إلاّ بعدَ زَمَن .

(٦٧) الهِرْجابُ من الإبل : الطويلة الضخمة ؛ والضَّخم من كل شيء .
- وفي الديوان : هوجاء غيلم .
الزَّفوف صفة للنَّعامة ، والزَّفيف سرعة المشي مع تقارب خطو وسكون ، وقيل : هو أول عَـدْو النّعـام . وتستعـارُ هـذه الصِّفة للإبل . وقوسٌ زفوف : مُرِنّـة . والنّـاب : النـاقـة المسنّـة . والهـوجـاء من صفـة الناقة . ويقال : ريح هوجاء للشديدة الهبوب . والغيلم : العظيم ، وفي الديوان : لها زَجَلٌ .

(٦٨) العجرفة : السرعة في الشيء ، تهزمت السحابة بالماء : تشققت عنه مع صوت .

(٦٩) القنابل جمع القنبلة : الطائفة من الخيل . والصائم من الخيل : القائم السـاكن الذي لا يطعم شيئاً .

(٧٠) ما بين معقوفتين من نسخة (ك) .

وقال أبو ذُؤيب[٧١] :

[من الطويل]

لَنَـــا صِرَمٌ يُنْحَرْنَ في كلِّ شَتْــوَةٍ إذَا مَا سَمَـاءُ النَّـاسِ قَلَّ قِطَـارُهـا[٧٢]
وَسُودٌ مِنَ الصِّيـدَانِ فيهـا مَـذَانِبٌ نُضـارٌ إذَا لَمْ نَسْتَفِـدْهَـا نُعَـارُهـا[٧٣]

وقال آخر :

[من الطويل]

تَجِيشُ بِـأَوْصَالِ الْجَـزُورِ قُـدُورُنَـا إذَا الْمَحْلُ لَمْ يَرْجِعْ بِعُودَيْنِ حَاطِبُـهْ[٧٤]

وأَنْشَدَني الْجُبَّلي للرّقاشيّ[٧٥] :

[من الطويل]

لَنَـا مِنْ عَطَـاءِ اللهِ دَهْمَـاءُ جَـوْنَـةٌ تَنَــاوَلُ بَيْنَ الأَقْرَبِينَ الأَقَـاصِيَـا
جَعَلْنَــا إلالاً وَالرِّجَــامَ وطِخْفَـــةً لهـا ، فَـاسْتَقَلَّتْ فَوْقَهُنَّ ، أَثَـافِيـا[٧٧]

وأنشدني للفرزدق[٧٨] ، يهجو عُقبة بن جَبّار المِنْقَرِيّ :

---

(٧١) ديوان الهذليّين ٢٧ .

(٧٢) صِرَمٌ : قِطَعٌ إبلٍ ؛ الواحدة صِرْمة .

(٧٣) الصِّيدان : قدورٌ . فيها مذانب : مَغَارف . ونُضَارٌ : أي مِن شَجَرِ النُّضَار .
وقوله : « إذا لم نستفِدها نُعَارُها » يعني : إذا لم نَشْتَرِها أخذناها عاريةً من غيرنا .

(٧٤) البيت في الفخر بالجود في ذلك الوقت عن المحل والجدب وقلة الزاد وشُحّ الطبيعة .

(٧٥) الشعر في عيون الأخبار ٢٦٦/٣ .

(٧٦) الدُّهماء لغةً : المسودّة : وهي أيضاً القِدْر ، أو السوداء من القـدور . والْجَوْنـة : من صفـة القـدر . وكل لون سوادٍ مشرب حمرة هو جَوْن .

(٧٧) إلال جبل بمكـة ، والرِّجـام موضع ذكره لبيـد في معلّقتـه ، وطخفـة موضع أيضـاً ـ يقول : هي قـدور عظيمة ، لم يصلح لها ليكون أثافي سوى تلك الجبال والمواضع أو ما يشبهها ضخامة !

(٧٨) ديوان الفرزدق ٤٠٦ .

[من البسيط]

لَوْ أَنَّ قِـدْراً بَكَتْ مِنْ طُولِ مَحْبَسِهَا ... عَلَى الْجُفُوفِ بَكَتْ قِـدْرُ ابنِ جَبَّـارِ[79]
مَـا مَسَّهَـا دَسَمٌ مُـذْ فُضَّ مَعْـدِنُهـا ... وَلا رَأَتْ بَعْـدَ نـارِ الكِيرِ مِنْ نـارِ[80]

وأنشدني لأبي نواس[81] ، في قِدر الرّقاشيّ :

[من الطويل]

يَغَصُّ بِحَيْـزومِ البَعُـوضَـةِ صَـدْرُهـا ... وَيُنْـزِلُهـا عَفْـواً بِغَيْرِ جِعَـالِ[82]
وَلَـوْ جِئْتَهـا مَـلأَى عَبِيطـاً مُجَزَّلاً ... لأَخْرَجْتَ مَـا فيهـا بِعُـودِ خِلالِ[83]

وحدَّثني[84] أيضاً قال : سأل يحي بنُ خالـد أبـا الحـارث حُميّر عن طعـام رَجُل ، فقال : أمّا مائدتُه فَمِقَثَّةٌ ، وأمّـا صِحـافُـهُ فَمَنقورةٌ من حَبِّ الخشخـاش ، وبين الرَّغيف والرَّغيف نقدَة جوزة ، وبين اللَّون واللَّون فترة نبيّ . قال : فمَن يحضُره ؟ قـال : الكِرامُ الكاتبُون[85] .

ونقيضُ هـذه الحكايـة : مـا حـدَّثنيـه سـالم بن الْمُحسن عن ابن خلاّد قـال : سُئل

---

(٧٩) يقال : جَفَّ جَفافاً وجُفوفاً إذا يبس .

(٨٠) أصل معنى فَضّ في اللغة : كَسَر وفَرّق ؛ والشاعر يريد : منذ أن صِيغ معدن تلك القدر فَسُوِّي قِدراً ! أي ما مسّها دسمٌ قطّ !

(٨١) ديوان أبي نواس ٧٣١ .

(٨٢) الحيزوم : الصَّدر . والجِعَال (والْجُعَالة ، والجِعالة) : ما تُنزل به القِدْرُ من خرقة أو غيرها .

(٨٣) العبيط لحم الناقة العبيطة والمعتبطة ؛ وهي التي نُحرت من غير داء ولا كسر .
ـ وعود الخِلال : عود صغير يستخرج به ما يعلق بين الأسنان من الطَّعام ؛ ويقال لتلك البقية من الطعام الخِلَل .

(٨٤) ورد الخبر في كتاب عيون الأخبار ٢٦٩/٣ .

(٨٥) المِقثّة : خُشَبيةٌ مستديرة عريضة يلعب بها الصبيان : ينصبون شيئاً ثم يحتثّونه بها عن موضعه .
حبّ الخشخاش : ضرب به المثل لصغره ، يكون في ثمرة الخشخاش إذا انفلقت منها .
وقوله : يحضره الكرام الكاتبون أي لا يحضره من الناس أحد !

رقبة بن مصقلة عن مأدبة حضرها ، فقال : أُتِينا بِخِوان كَأَنَّهُ جُونَةٌ من الأرض ، ورِقاقٍ [٤٥/ب] كآذانِ الفيَلة ، وجرجير كآذانِ المِعزى . ثُمَّ أُتينا بساكبة الماء كأنَّ ظهرَها طائر قِرْطاسيّ ، وبفالوذِ رِعديد كأنَّ الزّئبق والجاديّ ينبُعانِ من خلاله ، ترى النَّقش من تحته[٨٦] .

وأنشدني أيضاً قول الشاعر[٨٧] في ابن جدعان[٨٨] :

[من الوافر]

لَـهُ بفِناءِ مَكَّـةَ مُشْمَعِـلٌّ ... وَآخَرُ فَـوْقَ كَعْبَتِـهِ يُنـادي
إلَى رُدُحٍ مِنَ الشِّيزى عَلَيْهـا ... لُبَابُ البُرِّ يُلْبَكُ بِالشِّهَادِ[٩٠]

العرب تُسمّي كُلَّ بيت مُرَبَّع كعبةً ، ومنه كعبة نجران . وكان أوّل مَن اتَّخذ بيتاً مُرَبَّعاً حُميد بن زهيرٍ أحد بني أسد بن عبد العُزّى . وكانوا في الجاهلية لا يَبْنُون بيتاً مربَّعاً تعظيماً للكعبة .

(٨٦) الرّقاق : نوع من الْخُبز ، رقيق متّسع .
- والطائر القرطاسي : الأبيض اللون لا يخالط بياضه شيء ؛ فكأن الإبريق من فضّة .
- والفالوذ نوع من الحلوى يُعمل من لبّ الحنطة ؛ ويقال الفالوذق . وهو عينه الفالوذج . وأنكر ابن السّكّيت الأخيرة .
- والجاديّ نبات أصفر يصبغ به .

(٨٧) هو أميّة بن أبي الصّلت .

(٨٨) ديوان أُميّة بن أبي الصّلت - الطبعة الثالثة - ٣٨١ .
- ونسبها في اللسان (دور ، ش ي ز) والتاج (دور ، ش ي ز) إلى عبد الله بن الزبعرى . والشعر في ديوانه ٥٥ .
- وتراجع حاشية محقق ديوان أميّة .

(٨٩) في ديوان أميّة :

لـه داعٍ بمكّـة مشمعـلٌ ... وآخر فـوق دارتـهِ ينـادي

والْمُشْمَعِلّ : النشيط السريع .

(٩٠) الرُّدُح : جَمْعُ الرَّداح ، وهي الْجَفْنَةُ العظيمة . والشيزى : خَشَبٌ تُتَّخذُ منه الجِفَان . ولُبَابُ البُرّ : خيارُ القمح وأحسَنُه . ويُلْبَكُ : يُخْلَطُ . والشِّهاد : العَسَل ؛ جَمْعُ الشَّهْد .

سُوْرَةُ يَسٓ

قـولـه عـزّ وجـلّ : ﴿ وَالقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالعُرْجُونِ القَدِيْمِ ﴾ [يَسٓ : ٣٩/٣٦] .

يُقرأ بنصبِ ﴿ القَمَرَ ﴾ ورفعه[١] ، فالنَّصبُ بإضار فعل يُفسّره الفعلُ الظّاهر ، كأنَّ المعنى : قدَّرنا القَمَرَ قَدَّرناه . والرَّفع على : وآيةٌ لهمُ القَمَرُ : قَدَّرْناه منازل ، ويجوزُ أن تكون على الابتداء ، و ﴿ قَدَّرْناهُ ﴾ : الْخَبَرُ[٢] .

وأمّا « الْمَنازل » فهي الثَّمانيــة والعشرون منزلاً التي ينزلُها القَمر في كلِّ شهر . والعرب تزعمُ أنَّ الأنواءَ لها ، وتُسمّيها « نُجوم الأَخْذ » لأنَّ القمرَ يأخُذُ كلَّ ليلة في منزلٍ منها حتّى يصيرَ هلالاً . وهي منسوبةٌ إلى البُروج الاثنَيْ عَشَر[٣] ؛ قال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجاً وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ ﴾ [الحجر : ١٦/١٥] .

---

(١) معجم القراءات القُرآنية ٢٠٨/٥ ؛ قرأ بالرفع نافع ، وابن كثير ، وأبو عمرو وروح ، واليزيدي ، وأبو جعفر ، وابن محيصن ، والحسن بخلافٍ عنه .

(٢) الكشف عن وُجوه القِراءات السَّبع لمكّي بن أبي طالب ٢١٦/٢ ، والتّبيان في إعراب القرآن للعكبري ١٠٨٢/٢ ، وتفسير القرطبي ٢٩/١٥ .

(٣) الأنواء : ثمانية وعشرون نجماً معروفة المطالع في أزمنة السنة كلّها ؛ يسقط منها كل ثلاث عشرة ليلة نجمٌ في المغرب مع طلوع الفجر ؛ ويطلع آخر يقابله في المشرق من ساعته : وكلاهما معلومٌ مسمّى . وتنقضي السنة بانقضاء هذه الثانية والعشرين نوءاً مدى السَّنة .
ويعتقد العرب ـ فيما كانوا يعتقدون ـ بأنه إذا سقط نجمٌ وطلع رقيبُه كان عند ذلك مطرٌ أو رياح فينسبون كل غيث يكونُ إلى ذلك النجم ؛ فيقولون مُطِرْنا بنوء الثريا مثلاً .
والسَّاقطةُ : الأنواء ، والطالعة : الأبراج .
وكانت العرب تقول : لا بدَّ لكل كوكب من مطر أو ريح أو برد أو حَرّ فينسبون ذلك إلى النجم .
(تراجع تفصيلاتٌ ووجوه إيضاح في الأنواء لابن قتيبة ٦ ـ ٧) . =

وأصلُ البُروج : الْحُصون والقُصور ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ ﴾[٤] [النِّساء : ٧٨/٤] .

وفي كلِّ برجٍ من البُروج منزلان وثُلُث [٤٣/أ] من مَنازل القَمر ؛ وهي نِطاقُ الفَلك ، والفَلك مَدارٌ لها . وإنَّما سُمِّيَ فَلَكاً لاستدارته ، ومنه قيل : فَلكَةُ المِغْزَل ، وفَلَكَ ثديُ الْمَرأة ، قال الشاعر[٥] :

[من الطويل]

بَعيداتُ مَهْوى كُلِّ قُرْطٍ عَقَدْنَهُ ... لِطَافُ الْحَشَا تَحْتَ الثُّدِيِّ الفَوالِكِ[٦]

وقال الله عزّ وجلّ : ﴿ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ [يَس : ٤٠/٣٦] .

وسنذكُر أحوال المنازِل على رأي العَرب ، فرأيُهم أَولى بهذا الكتاب من رأيِ أصحابِ الحِسَاب .

وأوَّلُ ما يَعُدّون من هذه المنازل : الشَّرَطَان[٧] ، وهما كوكبان يقال لهما قَرْنا الْحَمَل ، ويُسَمَّيان : النَّطْح والنَّاطح ؛ وبينَهُما ـ في رأيِ العَين ـ قابُ قَوْسَين ، وأحدهما

= ـ ونُجومُ الأخذ في الأنواء لابن قتيبة ٤ ـ ٥ .

(٤) تمام الآية : ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ ﴾ .
قال في الجامع لأحكام القرآن (٢٨٢/٥) : البُروج جمع البُرج وهو البناء المرتفع والقصر العظيم . قال : وأصل البُروج ـ في اللغة ـ الظهور ومنه : تبرّج المرأة بإظهار زينتها .

(٥) هو ذو الرُّمّة ؛ والبيت في ديوانه ١٧٢٠/٣ .

(٦) مهوى القرط : المسافة التي يتذبذب فيها من الأُذن . والفوالك : اللواتي تفلّكتْ ثديُهُنّ . يُقال : فلكَ ثَدْيُها يَفْلُكُ فلوكاً ؛ وفَلّكت تفليكاً إذا استدار ثديُها .
ـ يصف حسنهن : فلأعناقهنّ طولٌ مناسب ، وقد فلكت أثداؤهن على أحشاء هضيمة لطيفة .

(٧) قال ابن قتيبة (الأنواء ٦) وهم يعدّون أربعة عشر منزلاً من هذه المنازل شامية ، وأربعة عشر يمانية ؛ فأول الشامية الشّرطان وآخرها السّماك الأعزل ؛ وأول اليمانية : الغفر وآخرها الرشاء .
ـ وفصّل ابن قتيبة ص ١٧ .
ـ وينظر اللسان (ش ر ط) .

في جهة الشّمال ، والآخر في جهة الْجَنُوب ، وإلى جانب الشّماليّ كوكبٌ صغير يُعدُّ مَعهُما أحياناً ، فيقال : الأَشراط[٨] ، [قال الفرزدق[٩] :

[من الطويل]

تَحَـدَّرَ قَبْـلَ النَّجْمِ مِمَّـا أَمـامَـهُ ... مِنَ الدَّلْوِ ، والأَشْراطِ يَجْرِي غَدِيرُهَا][١٠]

وإذا نَزلت الشَّمسُ بهذا المنزل فقد حَلّت برأسِ الْحَمَل[١١] ، وهو أوّل نجوم فَصلِ الرّبيع ، وعند ذلك يعتدل الزّمان ، ويستوي الليل والنّهار ، قال أبو نواس[١٢] :

[من المنسرح]

أَمَـا تَرَى الشَّمْسَ حَلَّتِ الْحَمَـلا ... وَقَـامَ وَزْنُ الـزَّمـانِ وَاْعْتَـدَلا

ويقول ساجع العرب[١٣] : إذا طلع الشَّرَطان : استوى الزمان ، وحُضِرت الأوطان ، وتَهادت الجيران ؛ أي : رجَع الناس إلى أوطانهم من البوادي بعدما كانوا مُتفرّقين في النُّجَع[٧] .

---

(٨) الأنواء لابن قتيبة ١٨ .

(٩) البيت للفرزدق في ديوانه ٣٠٣/١ ، وقبله

فَرُبَّ ربيعٍ بالبلاليقِ قد رَعَتْ ... بمستَنِّ أغياثٍ بُعَاقٍ ذُكورُها

(١٠) ما بين معقوفتين لم يرد في (ف) .

(١١) في الأنواء لابن قتيبة عن الشرطين : « وإذا أحببت أن تعرفها طلبتها بين الحوت والثُّريّا : وإذا حلّت الشمسُ بها فقد حلّت برأس الحَمل ، وهما أول نجوم فصل الربيع . من عند ذلك يعتدل الزمان ... الخ » .

(١٢) البيت لأبي نواس في ديوانه ١٨٦ .

(١٣) في الأنواء لابن قتيبة ١٨ ، والأزمنة والأمكنة للمرزوقي ١٨٤/٢ والمخصّص ١٦/٩ وعجائب المخلوقات للقزويني ٤٢ : وفي الأزمنة والأنواء لابن الأجدابي ١٥٧ : « حُضِرت الأعطان » يعني مبارك الإبل حول الماء . وفي المزهر ٥٢٨/٢ : وخَضِرَت الأغصان ؛ ونصّ على النقل عن ابن قتيبة .

(٧) قال ابن قتيبة (الأنواء ٦) وهم يعدّون أربعة عشر منزلاً من هذه المنازل شامية ، وأربعة عشر يمانية ؛ فأول الشامية الشّرطان وآخرها السّماك الأعزل ؛ وأول اليمانية : الغفر وآخرها الرثاء . =

وطلوعُهُ لِستٍّ عَشْرَة ليلَةً خَلَتْ من نيسان .

ثمَّ البُطَيْن ، وهو ثلاثة كواكب خفيّة كأنَّها أثافيُّ . ويقال هي بَطْنُ الْحَمَل ، قال الشاعر ، يصف نبتاً[١٤] :

[من الطويل]

وَفَاءَ عَلَيْهِ اللَّيْثُ أَفْلاذَ كِبْدِهِ ... وَكَهَّلَهُ فَلْذٌ مِنَ البَطْنِ مُرْدِمُ[١٥]

الأفلاذ : القِطع . ويقال : فَلَذَ له ؛ أي : أعطاه .

ويقول ساجع العرب[١٦] : إذا طلَع البُطَين : اقتُضِيَ الدَّين ، وظَهَر الزَّيْن ، واقتُفِيَ العطَارُ والقَيْن[١٧] ؛ أي : اطمأنُّوا في منازلهم ، فاقْتَضى بعضهم بعضاً وتجمَّلوا عند التّلاقي ، واقتفاؤهم العطّار والقين لحاجتهم إلى ابتياع الطِّيب ، وإصلاحِ القَيْن ما رَثَّ من آلَتِهِمْ .

= - وفصّل ابن قتيبة ص ١٧ .
- وينظر اللسان (ش رط) .

(١٤) البُطَين في الأنواء ٢٠ .

(١٥) البيت ثاني بيتين رواهما ابن قتيبة ٢٢ في نوء البطين ، قال : وهو نوءٌ غيرُ مذكور لا أعلمُ أنّي سمعتهُ إلا في شعر مجهول أنشده ابن الأعرابي في وصف ناقة :

لها موفِدٌ وفّاهُ واصٍ كأنّه ... زَرابيُّ قَيْلٍ قد تُحومي مُبْهَمُ

وفاء عليه الليثُ ..

- موُفد : سنام مشرف . وفّاهُ : تمّمه . واصٍ : نبت كثير متصل . شبه النّبت لما فيه من التهاويل بالزَّرابيّ : (الطنافس ، السجاد) . ومُبهم : ذو بهمى .

- وقوله : فاء عليه الليث : يريد مُطِرَ بنوء الأسد ، والأفلاذ : القِطَع . وكهّله : جعله كهلاً تاماً . والبَطْن أراد البُطين فكبّره ، ومردم : لازم .

(١٦) في أنواء ابن قتيبة ٢١ ، والأزمنة والأنواء ١٦٠ ، والأزمنة والأمكنة ١٨٤/٢ ، والمخصص ١٧/٩ ، وعجائب المخلوقات ٤٣ .

(١٧) في الأنواء ، والأزمنة والأنواء : واقتُفِي بالعَطّار ...

وطلوعُهُ [٤٣/ب] لليلةٍ تَبْقى من نيسان .

ثمَّ الثُّرَيّا[١٨] ، وهي أشهر منازل القمر ، وجاءت مصغّرةً لاجتماعها ، وأصلها من الثّروة وهي الكَثرة ، ويُسَمُّونها النَّجم .

وقد أكثرت الشُّعراء من تشبيهِها ؛ فمن ذلك قولُ امرئِ القَيس[١٩] :

[من الطويل]

إِذَا مَا الثُّرَيَّا فِي السَّمَاءِ تَعَرَّضَتْ   تَعَرُّضَ أَثْنَاءِ الْوِشَاحِ الْمُفَصَّلِ

وقول ذي الرُّمّة[٢١] :

[من الطويل]

وردْتُ اَعْتِسَافاً ، وَالثُّرَيَّا كَأَنَّها   عَلَى قِمَّةِ الرَّأْسِ ابنُ مَاءٍ مُحَلِّقُ[٢٢]

وقال ابن الأَسلت[٢٣] :

[من الطويل]

(١٨) الأنواء ٢٣ ، والأزمنة والأمكنة ١٨٨/١ ، والمخصَّص ١٠/٩ ، وعجائب المخلوقات ٤٣ .

(١٩) البيت في ديوان امرئ القيس ١٤ ، وقبله :

تجاوزتُ أحراساً وأهوال معشر   عليَّ حراصٍ لو يُشِرّون مَقْتَلي

(٢٠) يقول : « تجاوزت هذه الأهوال والأحراس حين تصوَّبت الثُّريا للمغيب ، وذلك أن الثُّريا تستقبلك بأولها حين تطلع ، فإذا أرادت المغيب تعرَّضت أي أرتك عرضها ، أي : ناحيتها ، فشبَّهها بالوشاح المفصَّل إذا تلقَّاك بناحيته . والمفصّل الذي جُعل بين كل خرزتين فيه لؤلؤة » .

(٢١) البيت في ديوان ذي الرُّمّة ٤٩٠/١ .

(٢٢) اعتسافاً : على غير هدًى . ابن ماء : طائر الماء . شبَّه الثُّريا به وقد تحلَّق .

(٢٣) هو أبو قيس بن الأسلت ، والبيت في ديوانه (٧٣) .

وَقَـدْ لاَحَ لِلسَّـاري الثُّرَيَّـا عَشِيَّـةً ... كَعُنْقُودِ مُـلاَّحِيَّـةٍ حِينَ كـوَّرا[٢٤]

وأخذ ابن المعتزّ هذا التشبيه ، وقرَن به غيره ، فقال[٢٥] :

[من الطويل]

كَـأَنَّ الثُّرَيَّـا في أَوَاخِرِ لَيْلِهَـا ... تَفَتُّـحُ نَـوْرٍ أَوْ لِجَـامٌ مُفَضَّضُ[٢٦]

وأعاد التَّشبيهَ في موضعٍ آخَر بغير العبارة ، فقال[٢٧] :

[من الطويل]

وَنَـاوَلَنيهَـا وَالثُّرَيَّـا كَـأَنَّهـا ... جَنى نَرْجِسٍ حَيَّى النَّدامى بِهِ السَّاقي

وأعاد تشبيهها باللِّجام في مَوْضِعٍ آخر ، فقال[٢٨] :

[من المجتثّ]

وَقَـــدْ تَرُومُ الثُّرَيَّـــا ... إلى الغُرُوب مَرَامـــا
مِثْـــلَ انْكِبَـــابِ طِمِرٍّ ... يَكَـادُ يُلْقي اللِّجَـامـا[٢٩]

(٢٤) البيت في ديوان أبي قيس بن الأسلت ، وهو في التشبيهات لابن أبي عون ٥ ، واللسان (م ل ح) .
ـ والمُلاَّحي : نوع من العنب أبيض في حبّته طول ؛ وهو من الملحة .

(٢٥) ديوان ابن المعتزّ ١٦٨/٢ .

(٢٦) وقبله (وهما بيتان) :

ألا سقّنيهـا والظـلام مقـوّضٌ ... ونجم الـدُّجى في حلبـة الليـل يركضُ

(٢٧) ديوان ابن المعتز ٢ : ١٨٤ .

(٢٨) ديوان ابن المعتز (طبعة دار المعارف بتحقيق بديع شرف) ١٠٠/٢ ، وفيه :

وتروم الثّريـــا ... في الغروب مرامـــا
كانكبـــابِ طِمرٍّ ... كادَ يُلقي اللّجـــامـا

وهو ـ هُنا ـ من مجزوء الخفيف .

(٢٩) الطِّمِرّ : الفرسُ الْجَواد .

وقال أيضاً في غير هذا التَّشبيه[٣٠] :

[من الكامل]

وَترى الثُّرَيَّـا في السَّمَـاءِ كَـأَنَّهـا   قَـدَمٌ تَبَـدَّتْ في ثيـابِ حِـدادِ

وقال أيضاً[٣١] :

[من الوافر]

وَقَـدْ أَصْغَتْ إِلَى الغَرْبِ الثُّرَيَّـا   كَمَـا أَصْغَى إِلَى الحِسِّ الفَرُوقُ
كَـأَنَّ نُجُـومَهَـا وَالفَجْرُ بَـادٍ   لأَعْيُنِنَـا سَقِيمَـاتٌ تَفُـوقُ[٣٢]

وقال الآخر[٣٣] :

[من الطويل]

وَلاَحَتْ لِسَارِيْهَا الثُّرَيَّـا كَـأَنَّهَـا   لَـدَى الجَانِبِ الغَرْبِيِّ قُرْطٌ مُسَلْسَلُ

وقال ابن الرُّومي[٣٥] :

---

(٣٠) ديوان ابن المعتز ٨٦/٢ ، وفيه : وأرى الثُّرَيَّا ...

(٣١) البيتان لابن المعتز في ديوانه ١٨٦/٢ ، وفيه :

١ـ وقـــد مـــالت إلى الغرب ...

٢ـ والفجر يحـــدو : بليلتـــه ...

(٣٢) الفَرُوق : الشديد الخوف .

ويقال : فلان يفوق بنفسه إذا كانت نفسه على الخروج ، ويقال : فاقَ بنفسه عند الموت : جادَ ، وقيل : مات .

(٣٣) هو الأشهب بن رُميلة : شاعر جاهلي أسلم ، ولم يجتمع بالنَّبي ﷺ ، أدرك العصر الأموي ، ورميلة أُمّهُ واسمه الأشهب بن ثور بن أبي حارثة بن عبد المدان النهشلي الدارمي التيمي .

(٣٤) البيت في خزانة الأدب ٥٠/١١ ، والتَّشبيهات ٦ ، والمصون ٢٨ ، وديوان المعاني ٣٣٥/١ .

(٣٥) ديوان ابن الرُّومي ١٤٣١/٤ ، وفيه :

طيِّبٌ ريقـــهُ إذا ذقتُ فـــاه   والثُّريّـــا بـــالجـــانب الغـــور قُرْطُ

وزاد في الرواية : « قد ترشفتُ ريقه بعد وهن » والخطاب جميعاً في المحبوبة .

[من الخفيف]

طَيِّبٌ ثَغْرُهَــا إذا ذُقْتَ فَــاهــا وَالثُّرَيَّــا بِجَــانِبِ الغَرْبِ قُرْطُ

[٤٤/أ] وللعَربِ فيها أسجاع ، منها قولُهم[٣٦] : « إذا طلع النجم : فالْحَرُّ في حَدْم ، والعُشب في حَطْم ، والعَانَةُ في كَدْم » . الْحَدْمُ : توقُّد الحرِّ والنّار . ويقولون عند ظهورها في أوّل اللّيل[٣٧] : « إذا طلع النَّجم عشاء : ابْتَغى الرَّاعي كِسَاء » . ويقولون عند توسُّطها السّماء مع غُروب الشمس في شِدَّة البرد[٣٨] : « إذا أمست الثُّريّا قِمَّ الرَّاس : ففي الدِّثار الإخْناس ، وللسّؤال الإعباس » . وعند ذلك تقول الماعِزَة[٣٩] : « الاسْتُ جَهْرى ، والذَّنَبُ أَلْوى ، والشَّعَرُ دُقاق ، والجلدُ رُقاق ! » .

وقال الكُميتُ يصفُ سَنة جدب[٤٠] :

[من الطويل]

كَأَنَّ الثُّرَيّـا أُطْلِعَتُ في عِشـائِهـا بِوَجْهِ فَتَاةِ الْحَيِّ ذاتِ الْمَجَاسِدِ[٤١]

---

(٣٦) في الأنواء ٢٥ ، والمزهر ٥٢٨/٢ ؛ وفي الأنواء « العانات » ، وهي جمع العانة : القطيع من حمر الوحش . وقوله : في حَطم : أي أن العُشب حينئذ يهيج وينكسر . وقوله : والعانةُ في كدم : أي تتعَاضُّ .

(٣٧) في الأنواء ٢٧ ، والأزمنة والأنواء ١٣٩ ، والأزمنة والأمكنة ١٨٠/٢ ، والمخصَّص ١٥/٩ . وفي الأنواء : « إذا طلعت الثُّريّا عشيّا ... كسيّا » .

(٣٨) الأنواء ٢٧ ، والأزمنة والأمكنة ١٨٠/٢ ، والمخصص ١٥/٩ ، وفي الأنواء : « إذا أمست الثُّريّا قِمّ رأس ففي الدِّيار فاخنس ، وعُظاهنّ فاحدس ، وإن سُئلت فاعبِس ثُمّ اعْبِس ! » .
ـ وخنَس أي توارى وغاب .

(٣٩) في الأنواء ٢٧ ، وفيه : النَّبتُ ألوى .
ـ جَهْرى : مكشوفة ، وألوى : شديد الالتواء . والدّقاق : ما اندقَّ من كل شيء ، وفتات كل شيء .

(٤٠) ديوان الكميت ١٦١ .

(٤١) والمجاسد جمع المُجسد (بضم الميم) وهو المصبوغ بالْجَسَد : وهو الزعفران والعُصفر . ويقال : ثوب مُجْسَد ومُجَسَّد : مصبوغ بالزعفران ؛ وقيل : هو الأحمر . وفي اللسان : أيضاً المُجْسَدُ ما أشبع صبغه من الثياب .

أي : طَلعت والْحمرة مُلْتَبِسَةٌ بها ، وذلك من أمارات الْجَدْب .

وفي مقارنة الهلال لها ليلةَ مَهِلّه ، وذلك قبل استسرارها بليالٍ ، يقول كثيِّر[٤٢] :

[من الطويل]

فَدَعْ عَنْكَ سُعْدَى ، إنَّمَا تُسْعِفُ النَّوى قِرانَ الثُّرَيَّا مَرَّةً ثُمَّ تَأْفُلُ

يقول : إنَّما يُلاقيها مرَّةً في السنة ، كما يُقارِن الثُّريّا الهلالُ لأوّل ليلةٍ مرّةً في السنة ، ثمّ تغيب .

وفي طُلوعها بالغَداة بعد الاستِسرار ، وذلك عندَ قُوّة الحرّ ، يقولُ ساجِعُ العَرب[٤٣] : « إذا طلعَ النَّجْمُ غُدَيّة : ابْتَغى الرّاعي شُكَيَّة » . يُريد أنّه يستصحبُ الماءَ إذا خَرج للرَّعْي .

وأَوْبَأُ أوقات السَّنةِ عندهم ما بينَ مَغيبها إلى طُلوعها ؛ وقال طبيبُ العَرب[٤٤] : « اضمَنُوا لي ما بينَ مغيبِ الثُّرَيّا إلى طُلوعها ، وأَضْمَنْ لكم سائرَ السَّنة » . ويقال : ما طَلَعَتْ ولا نَأَتْ إلا بعاهةٍ في النَّاسِ والإبل ، وغُروبُها : أَعْوَهُ من شُروقها . وأمَّا قول النَّبي ﷺ[٤٥] : « إذَا طَلَعَ النَّجْمُ لَمْ يَبْقَ فِي الأَرْضِ مِنَ العَاهَةِ شَيءٌ إلاّ رُفِعَ » ، فإنّه

---

(٤٢) لم يرد في ديوان كثيّر ، وهو في الأنواء ٢٩ .
ـ والقِران : المصاحبة .

(٤٣) في الأنواء ٢٩ ، والأزمنة والأنواء ١٦١ ، والأزمنة والأمكنة ١٨٠/٢ ، والمخصص ١٥/٩ ، وعجائب المخلوقات ١٤٣ ، واللسان (ن ج م) .

(٤٤) الأنواء ٣٠ ، والأزمنة والأنواء ١٦٢ .

(٤٥) ذكره في الأنواء ٣١ ، والأزمنة والأنواء ١٦٢ ـ وفيه : إلا وقع ! ـ واللسان (ن ج م) .
والحديث في الفائق للزّمخشري ٦٩/٣ ؛ وروايته : « ماطلع النجمُ قطّ وفي الأرض من العاهة شيءٌ إلاّ رُفع » ، وهو في النّهاية لابن الأثير ٢٤/٥ .
ـ و « النَّجم » وإن كان عاماً فهو بالثُّريّا أخصّ ، وإذا أطلق فهي المقصودة . ونقل ابن الأثير عن الحربيّ أن المراد بالحديث أرض الحجاز لأنّ في أيار (مايو) يقع الحصاد بها . وتدرك الثمار ، لأنها قد أُمِنَ عليها من العاهة . قال ابن قتيبة : وأحسب أن رسول الله ﷺ أراد عاهة الثمار خاصة .
=

يريد بذلك عاهة الثِّمار ؛ لأنَّها تطلُعُ بالحجاز وقد أزهى البُسْرُ(٤٦) ، [٤٤/ب] وأُمِنَتْ عليه الآفة ، وحَلَّ بيعُ النَّخل .

ومن النُّجوم التي تُنسب إلى الثُّرَيّا : الكَفَّانِ ، ويقال لأَحدهما : الْجَذْماءُ ، وهي أَسْفلِ من الشَّرَطَيْن ، وعن يمينها : البقر ، وهي كواكب متفرِّقة تتَّصل بالثُّريّا .

وعَنَاقُ الأَرض : أَسْفَل من البُطَين ؛ وهو كوكبٌ مضيء في بُقعة ليس فيها إلاّ كوكبان إذا وصلتَه بهما أشبَهَ ذلك النَّسْرَ الواقع .

الكَفّ الأُخرى : الْخَضِيب ، وهي خمسةُ كواكبِ بيض في الْمَجَرَّة حِيَالَ الْحُوت(٤٧) ؛ قال ذو الرُّمّة(٤٨) :

[من الطويل]

أَلاَ طَرَقَتْ مَيٌّ هَمُوماً بِذِكْرِهَا ... وأَيْدِي الثُّرَيَّا جُنَّحٌ في الْمَغَارِبِ(٤٩)

يريد بأيدي الثُّرَيّا : هاتين الكَفَّيْن .

وربما نَسَبُوا العَيُّوق إلى الثُّرَيّا ؛ لأَنَّه يطلع إذا طلَعت ؛ قال حاتم الطّائيّ(٥٠) :

[من الطويل]

= ـ قلت : وفي بلاد الشّام يسلّمون الضّمان (الثّمار المشتراة على شجرها) ويتسلّمون في الخامس من شهر أيّار ، ويقولون له عيد الخضر ، فإنه بعد هذا التّاريخ يُؤمَنُ صقيع الثار في المألوف والمعروف ؛ ويندر أن يختلّ هذا . وصادف أحد المواسم أن هبت رياح عاتية أسقطت جزءاً من المحصول بعد عيد الخضر في غوطة دمشق .

(٤٦) أزهى البُسر : تَلَوّن .

(٤٧) في اللسان : الحوت بُرج في السّماء !

(٤٨) ديوان ذي الرُّمّة ١٩١/١ .

(٤٩) هَمُوم وزن فَعُول من هَمّ ؛ وفي الديوان « هَيُوماً » : وهو الذّاهِبُ العَقْل ؛ يعني نَفْسَه . وأيدي الثُّرَيّا : أوائلها . وجُنَّحٌ للمغارِبِ : مائلات إلى الْمَغْرب .

(٥٠) ديوان حاتم الطّائي ١٠٩ .

وَعَـاذِلَـةٍ هَبَّتْ بِلَيْـلٍ تَلُـومُنِي   وَقَدْ غَابَ عَيُّوقُ الثُّرَيَّا فَعَرَّدا[٥١]

وهو كوكبٌ أبيضُ أزْهَرُ وراءَ الثُّرَيّا ، وهو إلى القُطبِ أقرب منها ، وعلى أثره ثلاثةُ كواكبَ يُقال لها : الأَعلام ، وأسفل العيّوق نجمٌ يُقال له : رِجْل العَيُّوق[٥٢] .

ونَوْءُ الثُّرَيّا محمودٌ غزير ، وهو خيرُ نجومِ الوَسْمِيّ ، وطلوعُها لثلاث عَشْرةَ خَلَتْ من أيّار[٥٣] .

ثُمَّ الدَّبَرَان[٥٤] : وهو كوكبٌ أحمَرُ منيرٌ يتلُو الثُّرَيّا ، ويُسَمّى تابعَ الثُّرَيّا ، ولاستدباره إيّاها سُمِّيَ دَبَرَاناً ، وسُمّيَ أيضاً : المُحْدَجَ ، والمُجْدَحَ ، وهو الذي ذُكِرَ في الحديث[٥٥] : « لَوْأَنَّ اللهَ حَبَسَ القَطْرَ عَنِ النَّاسِ سَبْعَ سِنِينَ ثُمَّ أرْسَلَهُ أصبحَتْ طائفةٌ بهِ كافِرين ؛ يقولون : مُطِرْنا بِنَوءِ المِجْدَحِ ! » .

وبين يدي الدّبران كواكبُ كثيرةٌ مُجتمعة ، منها كوكبانِ صَغيران [٤٥/أ] يكادان يَتَماسّان ، تُسمّيهما العَرَبُ كَلْبَيْ الدَّبَران[٥٦] ، وتُسَمّي البواقيَ قِلاَصَهُ .

---

(٥١) عَرَّد النجم : إذا مال للغُروب بعدما يكبّد السَّماء .

(٥٢) العيُّوق ـ في اللّسان ـ: كوكب أحمر مضيء ، بحيال الثُّرَيّا في ناحية الشمال ، ويطلع قبل الجوزاء ، سمّي بذلك لأنه يعوق الدّبران عن لقاء الثُّريا .

(٥٣) في اللسان : الثُّريا : سُمّيت بهذا الاسم لغزارة نوئها ، وقيل لكثرة كواكبها مع صغر مَرْآتها فكأنها كثيرة العدد بالإضافة إلى ضيق المحلّ ، ولا تقال الثُّريا إلا هكذا على طريقة التصغير ، وهو من التصغير الذي يراد به التكبير والتفخيم .

(٥٤) الدّبران : نجم بين الثُّرَيّا والجوزاء ، ويقال له التّابع والتُّوبيع ، وهو من منازل القمر ، سمّي دبراناً لأنه يدبر الثُّريا أي يتبعها .

(٥٥) مُسند الإمام أحمد ٧/٢ .

(٥٦) في اللسان : الدّبران : خمسة كواكب من الثّور . وفي مادة (ق ل ص) : قِلاصُ النَّجم : هي العشرون نجماً التي ساقها الدّبران في خطبة الثُّرَيّا كما تزعم العرب .
ـ والكلبان : نجمان صغيران كالملتزقين بين الثُّرَيّا والدَّبران .

وقال سَاجِعهم[٥٧] : « إذا طلع الدَّبران ، تَوقّدت الحِزّان ، وكُرِهَتِ النِّيران ، ويَبست الغُدران ، ورمَت بأنفُسِها حيث شاءَت الصِّبيان » .

وطلوعه لستّ وعشرين تخلو من أيّار .

ثمَّ الهَقْعَة[٥٨] ، وهي ثلاثَةُ كواكبَ صِغَار كالأثافيّ ، يُقال إنَّها رأسُ الْجَوزاء ، قال ابنُ عبّاسٍ لرجلٍ طلَّق امرأتَه عَدَدَ نُجومِ السَّماء : يكفيكَ منها هَقْعَةُ الْجَوْزاء ! وسُمِّيت هَقْعَةً تشبيهاً لها بدائرةٍ من دوائر الفَرَسِ يُقال لها الهَقْعَة[٥٩] . ومع طلوعها يرجعُ النَّاسُ إلى مِياههم .

ويقول ساجعُ العرب[٦٠] : « إذا طَلعت الهَقْعَة : تقوَّضَ النَّاسُ للقُلْعَة ، ورَجَعُوا عن النُّجْعَة »[٦١] .

وطلُوعها لتسعٍ خَلَون من حزيران .

---

(٥٧) الحِزّان : الأراضي الصّلبة تتوقّد من حَرّ الشمس .
ـ والسَّجع بخلاف يسير في الأنواء ٣٩ ، والأزمنة والأنواء ١٦٤ ، والأزمنة والأمكنة ١٨١/٢ ، والمخصّص ١٥/٩ ، وعجائب المخلوقات ٤٤ ، وفي المزهر ٥٢٨/٢ .

(٥٨) الهقعة (اللسان هـ ق ع) : ثلاثة كواكب نيِّرة قريب بعضها من بعض فوق منكب الجوزاء . وقيل : هي رأس الجوزاء كأنها أثافيّ . وهي منزل من منازل القمر ؛ قال : وبها شبّهت الدائرة التي تكون بجنب بعض الدّواب في معدّه ومركله .
ـ وقول ابن عباس : يكفيك منها هقعة الجوزاء أي ثلاث تطليقات .

(٥٩) الهقعة ، كما في اللسان (هـ ق ع) : دائرة في وسط زور الفرس ، أو عُرض زوره ؛ وهي دائرة الحزم ؛ تُستحب ؛ وقيل هي دائرةٌ تكون بجنب بعض الدّوابّ يُتَشاءم بها وتُكره .

(٦٠) في الأنواء ٤١ ، والأزمنة والأنواء ١٦٥ ، والأزمنة والأمكنة ١٨١/٢ ، والمخصص ١٥/٩ ، وعجائب المخلوقات ٤٤ ، وفي المزهر ٥٢٨/٢ مع بعض زيادة .

(٦١) في (ك) : ورجعوا إلى النُّجعة .

ثم الْهَنْعَة[٦٢] ، وهي كوكبانِ أَبيضـان بينهما قِيْـدُ سَوْطٍ على إثر الْهَقْعَـة في الْمَجَرَّة ، وهي في أنواء الْجَوزاء ، لا تُفْرَد .

وفي الجوزاء يقول ساجعُهم[٦٣] : « إذا طَلعت الْجَوزاء ، توقَّـدت المِعْزَاء ، وكَنَسَت الظِّباء ، وعَرقت العِلْباء »[٦٤] .

[وقال كعب الغنوي في تشبيهها[٦٥] :

[من الطويل]

وَقَـدْ مَـالَتِ الْجَـوْزاءُ حتّى كَـأَنَّهـا ... فَسَـاطِيـطُ رَكْبٍ بـالفَـلاةِ تَـزولُ[٦٦]

وقال ابنُ هَرْمَةَ[٦٧] :

[من الكامل]

وَكَـواكِبُ الْجَـوْزَاءِ مِثْـلُ عَـوَائِـدٍ ... تَمْرِي لَهُنَّ قَـوَادِمٌ وَأَوَاخِرُ

(٦٢) الْهَنْعَة في اللسان (هـ ن ع) : الهنعة : منكب الجوزاء الأيسر ، وهو من منازل القمر . وقيل : هما كوكبان أبيضان بينهما قِيْدُ سوط على أثر الْهَقعة في المجرّة ... وقال بعضهم : الهنعة قوس الجوزاء يُرمى بها ذراع الأسد . وهي ثمانية أنجم في صورة قوس ، في مقبض القوس النجمان اللذان يقال لهما الهنعة . وهي من أنواء الجوزاء . وقال أبو حنيفة إذا طلعت الهنعة أرطب النخل بالحجاز ، وهي خمسة أنجم مصطفّة ينزلها القمر .

(٦٣) في الأنواء ٤٣ ، والأزمنة والأنواء ١٦٦ ، والأزمنة والأمكنة ١٨١/٢ ، والمخصص ١٥/٩ ، وعجائب المخلوقات .

(٦٤) المِعْزَاء : الأرض الصُّلبة ذات الحصَا . والعلباء : عصبة العُنق ، والعلباء مذكر ، وليست الهمزة للتّأنيث ، فأنّثه الساجع (في الأزمنة والأنواء : أنّثه غَلَطاً) . وكَنَسَت الظِّباء : دخلت كُنُسها ، وهي بيوتُها الّتي تستُرها من شِدّة الحرّ .

(٦٥) البيت لكعب بن سعد الغَنوي في ديوان المعاني ٣٣٧/١ ، وفيه : نَزول ، وهو في التشبيهات لابن أبي عون ٦ .

(٦٦) فساطيط جمعُ فُسطاط ، ومعناه في الأصل : البيت من الشعر .

(٦٧) البيتان لابن هرمة في ديوانه ١٢١ .

وَكَــأَنَّ مِرْزَمَهَــا عَلَى آثَــارِهــا فَحْلٌ ، عَلَى آثـارِ شَـوْلٍ ، هَـادِرُ[٦٨]

وقال البُحتريّ ، في نابِل[٦٩] :

[من الكامل]

فَتَراهُ مُطَّرِداً عَلَى أَعْـــــــــوَادِهِ مِثْـلَ اطِّرادِ كَـوَاكِبِ الْجَـوْزاء][٧٠]

وفيهـا : الشِّعْرى العَبُـور ، ومِرْزَمُ الشِّعْرى[٧١] ، وهي الَّتي ذكَرهـا الله تعـالى في كتابِـه ، فقـال جَلَّ اسمُـه : ﴿ وَأَنَّـهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَى ﴾ [النَّجم : ٤٩/٥٣] ، لأنَّ قومـاً في الجاهليّة عَبَدُوها وفُتِنوا بها .

وكان أبو كبشـة[٧٢] الـذي كان الْمُشركـون ينسبـون رسـولَ الله ﷺ إليـه أوَّلَ مَنْ عَبَدها ، وخـالَف قُرَيشـاً ، فَلَمّـا بُعِثَ النَّبيُّ ﷺ ودعـاهم إلى عبـادة الله وترك أديـانهم قـالوا : هـذا ابنُ أبي كبشـة ؛ أي : يُشبهـه . ومِثْلُـه في الخِلاف ، كما قـال بنو إسرائيـل لِمَرْيَم عليها السلام : ﴿ يَاأُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ ﴾[٧٣] [مريم : ٢٨/١٩] ، أي : يا شَبِيهة هارونَ في الصَّلاح .

وهما شِعْرَيان : إحداهُما هذه العَبُور ، [وقال أبو نواس[٧٤] ، يصف الدِّرهم وشَبَّهـه بها لُغزاً :

---

(٦٨) في الصحاح : المِرزمان : مرزما الشعريين : نجمان : أحدهما في الشعرى والآخر في الـذراع . والشول من الإبل : التي نقصت ألبانُها ، وذلك إذا فُصل ولدها عنـد طلوع سهيل ، فلا تزال شولاً حتى يُرسل فيهـا الفحل .

(٦٩) البيت في ديوان البحتري ١٠/١ .

(٧٠) مابين معقوفتين من « ف » .

(٧١) « مرزم الشعرى » لم ترد في : ك .

(٧٢) في حديث هرقل ، الحديث الصحيح : « لقد أَمِرَ أَمْرُ ابن أبي كبشة ليخافه ملـك بني الأصفر » ، ومعنى أَمِرَ : كَثُر .

(٧٣) يُنظر تفسير القرطبي ١٠٠/١١ ـ ١٠١ ففيه تفصيل .

(٧٤) الأبياتُ لأبي نواس في ديوانه ٢٩٩ .

[من الرّجز]

أَنْعَتُ صَقْراً يَغْلِبُ الصُّقُورا
مُظَفَّراً أَبْيَضَ مُسْتَدِيرا
تَخَالُهُ فِي قَدِّهِ العَبُورا][75]

والأُخرى : الغُمَيْصَاء [٤٥/ب] ، تقابِلُها ، وبينهما : الْمَجَرَّة . والغُمَيْصَاء في الذِّراع الْمَبْسُوطة من كَوَاكبِ الأَسد[76] .

وتَقُول الأَعرابُ في أَحاديثِها[77] إنَّ سُهَيلاً والشِّعْرَيَيْن كانت مُجتمعةً ، فانحدرَ سُهيل فَصار يَمانِياً ، وتَبِعَتْهُ العَيُّوق العَبُور فعبَرت الْمَجرَّة ، وأَقامت الغُمَيصاء فبكت حتّى غَمصت عينُها . والعَبُور تُسَمّى : كَلْبَ الجبّار[78] ، وأسفل منها خمسة كواكب بِيضٌ في المجرّة تَلِي الْهَنْعَة يُقال لها : العَذارى .

وطُلوعُ الهَنعة لاثنتين وعشرين ليلةً تخلُو من حزيران .

ثمَّ الذِّراع[79] ، وهي ذراعُ الأَسد الْمَقْبُوضة ؛ وله ذراعان : مقبوضة ، ومبسُوطة . فالمقبوضَة تلي الشّام ، وهي كوكبان بينهما قِيْدُ سَوْط ، وكذلك المبسوطة مثلُها في الصورة ، إلاّ أنَّها أَرفعُ في السّماء ، فَسُمِّيت مبسوطةً لأَنَّها أَمَدُّ منها ، وهي تلي اليَمن .

---

(٧٥) ما بين معقوفتين من : ك فقط .

(٧٦) هما شِعريان : أحدهما الغُمَيْصاء ـ وهو أحد كوكبي الذراع ـ وأما العَبُور فهي مع الجوزاء تكون نيّرة .

(٧٧) قالوا في أساطيرهم : سَمّيت العَبُور بذلك لأنها عبرت المجرّة ، وهي شاميّة ، وتزعم العرب : كما نقل في اللسان ؛ أن الأُخرى بكت على إثرها حتى غمصت فدعيت الـميصاء .

ـ والغَمَصُ هو ما يكون من شيء أبيض مصفرّ يخرج من العين عند موق العين .ويقال للذي يعلق على الهدب : الرَّمص .

(٧٨) اللسان (ك ل ب) .

(٧٩) اللسان (ذ ر ع) .

وبين الذِّراعين كواكبُ يُقال لها : الأَظفار ، تقرُب من الْمَقْبُوضة ، وأَحد كوكَبَيِ الْمَبْسُوطة النَّيِّرُ هو الشِّعرى الغُمَيْصَاء ، والآخر أحمرُ صغيرٌ يُسَمّى : المِرْزَم .

يقول ساجعُ العَرب[٨٠] : « إذا طَلعت الذِّراع : حسَرت الشَّمسُ القِنَـاع ، وأشعلت في الأَرضِ الشُّعاع ، وتَرقرق السَّرابُ بِكُلِّ قَاع » .

وهي أَوَّلُ أنواء الأَسـد ، ورُبَّما نَسَبُوا النَّـوءَ إلى الشِّعْرى ، يَعْنُـون الغُمَيْصَـاء ، لأنَّ القمر رُبَّما عَدَل عن المقبوضةِ فَنَزل بالمبسوطة ؛ قال بشرُ بن أبي خازم[٨١] :

[من البسيط]

جَـادَتْ لَـهُ الـدَّلْوُ وَالشِّعْرَى وَنَوْؤُهُمَا ... بِكُـلِّ أَسْحَمَ دَانِي الـوَدْقِ مُرْتَجِفِ[٨٢]

ولَمْ يُرِدِ العَبُورَ لأنَّها ليست من مَنَـازِل القَمر ، ولا من ذَوات الأَنواء ؛ ولكِنْ ربَّما جَمَعُوهـا ، فَنَسَبُوا إليهما ؛ فيقـولـون : مُطِرْنـا بـالشِّعْرَيَيْن ، كما قـال تعـالى : ﴿ مَـرَجَ البَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴾ [الرَّحمن : ١٩/٥٥] . ثمَّ قال : ﴿ يَخْرُجُ مِنْهُمَـا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَـانُ ﴾ [الرَّحمن : ٢٢/٥٥] [٤٦/أ] ، وإنَّما يَخْرُج من أحدهما وهو المِلْحُ .

وكـذلـك قـولـه : ﴿ يَـا مَعْشَرَ الجِنِّ وَالإِنْسِ أَلَمْ يَـأْتِكُمْ رُسُـلٌ مِنْكُمْ ﴾ [الأنعام : ١٣٠/٦] . والرُّسلُ من الإنس .

فَمِمَّن نَسب النَّوءَ إلى الشِّعْرَيَيْن معاً أبو وَجْزَة السَّعْدِي[٨٣] ، فقال :

---

(٨٠) الأنـواء ٤٩ ، والأزمنـة والأنـواء ١٦٨ ، والأزمنـة والأمكنـة ١٨١/٢ ، والمخصّص ١٥/٩ ، وعجـائب المخلوقات ٤٥ ، والمزهر ٥٢٨/٢ .

(٨١) البيت لبشر بن أبي خازم في ديوانه ١٥٧ .

(٨٢) الدّلو : برج من بروج السماء . والشعرى : نجم ، وهما شِعْرَيان ، الشعرى العَبور ، والشعرى الغميصاء ، وأراد هـاهنـا العبـورَ . ونـوؤُهـا : وقت طلـوعها . والأسحم : الأسـود ؛ يعني السحـاب . والـودق : المطر . والمرتجف : الذي يتحرك ويضطرب .

(٨٣) البيت لأبي وجزة السَّعديّ في الأنواء ٥١ ، وفيه : وألْحَا ؛ قال : معنى ألْحَم : أقام .

[من الطويل]

زَئِيرُ أَبِي شِبْلَيْنِ فِي الغِيْـلِ أَثْجَمَتْ ... عَلَيْـهِ نِجَـاءُ الشِّعْرَيَيْنِ ، وَأَثْجَمَـا

أثجمت : دامت ، وأثجم : أقام . والنِّجاء : السَّحاب .

وأمّا قولهم[٨٤] : « إذا طَلعت الشِّعرى : نَشِف الثَّرى ، وأجِنَ الصَّرى ، وجُعل صاحِبُ النَّخْلِ يَرَى » ـ أي : يَتَبَيَّنَ ثَمَرَةَ نخله[٨٥] ـ فَيُحتمل أن يكون للعَبُور والغُمَيْصَاء .

فكذلك قولهم[٨٦] : « إذا طَلعت الشِّعرى سَفَراً ، ولم تَرَ مَطراً : فلا تَعقِرَنَّ إمّراً ، وأرْسِلِ العُرَاضاتِ أثراً » سَفَراً : أي صُبحاً ، والإمَّر : الْخَرُوف ، والعُرَاضَات : الإبل .

وطُلوع الذّراع لأربعٍ خَلون من تَمُّوز .

ثمَّ النَّثرة ، وهي ثلاثةُ كواكبَ مُتَقاربة ، أَحَدُها كأنَّهُ لطخةُ غَيم ، وهي بعدَ الذّراع . وأنواءُ الأسدِ غِزارٌ مَحْمُودة ، قال الشّاعر يصفُ سنةَ جَدْب[٨٧] :

[من المتقارب]

---

(٨٤) في الأنواء ٥٢ ، والأزمنة والأنواء ١٧٠ ، والأزمنة والأمكنة ١٨١/٢ ، والمزهر ٥٢٩/٢ .
ـ والصَّرى : الماء المجتمع في الغُدران والْمَناقع . وأجَنّ : تَغيّر لشدّة الحرّ .

(٨٥) لأنَّها حينئذٍ تكبر .

(٨٦) في الأنواء ٥٢ ، وفيه : « إذا طلعت الشِّعرى سفراً ، ولم تر مطراً ، فلا تَغذونّ إمّرةً ولا إمّراً ، وأرسل العُراضاتِ أثراً يبغينك في الأرض معمراً » .
ـ وينظر تعليق محقق الأنواء . السَّفر : بَياض النَّهار ؛
ـ والإمَّرّ : الصَّغير من الْحُمْلان أولاد الضَّأن ؛ والأُنثى إمَّرة . والعُراضات : الإبل ، والْمَعْمَر : المنزلُ بدار معاش . أي أرسل الإبل العريضة الآثار عليها ركبانها ليرتادوا لك منزلاً تنتجعه .
والسَّجع في الأزمنة والأمكنة ١٥٧/٢ ـ ١٥٨ ، والمخصّص ١٥/٩ ، ١٧ .

(٨٧) البيت في الأنواء ٥٤ ، ونسبه إلى بعض الأعراب يذكُر سنة الْجَدْب ، وفيه : « ... حَولين والأنف والكاهل » .

تَـوَاضـعَ مـاقَـدْ بَنَتْـهُ اليَـدَانِ   والأَنْفُ ، حَـوْلَيْنِ ، وَالكَـاهِـلُ

اليَدان : ذراعا الأسد ، والأنفُ : النَّثرة ، والكاهِلُ : زُبْرَةُ الأَسد .

وقـال سـاجِعُ العَرب[88] : « إذا طَلعت النَّثرة : قَنَـأَتِ البُسْرَة ، وجُنِيَ النَّخلُ بُكرة ، ولم تُتْرَكْ في ذاتِ دَرٍّ قطرة ! » .

وطُلوعها لسبعَ عَشْرَةَ تخلُو من تمُّوز .

ثمَّ الطَّرفُ ، طرف الأَسـد ـ كوكبـانِ بين يَـدي الْجَبْهـةِ . وقُـدَّام الطَّرف كواكب صغار يقال لها : الأشفار .

قال ساجع العرب[90] : « إذا طلعت الطَّرْفَةُ : بكَّرت الْخُرفة ، وكثُرت الطُّرفـة ، وهانت للضَّيف الكُلْفـة » . يريـدون خُرفـة الثّمر تُبكِّرُه وقتَ طلوعـه ، وأَنَّث الطَّرفَ لأنَّ العين مؤنَّثة .

وطلوعُه لليلةٍ تخلُو من آب .

ثمّ الْجَبْهَـة[91] ، جَبْهَـة الأسـد ـ أربعـةُ كـواكب خَلْفَ الطَّرْف . وفيهـا اختـلاف

---

(٨٨) في الأنـواء ٥٥ ، والأزمنـة والأنـواء ١٦٩ ، والأزمنـة والأمكنـة ١٨١/١ ، والمخصّص ١٥/٩ ، وعجـائب المخلوقات ٤٥ ، والمزهر ٥٢٨/٢ (مع بعض زيادة) .

ـ قولـه : قنـأت البُسرة : أي اشتـدَّت حُمرتهـا حتى تقـارب السّواد . والقـاني : الشـديـد الْحُمرة . وهم يجنون النخل بُكرةً لأنه في ذلك الوقت باردٌ ببرد الليل .

ـ وقوله : لم تترك في ذات درّ قطرة : لأنهم يحلبونهـا فلا يتركون في ضروعهـا لبنـاً ، لأنهم أرادوا فصـال أولادها عنها ؛ فتنال من الْمَرْعى وتسلو عن أُمّاتها .

(٨٩) الطرف ـ في اللسان ـ من منازل القمر : كوكبان يقدمان الجبهة ، وهما عينا الأسد ، ينزلها القمر .

(٩٠) في الأنـواء ٥٥ ، والأزمنـة والأنـواء ١٧٢ ، والأزمنـة والأمكنـة ١٨١/١ ، والمخصص ١٥/٩ ، وعجـائب المخلوقات ٤٥ ، والمزهر ٥٢٩/٢ .

ـ قوله : الْخُرفـة : مـالُقِـطَ من الرُّطب ، والطُّرفـة الاسم من الطريف ، وهو المـال المستحـدث من ثمر وغيره . وتهونُ للضّيف الكلفة : لكثرة الثمر واللبن في هذا الوقت .

(٩١) الجبهة : قال الأزهري : الجبهةُ : النجم الذي يُقال له جبهة الأسد ، وهي أربعة أنجم ينزلها القمر .

[٤٦/ب] بين كُلّ كوكبين في رأيِ العَين قِيْد سَوط ، وهي مُعترضةٌ من الْجَنُوب إلى الشّمال . والْجَنُوبيّ منها هو قَلْبُ الأسد .

وحِيَال الْجَبهة كوكبٌ مُنفردٌ يُسمّى الفَرْد[٩٢] .

وقال ساجع العرب[٩٣] : « إذا طَلعت الجبهة : تَحَانَّت الوَلَهَة ، وتنازَت السَّفَهة ، وقلَّت في الأرضِ الرَّفَهَة » . وإنَّما تَتحانُّ الوَلَهَة لأنَّ أولادَها قد فُصِلَت عنها ، وتتنازى السَّفَهة لأنَّهم في خِصبٍ من اللَّبن والتَّمر فَيَبْطَرُوْن ؛ قال الشّاعر[٩٤] :

[من الرّجز]

يَـا ٱبْنَ هِشَـامٍ أهلَـكَ النَّـاسُ اللَّبَنْ
فَكُلُّهُمْ يَغْـدُو بِقَـوْسٍ وَقَرَنْ

وإذا تَنازت السَّفهة قلَّت الرَّفاهة ، واحتاجُوا إلى حِفظ أموالهم وجمع مواشيهم ونَعَمِهِمْ خوف الغارة .

وطلوعُ الْجَبْهَة لأربع عشرة ليلة تخلُو من آب ، مع طُلوع سُهَيْل .

ثمَّ الزُّبْرَة[٩٥] ، وهي كاهِلُ الأسَد ، وهي كوكبان نيِّران على إثر الجبهة ، بينهما

---

(٩٢) وفي اللسان : أفراد النجوم : الدّراري ...

(٩٣) الواحدة والهةٌ ، ووالهٌ ، ووَلْهَى وميلاه : يعني الإبل الشديدة الْحُزن والجزَع على ولدها . وتتنازى : تتواثب من المراح . والسفهةُ : السفهاء ، يتواثبون بَطراً لأنَّهم في خِصب .
ـ وقال ابنُ الأجدابي : « الرّفهة : التّبن الذي يبقى في الْمَدْرَس بعد إخراج الحبّ منه ؛ يريد أنّه لم يبق في موضع شيءٌ من الْحَبّ يُحصد في هذا الوقت » .

(٩٤) الشعر في الأنواء ٥٧ ، والمعاني الكبير ٨٩٥ ، والمخصّص ١٧٨/١٠ ، والأزمنة والأمكنة ١٤١/٢ .
ـ والقَرنُ : جُعبة صغيرة تضمّ إلى الكبيرة .
ـ وفي الحديث : « الناسُ يوم القيامة كالنَّبل في القَرن » . والقَرَنُ : الْجَعْبة من جُلود ، تكون مشقوقة ثم تُخرز ؛ وإنما تشق لتصل الريح إلى الريش فلا يفسد . قال في شرح الحديث : الناس يوم القيامة كالنَّبل في القَرن ؛ أي مجتمعون مثلها .

(٩٥) في اللسان (ز ب ر) من كواكب الأسد : الْخَراتَان ؛ وهما كوكبان نيّران بينهما قدر سَوْطٍ ، وهما كتفا=

قِيْدُ سَوط . ويقال : زُبْرَتُهُ : شَعَرُهُ الذي يَزْبَئِرُّ[96] في قَفاه إذا غَضب . وتحت النَّجمين نجومٌ صغارٌ يقال هي شَعره ، وبها سُمِّيت الزُّبرة .

وطلوعُها لأربع ليالٍ يَبْقَيْن من آب ، وعند طُلوعها يُرى سُهَيل بالعراق .

ثمَّ الصَّرْفة[97] ، وهو كوكبٌ واحد على إثر الزُّبرة ، مُضيءٌ ، عنده كواكب صِغَارٌ طُمُس . يقولون : هو قُنْبُ الأَسد ؛ أي : وِعَاءُ قَضِيبه . وسُمّي صَرْفَة لانصرافِ الْحَرّ عند طلوعِه .

قال السّاجع[98] : « إذا طَلعت الصَّرْفَة ، احتال كُلّ ذي حِرفة ، وجَفَر كلُّ ذي نُطْفَة ، وامتيزَ عن المياهِ زُلفَة »[99] . يُريد أَنَّهم يخرجون مُتَبَدِّيْنَ .

جفر الفحل : عَدل عنِ الضِّراب ؛ يريد أنَّ الْمَخاض ، وهي الحوامل ، قد ظَهَر حَمْلُها . وفي طلوعها يزيدُ النِّيل ، وأيّامُ العَجُوزِ في نَوْئِها .

وطلوعها لتسعٍ خلون من أيلول .

ثمّ العَوّاء[100] ، وهي أربعة أنجم على إثر الصّرفة تُشبه كافاً غير مَشْقُوقة ، وتشبّهُ أيضاً بكتاب ألف مردودة الأسفل . وهم يَجْعَلُونها كلاباً تتبع الأسد . وقيل : هي وَرِكا

= الأسد ، وهما زُبرة الأسد ، وهما كاهل الأسد ينزلها القمر . وهي كلها ثمانية . وأصل الزُّبرة : الشعر الذي بين كتفي الأسد (وعن الليث : كل شعر مجتمع على كاهل فهو زُبرة) .

(96) ازبأرّ الشعر : انتفش .

(97) الصَّرفة (اللسان ص رف) : منزلٌ من منازل القمر ، نجمٌ واحدٌ نيّرٌ تلقاء الزُّبرة خلف خراتي الأسد .

(98) الأنواء 60 ، والأزمنة والأنواء 177 ، والأزمنة والأمكنة 182/2 ، والمخصص 15/9 ، وعجائب المخلوقات 46 ، والمزهر 529/2 .

ـ قوله : احتال كل ذي حرفة : يعني أقبل الشتاء .

(99) أي يتبدّون ، ويفارقون المياه طلباً للكلأ والانتجاع .

(100) العوّاء : منزلٌ من منازل القمر ، يُمَدُّ ويُقْصَرُ ؛ من أنواء البَرْد . وهو أربعة كواكب ثلاثة مثفّاةٌ متفرقة ، والرابع قريب منها كأنه من الناحية الشاميّة ، وبه سمّيت العَوّاء ، كأنه ـ لَمّا انفرد ـ يعوي .

الأسد . وقد ذكرها بعض الشعراء ، فقال[١٠١] :

[من الطويل]

وَقَـدْ بَرَدَ اللَّيْـلُ الطَّـوِيـلُ عَلَيْهِمُ وَأَصْبَحَتِ العَـوَّاءُ لِلشَّمْسِ مَنْـزِلا

[٤٧/أ] وقـال سـاجِعُ العَرب[١٠٢] : « إذا طَلَعت العَوّاء : ضُربَ الخِبَـاء ، وطـابَ الهَواء ، وتَشَنَّن السِّقاء » . أي : يَبِس ؛ لأَنَّهم أَقَلُّوا استقاءَ الماء فيه .

وطلوعُها لاثنتين وعشرين ليلةً تخلُو من أَيلول .

ثمَّ السِّماكُ الأعزل[١٠٣] ، وهو الـذي ينزلُ بِـه القَمر ، وهو كوكبٌ أَزهر ؛ والرَّامِـحُ سُمّي بذلك لكوكبٍ بين يديـه صغير ، يُقـال لـه : رائِـدُ السِّماك ، فصـار ذا رُمحٍ بـه ، وصار الآخر أَعْزَل . والعَرَب تجعلُها ساقَي الأسد . وأصحاب الحسـاب يُسَمُّونَ الأَعْزَل : السُّنبلة . وربَّما عـدَل القمرُ فنَزل بِعَجُزِ الأسـد ، وهي أربعـةُ كواكب بين يـدي السِّماك الأعـزل منحـدر عنـه في الجنـوب ، يقـال لهـا : عرش السِّماك ، وتسمّى « الخِبـاء » أيضاً[١٠٤] .

---

(١٠١) قال ابن قتيبة إن لم يسمع للعواء بذكرٍ في الشعر القديم ؛ قال : وقد ذكرها الحِصنيّ في شعره فقال :

وانتثرت عَـــوّاوَهْ تَنـــاثُرَ العِقْـــدِ انقطَــعْ !

وقال آخر (ولم يُسَمّه) :

وقــد بردَ الليـلُ الطـويـل عليهمُ فـــأصبحت العَـــوَّاءُ للشَّمس تستتر

قال المحقّق : لعله (تستر) .

(١٠٢) في الأنواء ٦١ ، والأزمنة والأنواء ١٨٢/٢ ، والمخصّص ١٦/٩ ، والمزهر واللسان (ع و ى) مع زيادة .

ـ وهم يضربون الخباء للبَيات فيها لأنّ بردَ اللَّيل حينئذ يُؤذي .

(١٠٣) السّماكان : نجمان نيّران : أحدهما السِّماك الأعزل ، والآخر : السِّماك الرّامح . ويقـال إنهما رِجْلا الأسـد . والذي هو من منازل القمر : الأعزلُ ، وهو شـآمٍ . وسمّي أعزل لأنـه لا شيء بين يـديـه من الكواكب ، كالأعزل الذي لا رمح معـه . وقيل سمّي أعزل لأنـه إذا طلع لا يكون في أيـامـه ريح ولا برد فهو أعزل منها .

(١٠٤) نسبه ابن قُتيبة إلى ابن كنـاسـة (ت ٢٠٧ هـ) عـالمٌ من الشعراء لـه كتـابٌ في الأنواء ؛ ولـه ترجمـة في الفهرسة ٧٠ ـ ٧١ ، والأغاني ١٠٥/١٠ ـ ١١٠ ، وكتاب الورقة ٨١ ـ ٨٢ .

ونسب ابن أحمر النَّوْءَ إليها ، فقال ، يذكر الثَّور[105] :

[من الكامل]

بَـاتَتْ عَلَيْـهِ لَيْلَـةٌ عَرَشِيَّـةٌ شَرِيَتْ وبـاتَ إلى نقـاً مُتَهـدّدِ

شَرِيت : لَجَّت بالمطر .

والسِّماكُ الأعزل حدٌّ ما بينَ الكواكبِ اليَمانية والشّامية ، فما كان منها أسفلَ من مَطلعهِ فهو من اليَمانية ؛ لأنَّ ذلك النصف من الفَلك في شِقِّ الجنوبِ وشِقِّ اليَمن . وما كان مطلعهُ فوق السِّماك [فهو] من الشّامية ؛ لأنَّ هذا النصفَ من الفلكِ في شِقِّ الشِّمال ، وهو شِقُّ الشّأم .

قال ساجع العرب[106] : « إذا طلَع السِّماك : ذَهب العِكَاك ، وقَلَّ على الماء اللَّكاك » . العِكاك : الْحَرّ ، واللِّكاك : يُريد الازدحام على الماء .

ونوءُ السِّماك غزيرٌ يصِلُ الْخَطائط ، والْخَطيطة : أَرضٌ غيرُ ممطورة [بين أرضين مَمطُورتين] ، إلاّ أنَّه يُـذَمّ من قِبَل أنَّ النَّشْرَ ينبت عنده ، وهو نبتٌ يطلع بمطره في أصولِ كلأ قد هاج ويبس ؛ فإذا رعته الإبل مَرِضت وسُهِمَتْ .

قال الشاعر في جملٍ كان يَرْعى النَّشر ، فَسُهِم[107] ، فمات :

[من الكامل]

---

(١٠٥) هو عمرو بن أحمر ، والبيت في ديوانه (٥٨) .
ـ وهو في الأنواء ٦٢ ، واللسان (ع ر ش) و (ش ر ي) وفيه : « وبات على نقاً متهدّم » . أيّ : متهافتٌ لا يتماسك . وعَرَشيّة : منسوبة إلى عرش السماك ؛ أي ممطرة بنَوْئه . والنّقا : القطعة من الرمل . والمتهدّد : المتهدّم .

(١٠٦) في الأنواء ٦٥ ، والأزمنة والأنواء ١٣٧ ، والأزمنة والأمكنة ١٨٢/٢ ، والمخصص ١٦/٩ ، والمزهر ٥٢٩/٢ ، وعجائب المخلوقات ٤٧ .

(١٠٧) سُهِمت الإبل : أصابها حَرُّ السَّموم ووهج الشمس . وسُهمت أيضاً أصابَها السُّهام ، وهو داءٌ يُصيبها .

لَيْتَ السِّمَـاكَ وَنَـوْءَهُ لَمْ يُخْلَقـا   وَمَشَى الأُوَيْرِقُ فِي البِلاَدِ سَلِيما[١٠٨]

وطلوعُ السِّماك لِخَمْسِ ليالٍ يَمضين من تشرين الأوّل .

ثمَّ الغَفْرُ[١٠٩] ، وهو ثلاثةُ كواكب خَفيّة بين السِّماك الأَعزل وزُبانَى العَقرب ؛ على نحوٍ من خِلقة العَوّاء .

قـال سـاجـع العرب[١١٠] : « إذا طَلَـع الغَفْر : اقْشَعَرَّ السَّفْر ، وتـزيَّـل النّضر ، [٤٧/ب] وحَسُنَ في العَيْنِ الْجَمْر » . النّضر ؛ يعني النَّضارة عن الأرض والشَّجر . وإذا نزل القمر بالغفر كانت من ليالي السُّعود .

وطلوعه لثمان عشرة تخلُو من تشرين الأوَّل .

ثمَّ الزُّبـانى[١١١] ، زُبـانى العَقرب ، قَرْنَـاهـا . وهمـا كوكبـان بينهما قـابُ قَـوس . ويصفون نوءَها لِهُبوب البَوارح ، وهي الشّمال الشَّديدة . وتكونُ في الصَّيف حارّة .

قال ساجعُ العَرب[١١٢] : « إذا طلعت الزُّبـانى : أَحـدثت لكلِّ ذي عيـال شـانـاً ، ولكلِّ فتى ماشِيَةٍ هَواناً ، وقالوا : كانَ وكانـا ، فـاجْمَع لأَهلـك ولا توانَـا »[١١٣] ؛ أي : ابتذلَ صاحبُ الماشيةِ نفسَهُ في تَتَبُّعِ مَصالحها ، وكَثُرَ الحديثُ والقَول .

---

(١٠٨) الأُوَيرق تصغير الأورق ، وهو الجمل في لونه بياضٌ إلى سواد ، وهو من أطيب الإبل لحماً لا سيراً وعَمَلاً .

(١٠٩) الغَفْر (اللسان غ ف ر) منزلٌ من منازل القمر ثلاثة أنجم صغار ؛ وهي من الميزان .

ـ زُبانى الْعَقرب في اللُّغة : قرنه ، وزُبانيا العقرب : كوكبان نَيّران في قرني العقرب .

(١١٠) في الأنواء ٦٧ ، والأزمنة والأنواء ١٣٨ ، والأزمنة والأمكنة ١٨٣/٢ ، والمخصّص ١٦/٩ ، وعجائب المخلوقات ٤٧ ، والمزهر ٥٢٩/٢ .

ـ والسَّفر : المسافرون .

(١١١) زُبـانى العقرب في اللغـة : قرنـاهـا . وهـا زُبـانيـان ؛ كأنهما تـدفع بها . قـال في اللسـان (ز ب ن) : والزُّبانيان : كوكبان نيِّران ، وهما قرنا العقرب ينزلها القمر .

(١١٢) الأنواء ٦٩ ، والأزمنة والأنواء ١٣٩ ، والأزمنة والأمكنة ١٣٨/٢ ، والمخصّص ١٦/٩ ، والمزهر ٥٢٩/٢ ، وعجائب المخلوقات ٤٧ .

(١١٣) « ولا تَوانَ : على الأمر . والألف للإطلاق فترسم ألفاً لا ياءً .

وطلوعُها آخر ليلة من تشرين الأوَّل .

ثمَّ الإكليل[(١١٤)] ، وهو رأس العقرب ، ثلاثَةُ كواكب زُهر مُصْطَفَّة معترضة .

قال السّاجع[(١١٥)] : « إذا طَلَع الإكليل : هاجَت الفُحول ، وشُمِّرت الذُّيول ، وتُخُوِّفَت السُّيول » .

وطلوعُه لثلاثَ عشْرَة ليلة تخلُو من تشرين الآخر .

ثمَّ القلب[(١١٦)] ، وهو كوكب أحمر ، وراء الإكليل بين كوكبين لهما النِّياط .

قال السَّاجع[(١١٧)] : « إذا طلعَ القَلب ، جاء الشِّتاء كالكَلب ، وصار أهلُ البَوادي في كَرب ، ولم يُمَكِّن الفحلَ إلاّ ذاتُ ثَرب » ؛ أي ، ذات شَحم وسِمَن ؛ لأنها أحْمَل للبردِ من الهَزيلة ، فهي تَتقدَّمُها في الضّبعة . ونَوؤه غيرُ محمود ، ويكرهون السّفر إذا كان القمرُ نازلاً به .

وطلوعُه لستٍّ وعشرين ليلةً تخلُو من تشرين الآخر مع النَّسر الواقع ، ويسمّيان : الهَرَّارَيْن[(١١٨)] .

ثمَّ الشَّوْلَةُ[(١١٩)] ، وهي كَوكبان مُتَقاربان يكادان يتماسّان في ذَنب العَقرب ، ويقال : شالَ بِذَنَبِه : إذا رَفَعه . وبعدها إبْرَةُ العَقرب كأنَّها لَطْخَة .

---

(١١٤) الإكليل (اللسان : زب ن) ثلاثة كواكب معترضة غير مُستطيلة . والإكليل أمام الزُّبانَيَيْن .

(١١٥) الأنواء ٧٠ ، والأزمنة والأمكنة ١٨٣/٢ ، والمخصص ١٦٠/٩ ، والمزهر ٥٢٩/٢ : وهو في الأزمنة والأنواء والعجائب باختلاف نقص يسير .

(١١٦) قلبُ العقرب : منزل من منازل القمر ؛ وهو كوكبٌ نيّر ، وبجانبه كوكبان .

(١١٧) السجع في الأنواء ٧٠ ، والأزمنة والأنواء ١٤١ ، والأزمنة والامكنة ١٨٣/٢ ، والمخصص ١٦/٩ ، والمزهر ٥٢٩/٢ ، ونقص من عجائب المخلوقات ٤٨ « ولم يمكن الفحل إلا ذات ثوب » .

(١١٨) في اللسان (هـ ر ر) : الهرّاران نجمان . قال ابن سيدة : الهرّاران : النسر الواقعُ وقلبُ العقرب .

(١١٩) الشّولة في اللغة : إبرة العقرب أو شوكته التي يضرب بها ، وبها سمّيت إحدى منازل القمر . والشّولة : منزلة وهي كوكبان نيّران متقابلان ينزلها القمر ، يقال لها : حُمَةُ العقرب .

قال السّاجع[١٢٠] : « إذا طَلَعت الشَّولة : أَعجلت الشيخَ البَوْلة ، واشتدَّت على العِيال العَوْلَة ، وقيل : شَتْوَةٌ زَولة » ، العَوْلَة : الحاجَة ، والعائل : الْمُحتاج الفقير . زَوْلَة : عجيبةٌ مُنكَرة لشدَّةِ البَرد في ذلك الوقت !

وطلوعها لتسع [٤٨/أ] يخلون من كانون الأوّل .

ثمّ النَّعائم[١٢١] ، وهي ثمانيةُ كواكب على إثر الشَّوْلَة ، أربعةٌ في الْمَجرّة ، وهي : النّعام الوارِد كأنَّه سُرَيْج في الْمَجرّة . وأربعةٌ تُسَمّى الصّادر : كأنّه شرب ثمّ رجع . وكلّ أربعة منها على تربيع ، وفوقَ الثّمانية كوكبٌ إذا تأمّلته معها شَبَّهته بناقة .

قال السّاجع[١٢٢] : « إذا طلَعت النّعائم : توسَّقت البَهائم ، وخَلص البردُ إلى كُلّ نائم ، وتلاقَت الرِّعاء بالنّمائم ! » ؛ يُريد أنَّهم يتفرّغُون ولا يَشغلهم رَعي ، فَيَتلاقون ، ويوشي[١٢٣] بَعضُهم إلى بعض أخبارَ النَّاس .

وطلوعها لاثنتين وعشرين تخلُو من كانون الأوَّل .

ثمّ البَلدة[١٢٤] ، وهي رُقعةٌ في السَّماء لا كواكبَ بها ، بينَ النَّعائِمِ وبين سعدِ

---

(١٢٠) الأنواء ٧٢ ، والأزمنة والأنواء ١٤٢ ، والأزمنة والأمكنة ١٨٣/٢ ، والمخصّص ١٦/٩ ، والمزهر ٥٢٩/٢ ، وعجائب المخلوقات ٤٨ .

(١٢١) النّعام والنَّعائم من منازل القمر : ثمانية كواكب ؛ أربعةٌ صادر وأربعةٌ وارد . وقال ابن سيده : « هي أربعة في المجرّة وتسمّى الواردة ، وأربعة خارجة تسمّى الصَّادرة » .
ـ وفي اللسان : « كأنها سرير معوجّ » . وهكذا بدلاً من سُرَيج تصغير سراج .

(١٢٢) في الأنواء ٧٤ ، والأزمنة والأنواء ١٤٣ ، والأزمنة والأمكنة ١٨٣/٢ ، والمخصص ١٩/٦ ، والمزهر ٥٣٠/٢ ، وعجائب المخلوقات ٤٨/٢ .
وعبارة الأزمنة والأنواء : « إذا طلعت النَّعائم طال الليل على النّائم وقَصُر النَّهار على الصّائم ، وخلص البرد إلى كل نَاسِم » .

(١٢٣) رسمها في (ف) : « يرسر » ولم تكد تتّضح . وفي ك : يوشي ؛ هكذا .

(١٢٤) في الصّحاح : البَلدة من منازل القمر ، وهي ستّة أنجم من القوس تنزلها الشمس في أقصر يوم في السَّنة . (جعلها والقلادة واحداً) .

الذّابح ، ينزلُ القَمرُ بها ، وربَّما عدَل فنزَل بالقِلادَة[١٢٥] ، وهي ستّةُ كواكب مُستديرة خفيَّة تُشبِّهُ بالقَوس ، وحِيالَهُنَّ كوكبٌ يُقال له : سَهْمُ الرَّامي ، وهو أمام سعد الذّابح .

قال ساجع العرب[١٢٦] : « إذا طَلعت البَلْدَة : حَمّمت الْجَعْدة ، وأُكِلَت القِشْدَة ، وقيل للبَرد : اهْدَه » . يقال : حَمّ وجهُ الغُلام : إذا بَقَل ، وحَمَّمَ رأسُ الحالق ، إذا اسْوَدَّ بعد الْحَلق ؛ يُريد اخْضَرَّت الأَرضُ بالْجَعْدَة ، [والجعدةُ : نبت][١٢٧] ، والقِشدة ما خلص من السمن في أسفل القِدر ؛ يريدُ كَثْرة الزُّبد ، ويُقال للبَرد اهْدأ لشدّة ما يُقاسُون منه .

وطلوعُها لأربعٍ يخلُونَ من كانون الآخر .

ثمَّ سعدُ الذّابح[١٢٨] ، وهو كوكَبان غيرُ نَيِّرَيْن بينهما في رأي العَين قدرُ ذِراع ، أحدهما مرتفعٌ في الشّمال ، والآخر هابِطٌ في الْجَنُوب ، وبِقُرب الأعلى منهما كوكبٌ صغيرٌ يكادُ يلصق [به][١٢٩] . تقول العرب : هو شاتُه الَّتي يذبحها !

قال ساجِعُهم[١٣٠] : « إذا طلعَ سعد [٤٨/ب] الذَّابح ، حمى أهلَه النَّابح ، ونَفع

---

(١٢٥) ينظر التعليق السّابق .

(١٢٦) في الأنواء ٧٦ ، والأزمنة والأنواء ١٤٤ ، والأزمنة والأمكنة ١٨٣/٢ ، والمخصص ١٦/٩ ، والمزهر ٥٣٠ ، وعجائب المخلوقات ٤٩ .

(١٢٧) عبارة [والجعدةُ نبتٌ] لم ترد في ف .

(١٢٨) السَّعد والسُّعود : سعود النجم ؛ وهي الكواكب التي يقال لها : لكل واحد منها سعد كذا ، وهي عشرة أنجم كل واحد منها سعدٌ : أربعة منها منازل ينزل بها القمر ، وهي سعد الذابح وسعد بُلع وسعد السُّعود ، وسعد الأخبية ؛ وهي في برجي الجدي والدلو . ونقل في اللسان : قال ابن كناسة : سعد الذابح كوكبان متقاربان سمّي أحدهما ذابحاً لأن معه كوكباً صغيراً غامضاً يكاد يلزق به فكأنه مكبٌّ عليه ليذبحه ، والذابح أنورُ منه قليلاً .

(١٢٩) كلمة (به) لم ترد في (ف) .

(١٣٠) في الأنواء ٧٦ ، والأزمنة والأنواء ١٤٤ ، والأزمنة والأمكنة ١٨٣/٢ ، والمخصّص ١٦/٩ ، والمزهر ٥٣٠/٢ ، وعجائب المخلوقات ٤٩ .

ـ وفي الأزمنة والأنواء : =

أهلَهُ الرَّائح ، وتَصبَّح السّارح ، وظَهر في الحيِّ الأَنَافح » ؛ يُريدون : الكلبُ يلزم أهله لِشدّة البرد[١٣١] . وإذا طلَع سعد الذّابح بالغَداة طلع سُهيل مغربَ الشمس ؛ قال الرّاجز[١٣٢] :

[من الرجز]

إذَا سُهَيْلٌ مَغْرِبَ الشَّمْسِ طَلَعْ
فَابْنُ اللَّبُونِ الحِقُّ وَالحِقُّ جَذَعْ

وهو الوقت الأَوْسَطُ للنّتاج .

وطلوعه لسبع عشرة تخلُو من كانون الآخر .

ثم سَعد بُلَع[١٣٣] ، وهو نَجمان مُسْتَويان في الْمَجَرَّة ، أحدهما خافٍ . وسُمّي بُلَع ؛ أي : كأَنّه بَلَعَ الْخَفِيَّ وأَخذ ضوءه .

وقال السَّاجع[١٣٤] : « إذا طلع سَعْدُ بُلَع : اقْتَحَم الرُّبَع ، ولَحِقَ الهُبَع ، وصِيد

= إذا طلع سعد الذّابح ، لم تنبح النوابح ، من الصقيع القادح ، ويصبّح السّارح .

- وقول السّاجع : نفع أهله الرّائح : يريد أنه يأتيهم بالحطب إذا راح ، وقوله : تصبّح السارح : لم يبكّر بماشيته لِشدّة البَرْد .

(١٣١) زاد ابن قتيبة على قوله : يلزم أهله لشدّة البرد : « وكثرة اللَّبن ، فهو يحميهم وينبح دونهم » .

(١٣٢) الرجز في الأنواء ٧٧ و ١٥٤ ، وفي اللسان (ح ق ق) و (ط ل ع) ، وفي الأزمنة والأمكنة ٣٨٢/٢ ، والمخصّص ١٦/٩ .

- والحِقُّ : الجمل إذا بلغ أن يُحْمَل عليه ، وهو الذي استكمل ثلاث سنين ودخل في الرابعة . والجذع : الشّاب القويّ .

قال ابن قتيبة : وإذا طلع (سُهَيل) مغرب الشمس استبدلت الإبل الأسنان . قال الشاعر (البيتان ..) ، وقد دلّل على أنه وقت النّتاج العام ووقت اللقاح والطرق .

(١٣٣) سعد بُلَع نَجمان معترضان خفيّان ، ويقال (اللسان س ع د) إنّما سمّي بُلَعاً لأنه كان لقرب صاحبه منه يكاد يبلعه .

(١٣٤) الأنواء ٧٨ ، والأزمنة والأنواء ١٤٥ ، والأزمنة والأمكنة ١٨٣/٢ ، والمخصّص ١٦/٩ ، والمزهر ٥٣٠/٢ ، =

الْمُرَع ، وصارَ في الأَرض لُمَع ! » . الْمُرَع : طيرٌ ، واحدته مُرعَة ؛ كأنَّه في هـذا الوقت يقطع .

وطلوعُه لليلةٍ تَبْقى من كانون الآخر .

ثمَّ سعـدُ السُّعود[١٣٥] ، وهو ثلاثـة كواكب ، أحـدهـا نَيّر ، والآخران دونـه . وهم يَتَيَمَّنُون به .

قـال السّـاجع[١٣٦] : « إذا طَلع سعـدُ السُّعود : نَضَّرَ العودُ ، ولانَت الْجُلود ، وكَرِهَ النّاسُ في الشَّمسِ القُعود » .

وطلوعُه لاثنتي عشرة تَمْضِي من شباط .

ثمَّ سَعدُ الأَخْبِيَة[١٣٧] ، وهو أربعةُ كواكبَ مُتَقاربة . واحدٌ منهـا في وسطهـا وهي تُمَثَّل بِرجل بَطَّة ، يقال : إنَّ السَّعد منها واحدٌ وهو أَنْوَرُها ، والثّلاثةُ أَخْبِيَة .

= وعجائب المخلوقات ٥٠ .

ـ والرُّبع من أولاد الإبل مانُتِجَ من أول النِّتـاج ، واقتحـامُـه أن يقوى في مشيـه ويُسرع فلا يُضبـط . والهُبَعُ : مـانُتِجَ في أول النِّتـاج ضعيفـاً ، وسمّي هُبَعـاً لأنـه إذا مشى خلف أُمِّـه هَبَع أي استعـان بعنقه لضعفه . وقولـه : « لحق الهُبَع » أي قويَ شيئـاً بهـا فهو يلحق الرُّبَع . والْمَرَعُ : طـائر يكون في الْخُضرة والعُشب . واللُّمَعُ : البُقع من النبات والكلأ .

(١٣٥) سعد السعود كوكبـان ، وهي أحمد السُّعود : ولـذلـك أُضيف إليهـا . وقـال الجوهري : هو كوكبٌ نيِّر منفرد .

(١٣٦) الأنواء ٧٩ ، والأزمنـة والأنواء ١٤٧ ، والأزمنـة والأمكنـة ١٨٤/٢ ، والمخصَّص ١٦/٩ ، والمزهر ٥٣٠/٢ ، وعجائب المخلوقات ٥٠ .

ـ وقولـه : نضَّر العود ، لأنَّ المـاء قـد جرى فيـه فصـار نضْراً غَضّاً . و « لانت الجلود » لـذهـاب يبس الشتاء .

(١٣٧) سعد الأخبية ثلاثة كواكب على غير طريق السعود ، مائلة عنها ؛ وفيها اختلاف وليست بخفية غامضة ولا مضيئة منيرة . سُمّيت سعد الأخبية لأنها إذا طلعت خرجت حشرات الأرض وهوامّها من جحرتها ؛ وقيل سعد الأخبية ثلاثة أنجم كأنها أثاف ، ورابع تحت واحد منهنّ .

قـال سـاجعُ العرب [١٣٨] : « إذا طلَع سعـدُ الأَخْبِيـةِ : دُهِنَت الأَسْقِيَـة ، ونَـزلت الأَحْوِية ، وتَجاورت الأَبنية » . الحواء : جَماعاتُ البُيوت ؛ لأَنَّهم ينتَقِلُون عن مَشْتَـاهم ويَتجاوَرُون .

وطلوعُه لخمسٍ وعشرينَ تخلُو من شُبَاط .

ثمّ الفَرْغُ المُقَـدَّم [١٣٩] : [٤٩/أ] فَرْغُ الـدَّلو : مصبُّ المـاء بين العُرْقُوتَيْن . والـدَّلو أربعةُ كواكب مُرَبَّعة ، اثنان منها : الفَرْغُ المُقَدَّم ، واثنان : الفَرْغُ المُؤَخّر .

قـال سـاجعُ العَرب [١٤٠] : « إذا طَلع الـدَّلو : هِيْبَ الجزو ، وأَنسل العَفو ، وطَلَب اللَّهوَ الخِلْو » . فجمَع في السَّجـع القـولَ للفرغين بـذكر الـدَّلـو . قـولـه : هِيْبَ الجـزو ؛ يريد : قد خِيْفَ أَلاّ تكْتَفِيَ الإبل بـالرُّطَبِ من المَـاء . وأَنسل : سقـط نَسِيْلُـه ، وهو وَبَرُه . والعَفْوُ : ولَدُ الحِمَار .

وطلوعُه لتسعٍ خَلون من آذار .

ثمَّ الفرغُ المُؤَخَّر ، وهـو يلي الفَرغ المُقَـدَّم ، ونَـوءَاهُما مَحْمُـودان ، قـال أُمَيَّـة بن

---

(١٣٨) الأنواء ٨٠ ، والأزمنـة والأنواء ١٤٩ ، والأزمنـة والأمكنـة ١٨٤/٢ ، والمخصّص ١٦/٩ ، والمـزهر ٥٣٠/٢ ، وعجائب المخلوقات ٥٠ .

ـ وقوله : تُدهن الأسقية : لأنها كانت قد يبست في الشتاء لتركهم الاستقاء بها .

(١٣٩) الفَرْغُ : نجم من منـازل القمر ، وهمـا فَرْغـان منزلان في برج الـدّلـو : فرغ الـدّلـو المقدّم وفرغ الـدّلـو المؤخّر ، وكلّ منهما كوكبان نيّران ، بين كل كوكبين قدر خمس أذرع في رأي العين .

(١٤٠) الأنواء ٨٢ ، والأزمنـة والأنواء ١٥١ ، والأزمنـة والأمكنـة ١٨٤/٢ ، والمخصص ١٦/٩ ، والمـزهر ٥٣٠/٢ ، وعجائب المخلوقات ٥١ .

ـ والجَزْو (وأصلـه الجَزْء) أن تُترك المـاشيـة لا تُسقى ولا تُورد اكتفـاءً بمـاء السَّفى ، وهو نبتٌ يرتفـع قدر شبر تجدُ الغنم بـه وجْداً شـديـداً (تلـذّه وتطلبـه) مـادام أخضر ؛ وهي أنجعُ المراعي . فـإذا جَفّ السّفى خيف ألا تكتفي به من الماء .

ـ وأنسل العفو : سقط وبرُ ولد الحمار ، وهو يستجدُّ مكان وبره وبراً (جديداً) كل سنة .

ـ والخِلْوُ : العَزَبُ ، وقوله : طلبَ اللهو أي طلبَ التزويج .

أبي عائِذ ، وذكر حَميراً[١٤١] :

[من المتقارب]

وَأَوْرَدَهَـــــا فَيْـــحُ نَجْمِ الفرو غِ مِنْ صَيْهَـــــدِ الْحَرِّ بَرْدَ السِّمالِ

الصَّيْهَد : شِدَّة الحرّ . السُّمْلة : الفضلة[١٤٢] .

وطلوعُه لاثنتين وعشرين تخلُو من آذار .

ثمَّ بطن الحوت[١٤٣] ، الحوتُ : كواكبُ كثيرةٌ مثل خِلقة السَّمكة . وفي موضع البَطن من أحد شِقَّيْ كواكِبها نجمٌ منيرٌ يُسَمّى : بطنَ الْحُوت ، ويُسَمّى : قَلْبَ الْحُوت ..

قال السَّاجع[١٤٤] : « إذا طلعت السَّمكة : أَمكنت الْحَركة ، وتَعلَّقت الْحَسَكة ، ونُصبَت الشَّبَكة ، وطابَ الزَّمانُ للنَّسَكة ! » .

الْحَسَكةُ : شوكَةُ السَّعدان ؛ يعني : قد اشتدَّ النَّبْتُ فتعلَّقت الْحَسَكة بالثَّوب ، ونُصِبَت الشَّبَكَةُ للطَّيْر ؛ لأنَّها تسقطُ حِينئذٍ في الرِّياض .

---

(١٤١) هو أُميّة بن أبي عائذ أحد شعراء هُذَيل ، والبيت في ديوان الهذليّين ، والأنواء ٨٤ ، واللسان (ف ر ع) و (ص هـ د) ، و (س م ل) . وفيها « برد الشّمال » .

وفي اللسان (س م ل) : « أي أورد العَيْرُ أُتُنَه برد السّمال في فيح نجم الفروغ » . والفيح : فورَانُ الحَرّ .

- ويُروى البيت بفتح كلمة « فيح » .

- وبالضّمّ : يعني أن الحرّ الشديد أوردَ الْحُمُرَ الماء .

(١٤٢) والسِّمالُ والسَّمَلُ جمع السّملة : فضلة الماء في الْحَوض .

(١٤٣) في اللسان : الحوت بُرج في السّماء .

(١٤٤) الأنواء : ٨٥ ، والأزمنة والأنواء ١٥٦ ، والأزمنة والأمكنة ١٨٤/٢ ، والمخصّص ١٦/٩ ، والمزهر ٥٣٠/٢ ، وعجائب المخلوقات ٥١ .

وربّما عـدلَ القمرُ[١٤٥] فنزلَ بـالسَّمكـةِ الصُّغرى ، وهي أعلى في الشّمال ، على مثـال صُورة الْحُوت ، إلاّ أنَّها أَعرضُ وأَقصر ، وهي تحتَ نَحْرِ النَّـاقـة . وقـد يُسَمّى الحوتُ : الرِّشَاء .

وطُلوعُه لأربعٍ خَلونَ من نَيْسَان .

ثمَّ يطلعُ [٤٩/ب] بعد طُلوعِ الْحُوت : الشَّرَطان[١٤٦] ، ويعودُ الأمرُ على مـا كان عليه في السَّنةِ الأُولى .

والقمَرُ ينزلُ بهذه المنازل مُقارناً ، وربما نَزل مقـارنـاً للمنزل ، وربّما نزل بـالفُرْجـة بين الْمَنزلين ؛ ويَسْتَحِبُّون نُـزولَـهُ بـالفُرَج ، ويكرهـون الْمَكالِح[١٤٧] ؛ يُقـال : كالـح القَمَرُ : إذا لم يعدِل عن الْمَنزل .

ومن البُروج ما يُشاكل اسمُه صورتَه كالعَقرب والحوت . ومنهـا مـا لا يشـاكل اسمُـه صورته ، ومن الْمُشاكل الاسم الصُّورة : مـا يكونُ بعض صورتـه لـه ، وبعضُهـا لغيره ، ولذلك زاد بعضُها على عَدد منازِله ، ونقصَ بعض .

فإذا قطَع القَمر دائرةَ الفَلك بتنقُّلِه في هذِه الْمَنازل عـاد كما قـال تَبـارك وتعـالى : ﴿ كَالعُرْجُونِ ٱلقَدِيمِ ﴾ [يس : ٣٦/٣٩] ، والعُرجون عُود العِذْق[١٤٨] ، فـإذا جَفَّ وقَـدُمَ دقَّ وصَغُر واستَقْوَس ، فحينئذ يُشبه الهلال .

وتقـدير عرجون : فُعلُون ، من الانعراج . وقـال بعضُ العرب ، وقـد ضَلَّ بمفـازَةٍ سار فيها ، والقَمرُ بدرٌ حتّى عاد إلى النُّقصان ، يخاطب جَمَلَهُ[١٤٩] :

---

(١٤٥) في اللسان (رش أ) : الرشاء : من منازل القَمر ؛ (وهو على التشبيه بالحبل) .

(١٤٦) اللسان (ش ر ط) ، وانظر الحاشية (١٠) من تفسير هذه السُّورة .

(١٤٧) لم ترد في اللّسان .

(١٤٨) العِذْق : العُرجون بما فيه من الشماريخ .

(١٤٩) أسْأَر منه شيئاً أي أبقى ، يقال في الطعام والشراب وغيرهما .

=

[من المديد]

اِشْـقِ مَـــا أَشْــأَرْتَـــهُ الأَكَمَـــا ... إنَّ عَيْشـــــاً أَنْ تَرَى عَلَمَـــــا
كَيْفَ لا تُغْـــــــوَى بِسِيْرَةِ مَنْ ... عَـــادَ طِفْـلاً بَعْـدَ مَـــا هَرِمَـــا

وقـد شبَّهت الشعراء القَمر في أوّلِ طُلوعـه فـأكثرت ، ولم تَـأتِ بتشبيـهِ القُرآن مـع استِقْصَائِها وبحْثِها في ذلك ، وطَلَبِ الآخر التُّقدُّمَ على الأوَّل ، واعتادِ كلٌّ منهم الإغرابَ في القَول ، والزِّيـادةَ في التَّشبيـه على غيره ، حتّى شَبَّهـه بعضُ العَرَب بِقُـلامَـةِ الظُّفر ، فقال[150] :

[من المتقارب]

كَـــأَنَّ ٱبْنَ مُـــزْنَتِهَـــا جـــانِحـــاً ... فَسِيْـطٌ لَـدَى الأُفْـقِ مِنْ خِنْصَرِ[151]

[٥٠/أ] وزاد الآخر في معنى التَّشبيه فقال :

[من الطويل]

وَلاَ قَمَرٌ إلاَّ صَغِيرٌ كَـــــأَنَّـــــهُ ... قُـلاَمَـةُ أُظْفُـورِ الفَتَـاةِالْمُخَضَّبِ[152]

وقال العَبَّاسِيّ في هذا التَّشبيه ، وذكر زائراً[153] :

= ـ وفي الحديث : « إذا شربتم فأسئروا » ، أي أبقوا من الشراب بقية في قعر الإناء .

(١٥٠) البيت لعمرو بن قميئة في ديوانه (٧٩) .
ـ وهو في اللسان (ق س ط) ونثار الأزهار .

(١٥١) ابن مُزنة : الهلال . والفسيط : قُلامة الظُّفر .
قال في التهذيب : أراد الشاعر بابن مزنتها هلالاً أهلّ بين السحاب في الأُفق الغربيّ . ويروى كأن ابن ليلها : يصف هلالاً طلع في سنة جدب ، والسماء مغبّرة ، فكأنه من وراء الغُبار قلامة ظفر . ويُروى : قصيص موضع فسيط ، وهو ما قُصّ من الظفر وراء الغبار قلامة ظفر . ويُروى : قصيص موضع فسيط ، وهو ما قُصّ من الظفر .

(١٥٢) يُقال هو ظُفر ، وأُظفور : وتجمع هذه على أظافير .

(١٥٣) هو ابن المعتزّ ، والبيت في ديوانه ـ طبعة دار المعارف (٢٥١/٢) .

[من البسيط]

وَلاَحَ ضَوْءُ هِـلاَلٍ كَـادَ يَفْضَحُنَـا   مِثْلَ القُلامَةِ قد قُدَّتْ مِنَ الظُّفُرِ[١٥٤]

وقال بعضُ العرب في غير هذا التَّشبيه ، وأحسنَ[١٥٥] :

[من الطويل]

لَقَـدْ سَرَّني أَنَّ الهِـلاَلَ غُـدَيَّـةً   بَـدَا وَهْوَ مَخْفُورُ الْخَيَـالِ دقيـقُ
طَـوَاهُ مُرورُ الـدَّهْرِ حَتَّى كَـأَنَّـهُ   عِنَـان لَـوَاهُ بـاليَـدَيْنِ رَفِيـقُ

ولِلْمُحْدَثين فيه تَشبيهاتٌ مُخْتَرَعة ، منها قولُ ابنِ الْمُعتزِّ أيضاً[١٥٦] :

[من الكامل]

وَانْظُرْ إلَيْـهِ كَـزَوْرَقٍ مِنْ فِضَّـةٍ   قَـدْ أَثْقَلَتْـهُ حُمُـولَـةٌ مِنْ عَنْبَرِ

وقوله أيضاً[١٥٧] :

[من الرَّجز]

وَقَـدْ بَـدَتْ فَـوْقَ الهِـلاَلِ كُرَتُـهْ
كَهَـامَـةِ الأَسْـوَدِ شَـابَتْ لِحْيَتُـهْ

وقوله أيضاً[١٥٨] :

---

(١٥٤) ـ قُدّت : قُطِعت .

(١٥٥) الشّعر في ثمار الأزهار ٦٥ ، وفيه : لقد سَرّني أن الهلال لناظري ..

(١٥٦) ديوان ابن المعتز ـ طبعة دار المعارف (١٨٥/٢) .

(١٥٧) ديوان بن المعتز ـ طبعة دار المعارف (١٥٧/٢) وروايته :

إذا الهـلالُ فـارقتـه ليلتُـهْ   بَـدَا لمن يبصرهُ وينعتُـهْ
كأنّه أسْمَرُ شابَتْ لِحْيَتُهْ

(١٥٨) ديوان ابن المعتز ـ طبعة دار المعارف (٥١/٢) .
ـ والوقْفُ : سوارٌ من عاج .

[من الكامل]

في لَيلـــةٍ أَكلَ الْمَحـــاقُ هِـلاَلَهـــا حَتَّى تبَــدّى مِثْـلَ وَقْفِ العَـــاجِ

وقال الآخر[159] :

[من الرّجز]

مَـــا لِلهِــلالِ نَـــاحِـلاً فِي الْمَغْرِبِ
كالنُّـــونِ إِذْ خُـــطَّ بِماء الـــذَّهبِ

وقد شبَّهُوا أنضاءَ الرَّكائب بالأَهِلَّة ، فقال بعضُ العرب ، وهو من أبياتِ الْمَعاني :

[من الكامل]

ضَمِنَتْ لَهُمْ أَرْمـــاقَهُمْ أَسْـــآرَهَـــا وَجُرُومُهَـــا كَـــأَهِلَّـــةِ الْمَحْـلِ[160]

يصف قوماً افتظّوا إبلهم[161] فَشَرِبُوا ما في كُروشها بعدما أَنْضَاها السَّيْر .

وقال ذو الرُّمّة[162] :

[من الطويل]

أَلَمَّتْ بِنَـــا وَالعِيْسُ حَسْرَى كَـأَنَّهـــا أَهِلَّـــةُ مَحْـلٍ زَالَ عَنْهَـــا قَتَـــامُهَـــا

وقال أَيضاً في تشبيه النُّؤْي بالأَهِلّة[163] :

---

(١٥٩) في ديوان المعاني ٣٤٠/١ ولم ينسبه .

(١٦٠) أرماق جمع رمق ، وهو بقيّة الحياة .
وأسآر جمع سُؤر ، وهو البقية من كل شيء ، أراد بقية الماء . وجروم جمع جرم ، وهو البدن .

(١٦١) افتظّ البعير : شقّ عنه الكرش أو عصره منها ؛ والفَظُّ : الماء يخرج من الكرش ، والجمع الفُظوظ .

(١٦٢) البيت لذي الرُّمّة في ديوانه ١٣٣٠/٢
ـ والعيس : النوق البيض ، والْحَسْرى : المزيلة . والقَتامُ : الغُبار .

(١٦٣) ديوان ذي الرّمة ٩٩٩/٢ .

[من الطويل]

فَلَمْ يَــدْرِ إلاّ اللهُ مَــا هَيَّجَتْ لَنَــا أَهِلَّــةُ آنــاءِ الــدِّيــارِ وَشَــامُهَــا

وقال جرير ـ يذكرُ ما أبلت السِّنُون من جَدِيده ، وحَنَتْ من عُوده [٥٠/ب] حتى عاد كالهِلال ـ وأحْسنَ(١٦٤) :

[من الوافر]

أَرَى مَرَّ السِّنِينَ أَخَــــذْنَ مِنِّي كَمَــا أَخَــذَ السِّرَارُ مِنَ الهِــلاَلِ

فأمّا تشبيهُهم الوجوهَ بالأَهِلَّةِ والقَمَرَيْنِ فمشهور كثير ، ومنه قول ذي الرُّمّة(١٦٥) :

[من الوافر]

كَــأَنَّ النَّــاسَ حِينَ تَمُرُّ حَتَّى عَـوَاتـقَ لَمْ تَكُنْ تَــدَعُ الحِجَــالا

قِيَــامــاً يَنْظُرونَ إِلَى بِــلاَلٍ رِفَــاقُ الْحَــجِّ أَبْصَرتِ الهِــلالا

ويُستحسن قول الأوّل(١٦٦) :

[من الكامل]

بَيْضَــاءُ آنِسَــةُ الْحَــدِيثِ كَــأَنَّهــا قَمَرٌ تَــوَسَّــطَ جُنْــحَ لَيْــلٍ مُبْرِدِ

وَمِنْ أَحْسَنِ الكلام وأَخْصَرِه قولُ بعضِ العرب ، وقد خَلا بِمَنْ أَحبَّ : « ما زال

---

(١٦٤) البيت في ديوان جرير ٥٤٦ .

ـ والسّرار : آخر ليلة من الشهر ؛ فإذا كان الشهر تسعاً وعشرين كانَ سرارُه ليلة ثمانٍ وعشرين .

(١٦٥) ديوان ذي الرُّمّة ١٥٣٩/٣ .

ـ خَبَرُ « كأنَّ » قولُهُ في البيت التالي : « رفاقُ الحجّ ... » و « عَوَاتقَ » مجرورٌ بالفتحة ، جمع عاتق ، وهي البنت التي أدركت ولم تتزوّج بعدُ . والحِجال : جَمْعُ حَجَلةٍ ، وهو بيتها الذي تلازمُه .

و « قياماً » منصوبة على الحاليّة .

(١٦٦) آنسه الحديث : طيّبه الحديث .

القَمَرَ يُرينيها حتّى إذا غابَ أَرتْنِيهِ » . وأخذ ذلك البحتريّ فقال[١٦٧] :

[من الطويل]

أَضَرَّتْ بِضَوْءِ البَدْرِ وَالبَدْرُ طَالِعٌ ... وَقَامَتْ مَقَامَ البَدْرِ لَمَّا تَغَيَّبَا

على أنَّ قولَ الأعرابيّ أسبق وأحذق ، أنشده الأنباري[١٦٨] :

[من الطويل]

إِذَا ٱحْتَجَبَتْ لَمْ يَكْفِكَ البَدْرُ فَقْدَهَا ... وَيَكْفيكَ مِنْها البَدْرُ إنْ فُقِدَ البَدْرُ

وحدّثني الأمير أبو محمّد الحسنُ بنُ عيسى رحمه الله قال : قال عليُّ بنُ الجهم : « قلت لجاريةٍ لي : نَجْعَلُ اللَّيْلَةَ مَجْلِسَنا في القَمَرِ ؛ فقالَتْ : ما أَولعَكَ بالْجَمْعِ بينَ الضَّرائرِ ! » .

وأنشدني لأبي بُدَيل الوَضّاح بن مُحَمَّد التَّميْمِيّ يمدحُ المُسْتَعين :

[من الطويل]

وَقَائِلَةٍ وَاللَّيْلُ قَدْ نَشَرَ الدُّجى ... فَغَشَّى بِهِ مَا بَيْنَ سَهْلٍ وَقَرْدَدِ[١٦٩]

أَرى بَارِقاً يَبْدُو مِنَ الْجَوْسَقِ الَّذي ... بِهِ حَلَّ مِيْرَاثُ النَّبيِّ مُحَمَّدِ

فَظَلَّ عَذارى الجِزْعِ يَنْظِمْنَ حَوْلَهُ ... ظَفَاريَّةَ الْجَزْعِ الَّذي لم يُسَرَّدِ

فَقُلْتُ : هُوَ البَدْرُ الَّذي تَعْرِفينَهُ ... وَإلاَّ يَكُنْ فَالنُّورُ مِنْ وَجْهِ أَحْمَدِ !

---

(١٦٧) البيت للبحتري في ديوانه ١٩٧ .

(١٦٨) البيت في الحماسة المغربية من قطعة في باب أوصاف النّساء من باب الغزل .

(١٦٩) القَرْدَدُ من الأرض : قُرنَه إلى جنب وهدة ؛ وعبّر عنه في اللسان ثانية بأنه : ما ارتفع من الأرض ، وقيل : ما ارتفع وغَلُظ .

[170] [وأنشدني البَجَليّ لِبَعْضِ الْمُحْدَثِين أيضاً :

[من الطويل]

ومـأخُـوذَةٍ بـالطَّرْفِ مِنْ كُـلِّ جَـانِبٍ مُقَسَّمَــــةٍ بَيْنَ الظُّنــونِ الكَــواذِبِ
لَهَــا مَنْظَرٌ لَـوْ كَــانَ لِلْبَــدْرِ مِثْلُــهُ تَــأَخَّرَ كِبْراً عَنْ جِوارِ الكَواكِبِ !] [170]

وقد عكَسُوا التَّشْبيه أيْضاً في هذا البابِ [171] ، فقالَ الآخر :

[من الكامل]

وَالبَــدْرُ في أُفُـقِ السَّماءِ كَــأَنَّــهُ وَجْــهٌ أَحَــاطَ بِــهِ قِنــاعٌ أَزْرَقُ

وقال ابن المعتزّ في المعنى ، وجمع بين تشبيهين ، إلاّ أنّه أورد ذلك في بيتين [172] :

[من مجزوء الرّمل]

وَكَــأَنَّ البَــدْرَ لَمَّــا لاَحَ مِنْ تَحْتِ الثُّرَيَّـــا
مَلِـــكٌ أَقْبَــلَ في تَـــاجٍ يُفَــدَّى وَيُحَيَّـــا

وقد قَرن تشبيهَ الهلالَ بتشبيهِ الثُّرَيَّا أيضاً في غيرِ هـذا المعنى ، فجمعَ بينَ تَشبيهَيْن في بيتٍ واحدٍ فقال [173] :

[من المنسرح]

يَتْلُــو الثُّرَيَّــا كَفَــاغِرٍ شَرِهٍ يَفْتَـحُ فَــاهُ لأَكْــلِ عُنْقُــودِ !

وأهـلُ العلمِ بـالشّعر مُجْمِعُـونَ على أنَّ أحْسَنَ التَّشبيـهِ مـا يُقـابَلُ فيـه تَشبيهـان

---

(١٧٠) ما بين معقوفتين لم يرد في : (ف) .
(١٧١) وعُرِف عند البلاغيِّين بالتشبيه المقلوب .
(١٧٢) ديوان ابن المعتز ـ طبعة دار المعارف (٣٢١/٢) ؛ وروايته : « كأنَّ الصبح » .
(١٧٣) ديوانه ـ طبعة دار المعارف (٢٤٦/٢) .
ـ وهو في ديوان المعاني ٣٣٤/١ .

بتشبيهَين ؛ وأنَّ أحداً لم يقُلْ أحسن من قولِ امرئِ القَيس[174] :

[من الطويل]

كَأنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ رَطْباً وَيَابِساً ... لَدَى وَكْرِهَا العُنَّابُ وَالْحَشَفُ البالي

وحُكي أنَّ بشاراً قال : ما زلتُ منذ سمعتُ بيتَ امرئِ القيس أُزاوِلُ أنْ أُقابل مُشَبَّهين بتشبيهَيْن حتى قُلت[175] :

كَأنَّ مُثَارَ النَّقْعِ فَوْقَ رُؤوسِنا ... وَأَسْيَافَنا ، لَيْلٌ تَهَاوى كَواكِبُهْ

ويُذكِّر بيتُ امرئِ القيس ما حدَّثني به سالم بن المحسِّن [الكاتبُ ، إملاءً من حفظه] قال : قال الأصمعيّ : استَدْعاني الرَّشيد في بعض اللَّيالي ، فَراعني رسلُه ، فلَمّا مَثَلتُ بين يديه إذا في المجلس يَحيى بن خالد وجعفر والفضل ، فلَمّا لحظني الرَّشيد استَدْناني فَدَنَوت ، وتَبَيَّن ما لَبِسَني من الوَجَل ، فقال : لِيُفْرَخْ رَوْعُكَ[176] ، فما أردناك إلاّ لِمَا يُرادُ له أَمثالُك . فمكثتُ هُنيهةً حتّى ثابَتْ نفسي ، فقال : إنِّي نازعت هؤلاء في أشعر بيتٍ قالتهُ العربُ في التَّشبيه ، ولم يقع إجماعُنا على بيتٍ يكونُ الإيماءُ إليهِ دونَ غيره ، فَأَرِدْنَاكَ لِفَصْلِ هذه القَضيّة ، واجتناء ثَمرة الخِطَار[177] فيها .

فقلت : يا أمير المُؤمنين ، التَّعيينُ على بيت واحد في نوع قد توسَّعت فيه الشُّعراء ، ونَصبته مَعْلَماً لأفكارها ومَسْرَحاً لِخَواطرها ، لَبَعيدٌ أن يقع النَّصّ عليه ، ولكنْ أَحسنُ النّاسِ تشبيهاً امرؤ القيس ! قال : في ماذا ؟ قلت : قوله[178] :

---

(١٧٤) البيت لامرئ القيس من لاميّته المشهورة ، في ديوانه (٣٨) .

ـ العُنَّاب : ثَمَرٌ لونه أحمر . والْحَشَفُ : أردأ التمر .

(١٧٥) ديوان بشار بن بُرد .

(١٧٦) ليفرخ روعك : معنى : فَرَخَ الروع : ذهب الفزع . ومعنى : لِيُفْرَخْ رَوْعُكَ : أي ليذهب رعبك وفزعك فإن الأمر ليس على ما تُحاذر .

(١٧٧) الخِطار والمُخَاطرة : المُرَاهَنَة .

(١٧٨) البيت لامرئ القيس في ديوانه ٥٣ .

[من الطويل]

كَـأَنَّ عُيُونَ الـوَحْشِ حَـوْلَ خِبـائِنَـا وَأَرْحُلِنَـا الْجَـزْعُ الَّـذِي لَمْ يُثَقَّبِ

وقوله أيضاً[179] :

[من الطويل]

كَـأَنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ رَطْبـاً وَيَـابِسـاً لَدَى وَكْرِها العُنَّـابُ الْحَشَفُ البَـالي

وقولُه أيضاً[180] : [51/ب]

[من الطويل]

سَمَـوْتُ إلَيْها بَعْـدَ مَـا نَـامَ أَهْلُهَـا سُمُوَّ حَبابِ الْمَـاءِ حَـالاً عَلَى حَـالِ

قال : فَالْتَفَتَ إليَّ يحيى ، وقال : هذه واحـدة ، قـد نصَّ على أنَّ امرأَ القيس أبرعُ النّاس تشبيهاً ، فقال يحيى : هي لكَ ياأمير المؤمنين !

ثمّ قال لي الرَّشيد : فما أبرعُ تشبيهاتِه ؟ قلت : قولُه في صفةِ الفَرس[181] :

[من المتقارب]

كَـأَنَّ تَشَـوُّفَـهُ بِـالضُّحى تَشَـوُّفُ أَزْرَقَ ذي مِخْلَبِ
إذا بُـزَّ عَنْـهُ جِـلالٌ لَـهُ تقـولُ : سَليبٌ ، ولَمْ يُسْلَبِ

فقال الرَّشيد : هذا حسَن ، وأحسن منه قولُه[182] :

[من الطويل]

(179) البيت في ديوانه 38 .

(180) البيت في ديوان امرئ القيس 31 .

(181) لم يَرد البيتان في ديوان امرئ القيس .

(182) ديوان امرئ القيس 176 ، وروايته : « ورُحنا ... تَصَوَّبُ فيه ... » .

فَرُحْنَـا بِكَـأَبْنِ المـاءِ يُجْنَبُ وَسْطَنـا   تَصَعَّـدُ فِيـهِ العَيْنُ طَـوْراً وَتَرْتَقي

فقال جعفر : يا أمير المُؤمنين ما هذا هو التّحكيم !

قال الرَّشيد : وكيف ؟ قال : يَـذكر أميرُ المؤمنين مـا كان اختِيـارُه وقع عليـه ، ونذكر مـا اخْتَرنـاه ، ويكونُ الْحُكْمُ واقعـاً من بَعْـدُ ، فقـال الرَّشيـد : أَمْرَضْتَ ! قـال الأصمعيّ : فاستَحْسَنْتُها منه ، يقال : أَمْرَض الرَّجُل ، إذا قاربَ الصَّواب .

ثمَّ قـال الرَّشيـد : تَبـدأ يـا يحي ! فقـال يحي : أَشعرُ النَّـاسِ تشبيهـاً النـابغـة في قوله[183] :

[من الكامل]

نَظَرَتْ إِلَيْـكَ بِحَـاجَـةٍ لَمْ تَقْضِهَـا   نَظَرَ الْمَرِيضِ إِلَى وُجُـوهِ العُـوَّدِ

وفي قوله[184] :

[من الطويل]

فَـإِنَّـكَ كَـاللَّيْـلِ الَّـذِي هُـوَ مُـدْرِكي   وَإِنْ خِلْتُ أَنَّ الْمُنْتَـأى عَنْـكَ وَاسِعُ

وفي قوله[185] :

[من البسيط]

مِنْ وَحْشِ وَجْرَةَ مَـوْشيٌّ أَكَـارِعُـهُ   طَاوِي الْمَصيرِ كَسَيْفِ الصَّيْقَلِ الفِردِ

قال الأَصمعي : فقلتُ : أَمّا تشبيهُهُ مرضَ الطَّرف فَحَسَنٌ ، إلاّ أنَّـه قـد هجنـه[186]

---

(١٨٣) ديوان النابغة الذُّبياني ٩٣ ؛ وروايته « نَظَرَ المريضِ .. » .

(١٨٤) ديوان النابغة الذبياني ٣٨ .

(١٨٥) ديوان النابغة الذُّبياني ١٧ .

(١٨٦) **هَجَّنَهُ : قَبَّحَهُ** .

بذكر العِلّة ، وتَشبيه المرأة بالعَلِيل . وأحسن منه قولُ عدِيّ بنِ الرِّقاع[١٨٧] :

[من الكامل]

[٥٢/أ] وَكَأَنَّها ، بَيْنَ النِّسَاء أَعَارَها عَيْنَيْـهِ أَحْـوَرُ مِنْ جَـآذِرِ جَـاسِمِ
وَسْنَـانُ أَقْصَـدَهُ النُّعَـاسُ فَرَنَّقَتْ في عَيْنِـهِ سِنَـةٌ وَلَيْسَ بِنَـائِمِ[١٨٨]

وأَمَّا تشبيهُ الإدراك بـاللَّيل فقـد يتسـاوى الليل والنهـار فيما يُـدركانِـه ، وإنَّما كانَ سبيلُه أن يأتيَ بما ليسَ له قَسِيم ، حتّى يأتِيَ بمعنى يَنفردُ به ، ولو شاء قـائل أن يقول : قَوْلُ النُّمَريّ أحسن ، لَوَجَدَ مَسَاغاً ، وهو قوله[١٨٩] :

[من الطويل]

فَلَوْ كُنْتُ بِـالعَنْقَـاء أَوْ بِـأُطُـومِهَـا لَخِلْتُـكَ إلاَّ أَنْ تَصُـدَّ تَرَاني[١٩٠]

وأمّا قولُـه : « كَسَيْفِ الصَّيْقَلِ الفَرَدِ » فـالطِّرِمّـاح أَحَقُّ بهـذا المعنى ؛ لأنَّـه أَخَـذَه فجوَّده وزَادَ عَليه ، وإنْ كان النّابغة افْتَرعه ؛ وقولُ الطِّرِمّاح[١٩١] :

[من الكامل]

يَبْـدُو وَتُضْمِرُهُ البِـلاَدُ كَـأَنَّـهُ سَيْفٌ ، على شَرَفٍ ، يُسَلُّ وَيُغْمَـدُ

فقد جَمَع في هذا البيت استعارةً لطيفةً بقوله : « وتُضْمِرُه البلاد » ، وتشبيـهَ اثنين

---

(١٨٧) البيتان في ديوان عديّ بن الرّقاع (١٢٢) ، ورواية البيت الأوّل فيه « وَسْطَ النساء » .

(١٨٨) رنّق : دَارَ وماجَ .

(١٨٩) النُّمَريُّ هـذا غيرُ مَنصورٍ النّمريّ ؛ وهو مُحَمَّـد بن عبـد الله بن نُمَيْرٍ الثَّقفيّ ، وكانَ شبَّب بزينب بنت يـوسف أخت الْحَجَّـاج ، وهَرَبَ ، وأُتِيَ بِـهِ في خَبَرٍ ذَكَره المبرّد في الكامـل (٦٢٨/٢) ، والبيت في الكامل (٦٢٩/٢) وروايته : « أو بأَسْوِمِهَا » .

(١٩٠) العنقـاء : ذَكَر يـاقوت أنّهـا أكَمَـةٌ فَوْقَ جُبَيْـلٍ مُشْرِفٍ بِنَـواحي البَحْرَيْن . والعنقـاءُ : طـائرٌ خُرَافيّ ؛ يسمّونه عنقاءُ مُغْرِب .

(١٩١) البيت للطِّرِمّاح في ديوانه ١٤٦ .

باثنين في قوله : « يَبْدُو ... ويختفي » و « يُسَلّ ويُغمَد » ، وجمعَ حُسْنَ التقسيم ، وصحّةَ المقابلة .

قال : فاستَبْشَر الرَّشيدُ وبَرقت أَساريرُ وجهه[١٩٢] حتى خِلتُ بَرقاً يُومض منها ، وقال ليحي : نَضَلْتُكَ ورَبِّ الكعبة[١٩٣] ! وامتُقِع يحي فكأنّ الْمَلَّ ذُرَّ على وجهه[١٩٤] . فقال الفضل : لا تعجَلْ يا أميرَ الْمُؤمنين حتّى يمرّ ما قلتُه أيضاً بِسَمعه ، فقال : قُلْ ! قال : قولُ طَرَفَة[١٩٥] :

[من الطويل]

يَشُقُّ حَبَابَ الْمَاء حَيْزومُها بِهَا ... كَمَا قَسَمَ التُّرْبَ الْمُفَايَلُ بِاليَدِ

وقوله أيضاً[١٩٦] :

[من الطويل]

لَعَمْرُكَ إنَّ الْمَوْتَ مَا أَخْطَأَ الفَتَى ... لَكَالطِّوَلِ الْمُرْخَى وَثِنْيَاهُ بِاليَدِ

وقوله أيضاً[١٩٧] :

[من الطويل]

وَوَجْهٍ كَأَنَّ الشَّمْسَ حَلَّتْ رِدَاءَهَا ... عَلَيْهِ ، نَقِيُّ اللَّوْنِ لَمْ يَتَخَدَّدِ

قال : فقلتُ : هذا حَسنٌ كُلُّه ، وغيره أحسن منه ، وقد شَرِكَهُ في هذه [٥٢/ب] المعاني جماعةٌ من الشعراء . وبَعْدُ : فَطَرَفَةُ صاحِبُ واحدةٍ ، لا يُقطَعُ بقولِه على

---

(١٩٢) أساريرُ الوَجه : محاسِنُهُ وخدّاهُ ووَجْنَتَاه .

(١٩٣) نَضَلْتُكَ : غَلبتُكَ ؛ وأصلُهُ أن يتسابق الرَّجُلان في الرّمي ، فيغلب أحدهما الآخر .

(١٩٤) الْمَلّ : الرَّمادُ .

(١٩٥) البيت لطرفة في ديوانه ٨ .

(١٩٦) ديوان طرفة ٣٧ .

(١٩٧) ديوان طرفة ١١ .

البُحور ، وإنَّما يُعَدُّ مع أصحاب الواحدات . قال : ومَن هم ؟ قلت : الحارث بن حِلِّزة في قوله[198] :

[من الخفيف]

آذَنَتْنَــــا بِبَيْنِهَـــــا أَسْمَــــاءُ ... ...

والأَسْعَرُ الْجُعْفِيُّ ، في قصيدته الَّتي أَوَّلُها[199] :

[من الكامل]

هَلْ بَانَ قَلْبُكَ مِنْ سُلَيْمَى فَاشْتَفَى وَلَقَـــدْ عُنِيتَ بِحُبِّهَــــا فيما مَضى

والأَفْوَهُ ، في قوله[200] :

[من الرَّمل]

إنْ تَرَيْ رَأسِيَ فِيـــــهِ قَـــزَعٌ وَشَـواتي خَلَّـــةٌ فيهـــا دُوارٌ[201]

وعَلقمةُ بنُ عَبدة ، الفَحل ، في قوله[202] :

[من الطويل]

طَحَا بِكَ قَلْبٌ في الحِسَانِ طَرُوبُ بُعَيْدَ الشَّبَابِ عَصْرَ حَانَ مَشِيبُ

---

(198) البيت للحارث بن حلزّة اليشكري من معلّقته في شرح القصائد السّبع الطّوال ٤٣٣ .

ـ وتمام البيت :

آذنتنــــا ببينهــــا أسْمَـــــاءُ رُبَّ ثــاوٍ يُمَـلُّ منــه الثّــواءُ !

(199) البيت للأسْعَرِ الْجُعْفِيِّ ، واسمه مَرْثد بن أبي حمران ، ويكنى أبا حمران ، وهو شاعر جاهليّ . وله قصيدة أصمعيّة (ص ١٤٠) مقصورة ، ولم يرد البيت فيها .

(200) هو الأفوه الأوديّ .

ـ والبيت في ديوانه (من الطرائف الأدبية) ١١ .

(201) ـ القَزَع : كُلُّ شيءٍ يكونُ قِطَعاً مُتَفَرِّقة ؛ يعني قِلَّةَ شَعر رأسه . والشَّوَاة : جلدَة الرّأس . والْخَلَّةُ : المهزولة . ودُوَارَةُ الرّأس : طائفةٌ منه مستديرة .

(202) البيت لعلقمة في ديوانه ٣٣ ، وهو مطلع قصيدة مشهورة .

وَسُوَيْد بن أَبي كاهل ، في قوله[٢٠٣] :

[من الرَّمل]

بَسَطَتْ رَابِعَـــةُ الْحِبْـلَ لَنَـــا فَمَـدَدْنـا الْحَبْـلَ مِنْهـا مـا اتَّسَـعْ

وعمرو بن كلثوم في قوله[٢٠٤] :

[من الوافر]

أَلاَ هُبِّي بِصَحْنِـكِ فَـاْصْبَحينـــا وَلا تُبْقي خُمُـورَ الأَنْـــدَرينـــا

وعمرو بن معدي كرب في قوله[٢٠٥] :

[من الوافر]

أَمِنْ رَيْحَـانَـــةَ الـدَّاعي السَّميـعُ يُـؤَرِّقُني وَأَصْحَـــابي هُجـــوعُ

قال : فاستخفّت الرّشيد الأَريحيّة ، فقال : أُدْنُـهْ ؛ فَـإِنَّـكَ جَحيْشُ وَحْـدِك[٢٠٦] ! قال : فزادَ في عيْنِي نُبلاً . فقال جعفر متمثِّلاً[٢٠٧] :

[من الرَّجز]

لَبِّثْ قَليـلاً يَلْحَـقِ الْهَيْجَـــا حَمَـلْ

يُعَرِّضُ بأَنَّه يجوزُ أَن يُدْرِكَ هُوَ ما يحاولُه ، فَقال الرَّشيد :

---

(٢٠٣) البيت لسويد بن أبي كاهل اليشكري من عينيّته ، وهي أثره الباقي من شعره ، بالإضافة إلى نتف يسيرة ؛ في المفضّليات ١٩١ ، وهو في ديوانه الصغير المجموع .

(٢٠٤) في شرح القصائد السبع الطّوال ، وهو مطلع معلّقة عمرو ٣٧١ .

(٢٠٥) عمرو بن معدي كرب الزبيدي ، وهو شاعر مخضرم ، له صُحبة : والبيت في ديوانه ١٤٠ .

(٢٠٦) جحيش وَحْدِك : مُنْفَرِدٌ برَأْيك ؛ يعني أَنّكَ فريدٌ لا مثيلَ له .

(٢٠٧) الشطر مَثَلٌ مِنَ الأمثال (جمهرة الأمثال ٢٠٦/٢) وتمامُهُ :

لَبِّث قَليـلاً يلحـق الْهَيْجَـــا حَمَـلْ مَـا أَحْسَنَ الْمَـوْتَ إذا حـانَ الأَجَـلْ

وحَمَلَ : اسم رَجُل ، وربّما كانَ حمل بن بَدْر (انظر : المستقصى ٢٧٨/٢) .

[من الطويل]

فَـاتَتْـكَ واللهِ السَّـوابِـقُ بَعْـدَهـا وَجِئْتَ سُكَيْتـاً ذا زَوَائِـدَ أَرْبَعِ[208]

ورأيت الْحَمِيَّةَ في وجهـهِ ، فقـال جَعفر : على شريطـةِ حِلمـكَ يـا أمير المؤمنين ! [٥٣/أ] فقال : أتراه يَسَعُ غيرَكَ ويَضيقُ عَنْكَ !

فقال جعفر : لستُ أَنُصُّ على شاعرٍ واحدٍ أنّـه أحسنُ بيتٍ واحـدٍ تَشبيهـاً ، ولكن قول امرئِ القَيس[209] :

[من الطويل]

كَـأَنَّ غُـلاَمي إذْ عَـلاَ حَـالَ مَتْنِـهِ عَلَى ظَهْرِ بـــازٍ في السَّماء مُحَلِّـــقِ

وقول عَدِيّ بن الرِّقاع[210] :

[من الكامل]

يَتَعَـــاوَرانِ مِنَ الغُبَـــارِ مُـلاءَةً غَبْراءَ مُحْكَمَـةً هُمَـا نَسَجـاهـا
تُطْـوَى إذَا عَلَـوَا مَكانـاً جـاسِيـاً وَإذا السَّنَـابِـكُ أَسْهَلَتْ نَشَراها[212]

وقول النّابغة الذُّبياني[213] :

[من الطويل]

---

(٢٠٨) ـ السُّكَيت : مِن خيل السّباق ، وهو الذي يجيءُ عاشِراً .

(٢٠٩) في ديوان امرئ القيس ١٧٣ .

ـ حَالُ الفَرَسِ : موضِعُ الرَّاكب مِن ظَهْرِهِ .

(٢١٠) البيتان في ديوان عديّ بن الرّقاع (١٠٥) .

ـ وهما في الطرائف الأدبية ٩٦ ، في وصف حمارٍ وحشيٍّ وأتان يجريان فيثيران الغُبار وراءَهما .

(٢١١) في الطرائف : غبراء مُخْمَلةً ؛ وفي الديوان : « بَيْضاءَ مُحْدَثَةً » .

(٢١٢) المكان الجاسِي : الغليظ ؛ يقول : إذا وَطِئا مكاناً غليظاً لم يثر لها غبار ، فإذا صارا إلى مكان سهلٍ ثار به الغبار .

(٢١٣) ديوان النابغة ٧٤ .

فَــإنَّــكَ شَمْسٌ وَالْمُلُــوكُ كَــوَاكِبٌ   إذَا طَلَعَتْ لَمْ يَبْــــدُ مِنْهُنَّ كَــوْكَبُ

قــال : فقلت : هــذا كلّـه حسَنٌ بـارع ، وغيرُه أَبْرَعُ مِنــه ، وإنَّما يحتــاج أن يقـع التَّعيينُ على ما افْتَرعهُ قائله فَلَمْ يُتَعَرَّض له ، أو تَعرَّض له شاعرٌ فوقع دونه .

فأمّا قول امرئ القيس : « على ظَهْرِ بازٍ في السَّماء محلّق » فمن قول أَبي دُواد[٢١٤] :

[من المتقارب]

إذَا شَـــــاءَ رَاكِبُـــــهُ ضَمَّـــــهُ   كَمَـا ضَمَّ بَـازٍ إلَيْـهِ الْجَنَــاحَـا[٢١٥]

وأمّا قولُ ابنِ الرِّقاع : « يَتَعاوَرانِ مِنَ الغُبارِ مُلاءَةً » فمن قول الْخَنساء[٢١٦] :

[من الكامل]

جَــارَى أَبَــاهُ فَـــأَقْبَــلاَ وَهُمَــــا   يَتَعــــاوَرَانِ مُـــلاءَةَ الْحُضْرِ[٢١٧]

وأوّلُ مَنْ نطقَ بهذا الْمَعنى شاعِرٌ قديم من عُقَيل ، فقال[٢١٨] :

[من الطويل]

أَلاَ يَـــا دِيَـــارَ الْحَيِّ بِـــالبَرَدَانِ   عَفَتْ حِجَـجٌ بَعْـدِي لَهُنَّ ثَمَــانِ[٢١٩]

فَلَمْ يَبْــقَ مِنْهَــا غَيْرُ نُــؤْيٍ مُهَــدَّمٍ   وَغَيْرُ أَثَـــافٍ كَــالرَّكِيِّ دِفَــانِ[٢٢٠]

---

(٢١٤) ديوان أبي دواد الإيادي ، ضمن (دراسات في الأدب العربي) ، لغوستاف غرنباوم : ٣٠٢ ؛ وروايته :

إذا شـــاءَ فـــارِسُــهُ ضَمَّـــهُ   كَمَــا ضَمَّ بــازٍ إليــهِ الْجَنـــاحْ

(٢١٥) البَازي : طائرٌ مِنَ الْجَوَارح ، يُصَادُ به .

(٢١٦) ديوان الخنساء ٤٣ ؛ وروايته : « مُلاءَةَ الفَجْرِ » .

(٢١٧) الْحُضْر : ضَرْبٌ مِنْ عَدْوِ الدَّوَاب .

(٢١٨) الأبيات لِعُمَيْرَةَ بن جُعَلٍ التَّغلبيّ ـ وهُو شاعرٌ جاهليّ ـ مِن قصيدةٍ مُفَضَّلِيَّة (المفضّليات ٢٥٨) .

(٢١٩) البَرَدان : مَوْضِع .

(٢٢٠) ـ في المفضّليات : « وغيرُ أَوَارٍ » ؛ والأَواريّ : جَمْعُ آري ، وهــو مـا حَبَسَ الـدَّابَّـةَ مِن وَتَــد ونحـوه . والرَّكِيّ : جَمْعُ رَكيّة ، وهي البئر . ودِفان : جَمْع دَفين : مندفنة .

وَآثارُ هَابٍ أَوْرَقِ اللَّوْنِ سَافَرَتْ   بِهِ الرِّيحُ والأَقْطارُ كُلَّ مَكانِ[221]
قِفارٌ مَرَوْراةٌ يَحارُ بِها القَطا   وَيُضْحِي بِهَا الْجَأْبانِ يَعْتَرِكانِ[222]
يُثِيرانِ مِنْ نَسْجِ العَجاجِ عَلَيْهِما   قَمِيصَيْنِ أَسْمالاً وَيَرْتَدِيانِ[223]

[٥٣/ب] وأمّا قول النابغة : « فَإِنَّكَ شَمْسٌ وَالْمُلُوكُ كَواكِبٌ » ، فقد تقدّمه شاعر مِنْ شعراءِ كِنْدَةَ ، فيه يمدحُ عَمْرو بنَ هند ، وهو أحقّ به من النابغة إذ كان أبَا عُذْرِهِ ، فقال[224] :

[من الطويل]

تَكادُ تَمِيدُ الأَرْضُ بِالنَّاسِ أَنْ رَأَوْا   لَعَمْرِو بْنِ هِنْدٍ غَضْبَةً وَهْوَ عاتِبُ
هُوَ الشَّمْسُ رَاقَتْ يَوْمَ سَعْدٍ فَأَفْضَلَتْ   عَلَى كُلِّ ضَوْءٍ ، وَالْمُلُوكُ كواكِبُ[225]

قال : فَكَأَنِّي أَلْقَمْتُ جَعْفَراً حَجَراً ، واهتزّ الرَّشيد من فوق سريرِه أَشَراً[226] ، فكاد يطيرُ عنه عُجباً وطَرَباً ، وقال : يا أصمعيّ ! اسْمع الآن ما وقع عليه اختياري ! قلت : ليقلْ أميرُ المؤمنين أحسنَ اللهُ توفيقه ! فقال : قد عَيّنت على ثلاثة أشعار أُقسم بالله إنَّني أملكُ قصب السَّبْق بأحدها ! فقال يحيى : خَفِّضْ على هِمّتك يا أمير المؤمنين

---

(٢٢١) ـ رواية المفضّليات :
وَغَيْرُ حَطُوباتِ الوَلائِدِ ذَعْذَعَتْ   بِها الرِّيحُ والأمطارُ كُلَّ مكان
وحَطوباتُ الوَلائد : ما احتَطَبَتِ الإماء . وذَعذعت : فرّقت .
ـ والهابي : التراب الدقيق الناعم الذي تطيّره الريح ، وأراد هاهنا الرّماد . والأورق : الذي لونُهُ أسود في غُبرة ، وهو لون الرّماد . والأقطار : جَمْعٌ لَم يرد في المعجمات لكلمة القَطْر : المَطَر .
(٢٢٢) ـ في المفضّليات : « يَظَلّ بها السَّبْعان » .
والْمَرَوْراة : الأرض التي لا تُنبت شيئاً ولا ماء فيها . والْجَأْبُ : الغليظ من حُمُر الوَحْش .
(٢٢٣) ـ في المفضّليات : « نسج التراب ... أسماطاً ... » .
ـ والأسمال : جمعُ السَّمَل ، وهو الثوب البالي .
(٢٢٤) تميد الأرض : تميل وتتحرَّك .
(٢٢٥) راقت الشمس : صَفا ضَوْؤُها .
(٢٢٦) الأَشَرُ : الْمَرَح .

فيأبى الله إلاّ أن يكونَ الفضلُ لك . ثمَّ قال الرَّشيد : أتعرفُ تشبيهاً أفخمَ وأعظمَ في أحقرِ مُشَبَّهٍ وأصغرِه وأنزرِه ، في أحسن معرِضٍ ، من قول عَنترة الذي لم يَسبقه إليه سابقٌ ، ولا طَمِعَ في مجاراته طامعٌ ، حين شبَّه ذُبابَ الرَّوْضِ العازبِ في قَوْلِه[٢٢٧] :

[من الكامل]

وَخَلاَ الذُّبابُ بِهَا فَلَيْسَ بِبَارِحٍ   غَرِداً كَفِعْلِ الشَّارِبِ الْمُتَرَنِّمِ
هَزِجاً يَحُكُّ ذِراعَهُ بِذِرَاعِهِ   قَدْحَ الْمُكِبِّ عَلَى الزِّنَادِ الأَجْذَمِ[٢٢٨]

ثمَّ قال : هذا من التَّشبيهاتِ العُقْم ! قلت : هو كذلك يا أمير المؤمنين ، وبمجدِكَ آلَيْتُ ما سمعتُ أحداً وصفَ شِعراً أحسنَ من هذه الصِّفة ! فقال : مَهْلاً ، لا تعجَلْ ! أتعرفُ أحسنَ من قولِ الْحُطَيْئة يصفُ لُغامَ[٢٢٩] ناقته ؟ أو تعلم أحداً قبله أو بعده شبَّه تشبيهه فيه ، حيث يقول[٢٣٠] :

[من الطويل]

تَرَى بَيْنَ لِحْيَيْهَا إذَا مَا تَزَغَّمَتْ   لُغَاماً كَبَيْتِ العَنْكَبُوتِ الْمُمَدَّدِ[٢٣١]

[٥٤/أ] فقلت : يا أمير المؤمنين ، لا والله ، ما علمتُ أحداً تقدّمه ، أو أشارَ إلى هذا التَّشبيه قبله . فقال : أتعرفُ أبدع وأوْقَعَ من تشبيه الشَّمّاخ لنعامةٍ سَقط ريشُها وبَقِيَ أَثَرُه ؛ حيث يقول[٢٣٢] :

---

(٢٢٧) البيتان لعنترة في ديوانه ١٩٧ ـ ١٩٨ .

(٢٢٨) الهَزِج : الفَرِح ، وذو الهَزَج ، وهو التَّرَنُّم بالغناء . والزّناد : أراد به الزَّنْد ، وهو العُود الأعلى الذي تُقدَح به النار ؛ والزَّندة : العود السُّفلى . « شبَّه الذّباب حين وَقَعَ في هذه الروضة فحكَّ إحدى ذراعيه بالأخرى برَجُلٍ مقطوع الكفَّين يُوري زناداً ، فهو يمدّه بين ذراعيه إذ لم يكن له كفّان ... » .

(٢٢٩) لُغام النّاقة : زبَدُها الذي يخرج من فمها مع اللُّعاب .

(٢٣٠) ديوان الحطيئة ٧٧ .

(٢٣١) التَّزَغُّمُ : صَوْتٌ ضعيفٌ ؛ يعني حَنينَهَا .

(٢٣٢) ديوان الشّمّاخ ٢٧٨ .

[من البسيط]

كَــأَنَّما مُنْثَنَى أَقْمَـــاعِ مَـــا مَرَطَتْ مِنَ العِفَــاءِ بِلِيتَيْهَــا الثَّــآلِيـــلُ[٢٣٣]

فقلت : لا والله ، فـالتَفَتَ إليَّ يحيى بن خـالـد فقـال : أَوَجَبَ ؟ قـال : وَجَب ! قـال : فـأزيـدُك ؟ قـال : وأيُّ خيرٍ لم يَزِدني منـه أميرُ المؤمنين ؟ قـال : قول النـابغـة الجعديّ[٢٣٤] :

[من الطويل]

رَمَى ضرعَ نَـابٍ فـاستَقـلَّ بطعنـةٍ كَحَـاشيــةِ البُرْدِ اليَمَـــاني الْمُسَهَّمِ

ثمَّ التفتَ إلى الفَضل فقال : أَوَجَب ؟ قال : وجَب ، قال : أزيدك ؟ قـال : ذاك إلى أميرِ المؤمنين ، قال : قول الأعرابيّ :

[من الطويل]

بِهَـا ضَرْبُ أَذْنـابِ العِظَــاءِ كَــأَنَّـهُ مَـلاَعِبُ وِلْـدانٍ تَخُــطُّ وَتَمْصَعُ[٢٣٥]

ثمَّ التفت إلى جعفر وقـال : أوجب ؟ قـال : وجب ، قـال : أزيــدك ؟ قــال : لأمير المؤمنين علوّ الرّأي ، قال : قول عديّ بن الرّقاع[٢٣٦] :

[من الكامل]

---

(٢٣٣) الأقمـاع : جمع القِمَـعِ ، وهـو الشيءُ الـذي رأس الثَّمَرَةِ ، فـاستعـارَه لآثـارِ الريش المنزوع عن جَسَـد النعامة . ومَرَطت الرِّيشَ : نَزَعَتْهُ . والعِفاء : ما كَثُرَ من ريشِ النَّعام . واللِّيتُ : صَفحةُ العُنُق .

(٢٣٤) ديوان النابغة الْجَعْدي ١٤٣ .

ـ النَّاب : الناقة السمينة . والبرد المسهّم : المخطّط بصور على شكل السِّهام .

(٢٣٥) العِظـاء : جَمْعُ العَظَـايـة ، وهي دُوَيبّـةٌ على خِلقـة سـام أبرص أعظم منـه شيئاً . وتمصع : تَضْرِب ؛ ومَصَعت الدَّابّة بذنبها : حَرَّكَتْهُ وضَرَبَتْ به .

(٢٣٦) ديوان عديّ بن الرّقاع العاملي ٨٥ ، والبيت مشهورٌ في كتب النقد والأدب من قصيدة طنّانة .

ـ تُزجي : تَـدْفَعُ . والأغنّ : الصغير الضعيف الصوت . والرّوض : القَرْن يصف ظبيـةً تـدفَعُ طِفْلَهـا برِفقٍ .

تُـزْجي أَغَنَّ كَـأَنَّ إِبْرَةَ رَوْقِـهِ   قَلَمٌ أَصـابَ مِنَ الـدَّواةِ مِـدَادَهـا

قال : فقلت : ياأمير المؤمنين ، هذا بيت حَسد عَدِيّاً عليهِ جَرير ! قال : وكيفَ ذاك ؟ قلت : زعَم أبو عمرو أنّ جريراً قال : لَمّا ابتدأ عديٌّ يُنْشِد[٢٣٧] :

[من الكامل]

عَرَفَ الـدِّيَـارَ تَـوَهُّماً فَـاْعْتَـادَهَـا   مِنْ بَعْـدِ مَـا شَمِلَ البِلَى أَبْلادَهـا[٢٣٨]

قلتُ في نفسي : قد رَكِبَ مَرْكباً صعباً سَيُبْدَع به ، فما زال يتخلّص من حسن إلى حسن ، حتى قال :

تُـزْجي أَغَنَّ كَـأَنَّ إِبْرَةَ رَوْقِـهِ

قال : فَرَحِمْتُهُ وظننتُ أنّ مادَّتَهُ ستقصُرُ ، فلَمّا قال :

قَلَمٌ أَصـابَ مِنَ الـدَّواةِ مِـدَادَهـا

حالَتِ الرَّحمَةُ حسداً . قال : لله درُّكَ يا أصمعيّ ! ثمَّ أطرق ورفَعَ طرفَهُ إليَّ [وقال :][٢٣٩] : أَتُرَاكَ تغبنُني عَقلي بانحطاطِكَ في هَواي[٢٤٠] ؟ فقلتُ : كلاّ واللهِ يا [٥٤/ب] أمير المُـؤمنين ! إنّك لَتجلُّ عن الحَرْش[٢٤١] . قال : انظرْ حَسَناً ، قلت : قد نَظرت ، قال : فالسَّبْقُ لمن ؟ قلت : لأميرِ المُؤمنين ، قال : قد أسهمتُ لكَ العُشْرَ ، والعُشْرُ كثير ، ثمَّ رَمى بطرفِهِ إلى يحي ، وقال : « المالَ » ـ تهدُّداً

(٢٣٧) ديوان عديّ بن الرّقاع ٨٢ .

(٢٣٨) هذا مطلع قصيدته التي منها بيت الاستشهاد السابق برقم ٢٤٤ .
ـ واعتاد الديار : أتاها مرَّةً بعدَ أُخرى . والأبلاد : الآثار .

(٢٣٩) سقطت العبارة من : (ف) .

(٢٤٠) غَبَنَهُ : خَدَعَه . وانحطَّ في هَوَاهُ : جارَاه فيه ؛ وأصل الانحطاط النزول والانحدار .

(٢٤١) الْحَرْش : الخِدَاع .

ووَعِيداً ـ « السَّاعـةَ ، وأَوْلى لـك ! » قـال : فمـا كان إلاّ كَـ « لا » و « مـا »[٢٤٢] حتّى نُضِّدَت البِدَر[٢٤٣] بين يديه ، إلى أن كادت تحولُ بَيني وبَينـه ، فرأيتُ ضوءَ الصُّبح وقـد غلَب على ضَوءِ الشَّمع ، فأشار إلى خادمٍ على رأسِـه أَنْ مَكِّنْـه ، وقـال : هي ثلاثـةُ ألفِ ألفِ درهم ، فدونَكَ فاحمل ثَلاثين بَدْرَة ، وانصرفْ إلى منزلـك . ونهضَ عن مجلسِـه وأمرَ الخدمَ بمُعَاونتي على تعجيلِ حَمْلِـه ، فـاحتملَ كلّ خـادمٍ بـدرةً ، ولا يكادُ يستقلُّ بهـا ، فكَانَتْ أسعدَ ليلة ابتسمَ فيها الصباحُ عن ناجذِ الغِنَى[٢٤٤] !

قـولـه عـزّ وجـلّ : ﴿ لاَ ٱلشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَـا أَنْ تُـدْرِكَ القَمَرَ ﴾ [يس : ٤٠/٣٦] ، متعلِّقٌ بمـا قَبلـه من التَّشبيـه ، فوجب الكلام فيـه . وذلـك أَنَّ عَوْدَ القمر هلالاً إنَّما هو لاِنْحِرَاف النُّور فيه ، لِقُربه من الشمس ، فأخبرَ جلّ اسْمُه بمحال الإدراك في القُرب ، وأنَّ ذلك ليس من جِهة الشَّمس بل من جهة القمر لِسُرعة سيره .

ثمَّ قال تعالى : ﴿ وَلاَ اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَـارِ ﴾ أي : همـا على نظـام لا يزول عن نسبتـه ، ولا يختلفُ في كيفيّته .

وجـائزٌ أنْ يكون خصَّ النَّهـار بـالسَّبق لأنَّـه موجودٌ بوجـود الشمس ، من غير أن يكونَ اسمُ اللَّيل والنَّهَار وقَع على الزَّمان ، ووجبَ السَّبق للنَّهار لَمَّا كان الدَّليل منـه ، قال الله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَـهُ سَـاكِنـاً ثُمَّ جَعَلْنَـا الشَّمْسَ عَلَيْـهِ دَلِيْلاً ﴾ [الفرقـان : ٤٥/٢٥] . وكان مِمّـا تعـاطـاه أُمَيَّـةُ بن أَبي الصَّلْت من مُعارضة آي القرآن قوله تبارك وتعالى : ﴿ لاَ الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُـدْرِكَ ﴾ وأنَّى لـه إدراكُ ما حاوله[٢٤٥] :

---

(٢٤٢) كناية عَنْ قِصَرِ الزَّمَن .

(٢٤٣) البِدَرُ : جَمْعُ البَدْرة ، وهي كيس فيه ألفُ دينار أو سبعة آلاف أو عشرة آلاف .

(٢٤٤) النَّاجذ : واحِدُ النَّوَاجِذ ، وهي الأضراسُ التي تلي الأنياب ؛ ويُقال : ضَحِكَ حتّى بَـدَت نَوَاجِـذُه ، إذا استغرق في ضَحِكِه ؛ فاستعارَهُ للغنى .

(٢٤٥) لم يرد شعر أميّة بن أبي الصَّلت في ديوانه الَّذي جمعه وحقَّقه الـدكتور عبـد الحفيـظ السَّطلي ، فهو مِمّـا يُستدرك عليه .

[من الطويل]

مَـعَ القَمَرِ السَّــــاري إذَا جَنَّ لَيْلُــــــهُ ... وَتَغْـدُو عَلَيْنَـا الشَّمْسُ إنْ كانَ غَـادِيَـا
فَـلاَ هُـوَ يَنْهَى الشَّمْسَ عِنْـدَ طُلُـوعِهَـا ... وَلاَ هِيَ تَنْهَـاهُ إذَا بَـاتَ سَـــارِيَـا
[٥٥/أ] وَلَـوْ مُلِّكَتْ أُمُـورَهَـا مَـا تُسُخِّرَتْ ... وَلاَ بَرِحَتْ لِيطَ السَّمَاء كَمَـا هِيَـا[٢٤٦]
وَلكنْ عَـلاهَــا رَبُّهَـــا فَــأذَلَّهَـــا ... فَسُبحَـــانَ مَنْ لَمْ يَنْهَهُنَّ عَـوَانِيَـــا[٢٤٧]

فـأطـال هـذه الإطـالـة ، وقصَّر ـ مع اجتهـاده ـ عن مُماثلـة لفـظ التنزيل تقصيراً ينطق عن تكلُّفِه وتَخلُّفِه .

وكان أُميَّـةُ في عصرِ النَّبيِّ ﷺ ومُـؤذِنـاً بمبعثـه ومبشِّراً بظهـوره ، فلمـا بُعِث ﷺ نافَسَهُ فيا اختصَّـه الله بـه من الرِّسـالـة ، وقـال : مـا كنتُ لأُؤمِنَ بنبيٍّ من غير ثقيف ، وامتنع من الدُّخول تحت دعوته ، وجعل يتتبَّع آيَ القُران بالْمُعارضَةِ ، ويحاول مماثلتَـهُ فَيُقَصِّرُ هذا التقصير ، حتى كان شعره في هذا النوع ، وشعره في غيره لم ينطقْ بـه شـاعرٌ واحد ، وإذا وَزَنْتَ هذه الأبياتَ بمثلِ قوله في المدح[٢٤٨] :

لا يقرعـونَ الأرضَ عنـــد سـؤالِهم ... لتطلُّبِ العِـلاَّتِ بـالعيــدان[٢٤٩]
وإذا الحريثُ أنــــاخَ بين بيـــوتِهم ... ردّوهُ رَبَّ صـواهـلٍ وقيـــانِ[٢٥٠]
وإذا دعـــوتهم ليـــومٍ كريهـــــة ... ســدُّوا شُعَـاعَ الشَّمسِ بـالفرســانِ

وَجَـدْتَ بين الكـلامين تَفَـاوُتـاً بَيِّنـاً يُخْبِرُ بـإعجاز القرآن ، وقُصورِ القُـدرةِ عن مُماثَلَتِه .

---

(٢٤٦) ليطُ السَّماء : أديمُهَا .

(٢٤٧) العَوَاني : جَمْعُ العَانية ، وَهي الْخَاضعَةُ الْمُسْتَأْسِرَة .

(٢٤٨) الأبيات في ديوان أمية بن أبي الصَّلْت (٥٠٠) .

(٢٤٩) في ديوان أميّة : « لا ينكتون ... لتلمُّس ... » .

(٢٥٠) في ديوان أميّة : « قومٌ إذا نزل الغريبُ بدَارِهم » .
ـ والْحَرِيثُ : السَّاعي إلى كَسْب المال .

وهذه حال كافَّـةِ العرب على عَهْـدِ الرَّسول ﷺ ، وهم أربـابُ الفَصـاحـة ، وأُمَراءُ البـلاغـة ، وفيهم الْخُطَبـاءُ والشُّعراء ، ومن لا يَقْعُـدُ بـهِ بَيَـانٌ ، ولا يَخْـذِلُـهُ خَـاطِرٌ وَلا لِسَانٌ ، ولا يُـدرَكُ مَـداهُ في بَراعَـةِ القَوْل ، وإقـامَـةِ الْحُجَّـة ، واستيفـاء المعـاني ، ومُوَاتاة القَرِيحَةَ ، مع وُقوعِ التَّحَـدِّي لَهُم بمـا لا يَخْرُجُ عَنْ شَـأْنِهِمْ[٢٥١] ، ولا يُنـافي سُنَّـةَ طِبـاعِهِم ، لولا مكانُ الآيَـةِ فِيـهِ ، وظُهورُ الْمُعْجِـز بـهِ ، فكانَت القرائـحُ مصروفـةً عن معارضتِه ، والخواطرُ مُفْحَمَةً عن مُضاهاتِه ، والأَلْسِنَةُ مكفوفةً عن النُّطْقِ بمثله ، وذلـك قولـه تعـالى : ﴿ قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإنْسُ وَالجِنُّ عَلَى أَنْ يَـأْتُـوا بِمِثْـلِ [٥٥/ب] هَـذا القُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهيراً ﴾ [الإسراء : ١٧/٨٨] .

(٢٥١) يعني وُقوعَ التَّحدِّي لَهُمْ بأن يأتوا بِمِثْلِ القُرآن ، بل بأن يأتوا بسورةٍ مِن مِثلِه .

سُورَةُ الصَّافَّات

قولُه جلَّ وعلا : ﴿ وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِيْنٌ ☆ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُوْنٌ ﴾ [الصَّافَّات : ٣٧/٤٨ـ٤٩] .

وَصَف نساء أهلِ الجنَّة بأَنَّهُنَّ قاصِراتُ الطَّرف ، مع حُسن العيون ، لا مِن شَيْنٍ يمنعهُنَّ من طُموح النَّظر ، وإنَّما ذلك للعِفَّة والْخَفَر . ثُمَّ شبَّههنَّ بالبَيْض المكنون ، تأكيداً للصِّفة بالتَّشبيه ، فأخبرَ بذلك أنَّهُنَّ في سِترٍ وكِنٍّ عن التَّبرُّج ، وجعلَ وصفَ البَيض دالاًّ على هذه الحال من وصفهن .

وهذا الكلام غايةٌ في مناسبةِ الوصفِ ومُطابقته ، وبلاغة معنى التشبيه وموافقته .

وجاء في التفسير أنَّه تعالى وَصَفهنّ بقصور الطَّرف على أزواجهنّ وشبَّههنّ بالبَيض ؛ لِحُسنه وصَفائِه ورَونقه[1] .

وقد تناقَل الشُّعراء هذا التَّشبيه فقالَ العباديّ[2] :

[من الخفيف]

كَدُمى العاجِ في المحاريبِ أو كالـ　　　بَيْضِ في الرَّوضِ زهوُهُ مُستنيرُ[3]

وقد استحسن هذا البيتَ جماعةٌ من أصحاب المعاني ، وذكروا فيه أنَّه شبَّه ألوان

---

(١) ينظر تفسير القرطبي ٨٠/٥ .

(٢) هو عديُّ بن زيد العِبادي .

(٣) البيت في الدِّيوان ٨٤ .

ـ وهو في الكامل ٩٤٩ .

الثِّياب التي عليهنَّ بألوانِ نَوْر[٤] الريـاض . وزَهْوُه : حُمرتُـه وصُفرتـه ، وجعل البَيض في الرّوض ليكون أحسنَ له ، وكذلك قالت الأوسيَّة : « أحسنُ الأشياء القصورُ البِيضُ في الحدائقِ الخضر »[٥] ، إلاّ أنَّه لم يوصف البَيضُ في هذا الباب بـأحسنَ ولا أجمعَ لمعـاني الـوصف ممَّـا نطـقَ بـه التَّنزيـل ، فـإنَّ لفظـة : ﴿ مَكْنُـون ﴾ متضمِّنـةٌ معنى السَّـلامـة والْخُلوص من جميع العَـوارض التي تنتقصُ رَونقـه وتشين بيـاضَـه وتكسِفُ بَهـاءَه ، مـع ما قدَّمنا فيه من القَول الأوّل في تأويل الآية .

وهذه الْجُملة زيادةٌ على ما ذكَره الشّـاعر ، لأنَّ نِسَـاء الجنّـة يستغنين عن الوَصف | ٥٦/أ | الـذي أشـار بـالتَّشبيـه إليـه إذ كانت (الْجَنّـةُ) أنضرَ من (الرَّوض) حُسنـاً ، وأبْهى مَنظراً .

وعلى إكثـار الشعراء من تشبيـه النِّسـاء بـالبَيـاض ، ووصفـه بمـا يـدُلّ على حـالِ التَّشبيه[٦] ، لم يأتُوا ببلاغةِ تشبيهِ القُرآن ، ولم يقدروا[٧] على نقلِ لفظهِ من هذا المكان ، وقد أطالُوا وأقْصَرُوا ، وأوْرَدُوا وأَصْدَرُوا !

فقال زهير[٨] :

[من الكامل]

أَو بيضـة الأُدْحِيِّ بـاتَ شعـارُهـا   كَنَفَـا النَّعـامـةِ : جُؤجـؤٌ وعِفـاءُ[٩]

---

(٤) النَّور : الزّهر الأبيض .

(٥) لأنَّ اختلاف اللَّونين يؤدّي ائتلافاً مُعجباً للعين والنَّفس .

(٦) في س : حال الْمُشَبَّه به .

(٧) في س : فما أتوا ... ولا قدروا .

(٨) ديوان زهير بن أبي سُلمى ٣٤٠ .

(٩) الأُدحيّ : مَوْضع بيض النَّعَامَة . وشِعارُها : غِطاؤُها . وكَنَفَا النَّعَـامَـةِ : جَنَـاحـاهـا ؛ وكَنَفُ كل شيء جانبه . والْجُؤجُؤ : الصَّدْر . والعِفاء : الريش .

وقال الآخر[١٠] :

[من الطويل]

ولا بَيضةٌ بالوَعْسِ من فَوق مطرقٍ يُجَلِّلها زِفُّ الْجَناحِ ظليمُ[١١]
بأَحْسَنَ منها يومَ قالت بِدلِّها : « كأنَّكَ مُذ خِفْتَ الفِراقَ سَقِيمُ ! »[١٢]

وقال المخبّل[١٣] ، وذكر امرأةً أيضاً :

[من الكامل]

وتُريكَ وَجْهاً كالوَذِيلةِ لا ظَمْآنَ مُختلجٌ ولا جَهْمُ[١٤]
أو بيضةِ الدِّعص التي وضعت بالأَرض ، ليسَ لِمَسِّها حَجْمُ[١٥]
سَبَقَتْ قَرائنها وأَدْفَأها هَيْقٌ كأنَّ جناحَهُ هِدْمُ[١٦]

وقال ابن ميّادة[١٧] :

[من السريع]

كأنَّها ، وهْي على طِيبها يفوحُ منها المسكُ والعنبرُ

---

(١٠) لم يذكر .
(١١) الوَعْس : الرَّمْلُ السَّهْلُ اللَّيِّن .
ـ والزِّفّ : صِغَارُ ريشِ النَّعام . والظَّليم : ذَكَرُ النَّعَام .
(١٢) فيه حسن التعليل .
(١٣) هو المُخَبَّل السَّعْدِي . مخضرم عمّر دهراً طويلاً ، ومات أيام عثمان رضي الله عنه . عُدّ في الفحول وإن كان مقلاً .
ـ والأبيات من المفضَّلية ٢١ (١١٥) .
(١٤) الوَذِيلة : الصحيفة المجلوّة مِنَ الفضّة . والمختلج : القليل اللحم الضَّامر . والجهم : الكثير اللحم البشع .
(١٥) الدِّعص : الْجُبَيْل من الرَّمل . والحجم : النُّتوء .
(١٦) « سبقت قرائنَها » يقول : هي أوّل بيضة باضتها النعامة . والهَيْقُ : ذَكَرُ النَّعَام . والهِدْم : الكساء الْخَلَق البالي .
(١٧) الأبيات في شعر ابن مَيّادة ١٢٢ .

بيضـــةُ أُدْحِيٍّ لهـــا حـــاضِنٌ هَجَنَّـــعٌ ذو هـــدبٍ أزْعَرُ[١٨]
في روضَـــةٍ خضراءَ مـوسـومـــةٍ بـــاتَ يُـــدنِّيهـــا إذا تُمْطَرُ[١٩]
حتّى إذا الصُّبـــح دنـــا ضَـــوْؤُهُ ولاحَ فيهـــا واضـــحٌ أَزْهَرُ[٢٠]
أقلـعَ عنهـــا وهي في رَأْدِهـــا لهـــا شُعـــاعٌ ولَهـــا مَنْظَرُ[٢١] !

وقال عَبْدُ بَنِي الْحَسْحَاس[٢٢] :

[من الطويل]

فمـــا بيضـــةٌ بـــات الظَّليم يحفُّهـــا ويرفعُ عنهـا جـؤجـؤاً مُتَجـافيـا[٢٣]
ويجعلهـــا بين الْجَنـــاحِ وَدَفِّـــهِ ويفرشُهـا وَحْفـاً من الـزِّفِّ وافيـا[٢٤]
[٥٦/ب] ويرفعُ عنها وهي بيضاءُ طلَّةٌ وقد صادَفَتْ قَرناً من الشَّمسِ ضاحيا[٢٥]
بـأَحسنَ منهـا يـوم قـالت أرائـحٌ مـع الرّكْبِ أم ثـاوٍ لَـدينـا ليـاليـا ؟

وأول من نطق من الشُّعراء بهذا التشبيه[٢٦] : امرؤ القيس ، في قوله[٢٧] :

---

(١٨) الأُدْحيّ : مَوْضِعُ بَيْضِ النَّعَامـة ، والهَجَنَّع : الظَّليم الأقرع . وأراد بـالهَـدَبِ صِغـارَ الرِّيش . والأزعر : القليلُ الرِّيش .

(١٩) مَوْسُومَة : سَقَاهَا الوَسميّ ، وَهُو مَطَرُ الرَّبيع . ويُدَنِّي البيضَة : يُقَرِّبُهَا .

(٢٠) في النسخة ك والديوان : لاح ومنها . والمثبت من ف .

(٢١) أَقْلَعَ عنها : قامَ عنها . والرَّأْد : رونق الضحى .

(٢٢) هو سحيم عبد بني الْحَسْحاس . شاعر مخضرم ، قتل في خلافة عثمان رضي الله عنه . لـه ديوان شعر صغير مطبوع .
ـ الشعر في ديوانه ١٨ .

(٢٣) الْجُؤْجُؤ : الصَّدْر .

(٢٤) دَفّ كلّ شيء : جنبُـه . والوَحْف : الْجَنَـاح الكثيرُ الرِّيش . والزِّفّ : الرِّيش الصِّغـارُ كالزَّغَب ؟ يعني زَفّاً كثيراً .

(٢٥) الطَّلّة : التي بلَّلها الطَّلّ (الْمَطَر الخفيف) . والضَّاحي : البَارز .

(٢٦) في س : وأول من نطقَ بهذا التشبيه من الشعراء ...

(٢٧) ديوان امرئ القيس ١٦ .

[من الطويل]

كبِكرِ الْمُقَانَاةِ البيَاضِ بصفرةٍ غذاها نميرُ الماءِ غيرَ مُحلَّلِ[28]

وهو من الهجنة والكُلفة وتعسُّف العِبارة على ما به[29] ..!

فأما قوله[30] :

« وبيضة خِدرٍ لا يُرام خِباؤها »[31]

فهو من باب الاستعارة .

وقد كنّى ذو الرُّمَّة عن البَيض بصفة النِّساء ، فقال[32] :

[من الطويل]

وبيضٍ رَفعنا بالضُّحى عن مُتونها سَماوةَ جَونٍ كالخباءِ المقوَّضِ[33]

وقال ذو الرُّمَّةِ[34] أيضاً ، يشبِّه البيضَ بالنُّجوم ، وذكر الظَّليم :

[من الطويل]

---

(28) في الدِّيوان : كبكر مقاناة البياض ... غير المحلّل .

(29) في س : على ما تَراه .

(30) هو امرؤ القيس ، وتمام البيت (الديوان ١٣) .
تمتَّعتُ من لهوٍ بها غير معجلِ

(31) أراد بالبيضة امرأةً شبَّهها بها لبياضها ورقَّتها .
والخباء : البيت .

(32) ديوان ذي الرُّمّة ١٨٣١/٣ .

(33) البيض : أراد به بيض النعام . والسَّماوة : الشخص . والْجَوْن : الأسود ؛ يعني ظليماً أَسْوَدَ . والمقوَّض : الذي قُلِعَت أوتادُه .

(34) ديوان ذي الرُّمّة ٢١٩/١ ، والشطر الأول فيه :
تعاليه في الأدحيّ بيضاً بقفرةٍ

يُغــادرُ في الأُدحِيِّ بيضــاً كأنَّــهُ　　نُجومُ الثُّرَيّـا لاحَ بينَ السَّحـائبِ[35]

وعكَسَ ابنُ الْمُعتزِّ هذا التَّشبيه ، فقال[36] :

[من الكامل]

وتَرى الثُّرَيّـــا في السَّماءِ كأنَّهـــا　　بَيْضــاتُ أُدْحِيٍّ يَلُحْنَ بِفَــدْفَــدِ[37]

[والشِّعرُ في هذا الباب كثيرٌ جداً ، وحسبك ما بلغك المحلاّ] .

تَشبيهٌ آخَرُ مِن هذه السُّورة :

قولُـه عَزّ وجلّ : ﴿ إِنَّهـا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ☆ طَلْعُهَا كَـأَنَّـهُ رُؤُوسُ الشَّياطِيْنِ ﴾ [الصّافّات : ٣٧/٦٤-٦٥] .

قال ابنُ عَبّاس : كان لأَهل مكّة جبالٌ قبيحةُ الْمَنظر ، وكانوا يُسَمُّونها : (رؤوس الشّياطين) لِقُبحها إذا نَظرُوا إليها ، فشبَّه لهم ثَمر الزَّقُّوم في المنظَرِ بتلك الجبال .

ويجوزُ أيضاً حمـلُ ذلـك على مـذهبِ العَرب في تسميتهم كلَّ مـا يَسْتَعْظِمُـونـه شَيطاناً ، وتشبيههم بالشّياطين على سبيل التَّهويل[39] . وهو وجهٌ حَسنٌ مـأثُور ؛ قـال الشاعر[40] :

[من الرَّجز]

[مـا ليلــةُ الفقيرِ إلاّ شَيْطـــان[41] !

---

(٣٥) الأُدحيّ ، مَوْضِعُ بَيْضِ النَّعامة .

(٣٦) ديوان ابن المعتز (٢٥١/١) طبعة دار المعارف .

(٣٧) الفَدْفَد : الفلاة التي لا شيءَ فيها .

(٣٨) هذه العبارة من : س فقط .

(٣٩) تفسير القرطبي ٨٦/١٥ .

(٤٠) الرجز في اللسان (ف ق ر) .

(٤١) الفقير : ركيّة (بئر) بعينها معروفة : قال الراجز :　=

الفقير : عَينٌ .

قال امرؤ القيس[٤٢] ، وذكرَ رَجُلاً :

[من الطويل]

أَتَقْتُلَني والْمَشْرَفِيُّ مُضاجِعي ومَسنُونةٌ زُرقٌ كأنيابِ أَغوالِ[٤٣]

الغول : الشَّيطان ، يعني : كأنياب الشَّياطين ، على التَّهويل .

ولَمّا [٥٧/أ] ذكر اللهُ شجرةَ الزَّقُّوم افتتنَ بذكرها الْمُشركون ، فقال بعضهم : النّارُ تأكُل الشَّجرَ فكيفَ ينبتُ فيها الشَّجَر[٤٤] ؟ فلذلك قال سُبحانه : ﴿ ومَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلاَّ فِتْنَةً لِلنَّاسِ والشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي القُرْآنِ ﴾ [الإسراء : ١٧/٦٠] . يعني : الْمَلعون آكِلُها . وقال عَزّ وجلّ في سُورة أُخرى : ﴿ إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ طَعَامُ الأَثِيْمِ كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي البُطُونِ كَغَلْيِ الْحَمِيمِ ﴾ [الدُّخان : ٤٤/٤٣ـ٤٦] . وقال تعالى : ﴿ فَإِنَّهُمْ لآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِؤُونَ مِنْهَا البُطُونَ ﴾ [الصّافّات : ٣٧/٦٦] .

﴿ الزَّقُّوم ﴾ : كلُّ ما أُكِلَ بتكَرُّهٍ شَديد ، ولهذا يُقال : قد تَزقَّم هذا الطَّعام تزقُّماً ؛ أي : هو في حُكم ما أكله بتكرُّهٍ شديد ؛ لأنَّه يحشُو به فَمه ويأكُله بشَرهٍ فيه ، ومن ها هنا غَلِطَ بعضُ الْمُشركين فأتى بتَمرٍ وزُبْدٍ وقال : « ما نعرفُ الزَّقُّومَ إلاّ هذا فَتَزَقَّمُوا ! » أي : املَؤُوا به أفواهكم[٤٥] !

= ما الليلةُ الفقير إلاّ شيطانْ

مجنونةٌ تُودي بروحِ الإنسانْ

نقل في اللسان : لأنَّ السَّير إليها مُتعب . والعربُ تقولُ للشيء إذا استصعبوه : شيطان .

(٤٢) ديوان امرئ القيس ٣٣ .

(٤٣) الْمَشْرفيّ : السّيف : منسوب إلى قُرىً بالشام ، كان يُقال لها الْمَشارف . والمسنونة الزُّرْق : السِّهام الْمحدَّدة .

(٤٤) ينظر تفسير القرطبي ١٥/٨٥ .

(٤٥) تفسير القرطبي ١٥/٨٥ .

« الْمُهْل » : الشيء يُذابُ حتّى يَماع[٤٦] بالنّار ، وهو مُهْلٌ ؛ لأَنَّـه يُمْهَل في النّـار حتّى يذوب . وهم يَصِفُون كلَّ مذمومٍ من الطَّعـام بـأنّـه يَغلي في البطون ، كأَكل الرِّبـا والغَصْبِ ونحوه . وكذلـك يَقولون : الحِقْـد يَغْلي في قَلْبـه ، والعـداوةُ تَغْلي في صـدرِه ؛ على الاستِعارة . قال الشّاعر :

وأَلَـــــدَّ ذي حَنَـــقٍ عليَّ كأَنَّما تَغلي عَـداوةُ صـدرِهِ في مِرْجَـلِ[٤٧]

وقرأ ابنُ كثيرٍ وعبـــدُ الله بن عـــامر وحَفص عن عـــاصِم : ﴿ يَغلي ﴾ [الدُّخان : ٤٥/٤٤] باليـاء[٤٨] ، والبـاقون : « تَغلي » بـالتـاء . الأَوَّل على تـذكير الْمُهْلِ ، والثاني على تأنيث الشَّجَرة .

(٤٦) يقال : ماع الشيءُ ، وانماع : ذاب .

(٤٧) الْحَنَقُ : الغيظ .
والمِرجل : القِدْرُ (من حجارة أو نحاس ، أو ما شابَهَ) .

(٤٨) في النَّصِّ المصحفي : ﴿ يَغْلي ﴾ بالياء ، ويُنظر في القراءات هنا ، معجم القراءات القُرآنية ١٤٢/٦ .

سُوْرَةُ السَّجدة(١)

قولُه عزّ وجلّ : ﴿ وَلاَ تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلاَ السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَداوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيْمٌ ﴾ [فصّلت : حم السجدة : ٣٤/٤١] .

المعنى : ولا تَستوي الحسنةُ والسَّيئة ، فـ ﴿ لا ﴾ زائدة مؤكَّدة(٢) . قوله : ﴿ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ أي : ادْفَع السَّيِّئة بالتي هي أحسن . قال الشاعر(٣) :

حَيِّ ذوي الأضغــانِ تَسْبِ قُلـوبهم   تحيتُـكَ الحسنى ، فقـد ترقعُ النَّعلْ(٤)

فالْحَسنة تعني الْمُداراة ، والسَّيِّئة [تعني](٥) الغلظة ، فأدَّبَ اللهُ عبادَهُ هذا الأدب .

وقال النَّبيُّ ﷺ(٦) : « إنَّكم لن تَسعَوا النّاس بأموالكم ، فَسَعُوهُمْ بأخلاقكم » ، وقال

(١) كذا في الأَصلين المخطوطين ؛ ومن أسماء هذه السورة ﴿ حَم السَّجدة) لأنَّ فيها سجدة . وقد غلب اسمُ السجدة على السورة ، التي تسبقُ سورة الأحزاب وكثيراً ما تُدعى (الّم السَّجدة) لتميَّز من هذه السورة ، التي تدعى حم السجدة أو سورة فُصِّلَتْ .

(٢) يُنظر تفسير القرطبي ٣٦١/١٥ .

(٣) البيت في عيون الأخبار ١٨/٢ ، وفي العقد ٣٣٦/٢ ، قَدِم العلاءُ بن الحضرميّ على النَّبي ﷺ فقال له ﷺ : هل تروي من الشعر شيئاً ؟ قال : نعم ، قال : فأنشِدْني ، فأنشده :

تَجَنَّب ذوي الأضغــانِ تَسْبِ نُفـوسهم   تَحَبُّبَــكَ القُرْبى فقــد تُرقـع النَّعـل

(مع بَيْتَيْنِ آخرين) ، فقال النَّبي ﷺ : « إن من الشعر لحكمة » .

ـ وفي النسخة ك : تَسْبِ عقولهم .

(٤) الأضغان جمع الضِّغن .

(٥) الكلمة من ك فقط .

(٦) أخرج البزّار بسندٍ حسنٍ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، رفعه : « إنكم لن تسَعوا الناس بأموالكم =

عليه الصَّلاة والسّلام[٧] : « بُعثت بالحنيفيّة السَّهلة » ، وقال له رجل : يا رسول الله أوصِني [٥٧/ب] فقال : « لا تَغْضَبْ » ، قال زِدني ، قال : « لا تَغْضَبْ »[٨] .

ومن كلام أكثم[٩] لولده : « يا بنيَّ الْقَ عَدُوَّك بِحُسنِ البِشْر ، وأَخْفِ عنهُ ما في الصَّدر » .

وقال سَالِمُ بنُ وابِصَة[١٠] في ابنِ عمٍّ له ، وكان يُعاديه ويَعتدي عليه ، فلم يزل سالمٌ يُداريه وينزعُ عن قَلبه حتى عادَ إلى مَودَّته[١١] :

دَاوَيْتُ صدراً مبيناً غِلُّه حقدا ... منه ، وقلَّمتُ أظفاراً بلا جَلَم[١٢]
فأصبحَتْ قوسُهُ دوني مُوتَّرةً ... ترمي عدوّي جهاراً غير مكتتم[١٣]

وقال عمر بن ذرّ[١٤] : « إني لا أُكافئ من عَصى الله فيَّ بأكثر من أن أُطيعَ اللهَ فيه » .

ومرَّ الشَّعبيُّ[١٥] بقومٍ يَتَنَقَّصُونه ، فأنشدَ قول كثيِّر[١٦] :

= فليسعهم منكم بسطُ الوجه وحُسن الْخُلُق » . فتح الباري ٣٧٦/١٠ .

(٧) في الفتح الكبير من حديث جابر رضي الله عنه ، (٧/٢) ؛ وفي كنزل العمّال ١٧٨/١ : « بُعِثْتُ بالحنيفيّة السَّمحة ، ومَن خالفَ سُنَّتي فليس مِنّي » .

(٨) رواه البُخاري في صحيحه في كتاب الأدب : باب الحذر من الغضب ، فتح الباري ٥١٨/١٠ .

(٩) هو أكثم بن صيفي ، حكيم العرب وخطيبهم .

(١٠) سالم بن وابصة ، من شعراء الحماسة .

(١١) الحماسة بشرح المرزوقي ١١٦٠/٣ .

(١٢) في ك : بلا قلم .

(١٣) في ك : جهراً .

(١٤) القول في عيون الأخبار ٢٨٥/١ .

(١٥) الخبر في عيون الأخبار ٢٨٣/١ .

(١٦) ديوان كثيِّر عَزّة ١٠١ .

هَنِيئـــاً مَرِيئـــاً غيرَ داءٍ مُخـــامِرٍ   لِعَـزَّة مِن أعراضِنَـا مـا اسْتَحلَّتِ[١٧]

وأَسمعَهُ يوماً رجلٌ كلاماً ، فقال لـه : إن كنتَ صـادقـاً فغفرَ اللهُ لي ، وإن كنتَ كاذباً فغَفَر اللهُ لكَ[١٨] .

وحُكي أنَّ رجـلاً شتَم الحسنَ البصريّ ـ رحمـه الله ـ وأربى ، فقـال لـه الحسن : أمّا أنت فَما أبقيتَ شيئاً ، وما يعلم اللهُ : أكثرُ[١٩] !

وقال الأحنف بن قيس : ربَّ حِلمٍ تجرَّعتُه مخافة ما هو أشدُّ منه[٢٠] . وكان يقول : وجدتُ الحِلمَ أنصرَ لي من الرِّجال[٢١] . وقال يوماً[٢٢] : تعلَّمتُ الحِلم من قَيسَ بن عـاصم المِنقريّ ؛ بينَا هو قاعِدٌ بفنائه ، مُحْتَبٍ بِكسائه ؛ أَتَتـه جمـاعـةٌ فيهم مقتولٌ ومكتوفٌ ، قيل[٢٣] : هذا ابنُكَ قتله ابنُ أخيك ! فواللهِ مـا حَلَّ حَبوتَـه[٢٤] حتى فَرغ من كلامـه ، ثمَّ التفتَ إلى ابنٍ لـه في الْمَجلس فقـال : قُمْ فـأطلِقْ عن ابنِ عَمِّـك ، ووَارِ أخـاك[٢٥] ، واحمِلْ إلى أُمِّه مِئةً من الإبل فإنَّها غَرِيبة . ثمَّ أَنشأ يقول :

[من الكامل]

إنِّي امرؤٌ لا يطَّبي حَسبي   دَنَسٌ يغيِّره ولا أَفْنُ[٢٦]

---

(١٧) خامره الداء : خالطه . ومريء : سهل طيِّب .

(١٨) الخبر في عيون الأخبار ٢٨٣/١ .

(١٩) أرْبى : زادَ ؛ أي زادَ في شتمه عن الْحَدّ .

(٢٠) القول في عيون الأخبار ٢٨٤/١ .

(٢١) القول في عيون الأخبار ٢٨٦/١ .

(٢٢) الخبر والشعر الذي بعده في عيون الأخبار ٢٨٦/١ ، وتُنظر روايته .
ويراجع أيضاً في العقد ٢٧٧/٢ ، وديوان المعاني ١٣٥/١ ، والمرزوقي ١٥٨٤/٤ ، وأمالي القالي ٢٤٣/١ .

(٢٣) في ك : فقيل .

(٢٤) احتبى بالثوب : اشتمل أو جمع بين ظهره وساقيه بعمامةٍ ونحوها . والاسم الحبوة (مثلثة الحاء) .

(٢٥) يريد دفنه .

(٢٦) اطَّبَاهُ : استمالَهُ وصَرَفَهُ إليه . والأفْنُ : النَّقْص .

من مِنْقَرٍ في بيتِ مَكْرُمــــــــةٍ والغُصْنُ تنبتُ حَـولــه الغُصْنُ[٢٧]
خُطَبـــاءُ حين يقـولُ قـــائِلُهم بيضُ الـوجـوهِ أَعِفَّـــةٌ لُسْنُ[٢٨]
لا يفطُنـــونَ لعيبِ جـــارِهِمُ وهُم لِحِفــظِ جـوارِهِ فُطْنُ[٢٩]

ثمَّ أقبل على القاتِلِ فقال له : قَتَلْتَ قَرابتك ، وقطَعْتَ رَحِمَك ، وأَقلَلت عَددك ، لا يُبعد الله غَيْرَك .

وفي قيس بن عاصم يقول الشاعر[٣٠] : [٥٨/أ]

[من الطويل]

عليــكَ سـلامُ اللهِ قَيْسَ بنَ عــاصِمٍ ورحمتُــهُ مـــا شـــاءَ أن يتَرحَّما
تحيَّــةَ مَنْ أَلبَسْتــه منــك نعمــةً إذا زارَ عن شَحْــطٍ بـلادَك سَلَّما[٣١]
فلم يَـكُ قَيْسٌ هُلْكَـهُ هُلْـكُ واحـدٍ ولكنَّــهُ بُنْيــانُ قَــومٍ تَهــدَّمهــا

وكان الأَحنف يقـول : اختلفنـا إلى قيس بن عـاصم في الحِلْم كما تختلفُ الفُقَهـاء إلى الفقه[٣٢] . وحَدَّثني عبيدُ الله بنُ بكر قال[٣٣] : كان المشتهر[٣٤] بن معـاويـة عمُّ الأحنف يُفَضَّل على الأَحْنَف ، فأَمَرهُ أَبو مُوسى أن يَقْسِمَ خَيْلاً في بَنِي تَميم فقسَمها ، فقـال رجلٌ

(٢٧) مِنْقَر : أَحَدُ أَجْدادِ الأحنف ، وهُوَ مِنْقَر بن عُبَيْد ... بن زيد مناة بن تميم .
و (الغُصْنُ) الثانية : جَمْعُ غُصْنٍ لَم يَرِد في المعجمات .

(٢٨) اللُّسْنُ : جَمْعُ اللَّسين ، وهُوَ الفَصيح .

(٢٩) الفُطْنُ : جَمْعُ الفَطِن ، وَهُوَ السَّريعُ التَّنَبُّه والفَهم .

(٣٠) هو عبدة بن الطبيب التيمي شاعر فحل من مخضرمي الجاهلية والإسلام (ت نحو ٢٥ هـ) . والشعر في الحماسة بشرح المرزوقي ٧٩٠/٢ ، والشعر والشعراء ٣٧٣ ، والعقد ٢٨٧/١ ، والأغاني ٨٣/١٤ ، والإصابة ١٠١/٥ .

(٣١) الشَّحْط : البُعْد .

(٣٢) عيون الأخبار ٢٨٧/١ .

(٣٣) الخبر في عيون الأخبار ٢٨٦/١ .

(٣٤) في ك : المشتهر ، وفي عيون الأخبار : المتشمش .

من بَني سَعد : ما منَعكَ أن تُعطيَني فَرساً ؟ ووثبَ إليْه فَهَرشَ[٣٥] وجْهَهُ ، فقامَ إليه القَوْمُ ليأخُذوه ، فقالَ : إنّي لا أُعانُ عَلى واحِد ، ثُمَّ انْطَلق بهِ إلى أبي مُوسى ، فلَمّا رآهُ سَأل عَمَّا بِوَجْهِه ، فقال : دَعْ هذا ؛ ولكنَّ ابْنَ عَمّي ساخِطٌ فاحْمِلْهُ على فَرسٍ ، فَفعل .

وحدَّثني العُشارِيُّ بإسْنادِه عن أبي هُرَيْرَة[٣٦] أنَّ أعْرابيّاً جاءَ[٣٧] إلى رسولِ الله ﷺ يَستَعينُه في دَمٍ ، فأعْطاهُ شَيئاً وقال : هل أحسَنْتُ إليك ؟ فقال الأعرابي : لا ، ولا أجْمَلْت ! فَغضِبَ بعضُ المُسْلمين وهَمُّوا بِهِ ، فأشار إليهم النَّبيُّ ﷺ أنْ : كُفُّوا عَنْهُ ، وقامَ إلى مَنزلِه ودَعا الأعرابيّ فزادَهُ شيئاً ، ثم قال : هل أحسَنْتُ إليك ؟ قال : نَعَمْ فَجَزاك اللهُ من أهلٍ وعَشيْرَةٍ خيراً ، فقال النَّبي ﷺ : « إنَّك جِئتَنا فأعْطَيناكَ ، وقُلتَ ما قلتَ[٣٨] ، وفي أنْفُسِ أصحابي عَليكَ مِن ذاك شَيءٌ ، فقُلْ بينَ أيْدِيهم مثلَ ما قُلْتَ بينَ يَديَّ ؛ لِيذهبَ من صُدورِهم ما فيها عَلَيْك » . فلَمّا جاءَ الأعرابيُّ قال رسول الله ﷺ : إنَّ صاحِبَكُم سَألَ فأعْطَيْناه ، وقالَ ما قالَ ، وقد دَعوناهُ فأعْطَيناه ورَضِيَ ، أكذاكَ ؟ قال : نَعم ، فجزاكَ الله من أهْلٍ وعَشيرةٍ خيراً . فقال النَّبيُّ ﷺ : « إنَّ مَثَلي ومَثَلَ هذا الأعْرابيّ مَثَلُ رَجُلٍ شَرَدَتْ ناقتُه فاتَّبَعها النّاسُ فلم يَزيدُوها إلاّ نُفوراً ، فقال صاحِبُ النّاقةِ : خَلُّوا بيني وبينَ ناقَتِي فأنا أرْفَقُ بِهَا ، ثُمَّ أخذَ لها من ثُمَامِ[٣٩] الأَرْضِ فَدَعاها هوبى هوبى[٤٠] ، حتّى جاءَتْ

---

(٣٥) « هَرَشَ وَجْهَهُ » يعني خَمَشَه ، ولم يرد اللفظ بهذا المعنى في المعجمات ، والذي ورَد فيها : هَرِشَ الدَّهرُ إذا اشتدَّ ؛ وهَرِشَ الرَّجُلُ : ساءَ خُلُقُه ؛ وهرّشَ بين النّاس : أفْسَدَ .

(٣٦) الحديث في الشفا للقاضي عياض ١/١٦٠ ، والوفا بأحوال المصطفى لابن الجوزي ٢/٤٢٤ . وأخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد ٩/١٥ .

(٣٧) في ك : أنَّ رجلاً .

(٣٨) عبارة : ما قلت ، لم ترد في ك .

(٣٩) الثُّمام : ما يبس من الأغصان ؛ ونبتٌ من نبات البادية .

(٤٠) في اللسان : أهاب بالإبل : دعاها .

فاسْتَجابَت ، وشَدَّ رَحْلَها واسْتَوى عليها ، وإنِّي لوأَطَعْتُكم حيثُ قالَ ما قـالَ فقَتَلْتُـهُ ؛ لَدَخل[٤١] النَّار » [٥٨/ب] .

وفي هذا أو نحوه[٤٢] من فِعْلِ الرَّسُول ﷺ تمثيلٌ للكافَّةِ في استعمالِ الْمُدَاراةِ والـدَّفْعِ بالْحُسْنى . وكانَت الغِلْظَةُ غالِبَةً على طِبَـاعِ القَوْم ، والحِلْمُ في خـاصَّتِهِمْ ورُؤسائِهِمْ دونَ عامَّتِهم وسُوَقِهم .

والتَّشْبيه في الآيَةِ لِلْمُقارَبـةِ ، وإنَّما أَكَّـدَ الصِّفَـة بتعـديـدِ اللَّفْـظِ ، دَلالـةً على قُوَّةِ السَّببِ في وُقوعِ التَّشْبيه ، وحَضّاً على اسْتِعْمالِه والأَخْذِ بِمِثالِه .

---

(٤١) في س : دخل النّار .

(٤٢) في س : وفي هذا ونحوه .

سُورَةُ مُحَمَّد صَلَّى اللهُ عليه

قولُـه عزّ وجلّ : ﴿ وَالَّـذِيْنَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَـأْكُلُونَ كَمَـا تَـأْكُـلُ الأَنْعَـامُ ﴾ [محمد : ١٢/٤٧] .

معنى تشبيههم بـالأنعـام في الأكل : التَّخسيسُ لهم والإزراءُ بهم في هـذه الحـال ، ووصفُهم بالْجَهل والدَّناءة ، وأنهم يـأكُلون للشَّرَه والنَّهَم كالبَهـائم ، وذلـك أنَّ الأكل على ضربَيْن : أَكْلُ نَهْمَـة وأكلُ حِكمَـة . فـأكل النَّهمـة للشَّهـوة فقـط ، وأكل الحِكمَـة للشّهـوة والْمَصْلَحة .

والعرب تمدحُ بقلَّـة الأكل وخِفّـة الرُّزْء ، كما تَـذُمّ بـالرُّغْبِ والبِطنَـةِ والشَّرَهِ ، قـال الشَّاعر يذكر[1] رجلاً[2] :

[من الطويل]

تَراهُ خميصَ البطنِ، والـزَّادُ حـاضرٌ عَتيدٌ، ويغـدُو في القَمِيصِ المقـدَّدِ[3]

وقال الآخر[4] :

---

(١) في ك : يصف رجلاً .

(٢) الشاعر هو دريد بن الصّمة .

(٣) البيت من قصيدة مشهورة لدريد في رثاء أخيه ؛ في الحماسة بشرح المرزوقي ٢٨٠/٢ ؛ وفي ديوانه ٥٠ .
ـ والزّاد العتيد : الْمُهَيّأُ الْمُعَدّ . والقميص المقـدّد : المقطّع ؛ يعني أنّـه قليل الاعتنـاء بصيـانـة مَظْهره ؛ لأنّه صَرَفَ اهتمامَهُ إلى صيانة عِرْضِه .

(٤) هو أعشى باهلة : عامر بن الحارث بن رباح البـاهلي من هَمْدان : شـاعر جـاهلي ، اشتهر بقصيـدة في رثاء أخيـه لأمّـه المنتشر بن وهب (ينظر فيـه الأعلام ٢٥٠/٣ ومصـادره) . والبيت في خزانـة الأدب (١٩٨/١) ضمن قصيدة طويلة .

[من البسيط]

تَكفيـــه حُـزَّة فِلْـــذانٍ أَلَمَّ بهـــا   من الشِّواء ، ويُروي شربَـةُ الغُمَرُ[5]

وأنشد الأَصمعيُّ لبعضهم :

[من الطويل]

إذا مـا امتـذقنـا كلَّ يـومين مَـذْقَـةً   بخمسِ تُمَيراتٍ صغـــارٍ كَـوانـزِ[6]

فنحنُ ملوكُ النّاسِ خِصباً ونِعمـةً   ونحنُ رجـالُ الحربِ عنـد المزاهـزِ[7]

ومِمّـا يجري في كلامهم كالْمَثَلِ[8] [قولُهم : البِطنـة تُسَفِّـهُ الأَحلام ؛ و] قـولُهم : البِطنـةُ تَـذهبُ بـالفِطنــة[9] . وقـال بعضهم : الشِّبَـعُ داعِيَــةُ البَشَمِ ، والبشم داعيـة للسَّقم[10] . وقال الحارث بن كلدة[11] : خيرُ الـدّواء الأَزْم ، وشرُّ الـدَّاء إدخـالُ الطَّعـامِ على الطَّعام .

ووصّى بعضُهم ولـده فقـال[12] : يـا بُنَيَّ عَوِّدْ نَفْسَـكَ الأثرة ، ومجـاهـدة الشَّهـوة ، ولا تَنهش [٥٩/أ] نَهْشَ السِّبـــاع ، ولا تخضِمْ خَضْمَ البراذين[13] ، ولا تُـــدمِن الأَكل إدمـانَ النِّعـاج ، ولا تلقم لقمَ الجِمال . إنَّ اللهَ جعلـكَ إنسـانـاً فلا تجعَلْ نفسَـك بهيمـةً ،

---

(٥) الحُزَّةُ : قطعةٌ مِنَ اللّحم قُطِعَتْ طولاً . والفِلْذان : جَمْعُ فِلْذَةٍ ، وهي القطعة من الكَبِد واللّحم . وأَلَمَّ بها : أَصابَها ؛ يعني : أَكَلَها . والغُمَرُ : قَدَحٌ صغيرٌ لا يروي .

(٦) امتذَقنا : شَرِبنا الْمَذقة ، وهي اللّبن الممزوق بالماء . وكَوانز : مُمتَلِئات .

(٧) المَزاهز : الحروب .

(٨) ما بين قوسين لم يرد في ك .

(٩) « البطنة تُـذهب الفطنـة » في عيون الأخبـار ٢١٩/٣ ، وعبـارة مجمع الأَمثـال ١٠٦/١ : « البطنـة تـأفِنُ الفطنة » .

(١٠) البَشَمُ : التُّخَمَة .

(١١) القول في عيون الأخبار ٢١٨/٣ .

(١٢) الوصيّة في عيون الأخبار ٢١٧/٣ .

(١٣) نهش السِّباع : تَناوُلُها الطائفةَ من الدّابّة بفمها . والْخَضْم : مَلءُ الفَمِ بالطَّعام .

واحذَرْ سُرعة الكِظَّةِ[١٤] ، وسَرَف البِطنة ، فقد قال بعض الحكماء : إذا كُنتَ بطيناً فَعُدَّ نَفْسَك مع الزَّمْنى .

وقال الأَصمعيّ[١٥] : بلغني أنَّ الحسن قال : إنَّ قوماً لَبِسُوا هذه الْمَطارِف[١٦] العِتاق ، والعمائم الرِّقاق ، وأوسَعُوا دورهم ، وضيَّقوا قُبورهم ، وأَسْمَنُوا دوابَّهم ، وأهزَلُوا دِينهم ، طعام أَحَدِهم غَصْبٌ ، وخادِمُه سُخرة ، يتكئُ على شماله ، ويأكُل من غير ماله ، حتى إذا أدركَتْهُ الكِظَّة قال : يا جارية ! هاتي حاطوماً[١٧] ؟ وَيْلَك وهل تحطمُ إلاّ دِينك ؟ أينَ مساكِينُكَ ؟ أين يَتامَاكَ ؟ أينَ ما أَمَرك اللهُ بهِ ؟ أينَ ؟ أينَ ؟!

وقال عُروةُ بن الورد[١٨] يخاطبُ رجلاً من قومِه :

[من الطويل]

إنِّي امرؤٌ عافي إنائيَ شِركةٌ ... وأنتَ امرؤٌ عافي إنائِكَ واحدُ[١٩]
أَتَهْزَأُ مِنِّي أن سَمِنْتَ وأن ترى ... بجسمي شحوبَ الحقِّ، والحقُّ جاهدُ[٢٠]
أُقَسِّمُ جسمي في جسومٍ كثيرةٍ ... وأَحْسُو قَراحَ الماء ، والماءُ باردُ[٢١]

وقال آخر[٢٢] :

[من الطويل]

---

(١٤) الكِظّة : الامتلاء من الطعام .
(١٥) القول في عيون الأخبار ٣/٢٢٠ .
(١٦) المطارف : جَمْعُ مُطْرَف ، وهو رداءٌ من خزّ مُرَبَّع ذو أعلام .
(١٧) الحاطوم : الهاضُوم ، وكل دواء يهضم الطَّعام .
(١٨) الأبيات لِعُروة بن الورد في ديوانه ٥١ ـ ٥٢ .
(١٩) عافي الإناء : ما يَرُدُّ فيه مِنَ الْمَرَقة إذا استُعِيرَ .
(٢٠) الحِقّ : البعير الذي دخل سنَّ الرّابعة . والجَاهِد : المزيل ؛ تقول : جَهَدَ الْمَرَضُ فلاناً ؛ أي أهزله .
(٢١) في الدّيوان : بوجهي شحوب الحقّ ...
(٢٢) هو حاتم الطّائي ، والبيت في ديوانه ٦٨ . ونسبه في مجموعة المعاني للأخطل (١٨٠) ولم يرد في ديوانه .

أبيتُ هَضِيمَ الكشحِ مُضْطَمرَ الْحَشَا   منَ الجوعِ، أَخْشى الذَّمَّ أن أتضلَّعا[٢٣]

ومثلُه قولُ الآخر :

[من الطويل]

لقد كنتُ أختارُ القِرَى طاويَ الْحَشا   محاذرةً من أن يُقال : لئيمُ[٢٤] !

وقال الآخرُ يخاطبُ زوجته[٢٥] :

[من الطويل]

إذا ما صَنعتِ الزَّادَ فالتمِسي لهُ   أكيلاً فإني لستُ آكلَهُ وحْدِي[٢٦]

أخاً طارِقاً ، أو جارَ بيتٍ فإنَّني   أَخافُ مَذَمَّاتِ الأَحاديثِ من بَعدي !

وقولُهم في هذا الباب كثيرٌ مشهور .

والعلّةُ ها هُنا في التَّمدُّحِ بزهادةِ الأَكل والاقتصادِ فيه من جهةِ الرَّغبةِ منهم في بَذل الزّاد ، والأَنَفةِ من الاستئثارِ به دون الطَّارقِ والْجَار ، والتَّذكُّر بالطَّوى [٥٩/ب] حالَ[٢٧] ذَوي الحاجةِ ما ينسيه الشِّبع والبِطْنَة . وكذلك حُكي[٢٨] عن عُتبة بنت عَفيف ، أُمّ حاتم الطّائي[٢٩] ، وكانت من كَرمها لا تُلِيقُ[٣٠] شيئاً ، فحظَر عليها إخوتُها حتّى حَبَسُوها

(٢٣) تضلّع الرجل : امتلأ ما بين أضلاعه شبعاً وريّاً .

(٢٤) في (س) : محافظةً من أن يقال ...
- وطاوي الحشا : أي يبات جائعاً .

(٢٥) البيتان من قطعة (في أربعة أبيات) في الكامل ٧٠٩/٢ لقيس بن عاصم المنقري .
وتُنظر حاشية المحقق للإحالة .

(٢٦) أكيل : آكِل ؛ يعني آكلاً يأكلُهُ معي .

(٢٧) في (ك) : من حال .

(٢٨) الخبر في عيون الأخبار ٣٣٦/١ .

(٢٩) (الطائي) من ف فقط .

(٣٠) لا تُليق أي لا تمسكُ شيئاً .

ومَنَعُوها[٣١] الطعام ، ثمّ أخرجوها ودَفَعُوا إليها صِرْمَةً[٣٢] ، فأتتها امرأة من هَوازن سائلةً[٣٣] فأعْطَتْها[٣٤] ، وقالت :

لَعَمْري لَقِدْماً عَضَّني الْجُوعُ عَضَّةً فآلَيْتُ ألاَّ أمنعَ الدَّهرَ جائِعا
فهل ما تَرون اليومَ إلاَّ طبيعةً وكيفَ بتركي يا ابنَ أمِّ الطَّبائعا ؟

ولَمَّا كانت هذه الحال عندهم من أشرفِ مَنائح الذِّكر[٣٥] ، وأنفسِ ما نَطق به لسانُ الشِّعر ؛ كان نفيُها عن الْمُشار بالقولِ إليه من أبلغِ صفاتِ الذَّمِّ ، وأبعَدِ غاياتِ الهَجْوِ والسَّبِّ ؛ وذلك كقولِ الأعشى في هجو عَلْقَمة بنِ عُلاثَة[٣٦] :

[من الطويل]

تَبيتونَ في الْمَشْتى مِلاءً بطونُكُمْ وجَاراتُكُم غَرْثى يبِتْنَ خَمائِصا[٣٧]

ومثله[٣٨] قول الآخر[٣٩] :

[من البسيط]

وضيفُ عمرٍو ، وعَمرٌو ساهِرَانِ مَعاً فذاكَ من كِظَّةٍ ، والضَّيفُ من جُوعِ[٤٠] !

---

(٣١) في ك : ومنعوها من الطعام .
(٣٢) الصِّرمةُ : القطعة من الإبل ، واختلف في عددها من العشرة إلى الخمسين .
(٣٣) كلمة « سائلة » من ف فقط .
(٣٤) في ك : فأعطتها الصِّرمة .
(٣٥) منائح جمع مَنِيحة : وهي العَطِيّة .
(٣٦) البيت للأعشى في ديوانه ١٤٩ .
(٣٧) خمائص جمع خميصة ؛ وهي ضامِرَةُ البَطن . وغَرْثى : جائعات .
(٣٨) أي مثل ما سبق من التمدّح بزهادة الأكل وذمّ الكظّة والبطنة .
(٣٩) البيت في عيون الأخبار غير منسوب (٦١/٣) ، ورواه المبرّد لدعبل الخزاعي (الكامل ١٧٣/٣) ، وهو مع بيت آخر يتقدّمه في ديوان دعبل (٤٠) في الشعر المنسوب له ولغيره .
(٤٠) الكِظّة : الامتلاء من الطعام .

وقال الأخطل[٤١] ، على ما به من الإفراط والزِّيادة في الهَجو :

[من البسيط]

قـومٌ إذا استَنْبَـجَ الأَضيـافُ كلبَهُم   قـالـوا لأمهمُ : بـولي على النّـارِ!

وقيل لجرير : أيُّما أشعر ؟ أنتَ في قولـك : « حَيِّ الغـداةَ بِرَامـةَ الأَطلالاَ »[٤٢] أم الأَخطل في جَوابِهـا ؟ فقـال : هو أَشْعَرُ منِّي ، غيرَ أنّي قلتُ فيهـا بيتـاً لوأنَّ الأفـاعي نهشَت أستاهَهُم ما حَكُّوها بعدَه[٤٣] :

[من الكامل]

والتَّغلبيُّ إذا تَنَحْنَـحَ للقِرى   حَـكَّ اُسْتَـهُ وتمثَّـلَ الأَمثـالا[٤٤]

وكأنَّما انتزعَ جريرٌ مَعنى بيتِه من قَول الحُطَيئة[٤٥] : [٦٠/أ]

[من الطويل]

كَـدَدْتُ بـأَظفَـارِي وأَعمَلْتُ مِعْـوَلي   فصـادَفْتُ جُلمـوداً من الصَّخرِ أَمْلَسـا[٤٦]

تَشـاغَلَ لَمَّـا جئتُ في وجـهِ حـاجَتِي   وأَطْرَقَ حتّى قلتُ : قد ماتَ ، أو عَسى[٤٧]

---

(٤١) ديوان الأخطل ٦٣٦/٢ .

(٤٢) هذا صدر بيت ، وتمامه : (ديوان جرير ٤٧/١) .

حَيِّ الغـداةَ برامـةَ الأَطـلالا   رَسْماً تَحَمَّـلَ أهلُـه فـأَحـالا

(٤٣) البيت من القَصيدة المنبّه عليها في الحاشية السابقة (٤٢) .

(٤٤) ويُروى : إذا تُنُبِّحَ للقِرى .

ـ وكان من عادتهم إذا طرق الطارق الدِّيارَ ليلاً استَنْبَح الكلاب (قلّدها لتجاوبه) فيصحُو القوم ويستقبلونه للمأوى والقِرى .

(٤٥) ديوان الحطيئة ٣٢٩ .

(٤٦) في الديوان : « كدحت بأظفاري » ونبّه على رواية المصنّف .

ـ وفي ك : فصادفَ جُلموداً .

(٤٧) أَطْرَقَ : سكتَ ولم يتكلّم . وقوله : « أو عسى » يعني : أو عسى أن يموت .

فـأجْمَعْتُ أنْ أنعـاهُ حينَ رأيتُـهُ   يفـوقُ فُـواق الْمَـوْتِ حتّى تنفَّسـا[48]
فقلتُ لـه : لا بـأسَ ، لستُ بعـائـدٍ   فـأفرخَ تعلـوهُ السَّمادِير ، مُبْلِسـا[49]

وكَما أنَّ فيهم من يَتمدّحُ ببذل القِرى ، ومُعاناة الطَّوى ، وتحمُّل الكُلفة ، ومواساةِ ذَوي الْخَلَّة[50] ، فكـذلـك فيهمُ البَخيلُ الجـامع ، واللَّئيم الرّاضع[51] ، ومن يُؤثر التَّفرُّد بناره ، والاستِئثار بزادِهِ دون ضَيْفِه . ويُنشَدُ لبعضهم[52] :

[من الكامل]

أعـددتُ لـلأضيـافِ كلباً ضـاريـاً   عنـدي وفضـلَ هِراوةٍ من أرْزَنِ[53] !

وقال الآخر[54] :

[من الطويل]

وإنّي لأجْفُـو الضيفَ ، من غير بغْضَـةٍ   مَخـافَـةَ أنْ يَضْرى ، بِنَـا فَيَعُـودُ[55]

وقال الأصمعي[56] : مَرَّ ابن حَمامَةَ بالْحُطيئة فقال : السَّلام عليك ، قال : قلتَ ما لا يُنكر ! قال : إنّي أَرَدتُ الظِّلَّ ، قال : دونَك والجبلَ حتى يُفِيء عليك ! قال :

---

(٤٨) أجمعت أن أنعاه : عَزَمْتُ على نَعْيِه . ويفوقُ فُواقَ الموت : يَخْرُجُ النفس من فمه على هيئة خروجه من فَمِ الذي يجود بِنَفْسِه .

(٤٩) أفْرَخَ : فَزِعَ ؛ وأفْرَخَ روعُهُ : ذَهب . والسَّمادير : ما يتراءى للإنسان إذا سَكِرَ .

(٥٠) الخَلّة : الحَاجَةُ والفقر .

(٥١) الرّاضع : اللَّئيم الذي رَضَعَ اللُّؤمَ من ثدي أُمّه .

(٥٢) البيت في عيون الأخبار ٢٤٢/٣ ، وبعده :

ومَعـاذِراً كـذبـاً ووجهـاً بـاسِراً   متشكّيـاً عَضَّ الـزَّمـانِ الألْـزَنِ

(٥٣) الأرْزن : شجر صلب تُتّخذ منه العِصِيّ .

(٥٤) البيت في عيون الأخبار ٢٤٢/٣ ، وفيه : من غير عسرةٍ .

(٥٥) يَضْرى بنا : يولع بنا ويعتاد .

(٥٦) الخبر في الأغاني ١٤٢/٢ .

إنّي خرجتُ من عنـد أهلي بغير زاد ! قـال : مـا ضَمِنتُ لأَهلـكَ قِراك ! قـال : إنّي ابنُ حَمامة ، قال : كُن ابنَ النَّعامة ! فمضى عنهُ آيساً !!

قال[٥٧] : وخرج الحطيئـة يومـاً[٥٨] من خبـائـه وبيـده عصـاً ، فقـال لـه رجلٌ : ما هذه ؟ قال : عَجْراءُ من سَلَم[٦٠] ! قال : إنّي ضَيف ، قال : للضَّيْفِ أَعددتُها !

وكان أبو الأسود يقـول[٦٠] : لـو أَطَعْنـا المسـاكينَ في أمْـوالِنـا[٦١] كنّـا أَسْوَأَ حـالاً منهم[٦٢] ؟

قال المدائني[٦٣] : ضافَ رجلٌ من بني كلب أَبـا الرِّمكاء الكلبي ، ومع الرجل فضلـةٌ من حِنطـة ، فراحت مِعْـزى أَبي الرِّمكاء فحلبَ وشَرب ، ثم حلب وسَقى ابنـه ثم حلَب وسقى امرأَتَهُ[٦٤] ، فقال الرَّجُل : ألا تَسْقُونَ ضَيفَكُم ؟ قال : ما فيها فَضل ! فاستَخْرَج ما في عِكْمِه[٦٥] من الحِنطة ثم قال : هَلِ مِن رحىً ؟ [٦٠/ب] فـأسرعوا بهـا نحوه[٦٦] ، فطحَنَ وخَبز خُبزتـه ، وأَخْرَجهـا فَنَفضهـا ، وإذا رسولُ أَبي الرِّمكاء يقول : لا عهـدَ لنـا بالخبز[٦٧] ، فقال الرَّجل : ما فيها فَضل ، ثمَّ أَكل وارْتَحل ، وقال :

---

(٥٧) الخبر في الأغاني ١٤٣/٢ .

(٥٨) سقطت كلمة (يوماً) من : ف .

(٥٩) العجراء : العَصَا التي فيها عُقَد .

(٦٠) الخبر في العقد ١٩٥/٦ .

(٦١) أَطاعَهُم في أمواله : انقادَ لهم فيا يطلبونَ منه .

(٦٢) وكان أبو الأَسود في مشهوري البُخلاء .

(٦٣) عيون الأخبار ٢٤٠/٣ .

(٦٤) في ك : وسقى امرأته ، بسقوط : « سقى ابنه ثم حَلَب » .

(٦٥) العِكْمُ : ما يُبْسطُ من الثياب ويُجعل فيه المتاع .

(٦٦) في ك : فأسرعوا به نَحْوَه .

- والرّحى : الأداةُ التي يُطحَنُ بها ، وهي حَجَرانِ يُوضَع أحدُهما على الآخر ويُدار الأعلى على قطب .

(٦٧) يقول بَعُدَ عَهْدُنا بالخبز (لم نأكله من مُدّة بعيدة) ؛ والمقصود استحثـاث لـه على أن يصلهم ببعض الخبزة التي صنعها !

بَـاتَ أَبُـو الرَّمكاء لم يَشْـقِ ضَيفَـهُ ... من الْمَحْضِ مـا يَطْـوي عليـهِ فَيرقُـدُ[٦٨]
فقمتُ إلى حَنَّـانـةٍ فـوق أُخْتِهـا ... ونـارٍ ، فبـاتت وهي بـالليـلِ تـوقـدُ[٦٩]
فلمـا نفضتُ الخبزَ بـالعـود أقبلتْ ... رسـائلُ تشكُو الجوعَ ، والحيُّ سُهَّـدُ[٧٠] !
فقلتُ : ألا لا فَضْـلَ فيهـا لبـاخـلٍ ... ولا مَطمـعٌ حتى يلـوحَ لنـا الغَـدُ[٧١]
فبـاتَ أَبـو الرَّمكاء من فضـلِ ريحهـا ... يئِنُّ ، كما أَنَّ السَّليمَ المسَهَّـدُ[٧٢]

ولذلك كان صعاليكُ العَرب ولُصوصُهم وأربـابُ الغـارة منهم يَرون أنَّ مـا يحوونـه من النَّعم بالغارة ، وينالونه بالسَّرَقِ والسَّلَّة إنما ذلـك مـالٌ مُنِعَتْ منـهُ الْحُقوق ، ودُفع عنه[٧٣] بالبُخل والعُقوق ، فأَرسلهم الله إليه ، وسبَّبه لهم ، ورَزَقهم إيَّـاه ؛ كما قـال عُروة الصَّعاليك[٧٤] :

[من الطويل]

لعـلَّ انطـلاقي في البـلادِ وعَـزمتي ... وشدِّي حَيـازِيْمَ المطيَّـةِ بـالرَّحْلِ[٧٥]
سَيـدفَعُني يـومـاً إلى رَبِّ هَجْمَـةٍ ... يُـدافعُ عنهـا بـالعقوق وبـالبُخلِ[٧٦]

ولشـدَّة إفراطهم ومُبـالغتهم في ذمِّ الرُّغبِ والنَّهم : مـا ضَمَّنوه الأَهـاجي وقَرنـوه

---

(٦٨) الْمَحْضُ : اللَّبَن الخالص .
(٦٩) أراد بـ « حنّانة فوق أُختها » الرَّحى ، حَجَرٌ فوق حَجَر .
(٧٠) سُهَّد : جَمْعُ ساهد ، غير نائم .
(٧١) لا فَضلَ : لا زيادة عن حاجتنا ؛ لباخل : يعني لِمَنْ بخل علينا باللَّبَن .
(٧٢) السليم : الملدوغ .
(٧٣) في ك : ودوفع عنه .
(٧٤) البيتان لعروة بن الورد (ديوانه ٥٤) ؛ وللشعر مناسبة مبسوطة في الديوان .
(٧٥) الحيازيم جمع حيزوم : وهو الصَّدر .
(٧٦) الهَجْمَة : القطعة المجموعة من الإبل (من الخمسين إلى السِّتِّين) .

بالْمَثالب ، كما قال جرير ، يصفُ قوماً بِسَفاهة الأحلام ، والحِرص على الْمُبادرة إلى الطَّعام(٧٧) :

[من الكامل]

وبَنُو الهُجيم سَفِيهةٌ أَحلامُهُم ثُطُّ اللِّحى ، مُتَشابِهُو الأَلْوَانِ(٧٨)
لو يسمعونَ بأَكلةٍ أو شَرْبةٍ بعُمانَ ، أمسى جمعُهم بعُمَان !
متأبِّطين بنيهُم وبناتِهِمْ صُعْرَ الأُنوفِ لريح كلِّ دُخانِ(٧٩)

وكما قال الآخر(٨٠) :

[من الوافر]

إذا ما مات مَيْت من تميمٍ وسرَّكَ أن يعيشَ فجئْ بزادِ(٨١)
[٦١/أ] بِخُبزٍ، أو بلحمٍ، أو بتمرٍ أو الشَّيءِ الملفَّفِ في البِجادِ(٨٢)
تراهُ يُطَوِّفُ الآفاقَ حِرصاً ليأكُلَ رأسَ لُقمانَ بنِ عادِ(٨٣) !

وعلى ذمّ هذه الحال ، ففيهم من يَمُتُّ بها ويعجب بذكرها ؛ أنشد الأصمعيّ لمزرِّد(٨٤) ، وكان جشعاً نهِماً :

---

(٧٧) ديوان جرير ٤٣٩/١ من قصيدة يهجو بها بني الهُجَيم بن عمرو بن تميم .
(٧٨) ثُطّ اللّحى : قليلو شعر اللّحى .
(٧٩) صُعْرُ الأُنوف : قد أمالُوا أُنوفَهمْ نَحْوَ كلّ دخانٍ ليشمّوا رائحة الطعام .
(٨٠) الشعر في العقد ٤٦٢/٢ ؛ وهو ليزيد بن عمرو بن الصَّعق في الحماسة البصرية (٢٥٩/٢) ، وانظر تخريجاته ؛ وانظر أيضاً في خزانة الأدب (٥٢٧/٦) .
(٨١) في ك : فسرّك أن يعيش .
(٨٢) في ك : بخبز أو بتمرٍ أو بلحم ؛ والبجاد : كساءٌ مخطَّط من أكسية الأعراب . والشيء الملفَّف في البجاد : وطب اللبن : يعيّرهم بحبّ الطَّعام ، ولهذا قصّة (ينظر في الكامل ٢٢٢/١) .
(٨٣) طوّف وطَافَ بمعنًى واحد . وقال الثعالبي في ثمار القلوب (٢٥٧) : « العَرَبُ كما تَصِف لقمانَ بنَ عادٍ بالقوّة وطول العمر كذلك تصف رأسَهُ بالعِظَمِ ، وتضرب به المثل » . فالشاعر يقول : إذا ظَفِرَ التَّميميُّ بشيء من الطعام فكأنَّما ظَفِرَ برأس لقمان بن عاد .
(٨٤) الشعر لِمُزَرّد بن ضرار أخي الشَّمَّاخ في عيون الأخبار ٢٠٤/٣ وله مناسبة .

[من الطويل]

ولَمَّـا غـدَتْ أمّي تـزور بنـاتهـا ... أغرتُ على العِكْمِ الذي كان يُمْنَعُ[85]

لَبَكْتُ بِصَاعَي حِنطـةٍ صاعَ عَجْوَةٍ ... إلى صـاعِ سَمنٍ فـوقـه يتربَّـعُ[86]

وقلت لِبَطني : أبْشِري اليـومَ إنَّـه ... حِمَى أُمِّنـا مِمّـا تَحُـوز وترفـعُ

فـإنْ يـكُ مَصْفُـواً فهـذا دواؤُهُ ... وإنْ يَكُ غَرْثانـاً فَـذا اليومَ يَشْبَعُ[87] !

وأنشد لأعرابي[88] سقط بعيره فنَحره وأكله :

[من الرّجز]

إنَّ السعيـدَ من يمـوتُ جَمَلُـهْ

يَشْبَـعُ لَحماً ، ويَقِـلُّ عَمَلُـهْ

قال[89] : وقـال المُعتمر بن سليمـان ، قلت لِهلال بن الأشعر المـازني[90] : مـا أكْلَـةٌ بَلَغَتْني عَنك ؟ قال : جُعْتُ مرَّةً ومعي بعيرٌ لي فنحرتُه ، وأكلتـه إلاّ مـا حملتُ منـهُ على ظَهري ، فلما كانَ اللَّيل راودتُ أَمَةً لي فلم أصل إليها ، فقالت : كيف تصلُ إليَّ وبينَنـا جَمل ؟! فقلتُ : كم تكفيكَ هذه الأكْلَة ؟ قال[91] : أربعة أيّام ، وحدّثنا بـذلـك دون ذكر الأمَة الأمير أبو محمد ؛ فيما رواه [لنا][92] عن اليَشْكُري . وحدّثنا أيضاً قـال[93] :

---

(٨٥) العِكْمُ : نَمَطٌ تجعله المرأةُ كالوعاء تدّخرُ فيه متاعَها .

(٨٦) لَبَكَ : خَلَط . واللَّبيكةُ أَقِطٌ ودقيق أو تمر ودقيق يُخلط ، ويُصَبُّ عليه السّمن .

(٨٧) المَصْفُورُ : الذي به داء الصَّفر ، وهو داءٌ في البطن يصفَرُّ منه الوجه ، والغَرْثان : الجائع .

(٨٨) الخبر والشعر في عيون الأخبار ٢١٣/٣ .

(٨٩) عيون الأخبار ٢٢٦/٣ .

(٩٠) في عيون الأخبار أسْعَر (بالسين المُهملة) .

(٩١) في س : فقال .

(٩٢) هذه الكلمة من : ك .

(٩٣) المَكُّوك : مكيالٌ يسع صاعاً ونِصفاً ، وطَاسٌ يُشْرَبُ به .

مرَّ رجلٌ بجميلٍ فأضافه ، وخَبز خبزةً من مَكُّوك[٩٤] ، وثَرَدها في لبنٍ وسَمن ، ثم أتاه بها ، فجعل يُحَدِّث جميلاً عن بنت عمٍّ له يحبُّها ، ويأكل حتى أتى على الْخُبزةِ ، فقال جميل :

[من الطويل]

لقد رابَني من (زَهْدَمٍ) أنَّ زَهْدَماً ... يُلِحُّ على قُرصي ويَبكي على (جُمْلِ)
فلو كنت عُذرِيَّ العلاقةِ لم تكنْ ... بَطِيناً، ونَسَّاك الهَوى كثرةَ الأَكلِ[٩٥] !

[٦٧/ب] وقال الرَّاجز يصفُ أكُولاً ؛ أنشده الأَصمعيّ[٩٦] :

[من الرّجز]

يَلقَمُ لقماً ويُفَدِّي زادَهُ ... يرمي بأَمثالِ القَطا فُؤَادهُ[٩٧]

وأَنشد ثَعلب عن ابنِ الأَعرابي في صِفَةِ أكُول[٩٨] :

[من الرّجز]

وزادَ (عونٌ) لُقَماً عَلَيْنا
لَقْماً يُواري الأَنفُ منه العَينا

(٩٤) الخبر في العقد ٣/٢٨٤ ، و ٦/٢١٣ ، ولم يشر فيه إلى أن الشعر لجميل بثينة ؛ وفيه : « اصطحب شيخ وحَدث (رجل عجوز وآخر شابّ) في سفر ، وكان لهما قُرصٌ في كل يوم . وكان الشيخ منخلع الأضراس ، بطيءَ الأكل ، وكان الحدَثُ يبطش بالقُرص ثم يجلس يشتكي العشق ويتضوَّرُ الشيخ جُوعاً ، فقال الشيخ : « البيتين ... » .
ـ والخبر ، كما رواه ابن ناقيا ، في ديوان جميل ١٨٢٠ ، وتنظر تخريجات المحقق فيه .

(٩٥) يعني : عُذري الهوى .

(٩٦) البيتان في اللسان (ف د ى) ، قال : يُبقي زاده ويأكل من زاد غيره .

(٩٧) يريد أنَّ الرجل الموصوف يكبِّر اللقمة (أمثال القطاة) ويزدردُها !

(٩٨) على سبيل المبالغة .
ـ « يُواري الأنفُ منه العينان ، يعني : من شدّة ما فَتَحَ فَمَهُ ، ومِنْ عِظَمِ أَنْفِه » .

قال[٩٩] : وسمع أعرابي هذا الشعر فقال : سبحان الله[١٠٠] لَشَدَّما فَغَرَ فاه !

وقال حُمَيد الأرقط[١٠١] ، وذكر رجلاً :

[من الطويل]

أتانا ولم يَعدِلْهُ سحبانُ وائلٍ   بَياناً وعِلماً بالّذي هو قائلُ[١٠٢]
فما زالَ عنه اللّقمُ حتّى كأنّه   من العِيِّ ، لمّا أنْ تكلّم - باقلُ[١٠٣]

وقال الآخر ، وذكر قوماً[١٠٤] :

[من البسيط]

باتُوا وجُلّتنا الشّهريزُ بينهمُ   كأنَّ أظفارَهم فيها السّكاكينُ[١٠٥]
وأصبَحُوا والنّوى عالي مُعَرَّسِهم   وليسَ كلّ النّوى تُلقي المَساكين

وقال الأصمعي : قَرى فَضالةُ الطّائي رجلاً من ربيعة الجوعِ تمراً[١٠٦] ، فجعلَ

---

(٩٩) الكلمة من (ف) فقط .

(١٠٠) التسبيح من (ف) فقط .

(١٠١) البيتان من مجموعة المعاني ٤٤٢ ؛ وفي عيون الأخبار ٢١٩/٣ من سبعة أبيات ، وهما في بهجة المجالس ٧٧/٢ ، ونسبها في مجمع الأمثال ٧٢/٢ لحميد بن ثور ، وهما في اللسان (ب ق ل) ونسبها للأريقط أو حميد الأرقط ؛ وفي العقد ١٨٧/٦ من ثلاثة أبيات .

(١٠٢) سَحبان وائل يُضرب المثل به في البيان والفصاحة .

(١٠٣) باقل يُضرب به المثل في العِيّ (ويُذكر مع سحبان لإبراز التّضادّ !) . وقالوا : أعْيى من باقل .

(١٠٤) البيتان في العقد لحميد الأرقط ١٨٧/٦ ، مع ثالث ، هو أوّل الأبيات :

لا مرحباً بوجوه القوم إذ دخلوا   دسْمَ العمائم تحكيها الشّياطينُ

وفيه التر ويُكنَزُ .

(١٠٥) الشهريز : نوع من التّمر ، والجلة : وعاء من الخوص يوضع فيه التمر ويُكنَز .

(١٠٦) ربيعة الجوع : هم بنو ربيعة بن مالك بن زيد مناة ، من بني تميم .

يأكُله ويستَرِطُ النّوى[١٠٧] ، فقال له : ويحكَ ما تصنعُ ؟! قال : شِدّة حُبِّـهِ تبعثُني على أن أجعلَ نَواه معي في بطني !

قـال : وخـاطر[١٠٨] رجـل منهم رجـلاً أن يشربَ ثـلاث عُلبٍ من لَبن ؛ ويرى صاحبُهُ أنَّه لا يقدر ؛ فشربَهنّ ، فلما استَوْفَاهُنَّ تَجشَّأَ ، فقـال صـاحبـه : أَتراهـا راحـة الْمَوت ؟!

وكان[١٠٩] هلال بن الأشعر المازني يوضع القَمْعُ على فيه ، ويصبّ اللَّبنُ أو النّبيذ ، وكان غليظاً عَبْلاً[١١٠] ، فقال رجلٌ : ما هذه الكِدْنَةُ[١١١] ؟ قال : عنوانُ الخصب !

وقـال الأَصمعي[١١٢] : قيـل لأعرابيّ : مـا أَسْمَنَـكَ ؟ قـال : قِلّـةُ الفِكر ، وطُـول الدَّعة ، والنّوم على الكِظَّة[١١٣] .

وقال آخر لرجلٍ رآه سَميناً[١١٤] : أرى عليك قطيفةً من نَسْجِ أَضراسِك !

وقد قدَّمنا القول [٦٢/أ] في ذمّ هذه الحال للمعاني التي ذكرناها .

وللزُّهّاد وأَرباب التَّصوُّف والعبادة معنًى آخر في ذمِّ ذلك ومَقْتِـه ، وأَخْـذِ النفوسِ بِقِلَّة الرُّزء ، وخفَّةِ الطُّعم ؛ مُغالبةً لسلطانِ الشَّهوة ، وإضراباً من لَذّات الدُّنيا ، وشَوقـاً إلى نعيم الآخرة .

---

(١٠٧) يسترطُ النّوى : يَبْتَلِعُهَا .

(١٠٨) الْمُخَاطرة : الرّهان .

(١٠٩) الخبر في عيون الأخبار ٢٢٦/٣ .

(١١٠) العَبْلُ : الضّخم .

(١١١) الكِدْنَة : الشّحم ، واللّحم .

(١١٢) عيون الأخبار ٢٢٤/٣ .

(١١٣) الدَّعة : الرّاحة ، والكِظَّة .

(١١٤) عيون الأخبار ٢٢٥/٣ .

حدَّثني بعض الشيوخ قال : قال حاتم الأصمّ[١١٥] : ما من صَباحٍ إلاّ والشيطان يقول لي : ما تأكل وما تلبس وأين تسكن[١١٦] ؟ فأقولُ : آكل الْمَوت ، وألبسُ الكفنَ ، وأسكنُ القَبْر !

قال : وقال يحي بن مُعاذ الرّازي[١١٧] : الزُّهد ثلاثة أشياء : القِلّة والْخَلْوَةُ والْجُوع . وكان يقول : جُوع التَّوَّابين تَجربة ، وجوعُ الزاهدين سِياسة ، وجوعُ الصِّدّيقين مَكرُمَة[١١٨] .

وكان أبو القاسم الْجُنَيد يقول[١١٩] : ما أخذنا التَّصوُّف عن القيل والقال ؛ لكن عن الجوع وترك الدنيا وقطع المألوفات .

وكانَ داوود بن نُصَير الطّائي[١٢٠] يأكُل الْخُبز اليابس ، فقيل له : كيف تَشتهي مثل هذا ؟ فقال : أدَعُهُ حتّى أشْتَهِيَه ! وكان يشرَبُ الماء في الصَّيف من دَنٍّ مُقَيَّرٍ[١٢١] ، فقيل له : لو برَّدْتَ ماءك ! فقال : إذا شربتُ البارد في الصَّيف فَمَتى أشتهي الْمَوت ؟!

وقال عُمَر بن الخطّاب[١٢٢] رضي الله عنه ، وهو السَّابق إلى هذه الغاية والآخذ بأدب الآية ، والدَّليل في هذه السَّبيل ـ وقد حضرَ بعضُ الوَفد طَعامه ـ : « إنِّي قد أرى تعذيركم ، ولو شئت لكنتُ أطيبكم طعاماً ، وأرقّكم عيشاً ، والله ما أجهل عن كراكر

---

(١١٥) حاتم الأصمّ : هو حاتم بن عنوان ، زاهدٌ وَرِعٌ ، لقي الإمام أحمد بن حنبل ، وشهد بعضَ الفتُوح ، وتُوفِّي سنة ٢٣٧ هـ .

(١١٦) كلمة (لي) و (أين) من ف فقط .

(١١٧) ينظر فيه ، وفي القول : طبقات الأولياء ٣٢٢ .

(١١٨) في س : تكرمة .

(١١٩) القول في طبقات الصوفيّة ١٥٨ .

(١٢٠) طبقات الأولياء ٢٠٠ .

(١٢١) دنّ مُقَيَّر : مطليٌّ بالقار (الزّفت) .

(١٢٢) العقد ١٥/١ .

وأسنمة ، وعن صَلاً وصِناب وصلائق[123] ، ولكنْ وجدتُ الله تعالى عيَّر قوماً بأمر فعلوه فقال : ﴿ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا ﴾ [الأحقاف : ٢٠/٤٦] .

ومن كلامِ النَّبيّ ﷺ ، مما ضربه مثلاً لمتاع الدنيا قوله عليه الصَّلاة والسَّلام[124] : « إنَّ مِمّا يُنبِتُ الربيعُ لَما يَقْتُلُ حَبَطاً أو يُلِمُّ » . والحبط : أن تأكل الدَّابَّة حتى ينتفخَ بطنُها وتمرض .

وسُمّي الحارث بنَ مازن عن عمرو بن تميم : الْحَبِط[125] ؛ لأنَّه أصابه مثلُ ذلك في سَفرٍ ، وبَنُوه يُسمّون الْحَبِطات ، والنّسبةُ إليه : حَبَطِيّ ، تخفيفاً لاجتماع الكَسْرات .

فأراد ﷺ [٦٢/ب] أنَّ الماشية يروقُها الْمَرعى ، فربَّما أكلت فوق طَورها فَحَبطت . وكان في دُعائه عليه الصَّلاة والسَّلام : « أعوذُ بك من الْجَشَع والْهَلَع » .

فقد بيَّن الله تعالى بقوله : ﴿ إنَّ اللهَ يُدْخِلُ الَّذِيْنَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِها الأَنْهارُ والَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَما تَأْكُلُ الأَنْعامُ والنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ ﴾ . [محمد : ١٢/٤٧] أنَّه تبارك وتعالى حَبا بالجنَّة من أخذ فيما ذكرناه بأدَبِ الكِتاب والسُّنَّة .

---

(١٢٣) قوله : « أرى تعذيرَكم » يعني تأخُّرَكم عَن طعامي . والكَراكر جمع الكِرْكِرَة : وهي صَدْرُ البَعير . والصَّلا : وَسَطُ الظَّهرِ . والصِّناب : الطويل الظهر . والصَّلائق ، جمع الصَّليقة : وهي اللحم المشويّ المنضَّج .

(١٢٤) أورده في العقد ٦٤/٣ ـ ٦٥ ، والنهاية في غريب الحديث (ح ب ط) ، ومسند الإمام أحمد ٩١/٣ .

(١٢٥) الْحَبِط : الذي أصابَهُ الْحُبَاط ، وهو انتفاخُ البَطْنِ مِنْ أَكْلِ بَقْلَةٍ تُسمّى الذُّرَق والحندقوق .

سُورَةُ الفَتْح

قولُه عزّ وجلّ : ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ ... ﴾[1] إلى قوله تعالى : ﴿ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوراةِ وَمَثَلُهُمْ في الإنْجيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ ، فَاسْتَوَى عَلَى سُوْقِهِ ، يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيْظَ بِهِمُ الكُفَّارَ ﴾ .

« الشَّطْءُ » : النبتُ يخرجُ في جوانبِ النبت ؛ ومنه : شاطِئُ النَّهر : جانبه . يقال : أشطأ الزَّرعُ فهو مُشطِئٌ ؛ إذا أفرخَ في جوانبه . والشَّكير أيضاً من نظائر الشَّطء ، وهو النَّبتُ في جوانبِ النَّبت ، ويُستعار في الرِّيش ، كما قال الْحَكَميّ[2] - وقد استُشهد بشعرِه في كلامِ العَرب دونَ غيره من الْمُحْدثين ؛ لفصاحته وصِحّة روايته - يَذكُرُ العُقاب[3] :

[من الطويل]

طَوَتْ ليلتينِ القُوتَ عن ذِي ضَرورةٍ ⁂ أُزَيغِبَ لم يَنْبُتْ عليـهِ شَكيرُ

(١) الآية ٢٩ : ﴿ مُحَمَّدٌ رَسولُ اللهِ والَّذِينَ مَعَهُ أَشِدّاءُ عَلَى الكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَراهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُوْنَ فَضْلاً مِنَ اللهِ وَرِضْواناً سِيَمَاهُمْ فِي وُجوهِهِم مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذلك مَثَلُهُمْ ﴾ الآية .

(٢) هو أبو نواس ، الحسن بن هانئ ، الحكمي (ولاءً) .

(٣) من مطلع قصيدته المشهورة في مدح الخصيب ، في مصر ، وسياقُ البيت (ديوانه : الغزالي ٤٨٠)

وإني لطرفِ العينِ بالعين زاجرٌ ⁂ فقد كدتُ لا يخفى عليَّ ضميرُ
كما نظرت والريحُ ساكنةٌ لها ⁂ عقابٌ بأرساغِ اليدينِ نَدورُ
طوت ليلتين القوتَ عن ذي ضرورةٍ ⁂ أُزيغبَ لم ينبت عليه شكيرُ
فأوفتْ على علياء حتى بدا لها ⁂ من الشمسِ قرنٌ والضريبُ يمورُ

وأُزيغب : تصغير أزغب ؛ وهو الفرخ ذو الزَّغب (الريش الدقيق اللين) . والشكير : الريش أول ما ينبت . صوَّر الشاعر سرعة الريح بسرعة العقاب الذي لم يطعم فرخها منذ ليلتين فخرجت تطلبُ له القوت .

قوله : ﴿ فَـآزَرَهُ ﴾ : أي آزر صِغـارُه كبـارَه ، فـاستوى بعضُـه مع بَعض ؛ حتّى قَوِيَ واشْتَدَّ ؛ قال الأَسودُ بنُ يَعْفُر[٤] :

[من الكامل]

ولقَـــدْ غَـــدوتُ لعـــازبٍ مُتَحفِّـــزٍ أَحوى الْمَـــذانبِ ، مُـؤْنِـقِ الرُّوَّادِ
جَـــادَتْ سَـــوارِيـــهِ وآزرَ نَبتَـــهُ نُفَـــأٌ من الصَّفراء والـزُّبَّـــادِ[٥]

فإذا صار كذلك فهو مُتناقل .

قـال أَبو عُبَيـد : يقـال : أَنْشَرَتِ الأرضُ وأمشرت ؛ إذا بـدأت بـإخراج النَّبـات . ونَضح الشَّجر ؛ إذا بدأ بإخراج الوَرق . قال أبو طالب بنُ عبدِ المطَّلب[٦] : [٦٣/أ]

[من الخفيف]

ليتَ شِعري مُسَـــــافِرَ بنَ أَبي عَمْـ ـرِو و«لَيْتٌ» يقـولهـــا المحـزونُ
بُـــوركَ الميِّتُ الغَريبُ كما بُـــو رِكَ نَضْحُ الرُّمَّـان ، والـزَّيتـونُ[٧]

---

(٤) أبو الجرّاح الأسود بن يعفُر النَّهشلي ، شاعرٌ جاهليّ ، من فُحول الشعراء . كان ينادم النعمان بن المنذر .

(٥) البيتان من قصيدة مفضَّليّة تعدُّ في مشهور شعره خاصة ، وفي مختار أشعار العرب .
ـ العـازب : البعيـد (أراد مكاناً) ومتنـاذر : ينـذر النـاس بعضهم بعضاً منه خوفاً . والمـذانب جمع المذنب : المسيل الصغير من الحرَّة إلى الوادي . والأحوى : الـذي اشتـدَّت خضرتـه فضرب إلى السـواد (صفـة للنبـات حول المذانب) . المؤنق : المعجب . الرواد جمع رائـد : الـذي يـدور في البلاد يطلب المرعى .
والسّواري جمع السارية (السحابة تُمطر ليلاً) . آزره : عاونه . والنُّفـأ : القطع من النَّبـات (المتفرقـة هنا وهناك) . والصَّفراء والزُّبّاد : نوعان من العُشب .
(تنظر المفضليات بشرح ابن الأنباري ٤٥٥ ، وبشرح شاكر وهارون ٢١٩) .

(٦) أبو طالب عم النّبي ﷺ ، وله شعرٌ باق .

(٧) والبيتان في رِثاء مسافر بن أبي عمرو بن أمية . قال في الاشتقـاق : كان من رجـال قريشٍ جَمالاً وجوداً وشعراً (ص ١٦٦) ، وفي نسب قريش شيء من شعره ، وخبره .
والبيتان من قصيدة ذكر بعضها المصعب الزبيري في نسب قريش (١٣٦ ـ ١٣٧) وقال إنه مات بالحيرة عند النُّعمان بن المنذر بالحيرة ، وكان قد خرج في تجارة . =

فإذا غَطّى النباتُ الأَرض قيل : قد استَحْلَس ، فإذا بَلَغ والتَفَّ قيل : استأسَد ، فإذا آزَرَ صِغارُه كبارَه قيل : تَنَاتَل[8] النَّبتُ .

أَنشَدَني الأميرُ أبو محمّد لسعيد بن حُمَيد[9] ، يصفُ تمايُلَ النَّباتِ في هذه الحال :

[من الخفيف]

حَرَّكَتْـهُ الرِّيـاحُ فـاعتـدلَ النَّبْـ ... تُ ومـالَتْ طِـوالـهُ بـالقِصـار

عـائـذٌ بعضـه ببعضٍ كقـومٍ ... في عِتـابٍ مُكَرَّرٍ واعتـذارِ[10]

قولـه تعـالى : ﴿ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ ﴾ ؛ أي : طلب الغِلَـظ . و « السُّوق » : جمع ساق ؛ وهو حامِلُ الشَّجرة ، وسُوق الزَّرع : عودُه الذي يقومُ عليه .

وهذا مَثَلٌ ضربهُ اللهُ تَعالى للنَّبيِّ ﷺ ؛ إذ خرَج وحده ثمَّ قَوِي بالأَصحاب . وكانت قريشٌ تذكرُ أنَّ مُحَمَّداً ضبور . والضَّبورُ : النَّخلةُ يدِقُّ أسفلُها ، وينجرِدُ كَرَبُها ، يقال : ضبر النَّخل ؛ إذا صار كذلك ، فَشَبَّهوهُ ﷺ بالنَّخلة في هذه الحال ، تفاؤُلاً له بالضَّعف وقلَّة الأَعوان . فأكذبَ اللهُ ظُنونَهُم فيه ، وشبَّهه في الآيةِ بعكسِ ذلكَ التَّشبيه .

= واستشهد ابن ناقيا هنا بالبيتين الأول والثالث من أربعة أبيات ثمّة (وتراجع حواشي محقّق كتاب نسب قريش) .

(8) في اللسان : تناتَلَ النبتُ : التفَّ وصار بعضُه أطول من بعض .
ـ والكلمة في المطبوع : « تَأَثّل » ؛ وهي من التصحيف والتحريف .

(9) سعيد بن حميد الكاتب ، أبو عثمان ، كاتب شاعر مترسّل ؛ قلّده المستعين (الخليفة العباسي) ديوان رسائله . له أخبار مع فَضْل الشاعرة ، ويكثر في شعره إنشاده على البديهة . وكان ذكياً ، ظريفاً .
له أخبار وأشعار في الأغاني (١٨/٩٠ـ١٠١) ، وطبقات ابن المعتز ٤٦٨ ، وأمالي القالي ١/٣٩ ، ١٠١ ، و ٣/١٧٠ .
وقد جمع شعره وأخباره يونس السامرائي في مجلة المورد ٣/٢ ، ٢٢٨ .

(10) في الأصلين ، والمطبوع : عائد بعضه ببعض . ورجحت قراءة (عائذ) .

وقد وَهِمَ أبو عُبيد في هذا الحديث ما لا وَجْهَ له ، وأخَذ عَلَيه ابنُ قتيبة فيه غيرَ موضع الأَخذ ، وخالَفا صوابَ التَّأويل ؛ فذكر أبو عُبَيد عن أبي عبيدة أنَّ الضبور : النَّخلةُ تخرجُ في أَصْل النَّخلِ لم تُغرس . قال ، وقال الأصمعيّ : الضبورُ : النَّخلةُ تبقى منفردة ويدِقُّ أسفلها . قال : « وقول الأصمعيّ أعجبُ إليَّ ؛ يعنونَ أنَّه فردٌ ليسَ له ولَدٌ ولا أخٌ ؛ فإذا ماتَ انقطع ذِكره » .

وليس في التَّشبيه بالنَّخلة ، على تلك الصِّفة ، أو غيرها ، ما يَدُلُّ على انقطاعِ الذِّكر ، ولا اختصاص الولد والأَخ بهذا القول . وإنَّما الوجهُ في الحديث ما ذكرناه بدليل الآية .

وأمَّا ابن قتيبة فإنَّه صوَّب قول أبي عبيدة في تفسير الضّبور ، وقال : « إنَّما أرادُوا أنَّ محمَّداً ناشئ حدثٌ بمنزلة الضّبور الذي يخرج في أصل النخلة ، يقولون : فكيف تتبعُهُ المشايخ والكبراء وهو كذلك ؟ » . وهذا تأويل غير صحيح ؛ لأنَّ القوم أَبَوا اتِّباعَهُ جحداً لما جاء بِهِ ؛ لا لأنَّهم صدَّقوه ولم يدخلوا تحت دعوته من أجل أنَّه ناشئ حدث ! وعلى أنَّ النَّبي ﷺ بُعث حين بلغَ أشُدَّه وبلغَ الأَربعين . وإنَّما النَّاشئُ : الذي لم يخرج وجهُه ولم يسودَّ شعره . قال أبو زَيد : يقال للغُلام إذا راهق : جَحْوَش ! ثمَّ يافِع ، على غير قياس ، فإذا شارف الاحتلام فهو كوكب ، ثمَّ ناشِئ ، ثم طارٌّ بعد ذلك إذا خرَج شعره . والذي ذكره القتيبيُّ غَلطٌ قبيحٌ في اللَّفظ والتَّأويل .

والتشبيه في الآية من أَوقع التَّشبيهات وأوضحها ، وأبلغ التَّمثيلات وأفصحها[11] .

وقد نقلت العربُ كثيراً من أوصاف النَّبات والشَّجر إلى أوصاف النّاس واطَّرد

---

(١١) قال القرطبي : وهذا مثلٌ ضربه الله تعالى لأصحاب النَّبي ﷺ يعني أنهم يكونون قليلاً ثم يزدادون ويكثرون . فكان النَّبي ﷺ حين بدأ بالدعاء إلى دينه ضعيفاً ، فأجابه الواحد بعد الواحد ، حتى قوي أمرُه كالزَّرع يبدو بعد البذر ضعيفاً ، فيقوى حالاً بعد حال حتى يغلظ نباته وأفراخه .
فكان هذا من أصح مثل وأقوى بيان (الجامع لأحكام القرآن ٢٩٥/١٦) .

ذلك في كلامهم ؛ لوقوعِ المناسَبة بينَ الحالَيْن ، وبحسب ذلك تحسُنُ التَّشبيهات والاستعارات في هذا الباب ، فقالوا : فُلانٌ كريم المَغْرِس ، وعَريقُ الحسَب ، وما أنجبَ عُودَهُ ، وأزكى نباتَه ! وقال الله تعالى في ذِكر مَرْيم : ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتاً حَسَناً ﴾ [آل عمران : ٣/٣٧] . وقال جلَّ اسمه : ﴿ وَاللهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الأَرْضِ نَبَاتاً ﴾ [نوح : ٧١/١٧] . وقال النَّبيُّ ﷺ ، في قومٍ يخرُجون من النَّارِ[١٢] : « فينبتونَ كما تنبتُ الحبَّةُ في حَميل السَّيل » .

قال الكلبيُّ : مَرَّ مروانُ بن الحكم سنةَ بويعَ له ، على ماءٍ لبني جَزْء عليه زُرارة بن جَزْء[١٣] ، وهو [٦٤/أ] شيخٌ كبيرٌ ، فقال : كيف أنتم آل جَزء ؟ فقال : بخير ! أنبتنا اللهُ فأحْسَنَ نباتَنا ، ثمَّ حَصَدنا فأحسنَ حصادَنا[١٤] ! وكانُوا هَلَكُوا في الجِهاد بالرُّوم .

وقال الشَّاعر يمدحُ رجلاً :

[من الكامل]

وأَبُو اليَتامى ، ينبتونَ ببابِهِ نبتَ الرَّبيعِ بكالئٍ مِعشابِ[١٥]

وقالوا : غُلام أَمرد ؛ إذا كان عاري الوجهِ من الشَّعر ، قال الأعشى :

---

(١٢) أخرجه البخاري من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه : « يقول الله تعالى أخرجوا من كان في قلبه مثقالُ حَبّة من خردل من إيمان . قال : فيخرجون فيلقون في نهر الحياة ، فينبتون كما تنبت الحِبّة في حَميل السَّيل ، أو قال : حَميّه » . وفي رواية في جانب السيل . والكلمة في النهاية لابن الأثير (ح م ل) : وهو ما يجيء به السَّيل من طين أو غثاء أو غيره ، فإذا اتفقت فيه حبّة واستقرت على مجرى السيل فإنها تنبت في يوم وليلة ، فشبَّه بها عود أبدانهم وأجسامهم إليهم بعد إحراق النار لها .

(١٣) زرارة بن جزء (أو جَزَيّ) الكلابي ، صحابي جليل عاش إلى أيّام مروان بن الحكم . وله خبر في وفادة له على عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

(١٤) الخبر في البيان والتبيين ٣/١٤٦ ـ ١٤٧ وفيه : « قال : كيف أنتم ... قالوا ... » . والأولى ما نقله ابن ناقيا ، والكلام لزرارة .

(١٥) أبو اليتامى : أي يرعاهم وينفق عليهم .

[من الكامل]

وأرى الغواني لا يُواصِلْنَ امْرَأً فَقَدَ الشَّبابَ ، وقد يصِلْنَ الأَمْرَدا[١٦]

وأخذ المعنى أبو تمّام فقال ، وأحسنَ عِبارَتَه :

[من الكامل]

أَحلى الرِّجال من النِّساء مَواقعاً مَنْ كان أشْبَهَهُمْ بِهنَّ خُدودا[١٧] !

[وقال حَيّان بن حَنظلة :

[من الكامل]

وإذا دعَوتُ بني جَدِيْلَةَ جاءَني مُرْدٌ على جُرْدِ الْمُتونِ ، طِوالُ][١٨]

و (الأمرد) مأخوذٌ من الشَّجرة الْمَرْداء ، وهي[١٩] العارِيَةُ من الوَرق .

وقولهم : شيطان مريد[٢٠] ؛ أي عاتٍ معناه قد عَرِيَ من الْخَيْر ، ومن ذلك : أيْضاً بناءٌ[٢١] ممرَّد ؛ أي مملّس . وفي التنزيل : ﴿ قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِن قَوارِيْرَ ﴾ [النّمل : ٢٧/٤٤] .

---

(١٦) ديوان الأعشى (أعشى قيس) ٣٤ ، وفيه إن الغواني ، وهو الأمثل ، فقد سبق له بيت آخر يقول فيه :
وأرى الغواني حيث شبت هَجَرْنَني

(١٧) ديوان أبي تمام بشرح التبريزي ٤١٥/١ .

(١٨) بنو جديلة من طيِّئ ، وهي أُمُّهم (الاشتقاق ٣٨٠) .

(١٩) في (ك) : وهو . وفي (ف) : وهي .

(٢٠) وفي سورة الحجّ (٣/٢٢) . ﴿ ويَتَّبِعُ كُلَّ شَيطانٍ مَّرِيدٍ ﴾ .

(٢١) في (ك) : « قيل بناء ... » .

و (مـارد)[٢٢] : حصن دومـة الْجَنْـدَل ؛ قـالت الـزَّبـاء[٢٣] : « تمرَّد مــارِدٌ وعـزَّ الأبلق »[٢٤] .

و (الْمَرْدُ) : ثَمرُ الأراك ؛ قالَ طرفة[٢٥] :

[من الطويل]

وفي الحيِّ أحوى ينفضُ الْمَرْدَ شـادِنٌ مُظـاهِرُ سِمْطَيْ لُـؤلـؤٍ وزَبَرْجَـدِ

وقـالوا : طرَّ شـاربُ الغلام ، فهو طـارٌّ ؛ إذا بَـدا ، منقـول من : طرّ النَّبت يطرُّ طُروراً ؛ إذا ظهر .

وكذلـك يقـال : حَمَّم النبت ؛ إذا اسْتَحلس ، فهو محمّم ، وحَمَّمَ وجـه الغلامِ : إذا اسودَّ شعره وأخذ بعضه بعضاً ؛ قال كثيِّر[٢٦] :

[من الطويل]

وإني لأَسْتَـــأْنِي ولـولا طَماعَـــةٌ بِعَـــزَّة قــــد جَمَّعتُ بين الضَّرائرِ
وهَمَّ بنـــــــاتي أن يَبِنَّ وحَمَّمتْ وجـوهُ رجـالٍ من بَنِيَّ الأَصــاغِرِ

(٢٢) مارد في معجم البلدان ٣٨/٥ .

(٢٣) الزباء بنت عمرو صـاحبـة تـدمر وملكـة الشّام والجزيرة (توفيت ٣٥٨ ق.هـ - ٢٨٥ م) . وينظر في خبرها ، واختلاف الأقوال فيها ، وفي مملكتها : المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ١٠٣/٢-١٣٨ .

(٢٤) في معجم ياقوت (مارد) : وفيه وفي الأبلق قالت الزباء وقد غزتها فـامتنعـا عليهـا : « تمرّد مـارد وعزّ الأبلق » .

- والعبارة دخلت في أمثال العرب ؛ (ينظر فصل المقال لأبي عبيد ١٣٠ ، ومجمع الأمثال ١٢٦/١) .

(٢٥) هو طرفة بن العبد ؛

- والبيت من معلقته ، في الديوان ٨ .

(٢٦) البيتان في ديوان كثيِّر عزّة (٤٥١) .

- أستأني : أتأنّى وأنتظر . وحمّت : اسوَدّت .

يقول : لولا رجـائي أن تكون عزّة زوجـةً لي ، لقـد تزوَّجتُ ضرائرَ فولَـدنَ لي بنين وبنـاتٍ ، فكبروا جميعـاً ، وهمّت بنـاتي أن يبنّ مِن أزواجهنّ (أو همّت بنـاتي أن يَبِنّ عنّي إلى أزواجِ لهنّ) واسـودّت منابِتُ لِحى بَنِيّ .

وقـالـوا : بقَـل وَجْهُـه ، كما قـالُـوا : بقَلت الأَرض وأبقلت ، (يقــال في الأَرض بالألف)[27] ، قال الأَعشى[28] :

[من المتقارب]

فـلا مـزنـة ودقتْ وَدْقَهـا ولا أَرض أبقـل إبقـالهـا[29]

[٦٤/ب] واكتهل الرجل ؛ إذا انتهى شبابه ، وكذلك النَّبْتُ ؛ إذا انْتَهى طولُـه ، قال الأعشى[30] ، يصفُ روضةً :

يُضاحِكُ الشَّمسَ منها كوكبٌ شَرِقٌ مـؤزَّرٌ بعميمِ النَّبتِ مُكْتَهِـلُ[31]

وقوله تعـالى في صفـة عيسى عليـه السَّلام : ﴿ وَيُكَلِّمُ النَّـاسَ في الْمَهْـدِ وكَهْلاً ﴾ [آل عمران : ٤٦/٣] .

وقال أَبو خِراش الهُذليّ يَذكُر ما جاءَ به الإسلام من الكَفّ عن الْجَهْل[32] :

[من الطويل]

فليسَ كعهـدِ الـدّارِ يـا أمَّ مـالـكٍ ولكِنْ أَحـاطتْ بـالرِّقـابِ السَّلاسِـلُ
وعـادَ الفتى كالكهـلِ ليسِ بقـائـلٍ سوى الحقِّ شَيئـاً ، واسْتَراحَ العَواذِلُ

---

(٢٧) العبارة من ك فقط .

(٢٨) البيت لعامر بن جوين الطائي في اللسان (ب ق ل) .

(٢٩) في ك : ولا الأرض . وكانت كت كذلك في ف ، ثم صَوَّبها بضمر الألف واللاّم .

(٣٠) من معلقته ، في أبيات مشهورة لوصف الرَّوضة . (الديوان ٥٧) .

(٣١) الكوكب : اسمٌ للنَّوْر على سبيل التشبيه . والشَّرق : الرَّيان .

(٣٢) شاعر مخضرم : والبيت من قصيدة في ديوان الهذليّين ١٥٠/٢ .
يقول : إن الإسلام أحـاط بـالأعنـاق فَحَجزهـا عن فعل البـاطِل . وكان أبو خراش ـ كما رَوَوْا ـ يهوى امرأةً في الجاهلية ، فلما أسلم راودته فأبى وأنشأ يقول : فليس كعهد الدّار ... الشعر .
ـ واستشهـد ابن السيِّـد البطليـوسي بـالبيت على أن يُراد بـالسلسلـة : المنع من الشيء والكفّ عنـه (الإنصاف لابن السيد ـ الطبعة الثالثة بدار الفكر بدمشق ـ ص ٧٣ـ٧٤) .

وقالوا : جُرثومة القوم : أَصْلُهم ، ويقال : « الأَزْدُ جرثومَةُ العَرب[٣٣] ، فَمَن أَضَلَّ نَسَبَهُ فليأتهم » .

وقال ذُو الرُّمَّة[٣٤] :

وحائلٌ من سَفيرِ الْحَولِ جائِلُهُ حولَ الجراثيمِ ، في ألوانِهِ شَهَبُ

يصفُ ما تجولُ به الرِّيحُ من يَبيسِ الورَقِ حولَ أُصول الشَّجر .

والْجُرثومة : أصلُ الشَّجَرة ، وكذلكَ الأُرُومة أيضاً .

والأُرومة : أصلُ القَوم . أنشدني أَبي ، رحمه الله ، لعليّ بن الخليل[٣٥] في مَدْحِ الْمَهْدِيّ ، أو الرَّشِيد :

[من الكامل]

مِنْ عِتْرَةٍ طابَتْ أَرُومتُهم أهلُ العَفافِ ومُنتهى القُدْس
دونَ السَّماء فُروعُ نَبعتهِمْ ومعَ الحضيضِ منابتُ الغَرْسِ[٣٦]

---

(٣٣) في الاستيعاب : الأزد جرثومة من جراثيم قحطان ، وافترقت فيا ذكر أبو عبيدة وغيره من علماء النسب نحو سبع وعشرين قبيلة . (من شرح القاموس) .

(٣٤) ديوان ذي الرّمة ٨٤/١
ـ الحائل : ورقٌ قد تغيَّر إلى البَياض . والسَّفير : كل ورق سفَرَتْهُ الرِّيح فألقَتْه : (فعيل بمعنى مفعول) ، وسفرته : نسفته . والجراثيم : التراب يجتمع إلى أصول الشجر .
يقول : في أوراق هذا الشجر شَهَب . أي ابيضَّ لَمَّا يبس .

(٣٥) أبو الحسن عليّ بن الخليل مولى يزيد بن مَزْيَد الشَّيباني ، لهُ أخبار في الأغاني (١٦٦/١٤) وأمالي المرتضى ١٤٦/١ .

(٣٦) البيتان من قصيدة أنشدها عليّ بن الخليل في هارون الرشيد ، وقرأها بين يديه في الرّقّة (بعد أن تنكّر لكي لا يُعرف من هو) أوّلها :

يا خيرَ مَنْ وخَدت بأرحُلِه نجبٌ تخبُّ بِمَهْمِهِ جَلْسِ

وآخرها بعد سرد هفواته التي لا تمتُّ بصلة إلى الزَّندقة :

=

وقالوا في الدُّعاء : لَحاه الله ! واللِّحاءُ : قشر الشَّجرة . ومنه اشتقاق اللاَّحي ؛ كأَنَّه يقشرُ بالْمَلامة .

وفي المثل[٣٧] : « من لاحاكَ فقَد عاداك » .

ومما يجري في (كلامهم من)[٣٨] الاستعارة والنقل قولهم : عَجَم عُودَهُ ، ونَحتَ أَثْلَتَهُ ، وقَرَع نَبْعَتَهُ ؛ ومعانيهنَّ مُختلفة[٣٩] .

وقال زُفَر بنُ الحارث الكلابيّ يوم مرج راهط[٤٠] :

= والله يعلمُ في بقيّتــــــــــــــهِ ما إنْ أضعْتُ إقــامــةَ الْخَمْسِ

فقبل منه الرشيد ، ولم يأخذ بما سعى الوشاة به من دعوى الزندقة .

ـ والبيتان من قسم المديح من القصيدة ، ثبتا معاً في أمالي المرتضى ١٤٧/١ ، وسقط الثاني من الأغاني ، والنّص في الأمالي من ١٥ بيتاً ، وفي الأغاني من ٢١ بيتاً .

ـ وفي رواية البيتين بعض خلاف .

(٣٧) المثل في مجمع الأمثال ٣١٢/٢ ، ويُضرب لمن يقشر عِرْض الآخر .

(٣٨) العبارة من ك فقط .

(٣٩) ـ يقال فلانٌ صلب الْمُعْجَم : لمن إذا عَجمته الأمور وجدته متيناً . وعجم العُود : اختبر قوته وصلابته . ومنه في خطبة الحجاج : « إن أمير المؤمنين كبَّ كنانته ثم عجم عيدانها فوجدني أمرَّها عودا ... » البيان والتبيين ٣٠٩/٢ ، يقال عجم العود إذا عضّه ليعرف صلابته .

ـ أصل معنى نَحت العود ، قشره . وقالوا في المجاز : نَحَتَ أَثْلَتَهُ أي تنقّصه .

قال الأعشى :

ألستَ منتهيــــاً عن نحت أثلتنــــا ولستَ ضـائرهـا مـا حنّت الإبـلُ

ـ النَّبع : نباتٌ صُلب تتخذ منه القسِيّ . ويقال : فلان صليبُ النَّبع ، وما رأيت أصلب نبعةً منه (الأساس ن ب ع) ؛ وقولهم : قرعوا النبع بالنبع كناية عن اللقاء .

(٤٠) من أيام العرب في الإسلام كان سنة ٦٤ هـ .

زفر بن الحارث الكلابي من الوُلاة الفرسان . كان والياً على قِنّسرين أيام معاوية الثاني ، ومال إلى الضَّحاك بن قيس الذي شايع عبد الله بن الزُّبير . (توفي سنة ٧٥ هـ) . ويعدُّ في التابعين :

ـ ولزفر شعر في وقعة مرج راهط (النقائض ٢٤ ، وحماسة الخالديين ٣٠٣/٢) .

وكنّـا حَسِبْنـا كلَّ بيضـاءَ شحمـةً   ليـاليَ قـارَعْنـا جُـذامَ وحِمْيَرا
فلَمّـا قَرَعْنـا النَّبع بـالنَّبـعِ بعضـه   ببعضٍ أبَت عيـدانـه أن تكسَّرا[41]

ومن أمثالهم في الرجل الحازم قولهم[42] : جُذَيْلُها الْمُحَكَّك ، وعُذَيْقُها الْمُرَجَّب . يريدون العِذْقَ الراكب يقطعُ الذي تحته ، ويترك من عُرجونهِ سِناداً لـه . والرُّجبة : دكان يبنى تحت النخلة إذا مالت ، تعتمد عليه . قال الشاعر[43] :

[من الطويل]

ليسَتْ بِسَنْهـاءٍ ولا رجبيَّـة   ولكِنْ عَرايـا في السِّنينِ الْجَـوائِـحِ

وقد شبَّهوا قاماتِ الرِّجال بالنَّخل ، كما قال مُلْحَةُ الْجَرْمِيّ[44] ، يذكر رَجلاً :

كأنَّ زُرورَ القَبْطَرِيَّـة عُلِّقت   عـلائِقُهـا منـهُ بجـذعٍ مُقَـوَّمِ[45]

---

(٤١) البيتان من قطعة حماسية (شرح المرزوقي ١٥٥/١) .
- في أمثال العرب : (ما كلّ بيضاء شحمة ، ولا كلُّ سوداء تمرة) .
يقول : ظننا لَمّا التقينا مع جذام وحمير أن سبيلهم سبيل سائر الناس ، وأنّا سنقهرهم قهراً قريباً ، ثم وجدناهم بخلاف ذلك لكون أصلهم من أصلنا واجتماعهم فيما تميّزنا فيه عن سائر الناس معنا .
- والنَّبعُ خير الأشجار التي يتَّخذ منها القِسيّ وأصلبها ، كما أن الغَرَب أرخاها . والعرب تضرب بهما المثل في الأصل الكريم والوضيع .

(٤٢) مجمع الأمثال ١٦٦/١ . ويقال : هو جِذْلُ حكاك .

(٤٣) البيت لسويد بن الصامت ، في اللسان (رج ب) .
- السّنهاء التي أصابتها السّنة (الجدب والقحط) .

(٤٤) مُلْحَة الجرمي شاعر طائي ، ذكره المرزباني في معجم الشعراء ٤٤٤ ، واسمه بضم الميم وكسرها .
- وشرح ابن جني اسمه في المبهج ٢٢٨ .

(٤٥) البيتُ من قطعة حماسية تُنسب إلى ملحة الجرميّ (شرح المرزوقي ١٧٤٨/٤) ؛ وفي نسبة الشعر كلام (يراجع في حاشية شرح الحماسة) .
- القَبطريّة : نوع رفيع من الثياب . يقول : إنّه طويل القامة ، مديد الجسم ، فكأن زُرور هذا الجنس من الثياب علّقت منه على جذع مقوّم (أراد : طوله طول جذع : هكذا) .
=

(ويروى : مشنّب)[٤٦] .

وشبيه به قول عنترة[٤٧] :

[من الكامل]

بَطَـلٍ كأنَّ ثيـابَـهُ في سَرْحَـةٍ ۞ تحذى نِعالَ السِّبْتِ ليسَ بِتَوْأَمِ[٤٨]

[و] يدخل في هذا الباب قول طرفة[٤٩] :

[من الرمل]

وليَ الأَصلُ الـذي فِي مثلِـه ۞ يُصلِحُ الآبِرُ زرْعَ الْمُـؤتَبِر[٥٠]

الآبر : الذي يصلح النَّخل ويخفِّف سعفه ؛ قال الرَّاجز : [٦٥/أ]

[من الرجز]

ترى لهـا بعـدَ إبـارِ الآبرِ ۞ مـآزِراً تُطْـوى على مـآزِرِ[٥١]

وقال زُهير يمدحُ قَوماً[٥٢] :

= والعرب تتمدح بالطُّول ، والبسطة في الجسم .

وزُرور جمع زرّ .

(٤٦) العبارة من ك فقط .

(٤٧) البيت من معلقته (ديوانه بشرح الأعلم الشنتمري ٢١٢) .

(٤٨) (بطلٍ) صفة لـ (مدجَّج) في بيت سابق . كأن ثيابه في سرحة كناية عن طوله . ويُحْذىفعالَ السِّبت : أي ينتعل ما ينتعل به الكُبَراء . والسِّبت : جلد يُدبغ بالقَرَظ . وليس بتوأم : لأن من يولد مع توأم له لا يكون في قوة من يكون في الرحم وحده .

(٤٩) ديوان طرفة بشرح الأعلم ٦٣ .

(٥٠) الآبِرُ : المصلح للشيء القائم عليه . المؤتبر : المستدعي إلى الإصلاح ، ضربه مثلاً لإتمام الصنيعة وزيادة المعروف .

(٥١) الآبر : اسم فاعل ، اسم الذي يأبر النخل .

(٥٢) ديوان زهير (بشرح ثعلب) ١١٥ .

ـ الْخَطّي : الرماح (منسوبة إلى الْخَطّ جزيرة بالبحرين ترفأ إليها سفن الرماح) . =

وما يَكُ من خَيْرٍ أَتَوْهُ فإِنَّما ... تَوارَثَهُ آباءُ آبائهم قَبْلُ
وهَلْ يُنْبِتُ الخطِّيَّ إلاَّ وشيجُهُ ... وتُغْرَسُ إلاَّ في مَنابِتها النَّخْلُ ؟

وقال بعضُ المولَّدين في قومٍ نشؤوا في عِزٍّ ثُمَّ بادوا معاً :

[من الطويل]

لقد غُرِسُوا غَرْسَ النَّخيلِ وَثاقةً ... وما حُصِدوا إلاَّ كما يُحصَدُ البَقْلُ

وكما نَقلُوا أوصافَ النَّبات والشَّجر إلى أوصافِ النَّاس ؛ لوقوع المناسبة بين الحالين ، فكذلك فَعلوا في الأسماء ، فنقَلُوا كثيراً من أسماء هذا الجِنس إلى تسمية النّاسِ لمثل تلك العلَّة أيضاً .

وقد سلكنا في هذا الكتاب مَذهباً من بَسطِ القَولِ وتَفريعِه ، واستنباطِ عُذره ويَنابيعه ، يبعثُ على ذِكر المشهورِ من هذه الأسماء ومشهورِ الْمُسَمَّيْن بها : فمن ذلك أرطاة ؛ واحدة الأرطى ، وهو شَجر . قال ذو الرُّمَّة[٥٣] :

أقولُ بِذي الأَرْطى عشيَّةَ أَتلعتْ ... إلى الرَّكب أَعناقُ الظِّباء الْخَواذلِ

ومن المسمَّين بذلك : أبو الوليد أرطاةُ بنُ سُهَيَّة الشّاعر[٥٤] ، وهو القائل :

= يقول : لا تنبت القناة إلا القناة . والوشج : القَنا .
يعني : أنهم كرام ، ولا يولد الكرام إلا في موضع كريم .

(٥٣) ديوان ذي الرُّمّة ١٣٣٤ . وفيه : عشية أرشقت . وهي بمعنى أتلعت ، أي مدَّت أعناقها تنظر . والخواذل : التي أقامت على ولدها وخذلت صواحبَها . وبعد هذا البيت :

لأَدمانةٍ من وحشي بينَ سُوَيقةٍ ... وبين الحبالِ العُفرِ ذات السلاسلِ
أرى فيكِ من خرقاءَ يا ظبيةَ اللوى ... مشابهَ جُنِّبت اعتلاقَ الحبائلِ

(٥٤) أرطاة بن سُهَيّة (وسهية : أمه) : شاعر أُمويّ مُجيد . له ترجمة في الأغاني ٢٧/١٣ ، والشعر والشعراء ٣٣٢ ، والاشتقاق ٢٩٠ ، وله خبر في أمالي الزجاجي ٦٣ .
قال أبو الفرج : وكان امرأ صِدْقٍ في قومه جَواداً .

[من الوافر]

رأيتُ المرء تـــأكلُـــه اللَّيـــالي ... كأكلِ الأَرْضِ ساقطـةَ الْحَـدِيـدِ
ومـــا تُبقي المنيَّـــةُ حين تَـــأتي ... على نفسِ ابنِ آدم من مَـزِيـــدِ
وأَعلمُ أَنَّهـــا ستكرُّ يـــومــــاً ... وتَقضي نَـذْرَها بِـأبي الـوليـدِ[٥٥] !

ومن ذلك : « بشامة » واحدة البَشام ، وهو شَجرٌ طيِّب الرِّيح يُستـاك بـه ، قـال الشاعر[٥٦] :

[من الوافر]

أَتنسَى إذْ تُـــوَدِّعُنــــا سُلَيمى ... بفرعِ بِشَــامَــةٍ ؟ سُقيَ البَشَـــام !

ومن الْمَسمَّيْن به : (بَشَامةُ العَنْزِيّ) وهو أَحَدُ الفُرسـان ، ولـه يقول : [٦٥/ب] محّمد بن عبد الله بن سلمة الخير :

[من الطويل]

ولـو أَمْكَنَتْنِي من بشـامَـةَ مُهْرَتي ... لَـلاقى كما لاقى فَـوارِسُ قَعْنَبِ[٥٨]

ومن ذلـك : « ثُمَـامَـة » واحـدةُ الثُّمام ، وهـو شجرٌ لـه ورق كالْخُوص قصيرُ

---

(٥٥) الشعر في الأغـاني ٢٩/١٣ ، وفيهـا خبر مع عبـد الملـك بن مروان . وكان أرطـاة يكنى بـأبي الـوليـد (كعبد الملك) .
- وفي الأغاني : ستكرّ حتى ... توفّي نذرها .

(٥٦) هو جرير ، والبيت من قصيدة مشهورة في ديوانه (٢٧٩/١) .

(٥٧) في الأصلين محمد ، وفي ك : محمد بن سلمة بن عبد الله الخير . وصوابه بحير (بحاء مهملة) بن عبـد الله [بن عامر] بن سلمة . ويتصحّف الاسم إلى بُجَيْر (بالجيم) وهو خطأ أيضاً . وبحير أحد فرسان العرب المشهورين .

(٥٨) قعنب هذا هو قعنب بنُ عَتّاب فارس بني تميم ، وقاتل بَحِيْر بن عبد الله بن سلمة القشيري .
ولقعنب وبحير خبر في يوم الْمَرُّوت سرده أبو عبيـدة في النَّقـائض (٧٠/١) ، وعرض لـه ابن دريـد في الاشتقاق ٢٢٢ .
=

الأَغصان ، قال عَبيدُ بن الأَبْرص[٥٩] يذكُر بني أَسد حينَ سَخِط عليهم حُجْرُ بنُ الْحَارِث :

[من مجزوء الكامل]

عَيُّوا بأَمْرِهِمُ كَمَا عَيّتْ ببيضَتِها الحمامَهْ
جَعَلَتْ لها عُودَيْن : مِن نَشَمٍ ، وآخَرَ من ثُمامَهْ[٦٠]

ومن المسمّين بذلك (ثمامة بن أثال)[٦١] الذي مَنَّ عليه النَّبي ﷺ بالإطلاق من الأَسر فأَسلم ، وقال : « يا محمّد ما على الأرض دِينٌ أحبُّ إليَّ من دينك بعد أن لم يكن أبغض إليَّ منه ! والله لا تأتي أَهلَ مكّةَ حبّةٌ من طَعامٍ حتّى يُسْلِمُوا » . فقدِمَ اليَمامة

= ـ والبيت في النقائض (٧٠) وبعده :

تمطّت به البيضاءُ بعد اختلاسه على دَهَشٍ وخِلتني لم أكذّبِ

والبيضاء فرس قعنب .

قال في المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام ٣٧٥/٥ : « وقد انتصرت تميم على عامر في يوم الْمَرُّوت ، وكان سببه نزاع بسيط وقع بين قعنب بن الحارث وبُجَير بن عبد الله العامري بسبب نسب فرس ... » إلخ . وصوابه بَحِيْر كما قدّمت .

(٥٩) من قصيدة لعبيد بن الأبرص يستعطف بها حُجر بن الحارث الذي كانت له إتاوة على بني أسد ، وجرى لهم على يده مصائب ونكبات ، أوّلها :

يا عين فابكي ما بني أسدٍ فهم أهل الندامَهْ

(٦٠) ديوان عبيد بن الأبرص ١٢٦ ، ورواية الديوان :

برمت بنو أسد كما برمت ببيضتها الحمامَهْ
جعلت لها عودَيْنِ من نَشَمٍ وآخَرَ من ثُمامَهْ !

ـ والنَّشم شجر جبلي تُتّخذ منه القِسِيّ .

ونبّه في الديوان على مثل رواية المصنف رحمه الله .

(٦١) خبر ثمامة بن أثال الحنفي في السيرة النبوية ٦٣٨/٢-٦٣٩ ، وما أورده المصنف ـ رحمه الله ـ مختصرٌ منه .

ـ ومن خبره أنه ثبت على الإسلام حين قام مسيلمة الحنفي بفتنته ولحق بالعلاء بن الحضرمي في جمع مِمّن ثبت معه .

فحبسَ عنهمُ الْحَمْل ؛ حتّى شقَّ عليهم ذلك ، فكتَبُوا إلى النَّبي ﷺ : « إنَّك تأمر بصِلة الرَّحِم ، وإنّا قد هلكنا » ، فكتب إلى ثُمامة : أنْ خَلِّ إليهم الْحَمْل ، فخلاّه إليهم .

ومن الْمَشاهير بهذا الاسم : أبو مَعن (ثُمامَةُ بنُ أَشرس)[٦٢] النُّميري البصريّ الْمُتكلّم ، و (ثُمامة بنُ فالج بنِ مُضَرّس) أخو بِشر بن فالِج سيّد نُمير .

ومن ذلك : (حَرْمَلَة) واحدة الْحَرْمَل ، وهو شَجرٌ أيضاً ؛ قال الأَخطل[٦٣] :

فَرابيةُ السّكران قَفرٌ فَما بِها ... لَهُم شَبحٌ إلاَّ سَلامٌ وحَرْمَلُ !

ومن المسمّين بذلك : (حَرْمَلَة بنُ هَوذة بن خالد بن رَبيعة)[٦٤] ، الوافد على النَّبي ﷺ ، وكتَب يُبشِّر بالإسلامِ خُزاعة .

و : (حَرْمَلَةُ بن الأَسْعَر)[٦٥] المازني ، وقيل : الأَشعر[٦٦] المري أبو دُرَيد وهاشم قاتلي مُعاوية بن عمرو بن الشريد السُّلمي . و (حرملة بن علقمة بن عمرو بن سدوس) جدّ مورّج[٦٧] بن عمرو السّدوسي النَّسَّابة ، وكان مؤرّج أيضاً يقول : « اسمي

---

(٦٢) ثُمامة بن أَشرس النُّميري من كبار المعتزلة ، وأحد الفصحاء المقدّمين . وأتباعه يعرفون بالثُّماميّة . توفّي سنة ٢١٣ (تاريخ بغداد ١٤٥/٧ ، وميزان الاعتدال ١٧٣) .

(٦٣) ديوان الأخطل (١٤/١) والبيت هو ثاني أبيات قصيدته الأولى ، والمطلع :

عفا واسطٌ من آل رضوى فنبتل ... فمجتمعُ الْحُرَّين ، فالصبرُ أجمل

والسكران : موضع معروف . والرابية : موضع مرتفع ولا يكون إلا من طين لا يكون حجراً . والسّلام شجر صغار : الواحدة سلمة .

(٦٤) ذكره في جمهرة أنساب العرب ٢٨١ ، وجعل وفادته مع أخيه خالد .

(٦٥) كان حرملة بن الأسعر من حكماء العرب .
وذكر هاشماً ودريداً وأباهما حرملة في الاشتقاق ٢٩٠ .

(٦٦) (المازني) من ك . و (قيل الأشعر) من ف .

(٦٧) قال ابن خلّكان في نسبته : أبو فيد مؤرج بن عمرو بن الحارث بن ثور بن حرملة بن علقمة بن عمرو ... السّدوسي البصري (وفيات الأعيان ٣٠٤/٥) .

وكنيتي عربيان ، اسمي مؤرّج ـ والعرب [٦٦/أ] تقول : أَرَّج بينَ القَوم وأَرَّشَ ؛ إذا حرَّش ـ وأنا أَبُو فَيْد » . والفَيْدُ : وَرْدُ الزَّعْفران .

« **حمزةُ** » : بقلة من أحرار البقل[٦٨] ، قال أَنس[٦٩] : كَنّاني رسول الله ﷺ ببقلةٍ كُنتُ أجتنيها[٧٠] ، وكان يُكنى : أبا حَمْزَة .

و (حمزة بن عبد المطَّلب) عمُّ النَّبيّ ﷺ ورضيعه[٧١] .

و (حمزة بن حبيب الفرضي)[٧٢] .

و (حمزة بن عبد الله بن الزُّبير)[٧٣] ؛ الذي يقول فيه مُوسى شهوات[٧٤] :

حَمزةُ المبتاعُ بالمالِ النَّدى ... ويَرى في بيعِهِ أن قد غَبَنْ

---

(٦٨) الحُرّ من البقل ما يؤكل غير مطبوخ .

(٦٩) هو أنس بن مالك الصحابي الجليل رضي الله عنه ، وكنيته أبو حمزة .

(٧٠) الحديث في تهذيب الكمال في أسماء الرجال ٣ في ترجمة أنس رضي الله عنه . قال المحقق أخرجه الترمذي ، والطبراني في الكبير وفي سنده جابر وهو ضعيف .

(٧١) سيّد الشهداء ، استشهد في غزوة أُحد .

(٧٢) في ك : الفرائضي .

ـ وهو أبو عمارة حمزة بن حبيب بن عمارة ، الكوفي ، الزَّيات ، التّيمي ولاءً . كان إماماً من أئمة قراءة القرآن الكريم ، عالماً بالحديث والفرائض . (سير أعلام النبلاء ٩٠/٧) .

(٧٣) هو حمزة بن عبد الله بن الزبير بن العوام . وَلِيَ البصرة لأبيه ، ثم تلاه عمه مصعب . وله يقول الفرزدق (نسب قريش ٢٤٠) :

أصبحتُ قد نزلت بحمزة حاجتي ... إنَّ المنوَّه باسمه الموثوقُ

قال ابن دريد في الاشتقاق : وكان جواداً (ص ٩٤) .

(٧٤) هو أبو محمد موسى بن يسار . و (شهوات) لقب غلب عليه . له ترجمة في الأغاني والشعر والشعراء ٥٧/٧ .

ـ قال في الأغاني : ولقب بـ (شهوات) لأنه كان سؤولاً ملحفاً ، وقيل لأنه كان يُجلب إليه من أذربيجان ـ من عند أهله ـ السكر وعسل القصب ، فكانت امرأة من أهله تقول : ما يزال موسى يجيئنا بالشهوات .

فهـو إن أعطى عطـاءً فـاضـلاً ذا إخــاءٍ لم يكــدِّره بِمَنّ[٧٥]

« سَلمة » : واحدة السَّلَم ، وهو شجرٌ من العِضَاهِ ؛ قال الشّاعر[٧٦] :

فَيـا حَجَراتِ الـدّار حيثُ تَحَمَّلُوا بـذي سَلَمٍ لا جـادَكُنَّ رَبِيْـعُ[٧٧] !

ومن الْمُسَمَّين بِسلمة[٧٨] : (أَبـو محمـد سَلمـة)[٧٩] بنُ عـاصِم صـاحب أبي زكريـا يحيى بن زياد الفرّاء .

و(سَلمـة بن ربيعـة[٨٠] بن قيس بن الأَضبـط بن كـلاب بن ربيعـة بن عـامر بن صعصعة) .

ومنهم : (سَلمـة الخير ، وسَلمـة الشَّرّ)[٨١] ، ابنـا قُشَير بن كعب بن ربيعـة بن عامر بن صَعصعة ، قال محمد بن عبد الله بن سلمة الخير[٨٢] :

---

(٧٥) البيتان من قطعة في خمسة أبيات هي من المئة المختارة في الأغاني ٣٤٥/٣ ، وفيه :
حـمزة المبتـاع بـالمـال الثّنـا

(٧٦) هو مجنون ليلى . والبيت رأس قصيدة في ديوانه ١٩٠ .

(٧٧) روايـة البيت في الـدِّيوان ، ومظـانّـه : فيـا حَرَجـات الحيّ . والْحَرَجـات جمع حَرَجـة ، وهي الغيضة أو الشجر الملتفّ ، أو الشجرة تكون بين الأشجار لا تصل إليها الأنعام . وذو سلم : موضع بالحجاز .
ـ ورواية المصنف : حَجَرات جمع حَجْرة ، وهي الناحية من الدّار .

(٧٨) هو سلمة بن عاصم راويـة الفرّاء ، وابنـه أبو طـالب المفضَّل بن سلمـة لغوي أديب علاّمـة مشهور (سير أعلام النبلاء ٣٦٢/١٤) ، وينظر معجم الأدباء ٢٤٢/١١ ، وإنباه الرواة ٥٦/٢ ، وغاية النهاية ٣١١/١ .

(٧٩) العبارة من ف فقط .

(٨٠) تاج العروس (س ل م) .

(٨١) هما سلمة الخير ، وسلمة الشَّر ابنا قشير بن كعب بن ربيعة .
(جمهرة أنســاب العرب لابن حـزم ٢٨٩ ، وجمهرة أنســاب العرب لابن الكلبي ٣٨/١) . أبوهـمـا قشير والأُمهات مختلفات .

(٨٢) سبق أن اسمه هو بحير كما في المصادر المختلفة (ينظر الرقم ٦١ من حواشي تفسير هذه السورة) .

أنـــا ابن الغُرّ في السَّلمـــات بيتي ومن كعبٍ حَللتُ بخير جـــارِ[٨٣]

و : سلامـة (أيضـاً)[٨٤] واحـدة السلام ، وهو شجر . وسلامـة : اسم أبي مـالـك (سلامة بن جندل)[٨٥] الشاعر .

و (عرفجة)[٨٦] : من أسمائهم أيضاً ، وهو اسم أبي مالك (عرفجـة بن مـالـك بن عمرو بن كلاب) . والعرفج : شجر من نبات الرمل ، قال أعرابي[٨٧] :

[من الطويل]

عجبتُ لعطّـارٍ أتـانـا يَسُـومنـا بِـدَسكرةِ الفيُّوم دهنَ البَنفسجِ[٨٨]

فَـوَيْحَـكَ يـا عطّـارُ هَلاَّ أَتَيْتَنـا بِضِغْثٍ[٨٩] خُزامى أو بخوصةِ عَرْفَجِ[٩٠]

وقال عمارة بن عقيل[٩١] :

لَمُسْتَمْطَرٌ بـــالرَّمـلِ في بيتِ حُرَّةٍ هِجـانٍ بِحَبْـلِ ذِي أَلاءٍ وعَرْفَـجِ[٩٢]

---

(٨٣) السَّلمات : جمع سلمة ؛ يشير إلى من تسمّى منهم باسم سلمة ومن كان في شهرتهم أو مكانتهم .
وكعب : هو الاسم الحقيقي للأضبط أحد أجداده .

(٨٤) سلامة بن جندل شاعر جاهلي مشهور ، وبقي له ديوان شعر مطبوع .

(٨٥) الكلمة من ك .

(٨٦) الكلمة من ك .

(٨٧) في ك : من نبات السهل ، قال الأعرابي .

(٨٨) الدَّسكرة : بناء كالقصر يكون فيها الشراب والملاهي .

(٨٩) الضِّغث : ما جُمِعَ من شيء مثل حزمة الرطبة ، وكل مجموع مقبوض عليه بالكفّ .

(٩٠) خوصة العَرفجة : ورقتها .

(٩١) أبو عقيل عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير ، شاعر فصيح من آل جرير شاعر بني أُميَّة . أدرك عمارة عصر المأمون ، ومدحه ، ومدح وجوه قُوّاده ، ومدح إسحاق بن إبراهيم المصعبيّ ، وبقي إلى أيام الواثق . (١٨٢ ـ ٢٣٩) جمع شعره في ديوان لطيف الحجم .
(ينظر معجم الشعراء ٧٨ ، وطبقات ابن المعتز ٣١٦ ، والأغاني ٤٢٤/٢٣ ، وتاريخ بغداد ٢٨٢/١٢) .

(٩٢) الهِجان من كل شيء : الخيار والخالص . والحبل من الرمل : المستطيل الممتدّ . والألاء : شجر حسن المنظر من شجر الرّمل ، دائم الخُضرة ، يؤكل ما دام رطباً .

تخـورُ بـــه الغـزلان كل عَشِيَّـــةٍ إلى كلِّ خِشْفٍ كالسِّـــوارِ وبَخْرَجِ[٩٣]

أحبُّ إلينــا من قُرَيقير ســاحــلٍ بـدجلــةَ أو قصرٍ ببغــداد مُرتـجِ[٩٤]

ومن ذلك (الشَّقِيق) و (الشَّقِر) : وهو شَقائق النُّعمان[٩٥] .

قال طرفة[٩٦] :

[من الرّمل]

« وعَــلا الْخَيْــلُ ومـــاءٌ كالشَّقِر »

والـواحـدة : (شَقِرَة) وقـد سَمَّـوا بـذلــك ، وليسَ بمشهـور[٩٧] ، وهـو أبـو بعض القبائل ، والنِّسبة إليه : شَقَري ، بفتح القاف .

وأنشدني الجبُّلي في صِفَةِ (الشَّقيق) مما يتضمَّن هـذا الاسم لأَبي بكر الصَّنوبري[٩٨] ،

---

(٩٣) تخور : تصيح . والخشف : ولد الظبية . والبَخْزَج : ولد البقرة الوحشيّة .
ـ رسمت آخر كلمــة في البيت في الأصلين المخطـوطين . (ويخرج) على صيغــة الفعـل المضـارع . وفي حـاشيـة (ك) إلى جـانب الكلمـة : إقواء . وقرأتُ الكلمـة (وبَخْزَج) : وهو ولـد البقرة الوحشيـة ، وأظنها الكلمة الصّحيحة .

(٩٤) في ك : من قراقير .
ـ والقراقير جمع القُرقور : وهو السَّفينة ، أو الطويلة العظيمة منها .
وقوله : قريقير تصغير قُرقور .

(٩٥) في ك : الشقائق .

(٩٦) البيت في ديوان طرفة ٦٤ ، وتمامه :
وتســـاقى القـــومُ كأســـاً مُرَّةً وعَلى الخيــــل دمــــــاءٌ كالشَّقِرْ

(٩٧) في جمهرة النسب لابن الكلبي : شقرة بن ثعلبــة بن عــامر ، وشقرة بن الحــارث بن تميم ، وشقرة بن ربيعة بن كعب ، وشقرة بن نبت ، وشقرة بن نكرة .

(٩٨) أحد شعراء العصر العباسي (الثاني) : أبو بكر أحمد بن محمد بن الحسن ، الصنوبري ، نشأ بحلب وقضى أكثر حياتـه فيهـا وفي ضواحيهـا . ودخل دمشق ووصف متنزهـاتهـا . اشتهر بوصف الطبيعـة ، وكانت وفاته سنة ٣٣٤ .
ـ وله ديوان شعر مطبوع .

ووجدته[٩٩] بِخَطّ الْمَرْزُباني :

[من مجزوء الكامل]

وكأنَّ مُحْمَرَّ الشَّقِيـ ـــقِ إذا تَصــوَّبَ أو تَصَعَّـــد
أعــــلامُ يـــاقـــوتٍ نُشِرْ نَ على رِمـــاحٍ من زَبَرْجَـــدْ[١٠٠]

وأنشد المرزباني أيضاً لأَبي أحمد (يحيي)[١٠١] بن علي المنجّم :

[من مجزوء الكامل]

وكأنّما لمـــــعُ السَّــــوا دِ من الشَّقــــائــــقِ إذْ تَفرَّجْ
كُحْـــلٌ جَرى من مُقْلَـــــةٍ بـــالـــدَّمْعِ في خَــدٍّ مُضَرَّجْ !

ومِمَّن سُمِّي بشقيق : أبو علي شَقِيق بن إبراهيم البَلخي[١٠٢] ، أَحد الصُّلحاء ، وهو شيخ حاتِم بن عُنوان الأَصمّ[١٠٣] .

---

(٩٩) في ف : فوجدته . وأثبتّ ما في : ك .

(١٠٠) ديوان الصنوبري ٤٧٧ .

(١٠١) كلمة يحيي من : ف . وهو المعروف بابن المنجّم النَّديم (معجم الأدباء ٢٨/٢٠) .

(١٠٢) حلاّه الذهبي بـ (الإمام الزاهد) شيخ خُراسان . كان مع تألُّهه وزهده من رؤوس الغُزاة . ومن أقواله : لوأن رجلاً عاش مئتي سنة لا يعرف هذه الأربعة لم يَنْجُ : معرفة الله ، ومعرفة النفس ، ومعرفة أمر الله ونهيه ، ومعرفة عدوّ الله وعدوّ النفس .
استشهد في غزاة كولان من بلاد الترك وراء النهر سنة ١٩٤ هـ .
(سير أعلام النبلاء ٣١٣/٩ . وفيه مصادر ترجمته) .

(١٠٣) حلاّه الذهبي بالزاهد القدوة الرَّبّاني ، الواعظ الناطق بالحكمة ... قال : كان يقال له لقمان هذه الأُمة . ولتلقيبه بالأصمّ خبر طريف في ترجمته .
ومن كلامه : لوأنَّ صاحب خبر جلس إليك لكنت تتحرَّز منه ، وكلامك يُعرض على الله فلا تحترز منه !
توفي حاتم سنة ٢٣٧ هـ .
(سير أعلام النبلاء ٤٨٤/١١ ، وفيه مصادر ترجمته) .

ومِمَّن سُمّي أيضاً بهذا الاسم : أَبُو وائل شَقيق بن سَلمة الأَسدي[١٠٤] ، أدرك النَّبي ﷺ ولم يَلْقه[١٠٥] .

وشَقيق بنُ عبدِ الله بنِ مُعاوية بنِ جَعْوَنة بنِ الحارث بن نُمَير .

وشقيقة : من أسماء النِّساء .

منهنَّ شقيقة بنت عكّ بن عدنان أمّ ربيعة وأنمار ابني نزار بن معد بن عدنان .

ومن ذلك : (**سَمُرة**) ، واحدة السَّمر ، وهو شَجر . قال الشاعر[١٠٦] :

[من البسيط]

يا ما أُمَيْلِحَ غِزلاناً شَدَنَّ لنَا ... من هؤليائِكُنَّ الضَّالِ والسَّمُرِ

و (سَمُرة بنُ جُندب)[١٠٧] أحَدُ الصحابة ، يُحَدَّثُ عنه .

و (**عَلْقَمة**) : واحدةُ العَلْقَم ، وهو الْحَنْظل ؛ قال عنترة[١٠٨] :

[من الكامل]

فإذا ظُلِمتُ فإنَّ ظُلمي باسِلٌ ... مُرٌّ مَذاقَتُه كَطَعْمِ العَلْقَمِ

و (عَلْقَمَةُ بنُ زُرارة بنِ عَدس) أحَد الفُرسان[١٠٩] .

---

(١٠٤) في جمهرة أنساب العرب : من بني أسد : أبو وائل شقيق بن سلَمة صاحب ابن مسعود (ص ١٩٦) : وترجم له في تهذيب الكمال ٥٤٨/١٢ ، وفي الحاشية مصادر ترجمته .

(١٠٥) الاشتقاق ٤٢ .

(١٠٦) هو العَرْجي الشاعر الأمويّ المشهور .

ـ والبيت من قصيدة في ديوانه ١٨٣ ؛ وهو من شواهد النَّحو ، يرد في بابي التعجب واسم الإشارة .

ـ والضّال هو السّدر البرّي جمع ضالة . والسَّمُر جمع سَمُرَة : وهو شجر الطلح : نوع من العضاه عظيم .

(١٠٧) سَمُرَة بن جندب بن هلال الفزاري من عُلماء الصحابة . توفي سنة ٥٨ أو ٥٩ هـ .

(سير أعلام النبلاء ١٨٣/٣) .

(١٠٨) ديوان عنترة ١٤٨ .

(١٠٩) علقمة بن زرارة بن عدس في جمهرة النسب ٢٧٥/١ .

و (عَلْقَمَةُ بن جندح بن البَكّاء)[110] وأبوه قاتل زُهير بن جُذيمة العبسِيّ .

و (عَلْقَمَةُ بنُ عُلاثَـة بن عوف بن الأَحوص)[111] ، ولـه يقول الْحُطَيئـة ـ وخرجَ إليه حين استعمله عُمر على حوران ، فمات عَلقمةُ قبل أن يصلَ إليه الْحُطَيْئة ـ[112] :

[من الطويل]

ومـا كان بَيني لـو لقيتُـكَ سـالمـاً وبينَ الغِنى إلاَّ لَيـــالٍ قَـلائِـلُ

(طَلْحَة) : واحدة الطّلح ، وهو شجرٌ من العِضاه ، (والعِضَاهُ)[113] : كُلُّ شَجرٍ له شَوك ؛ وأنشد أبو عبيد[114] :

[من البسيط]

قُرْيـانُهـا من حَـدِيقـاتٍ ملفَّقـةٍ بـالطَّلْحِ والرَّنْـدِ والرُّمَّـانِ والتُّوتِ

وقال جَرير[115] :

[من البسيط]

أحببْ إليَّ بـذاكَ الجِـزع منزلـةً بـالطَّلح طَلْحاً وبـالسُّلان سُلاّنـا

---

(١١٠) علقمة بن جُندح في جمهرة النسب ٢/٥٤ .

ـ قال ابن حزم : زهير بن جذيمة سيد بني عباس وجمع غَطَفَان (٢٥١) .

(١١١) علقمة بن علاثة في جمهرة أنساب العرب ٢٨٤ ، وجمهرة النَّسب ٢/٤ .

(١١٢) الخبر في ترجمة علقمة من كتب النسب .

ـ والبيت في ديوان الحطيئة ٢٣٦ من قصيدة رثى بها علقمة بن عُلاثة ، أوّلها (ص ٢٢٩) :

أرى العِيْرَ تُحْـدى بين قِنٍّ وضـارجٍ كما زال في الصُّبْـحِ الأَشـاءُ الحـوامِـلُ

(١١٣) قوله (والعِضاهَ) من ف .

(١١٤) القَرَى : مجرى الماء إلى الرياض . والجمع قُرْيان ، وأَقراء .

(١١٥) ديوان جرير ٢/١٦١ .

ـ وفيه : بالطلح طلحاً وبالأَعطان أعطانا .

وأنشدني بعض الأشراف ليحيي بن علي المنجم(١١٦) ، ووجدتُه بخط المرزباني أيضاً :

[من المتقارب]

وبَيتٍ سَماوَتُــــه طَلحَــــــةٌ ... تَهــدَّل بـــالــوَرْدِ أغصـــانُهـــا
كأنَّ السَّماء أحــــاطَتْ بِنـــا ... تُهـــادِي الكــواكبَ أعنـــانُهـــا
يَــــدورُ مــعَ الشَّمسِ نــوَّارُهــا ... كما دارَ في العَين إنسَـــانُهـــا
وتَمْنَــعُ منهـــا ابتــــذالَ الأكُفِّ ... جِرابٌ صِيـــانَتُهـــا شَـــانُهـــا !

والْمَشاهير بهذا الاسم كثير ، ومِمَّن غَلب عليه بالشُّهرة : (طَلْحَةُ بنُ عبـد الله بن خلف)(١١٧) ، فسُمّي : طلحـة الطلحـات ؛ لأنـه فـاق بمعروفـهِ جمـاعـةً يُسَمَّوْن بـهِ في عَصْره .

وقال عبيد الله بن قيس الرّقيات يرثيه ، أنشدنيه محمد بن علي بن المهتـدي(١١٨) ، عن محمد بن المأمون ، عن محمد بن القـاسم ، عن أبيـه ، قـال : أنشـدني أحمـد بن عبيـد لِعُبَيد(١١٩) اللهِ بنِ قَيس الرُّقيّات(١٢٠) :

---

(١١٦) في ك : ابن علي بن المنجم (انظر الرقم ١٠٥ في تفسير هـذه السُّـورة) . وفي معجم الأدبـاء : يحيى بن عليّ بن أبي منصـور المعروف بـابن المنجّم ، النـديم . قـال : أديب شـاعر مطبـوع : أشعر أهـل زمـانـه وأحسنهم أدباً . ولد سنة ٢٤١ وتوفي سنة ٣٠٠ ، قال : وله شعرٌ كثير ؛ وله تصانيف .

(١١٧) طلحة بن عبد الله بن خلف الْخُزاعي (توفّي نحو ٦٥ هـ) ، أحد الأجواد المقدّمين .
ذكره في جمهرة أنساب العرب ٢٣٨ ، وترجم له البغدادي في الخزانة ١٥/٨ قـال : أضيف إلى الطلحـات لأنه فاق في الجود خمسة أجواد ، كل واحد منهم (اسمه طلحة) ، وهم طلحة الخير ، وطلحـة الفيّـاض ، وطلحة الدراهم ، وطلحة النّدى . وقيل كان في أجداده جماعة اسم كلٌّ طلحة ، وقيل سُمّي بذلـك بسبب أمه ... إلخ) .

(١١٨) في ك : المهدي .

(١١٩) في (ف) : لعبد الله ؛ وهو تصحيف من الناسخ وسَبْقُ قلم .

(١٢٠) الأبيات من قصيدة لعبيـد الله بن قيس الرّقيـات في ديوانـه ٢٠ ، والبيت الرابع في الـديوان مقـدّم على الثالث . ورواية الثاني في الديوان ، ولا يعتلُّ بالبُخل .

[من الخفيف]

نضَّر اللهُ أَعْظماً دَفَنُــــوهــــا بِسِجِسْتَــانَ طَلحــةَ الطَّلحــاتِ
كانَ لا يحرِمُ الصَّــدِيــق ولا يعـ ـرفُ بــالبخـلِ طيِّب العَــذِراتِ
ولــــدتْــــهُ نســـاء آل أَبِي طَلْحـــةَ أكرِمْ بِهِنَّ مِن أُمَّهـــاتِ
سَبــطُ الكَفِّ بــالعَطـــاء إذا مـــا كانَ جُـودُ الْجَـوادِ حُسْنَ العِـدَاتِ

[٦٧/ب] هذا ما أحضره الذّكر من هذه الأبيات ، وهي كثيرة .

ذكرناه من هذا الفصل كفايةٌ لِمَا أَرَدْناه[١٢١] ، وشاهدٌ فيما قدمناه[١٢٢] .

ومما ورد في كلام[١٢٣] النبي ﷺ من التَّشبيه بالنبات قولُه عليـه الصَّلاة والسَّلام : « مَثَلُ الْمُؤمن مَثَـلُ الخَـامـةِ من الـزَّرع ، تُميلهـا الرِّيـحُ مرة كَـذا ومَرَّة كـذا ، ومثَـلُ الْمُنافق مَثل الأَرزة الْمُجْزِيَة على الأَرضِ يكونُ انجعافُها مَرّة » . قال أَبو عُبَيـد : الأَرز شجرٌ معروفٌ بالشام ، وهو الصَّنوبر بالعراق . الْمُجْزِيـة : الثَّابتـة في الأرض ، فشبَّـه المؤمن بـالخـامـة تُميلهـا الريـح ؛ لأنَّـه مُرزَّأ في نفسـه وأهلـه ، والكافر ، كالأَرزة التي لا تُميلها الرِّيح ، فهو لا يُرْزَأُ شَيئاً حتّى يموت ؛ والانْجِعافُ : الانقلاع .

وقولـه عليـه الصلاة والسلام في الرَّحِمِ[١٢٥] : « هي شَجِنَـةٌ مِن الله » يعني : قَرابـةٌ مُشتبكةٌ كاشتباكِ العُروق .

(١٢١) في ك : لما أردناه ، وفي ف : لما أوردناه .

(١٢٢) كرّر هنا في (ف) العبارة الأخيرة ، سهواً من الناسخ .

(١٢٣) في ك : ورد من كلام .

(١٢٤) أخرجه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ؛ ينظر الفتح الكبير ١٣١/٣ .
والنهاية في غريب الحديث ٢٧٦/١ .

(١٢٥) أخرجه البخاري من حديث عائشة رضي الله عنها ، قالت : قـال رسول الله ﷺ : « الرَّحمُ شجنـة فمن وصلها وصلتُه ومن قطعها قطعتُه » .
فتح الباري ٢٤٣/١٠ .

ومنه قولُهم في المثل : « الْحَديثُ ذُو شُجون » ، يراد اتِّصال بعضه ببعض ، والشِّجْنَةُ كالغصنِ تكونُ من الشَّجرة . ويقال : شُجنة . والمثل لِضَبّة بن أُدّ[١٢٦] ، وكان خرجَ ابناهُ في طلب إبل لهما فرجع سعد ولم يرجع سُعَيد ، وكان إذا رأى شخصاً قال : « أَسعدٌ أم سُعيد ؟ » ، فذهبت كلمته مثلاً ، ثمَّ بينا يسيرُ مع الحارث بن كعب في الشَّهر الْحَرام ؛ إذ أتيا على مكان ، فقال الحارث : لقيتُ ها هنا فتًى فقتلتُه وأخذتُ منه هذا السَّيف . وإذا صفيحة سُعيد[١٢٧] ! فقال ضبَّة : أرِنيه ؟ فناوله ، فقال عندها : « الحديثُ ذو شُجون » ! وضَرب الحارث فقتله ! فقيل له : أتقتل[١٢٨] في الشهر الحرام ؟ فقال : « سَبَقَ السَّيْفُ العَذل » فذهبت كلمته الثالثة أيضاً مثلاً[١٢٩] .

وفيه يقول الفرزدق[١٣٠] :

فلا تأمَنَنَّ الحربَ إنَّ استِعارها ... كضبَّةَ إذْ قال : «الحديثُ شُجونُ»

وقوله عليه الصلاة والسلام[١٣١] . « مَثلُ الْمُؤمن الذي يَقرأُ القُرآنَ مثلُ الأُتْرُجَّة ريحُها طيِّب وطعمُها طيِّب ؛ والمؤمنُ الذي لا يقرأُ القرآن كالتَّمرة ؛ طعمُها طيِّب ولا ريح لها . ومثل الْمُنافق الذي يَقرأُ القرآنَ مَثلُ الرَّيحانة ريحُها طيِّب ولا طَعْمَ لها . والمنافقُ الذي لا يقرأُ القُرآن كالْحَنْظَلةِ رِيحُها كريهةٌ وطعمُها مُرّ » .

---

(١٢٦) المثل مشهور ، وهو في فصل المقال ٦٢ . وفيه قصة المثل . وفي مجمع الأمثال ١٩٧/١ .

(١٢٧) يريد سيف سُعَيد . والصفيحة : السيف العريض .

(١٢٨) في ك : تقتل ؟

(١٢٩) الأمثال جميعاً في قصة المثل الأوّل . وينظر مجمع الأمثال ٣٢٨/١ .

(١٣٠) ديوان الفرزدق ٨٧٣/٢ .

(١٣١) أخرجه البخاري من حديث أبي موسى الأشعري ، وروايته في المنافق : « مثل المنافق الذي يقرأ القرآن كمثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مُرّ ، ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كالحنظلة ليس لها ريح وطعمها مُرّ » .
فتح الباري ٤٥٦/٩ ـ ٤٥٧ .

وقد مدح بعض المحدّثين قوماً فشبههم بشجر الأترج على معنى كلام الرسول ﷺ[132] ، فقال :

[من البسيط]

كلُّ الخلال التي فيكم : مناقبكم تَشابهت منكمُ الأَخْلاقُ والخِلَقُ[133]
كأنكُمْ شَجرُ الأُتْرجِّ طابَ معاً أَصلاً وفَرعاً وطابَ الْحَمْلُ والوَرَقُ !

واسم الْمُنافق مأخوذٌ من نافقاء اليَربوع ؛ لأنَّه يُبطن غير ما يظهر . قال الشّاعر [٦٨/أ] يذكر حال المنافق[134] والتباسها ، ويخاطب نفسه كالواعظ لها :

[من مجزوء الكامل]

خَلِّ النِّفَاقَ لأهلِهِ وعَليكَ فالتمِسِ الطَّريقا
وارغَبْ بنفسِكَ أن تَرى إلاَّ عَدُوّاً أو صَديقا

وإنَّما شبَّه عليه الصَّلاة والسَّلام قارئ القرآن من المنافقين بالريحانة ؛ لأنه ظاهرٌ حَسَنٌ لا يُعمل بحسبه ، فكذلك الرّيحان لا يدلُّ[135] على طعمٍ يُنتفع به ، ثم بالَغَ في ذمِّ الْمُنافق الذي لا يَقرأ القُرآن فشبَّهه بالْحَنظلة ظاهراً وباطناً في ريحها وطَعمِها ، يريد أنه لوفاح ريحُه لكان كريهاً ، قال أبو العتاهية[136] :

[من مجزوء الرمل]

أحْسَنَ اللهُ بنا أنَّ الْخَطايا لا تَفُوحُ
فإذَا الْمَسْتُورُ مِنّا بَيْنَ ثَوْبَيْهِ فُضُوحُ !

---

(١٣٢) في ك : كلام النَّبي ﷺ .

(١٣٣) في الحاشية عند « مناقبكم » : « مباركة » ؛ أي يروى البيت بهذه اللفظة أيضاً .

(١٣٤) في ك : حال النفاق .

(١٣٥) في ك : وكذلك الريحانة لا تدلّ .

(١٣٦) ديوان أبي العتاهية ٩٧ ـ ٩٨ ، من قصيدة لها خبر .

ونَعُود إلى ذِكْر الآية :

قـولُـه عَـزَّ وجـلّ : ﴿ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ ﴾ [الفتح : ٤٨/٢٩] ؛ أي : علامَـةُ السُّجود . وقيل : يُبْعَثُون يومَ القِيامَةِ غُرّاً مُحَجَّلين بالنُّور من أثر الطُّهور .

وقولُـه تبـاركَ وتَعـالى : ﴿ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنْجِيلِ ﴾ ؛ أي ذلك (صفة) محمّد وأَصحابـه في التَّوراة والإنجيل ، كما قـال تعـالى : ﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ ﴾ [محمد : ٤٧/١٥] ، يعني : صفتها .

قولُه تعـالى : ﴿ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الكُفَّارَ ﴾ [الفتح : ٤٨/٢٩] ؛ الزُّرَّاع : محمد ﷺ ، والدُّعـاة إلى الإسلام من أصحـابـه رضي الله عنهم ، الـذِّين ورد التَّشبيـه في صفتهم . فقد تضمَّنت الآيةُ مـا في صفـاتِ الصَّحـابـة من المـدح بشـدَّتهم على الكافرين ، ورحمتهم لِلْمُؤمنين ، وطلبهم فضل الله ورضوانـه في رُكوعهم وسُجودهم . ومـا[١٣٧] في الْمَثَل الـذي ضَربـه لهم في كُتبـه أنَّهم كَزَرعٍ أَفرخ ونَما حتى قـام على سُوقـه يُعجب الـزُّرَّاع ؛ ليغيظ الكافِرَ الحاسِد .

---

(١٣٧) في ك : ولِمَا في .

سُورَةُ الذَّارِيات

قولُه عزّ وجلّ : ﴿ وَفي عادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ العَقِيمَ ☆ ما تَـذَرُ مِنْ شَيءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إلاَّ جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ ﴾ [الذَّاريات : ٥١/٤١-٤٢] .

أي : وفي عـاد أيضـاً آيـةٌ أُخرى على مـا تقـدَّم من قـولـه : ﴿ وَفِي مُـوسَى ﴾[١] [الذَّاريات : ٥١/٣٨] .

و ﴿ العَقيمُ ﴾ : التي لا يكـونُ معهـا لَقْـحٌ ، ولا تـأتي بمطر ، وإنَّما هي ريـحُ الإهلاك .

و ﴿ الرَّميم ﴾ : الورقُ الجافّ الْمُتَحَطِّم ، وهو الهَشِيم أيضاً .

قال الطّائي[٢] :

أَصْبَحتْ روضـةُ الشَّبـابِ هَشِيمـا   وغَـدَتْ ريحُـهُ البَلِيـلُ عَقِيْما[٣]

ومعنى التَّشبيـه في الآيـة : أنَّ الريح جعلت مـا أتت عليـه ، في الخِفَّـة والـذّهـاب كالرَّميم ؛ لِشدَّة [٦٨/ب] عَصْفِها ، وسُرعة مَرِّها .

ويُروى عن النَّبي ﷺ قال[٤] : « نُصِرْتُ بالصَّبا ، وأُهْلِكَتْ عَادٌ بالدَّبور » .

ولبعض الشُّعراء ، يهجو رجلاً :

---

(١) قال تعالى : ﴿ وَفي مُوسى إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إلى فِرْعَونَ بِسُلْطانٍ مُبِينٍ ﴾ .

(٢) هو أبو تَّمام الطّائي ، والبيت في ديوانه ٣/٢٢٣ .

(٣) في الديوان : ريحه البليل سقيماً .

- والبليل من الرياح : التي فيها شيءٌ من مطر ؛ وربَّما قيل هي الباردة .

(٤) النّهاية في غريب الحديث (د ب ر) .

[من الرجز]

لــــو كنتَ مـــــاءً لم تكُنْ طَهــــورا
أو كنتَ غيماً لم تكنْ مَطيرا
أو كنتَ ريحــــاً كانت الـــــدَّبُــــورا
أو كنتَ برداً كنتَ زَمْهَريرا
أو كنتَ أرضــــاً كنتَ أرضــــاً بــورا
أو كنتَ مُخّــــاً كنتَ مُخّــــاً رِيرا(٥)

و (الدَّبور) : تأتي من دُبر الكعبة ، و (القَبُول) : من تِلْقائها ، وهي الصّبا(٦) ، و (الشّمال) : من شِمال الكعبة ، و (الجنوب) : من تلقائها . و (النَّكْباء) : كل ريح خالفت هذه الأربع .

ومن أسماء الدَّبور : (مَحْوَةُ) ، لا تنصرف ، أنشد أبو زيد(٧) :

[من الرجز]

قــد بَكَرَتْ مَحْـوَةُ بــالعجــاجِ ودمَّرتْ بقيَّـــةَ الـــزِّجـــاج

الزِّجاج : حاشية الإبل وضعافها .

وسُمّيت الصَّبا (القَبول) لمقابلتها الدَّبور ، ومن أسمائها : إيْرٌ ، وهِيْرٌ ، وأَيْرٌ ، وهَيْرٌ .

ومن أَسماء الْجَنُوب : الأَزيب ، والنُّعامى ، والهَيْف ؛ إذا هبَّت بِحَرٍّ ، قال ذو الرُّمّة(٨) :

---

(٥) الرِّير : الفاسد .

(٦) عبارة : (وهي الصّبا) من ف فقط .

(٧) في اللسان (م ح و) .

(٨) ديوان ذي الرُّمّة ١/٥٤ .

[من البسيط]

وصَوَّح البقلَ نـأّاجٌ تجيءُ بـه هَيْفٌ يمانِيَةٌ في مَرِّها نَكَبُ[9]

ويقال : إنَّ الجنوب أكثر ما تستحيل من الصَّبا ، وقد دلَّ على ذلك قول الشَّاعر[10] :

[من الطويل]

وريحٍ تبوعُ الشَّمْسَ يَمَّمتُ نحوها ليشفيَ ما بي من سَقامٍ هُبوبُها[11]

تبدَّت صَبا ثم استدارَتْ ضُحَيَّةً جَنوباً ، فَماذا هيَّجتْ لي جَنُوبُها[12] ؟!

ويقال للرِّيح أول ما تبدو بشدّة : (النّافِحة) . والزَّفْزافة [التي لها زفرة ؛ أي صوت][13] . والمجفلة ، والجافلة : السَّريعة . والسَّهوك ، والسَّيهوج ، والسَّهوج : الشديدة . والهَجوم : التي (تشتدُّ حتى)[14] تقلع الثُّمامَ والبيوت . (والْحَجُوج : الشّديدة الْمَرِّ)[15] . والدَّرُوج : التي تدرج من مُؤخّرتها حتى ترى لها مثل الذّيل في الرّمل ؛

قال شَبيب بن البرصاء[16] :

---

(٩) صَوّحَ البَقْلَ : يبّسه وشقّقه . والنـأّاج : وقتٌ تَنْأَجُ فيه الرّيح ، أي تشتدّ وتسرعُ الْمَرّ ، والهَيْفُ : الريحُ الحارّة ، والنَّكَبُ : الاعتراضُ والانحراف .

(١٠) تستحيل : أي تتحوّل .

(١١) تبوع الشمس : تسبِقُها ؛ مِنَ التَّبوُّع ، وهو إبعادُ الْخَطْوِ في الْجَرْي ؛ فاستعارَهُ للرّيح .

(١٢) ضُحَيَّةً : عند الضُّحى .

(١٣) ما بين قوسين سقط من : س .

(١٤) من : ف .

(١٥) من : ف .

(١٦) اسمه شبيب بن يزيد ، والبَرْصاء : أُمُّه . شاعر فصيح مَدّاح هجّاء ؛ من شعراء الدولة الأُمويّة .
ـ والبيتان من قصيدة مفضّلية ١٧٠ .

[من الطويل]

فلم تَـذْرِفِ العَينـانِ حتى تَحمَّلَتْ مع الصُّبحِ أَحْفاضٌ لَهُمْ وَحُدُوجُ[17]
وحتّى رأيتُ الحيَّ تَسْفي ديـارَهُمْ مُـزَعْـزِعَـةٌ جِنْحَ الظَّلامِ دَروجُ[18]

[٦٩/أ] وقيل : إنَّ المرادَ بقوله تعالى : ﴿ كالرَّمِيْمِ ﴾ العَظم البالي المُنْسَحِق ، يقال : رمَّ العظم يَرِمُّ رَمّاً ورمياً ؛ إذا نخر وبَلِي . والرِّمَّةُ : العظم ومنه الحديث أنه[19] ﷺ نهى في الاستنجاء عن الرَّوث والرِّمَّة . وقال تعالى : ﴿ وَضَرَبَ لَنا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قالَ : مَنْ يُحْيِي العِظَامَ وَهِي رَمِيمٌ ﴾ [يس : ٧٨/٣٦] . ولَمّا نزلت هذه الآية أتى أُبيّ بن خَلف إلى النَّبي ﷺ بعظمٍ بالٍ فجعل يَفُتُّهُ ويقول : أترى اللهَ - يا مُحَمَّدُ - يُحْيِي هذا بعد أن رَمَّ[20] ؟!

وقال الشّاعر :

[من الطويل]

وإنَّكَ لو نادَيْتَهُ وهو ميّتٌ أجابَ ولو أنَّ العظامَ رميمُ !

وقولهم : (جاءَ بالطِّمِّ والرِّمِّ) قيل فيه : إنَّ (الطِّمَّ) : ما حمله الماءُ ، و (الرِّمّ) : ما حملته الريح .

والوجه الأول أحْسَنُ في التَّشبيه .

---

(١٧) الأحفاض : جمع الحفض ، وهو البعير الضعيف تُحْمَل عليه الأمتعة والآنية . والحُدوج : جمع الحِدْج ، وهي مَراكب النِّساء .

(١٨) المزعزعة : الرِّيح القويّة التي تحرِّك الشجر ونحوه . وجِنح الظلام : الطّائفة منه . والدَّروج : الرِّيح السريعة المَرّ .

(١٩) ينظر فتح الباري ٢٠٥/١ .

(٢٠) فقال رسول الله ﷺ : « نعم ويبعثك اللهُ ، ويُدخلك النّار » . فنزلت الآية الكريمة : ﴿ وَضَرَبَ لَنا مَثَلاً ... ﴾ .
ينظر تفسير الطبري ٣٠/٢٣-٣١ ، وتفسير القرطبي ٥٨/١٥ .

سُورَةُ اقْتَرَبَت
[أو : القَمر][1]

قولُه عَزّ وجلّ : ﴿ خُشَّعاً أَبْصارُهُمْ يَخْرُجونَ مِنَ الأَجْداثِ كَأَنَّهُمْ جَرادٌ مُنْتَشِرٌ ﴾ [القمر : ٧/٥٤] .

شبَّــه النّــاسَ في وقت البعثِ بــالْجَرادِ الْمُنتشر ، كما شَبَّههم بــالفَراش المبثـوث ؛ لأنهم يومئذٍ يموجُ بعضُهم في بَعض .

وقوله : ﴿ خُشَّعاً ﴾ منصوبٌ على الحال ، وقُرِئت[2] : « خـاشِعـاً أَبْصـارُهُمْ »[3] ، وقرأ ابن مسعود : « خاشعـةً أَبْصـارُهم »[5] . ويجوزُ في أسماء الفـاعِلين إذا تقـدَّمت على الْجَماعة التّوحيدُ [والتَّذكيرُ][6] ، ويجوزُ أيضاً التّوحيدُ والتـأنيثُ ؛ لتـأنيثِ الْجَماعـة ، ويجوزُ الجمعُ ؛ تقولُ : مَرَرْتُ بشبابٍ حَسَنٍ أوجههم ؛ قال الشاعر[7] :

[من الرَّمل]

وشَبــــــــابٍ حَسَنٍ أَوجُهُهم ... من إيـــادِ بن نــزارِ بنِ مَعَـــدّ

---

(١) « أو القمر » من : ك .

(٢) معجم القراءات القرآنية ٣١/٧ .

(٣) كلمة « أبصارهم » هنا من ف فقط .

(٤) وكذا أُبيّ . ينظر معجم القراءات القرآنية ٣١/٧ .

(٥) كلمة « أبْصارهم » هنا من ك فقط .

(٦) الكلمة من : ك فقط .

(٧) البيت في تفسير الآية الكريمة من تفسير الطبري ٩٠/٢٧ ، وفي تفسير القرطبي ١٢٩/١٧ : وهو لأبي دواد الإيادي في ديوانه (ضمن : دراسات في الأدب العربي ـ لغوستاف غرنباوم ٣٠٢) .

وأمّا قولُه في سورة القارعة : ﴿ يَوْمَ يَكُوْنُ النَّاسُ كالفَراشِ الْمَبْثُوثِ ﴾ [القارعة : ٤/١٠١] ، فالفراش : ما تراهُ كصغار البَقّ يتهافَتُ في النّار . وهذا التَّشبيهُ كالأَوّل .

وفي نحو ذلك يقول أبو كبير الهُذلي[٨] ، وأنّى له بهذا الاختصار وما يدلُّ [على لفظ التَّنزيل] على المراد من الكثرة [في هذا اللفظ][٩] ؛ أنشدنيه الأَسديُّ :

[من الكامل]

لا يُجفِلُونَ عن الْمُضافِ ولو رَأَوا ... أُولى الوَعاوِعِ كالغَطاطِ الْمُقبِلِ[١٠]

يقول : إذا رأَوا أعداءَهم حَملُوا عليهم كالغَطاط إذا طار ، وهو طائرٌ كالقَطا .

وقال امرؤُ القَيس : وذكَر الْخَيل[١١] :

[من السريع]

فَهُنَّ أَرسالٌ كَمِثْلِ الدَّبى ... أو كَقَطا كاظِمَةَ النَّاهِلِ[١٢]

[٦٩/ب] وقال إياسُ بن قبيصة الطّائي[١٣] ، وذكر كتيبةً :

[من الطويل]

---

(٨) البيت من قصيدة له في ديوان الهذليين ٩١/٢ .

(٩) عبارة « على لفظ التنزيل » من : ف فقط ، و « في هذا اللفظ » من س فقط .

(١٠) لا يجفِلون : لا ينكشفون . والمُضَاف : المُلْجأ . والوَعاوِع : جَمْعُ وَعْوَاعٍ ، وهم أوّل مَنْ يُغيث مِنَ المقاتِلَة .

(١١) ديوان امرئ القيس ١٢١ ، وفيه :

« إذ هنَّ أقساطٌ كَرِجْلِ الدَّبى »

ـ والأقساط : القِطَعُ والفِرَق ؛ يعني الخيل . ورجل الدَّبى : القطعة من الْجَرَاد .

(١٢) الدَّبى : الْجَراد . والنّاهل : الذي دَنا ليشرَبَ ؛ شَبَّهَ فِرَقَ الخيل بقطع الْجَراد في كثرتها وانتشارها ، وشبَّهها بالقطا في سرعتها . وكاظمة : موضع بقرب البصرة .

(١٣) البيت من قصيدةٍ لإياس بن قبيصة الطائي في شرح المرزوقي على الحماسة ٢٠٨/١ .

ومَبْثُــوثــــةٍ بَثَّ الـــدَّبَى مُسْبَطِرَّةٍ		رَدَدْتُ على بِطَـائِهَـا من سِرَاعِهَــا[١٤]

وقال الأعشى[١٥] ، وذكر قوماً :

[من الطويل]

متى أَدْعُ منهم نــاصري تــأتِ منهمُ		كَراديسُ مـأمـونٌ عليَّ خُـذُولُهـا[١٦]
رعـــالاً كأقســـاط الْجَرادِ ، لخيلهم		عُكُوبٌ إذا ثـارت سريعٌ نـزولُهـا[١٧]

وقال أبو جُنْدب الهذلي[١٨] :

[من الطويل]

على حَنَــــــــــقٍ صَبَّحتُهم بمُغيرةٍ		كرِجْلِ الـدَّبَى الصَّيفيِّ أَصْبَحَ سَـائمـا[١٩]

وقال أَبو خراش[٢٠] في معنًى آخر من هذا التشبيه :

[من الطويل]

تَرى طالبي الحـاجـاتِ يَغْشَوْن بـابَـهُ		سِراعـاً كما تهـوي إلى أُدْهَـا النَّحْـلُ[٢١]

---

(١٤) قال المرزوقي : « يقول : رُبَّ خَيْلٍ مُتَفَرِّقَةٍ ممتـدَّةٍ في وَجْـهِ الأَرضِ امتـدادَ فِراخَ الـدَّبى وتَفرُّقِهَـا ... أنـا رَدَدْتُ أَوَّلَها على آخِرِها ... » .

(١٥) ديوان الأعشى ٧٥ .

(١٦) الكراديس : جمع كُردوسة ، وهي القطعة العظيمة من الخيل .

(١٧) في س : « إذا سارت سريعٌ .. » .

ـ الرِّعـال : جمع رعيل ، وهـو القطعـة المتقدّمـة من الْخَيْـل والرجـال وغير ذلـك . والأقسـاط : جمع القِسط ، وهو القطعة مِنَ الشيء . والعُكوب : الغُبَار والأصوات .

(١٨) في ف : « أبو جندل » تحريف .

(١٩) ديوان الهذليّين ٨٩/٣ .

ـ الْحَنَقُ : شـدّة الغيـظ . والْمُغيرة : الخيـل التي تُغير . ورِجْـل الـدّبى : القطعـة من الجراد . وسـام في الأرضِ : مضى فيها .

(٢٠) ديوان الهذليّين ١٦٦/٢ .

ومنه أخذ المُحْدَثُ قولَه :

[من الطويل]

تَرى النَّاس أَفواجاً إلى بـابِ دارِه كأَنَّهُمْ رجـــلاً دَبًى وجَرادِ

تَشبيهٌ آخرُ في هذه السُّورةِ :

[قولُـه عـزّ وجـلّ :][22] ﴿ إِنَّـا أَرْسَلْنَـا عَلَيْهِمْ رِيْحـاً صَرْصَراً فِي يَـوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ ☆ تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ ﴾ [القمر : ١٩/٥٤ـ٢٠] .

﴿ كأنَّهم ﴾ : ها هنا في موضع الحال . المعنى : تنزع النـاس مُشبهين النخلَ المنقعر ـ وهو المقطوعُ من أُصوله ـ وكانت الرِّيح تَكُبُّهم على وجوههم .

والنخـلُ : يُـذكَّر ويـؤنَّث[23] ؛ ويقـال : هـذا نخـل ، وهـذه نخـل . فقـال : ﴿ مُنْقَعِرٍ ﴾ على التَّذكير . وقوله تعـالى في سورة الحـاقّـة : ﴿ فَتَرَى القَوْمَ فِيهـا صَرْعَى كَـأَنَّهُمْ أَعْجَـازُ نَخْـلٍ خَـاوِيَـةٌ ﴾ [الحاقّة : ٧/٦٩] . على التـأنيث ، والهـاء في قـولـه : ﴿ فيهـا ﴾ عـائـدة على الرِّيـح التي أهلكتهم . وقـولـه : ﴿ أَعجـازُ نخـلٍ ﴾ أي أُصـول نخل .

ومِمَّا جاء من الشِّعر في نحو هذا التَّشبيه ، على تفاوت الموازنة بينه وبين لفظ القرآن وانحطاطه إلى حال الهُجنة واللُّكنة بالقياس إلى تلك الفصاحة ، قولُ امرئ القيس[24] :

[من السريع]

حَتّى تركنـــاهُم لـــدى مَعْرَكٍ أَرْجُلُهُمْ كالْخَشَبِ الشَّـــائـــلِ[25]

---

(٢١) أَدَمى : مَوْضِع .

(٢٢) عبارة : « قوله عزّ وجلّ » من س .

(٢٣) المذكر والمؤنّث للأنباري ١٤٢/٢ .

(٢٤) ديوان امرئ القيس ١٢١ .

(٢٥) الخشب الشّائل : المرتفع ؛ يقول : صَرَعناهم وتركناهم في المُعْتَرَكِ كأنّ أرجلهم خُشُبٌ مرتفعة .

وقال آخر[٢٦] :

[من البسيط]

« كأنَّهم خشَبٌ في القاعِ مُنْجَدِلُ »

وقد نظم يَحيى بن خالد لفظَ القُرآن في شعرٍ كتَبه إلى الرَّشيد حين نكَب البرامكة [٧٠/أ] ؛ فقال يخاطبه ويذكُر حالهم[٢٧] :

عَمَّتْهُمُ لَـكَ سَخْطَـةٌ	لم تُبقِ منهُمْ باقيَـهْ
فكأنَّهُمْ مِما بِهِمْ	﴿ أَعْجازُ نَخلٍ خاوِيَـهْ ﴾

فأجابه الرَّشيد : ﴿ وَضَرَبَ اللهُ مَثَلاً قَرْيَةً كانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً ... ﴾ الآية[٢٨] [النَّحل : ١١٢/١٦] .

وأما قوله تعالى : ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً صَرْصَراً ﴾ [القمر : ١٩/٥٤] . فالصَّرصر : الشديدة البَرد جداً ؛ قال الشّاعر ، يذكر رجلاً :

[من الطويل]

يُصَفِّقُـهُ أنفٌ من الرِّيـحِ بـاردٌ	ونكبـاءُ ليـلٍ من جُمادى وصَرْصَرُ[٢٩]

والأَصل : صِرٌّ . وصرصر متكرِّر في البَرد ، كما تقول : صَرَّ الشَّيءُ وصَلَّ ؛ إذا سَمعت صوته غير مكرر ، فإذا أردت أن الصَّوت تكرَّر قُلت : صَرْصَرَ ، وصلصل .

تَشبيهٌ آخر من هذه السُّورة :

---

(٢٦) القاع : الأرض السهلة المطمئنّة .

(٢٧) الخبر والشعر في العقد ٦٨/٥ ـ ٦٩ .

(٢٨) تمام الآية : ﴿ وَضَرَبَ اللهُ مَثَلاً قَرْيَةً كانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيها رِزْقُها رَغَداً مِنْ كُلِّ مَكانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللهِ فَأَذاقَها اللهُ لِباسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِما كانُوا يَصْنَعُونَ ﴾ .

(٢٩) يُصَفِّقُه : يُحَوِّلُهُ ويُحرِّكُه . والنكباء : الرِّيح التي تهبُّ من بين مَهَبَّي الصَّبا والشَّمال .

قولُه عزّ وجلّ : ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنـا عَلَيْهِم صَيْحَـةً واحِـدَةً فَكانوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ ﴾[٣٠]
[القمر : ٣١/٥٤] .

[الْمُحتظر] : بكسر الظـاء وفتحهـا[٣١] . و « الهشيم » : مـا يَبس من الـوَرَق وتكسَّر وتحطَّم .

أي : فكانـوا كالهَشيم الـذي يجمعَـهُ صـاحبُ الْحَظيرة ، أي قـد انتهى إلى غـايـة الْجَفاف ؛ حتى بلَغ إلى أن يُجمع ليوقد .

ومن قرأ « الْمُحْتَظَر » ـ بـالفتـح ـ فهـو اسمُ المكان الـذي يُحتظر فيـه ، ومن قَرأ بالكسر نَسَبَه إلى الذي يجمعُ الهشيم ؛ فذلك « المحتظر » لأنَّه فاعل .

وقـد ذكرت الشُّعراء في وصف فَنـاء النـاس ودُثور الأُمم نحـواً من هـذا التَّشبيـه ، كقول عَدِيّ بن زيد العِبَادِيّ[٣٢] :

[من الخفيف]

ثمَّ أَضْحَـــــــوا كأنَّهم ورقٌ جَفَّ فـأَلْـوَتْ بِـهِ الصَّبـا والـدَّبورُ[٣٣]

وهذا البيتُ مُستحسنٌ عند جَماعة الرُّواة . وذكر أصحابُ الْمَعاني أنَّه كَنّى بالصَّبا والدَّبور عن اخترامِ الْمَنيّة : بعضهم بالشِّدَّة ، وبعضهم بالسُّهولة .

ونعرضُ هـا هنـا خبرَ خـالـد بن صفـوان المتضمِّن أبيـات العِبَـادي[٣٤] ، حـدَّثنيـه

---

(٣٠) والْمُحْتَظِر : الذي يجعل لِغَنَمِهِ حظيرةً من يابِسِ الشجر والشوك يحفظهنّ من السِّباع ، ومـا سقـط من ذلك فداسَتْهُ فهو الهشيم .

(٣١) يُنظر معجم القراءات القرآنية ٣٨/٧ .

(٣٢) ديوان عدي بن زيد العبادي ٩٠ .
ـ والبيت في الأغاني ١٣٩/٢ .

(٣٣) أَلْوَت به : ذَهَبَتْ به . والصَّبَا : ريحٌ تهبُّ من المشرق . والدَّبور : ريحٌ تهبُّ من المغرب .

(٣٤) الخبر في الأغاني ١١٥/٢ (طبعة دار الثقافة) .

عبد الله بن بكر الواعظ بإسناده ، وحدَّثنيه محمد بن علي الْمُهتدي بالله ، فيما[٣٥] حدَّثناه عن ابن الأنباري ، وحدَّثنيه أبي رحمه الله ؛ والرّواية على لفظه ، ومنقولة من حفظه ، قال : قال خالد بن صَفوان : وفدتُ على هشام بن عبد الملك ، وقد بدأ يسرب الدّهن[٣٦] ، وذلك في عام باكَر وَسْمِيُّهُ ، وتتابع وليُّهُ[٣٧] ، وأَخذت الأرض زُخْرُفها ، فهي كالزَّرابيِّ المبثُوثة[٣٨] ، والقباطيِّ المنشُورة[٣٩] ، وتُرابها كالكافورُ ، لو وضعت به بَضْعةٌ لم تترب ؛ وقد وُضعت له سرادقاتُ حِبَرٍ[٤٠] بعث بها إليه يوسف بن عُمر[٤١] من اليمن تَتَلألأ كالعِقيان[٤٢] . فأَرسل إليَّ فدخلتُ عليه ، ولم أزل واقفاً حتّى نظر إليَّ كالْمُسْتنطِقِ لي[٤٣] ؛ فقلتُ : أَتمَّ الله [٧٠/ب] عليك يا أمير المؤمنين نِعَمه[٤٤] ، وسَوَّغها [٧٠/ب] بشُكره ، وجَعل ما قَلَّدك من هذا الأَمر رُشْداً ، وعاقبةَ ما يَؤُول إليه حَمْداً . فقد أصبحتَ لِلْمُسْلمين ثقةً ومُستَراحاً ، إليك يَفزَعُون في مطالبهم ، ويَلْجَؤُون في أُمورهم . وما أرى لمقامي ، وما منَّ اللهُ عليَّ به من النَّظر إلى وجهك ، أفضل من تَنبيهك على شُكر نعمةِ الله عندك ، وما أَجدُ في ذلك أَبلغَ من حديثٍ سَلف لملكٍ من

---

(٣٥) في س : ممّا حدثناه .

(٣٦) الدّهن قدر ما يبلّ وجه الأرض من المطر ؛ وسرب يسرب : سال .

(٣٧) الوَسْمِيّ : مَطَرُ الرَّبيع . والوَلِيُّ : المطر الذي يلي الوَسميّ .

(٣٨) الزَّرابِيّ : كلّ ما بُسِطَ واتُّكِئَ عليه ؛ واحِدُها زُربيّ (بضمّ الزاي وكسرها) . والزَّرابيّ مِنَ النَّبْت : ما اصفرَّ أو احمرَّ وفيه خُضْرَة .

(٣٩) القباطيّ : جمعُ القُبطيّة ، وهي ثياب كتّان بيض رِقاق تُعْمَلُ بمصر .

(٤٠) البَضْعة : القطعة من اللحم . والسُّرادقات : جمع السُّرادِق ، وهو ما يُمَدُّ فَوْقَ صَحْن البيت . والحِبَرَ : جَمعُ الحِبَرَة ، وهي ضربٌ من برودِ اليَمَن .

(٤١) يوسف بن عمر الثَّقفي : أميرٌ من أُمراء العهد الأُمويّ ، وَلِيَ اليمن لهشام بن عبد الملك ، وولي له غيرها أيضاً ، تُوفِّي سنة ١٢٧ هـ .

(٤٢) العِقيان : الذَّهَب .

(٤٣) يقول : نظر هشام إليه وكأنه يطلب إليه الكَلام .

(٤٤) في س : أَتمَّ اللهُ نعمه عَليك يا أمير المُؤمنين .

مُلوكِ العجَم ، إنْ أذن أميرُ المؤمنين حدَّثْتُه بـه . وكان مُتَّكِئـاً فـاستوى قـاعـداً وقـال : هاتِ ياابن الأَهتم !

قلت : يا أمير الْمُؤمنين إنَّ ملكاً من الْمُلوك قَبْلَك خرَج في عامٍ مثلِ عـامِنـا هـذا إلى الْخَورْنَق ، وقد أَخـذت الأَرضُ زينتهـا . وكان قـد جُمِعَ لـه بين فَتَـاءِ السِّنِّ وسعـة الْمُلك وكثرةِ المـال ؛ فـأشرف يومـاً فنظرَ إلى مـا حَولـه وقـال لِمَنْ حضَره : هَل علمتُمْ أحداً أُوتي مثلَ ماأُوتيت ؟

وعنده رجلٌ من بَقايا حَمَلةِ الْحُجَّة والْمُضِيِّ على أَدب الحقّ ومنهاجه ، فقـال لـه : أَيُّها الملـك أَرأيت مـا جُمع لـك ، أشيءٌ هُوَ لَـكَ لم يزَل أم هو شيء كان لِمَنْ قَبْلـك زالَ عنه وصارَ إليك ؟ قال : بل شيءٌ كان لمن قبلي فَزال عنه . قال : فإنَّما أُعجبتَ بمـا تفنى لَذَّتُهُ وتبقى تَبِعَتُهُ ، تكونُ فيه قليلاً ، وتُرتهن به طويلاً !

فبكى الملك وقالَ : ويحَكَ فأين الْمَهْرَب[٤٥] ؟

قال : إمّا أن تُقيمَ في مُلككَ فتعملَ بطـاعـة رَبِّـك على مـا سـاءَكَ وسَرَّك ومضَّـك وأَرمضك[٤٦] ، أو تضع تاجَك وتلبس أمْسَاحك وتَعْبُدَ رَبّك في هذا الجبل حتى يـأتيـكَ أجلُك ! قال : فإذا كان اللَّيل فائْتِني ، فإن اخترتُ مـا أنـا فيـه كنتَ وزيراً لا تُعصى ، وإن اخترتُ فلوةَ الأَرض[٤٧] كنتَ رفيقاً إن شئت ! فلَمّا كان السَّحَرُ قرع عليه بـابـه ، فإذا به قد تَهيّأ للسِّياحَة[٤٨] ، فلزِما ـ واللهِ ـ الْجَبلَ حتّى أتاهُما أَجَلُها .

وذلك حيثُ يقول أَخُو بني تميم[٤٩] ، عديُّ بن زيد[٥٠] :

---

(٤٥) في س : فبكى وقال : ويحكَ وأين المهرب ؟

(٤٦) مَضَّهُ : أحْزَنَه . وأرمَضَهُ : أوجَعَهُ واشتدَّ عليه .

(٤٧) فَلْوَةُ الأَرض : فَلاتُها ، وهي الأرض القفرة .

(٤٨) السّياحة : الذّهاب في الأرض للعبادة .

(٤٩) عبارة : « أخو بني تميم » من ف فقط .

(٥٠) ديوان عديّ بن زيد العِبَاديّ ٨٧ .

[من الخفيف]

أيُّهـا الشّـامِتُ الْمُعَيِّرُ بـالـدَّهْـ ـرِ أأنت الْمُبَرَّأُ المـوفـورُ[٥١]
أم لـديـكَ العهـد الـوثيـق من الأيَّـ ـامِ بـل أنتَ جـاهـلٌ مغرورُ
مَن رأيتَ المنـونَ خَلَّـدنَ أم مَنْ ذا عليـهِ من أن يُضـامَ خَفِيرُ
أين كسرى كسرى الملوك أبـو سا سـان أم أين قبلَـهُ سـابـورُ[٥٢] ؟
وبنـو الأصفر الكرام مُلـوك الرُّ وم لم يبـقَ منهمُ مـذكـورُ !
[٧١/أ] وأخو الْحَضْرِ إذ بناه وإذْ دِجـ ـلَـةُ تُجبى إليـهِ والْخَـابُـورُ[٥٣]
شـادَهُ مَرمراً وجَلَّلَـهُ كلـ ـسـاً فللطَّيرِ في ذُراهُ وُكـورُ
لم يَهَبْـهُ ريبُ المنـون فبـاد الـ ـمُلْـكُ عنـه فَبـابُـه مهجـورُ
وتـأمَّـلْ رَبَّ الْخَـوْرَنَـقِ إذ أَشْـ ـرف يَـومـاً وللهُـدى تفكيرُ
سَرَّه حـالُـه وكثرة مـا يمْـ ـلِكُ والبَحْرُ مُعرِضاً ، والسَّديرُ[٥٤]
فـارْعَوى قَلبُـه فقـالَ : ومـا غِبْـ ـطَـةُ حَيٍّ إلى الْمَماتِ يصيرُ
ثمَّ بعـد الفَـلاح والْمُلـك والأُمَّـ ـة وَارَتْهمُ هنـاكَ القبـورُ
ثمَّ أَضْحَـوا كأنَّهُم ورَقٌ جَفَّ فـأَلْـوَتْ بـهِ الصَّبـا والـدَّبُّـور !

قال : فبكى هشام حتى اخْضَلَّت لحيته[٥٥] وبَلَّ عمامته ، وأمرَ بنزع أبنيتـه ، وعـاد إلى قَصره ؛ فـاجتمعت الْمَـوالي والْحَشَمُ إلى خـالـد بن صفوان فقـالـوا : مـا أردتَ إلى

(٥١) « الدَّهر » أراد به حدْثانهُ ونوائبه . والْمَوْفور : الذي لم تصبه نوائب الدَّهر .
(٥٢) في س : أنوشروان أم أين قبله ...
(٥٣) الْحَضْر : مَدينةٌ بإزاء تكريت كان يُقال لملكها الساطرون ، وفيه يقول عديّ بن زيد (ديوانه ٢٠٥) :
وأرى المـوت قـدْ تـدلّى من الْحَضْـ ـر على ربِّ مُلْكـه السَّـاطرُون
(راجع معجم البلدان : الْحَضْر) .
(٥٤) الْخَورنَقْ : قصرٌ للنُّعمان بظهْر الحيرة . والسدير : أحدُ قصور النعمان في الحيرة .
(٥٥) اخضلَّت لحيتُه : ابتلَّت .

أمير الْمُؤمنين ؟ نَغَّصْتَ عليه لذَّته ، وأَفسدتَ باديته ! فقال : إليكُم عنِّي ، فإنِّي عاهدتُ اللهَ عَهداً ألاَّ أَخْلُوَ بملكٍ إلاَّ ذكَّرتُه اللهَ عزّ وجلّ .

وأنشدني أبي[٥٦] أيضاً لعديّ بن زيد[٥٧] في وعظِه للنُّعمان بن المنذر وقد خَرجا مُتَبَدِّيَيْنِ فَمَرّا بشجرةٍ فقال : أَتدري ماتقولُ هذه الشَّجرة أَيُّها الملك ؟ قال : لا ! قال : إنها تقول :

[من الرَّمل]

رُبَّ ركبٍ قد أناخوا عندنا ... يشربونَ الخمرَ بالماءِ الزُّلالْ
وأَباريقُ عليها فُدُمٌ ... وجيادُ الخيل تردى ، في الجِلالْ[٥٩]
ثُمَّ أضحَوا عَصَفَ الدَّهرُ بهمْ ... وكَذاكَ الدَّهْرُ حالاً بعدَ حالْ

ومن أَحسنِ ماقيل في هلاكِ الأُمم وفَناء القُرون الأُوَلِ قولُ الأَسود بن يَعْفُر[٦٠] :

[من الكامل]

ماذا أُؤمِّلُ بعدَ آلِ مُحَرِّقٍ ... تركُوا منازلَهم ، وبعد إيادِ
أَهلَ الْخَورنقِ والسَّديرِ وبارقٍ ... والقَصرِ ذي الشُّرُفاتِ من سِنْدادِ
أَرضٌ تخيَّرها لطيبِ مَقِيْلها ... كعبُ بن مامَةَ وابنُ أُمِّ دُؤَادِ
جَرتِ الرياحُ على مَحَلِّ ديارهم ... فكأنَّما كانُوا على ميعادِ !
ولَقد غَنُوا فيه بأَنعمِ عيشةٍ ... في ظلِّ مُلكٍ ثابتِ الأَوتادِ

---

(٥٦) كلمة (أبي) من ف فقط .
(٥٧) ديوان عدي بن زيد ٨٢ .
(٥٨) في س : في وعظ النُّعمان .
(٥٩) الفُدُم : جمعُ الفِدَام ، وهي المِصْفاة .
(٦٠) ديوان الأسود بن يعفر ٢٦ .
وهي في العِقد ٢٨٩/٣ ، واختارها الجراوي في حماسته : ١٤٠١ .

[٧١/ب] نزلوا بأنْقِرةٍ يسيلُ عليهمُ ماءُ الفرات يجيء من أطوادِ
فإذا النَّعيمُ وكلٌّ ما يُلهى به يوماً يصيرُ إلى بِلًى ونَفادِ[٦١]

وقد سلك المولَّدون طريق الأوائل في وصف هذه الحال ، وكلٌّ مقصِّرٌ عن بلاغة الكتاب ، وذاهبٌ إلى الإطالة والإسهاب . وربما أخذ بعضهم لفظ التَّنزيل ، وهو مع ذلك إلى النكول والتَّقصير ، إذعاناً من الْخَواطر بالعجز عن إدراك شأوه ومعارضة بلاغته . أنشدني بعض الشُّيوخ لابن مناذر في أبيات[٦٢] :

[من الخفيف]

وأُرانا كالزَّرع يحصده الدهـ ـرُ فمِن بَيْنِ قائمٍ وحَصيدِ[٦٣]

وهو من قوله تعالى : ﴿ ذَلِكَ مِن أَنْبَاءِ القُرَى نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وحَصِيْدٌ ﴾ ، فأتى بلفظ القُرآن ، وخذلت القَريحةُ عن استيفاء المعنى ؛ لأَنَّه هناك أتمُّ وأَعمُّ وأوفى وأَبلغ ، إذْ دلَّ على ذَهاب مَن ذهب من القَوم ، وذهاب مَساكنهم وما يتبع ذلك ، ممّا يكثُر ذكره ويطولُ شَرحه .

وحدَّثني أَبي رحمه الله قال : لَمَّا خلع يزيدُ بن الْمُهَلّب [يَد الطّاعة] ودعا إلى نفسه أيامَ يزيد بن عبد الملك ، ندب له أَخاه مَسلمة والعَبّاس بن الوليد فواقعاه بالعقر من أَرض بابل فقتلاه وجماعةً من أصحابه ، وحُملت رؤوسهم إلى الشّام ، واستُؤسِر حبيبُ بن المهلَّب ، فلما وصَل إلى يزيد حبسه وشَهَرَ الرّؤوس بالشّام ، ومكث حبيب محبوساً إلى أيّام هشام . فقال : إنه أنفذَ إليه رؤوس آل المهلَّب وقال : تَعرفُ هذه ؟ قال : نعم ، هذه رؤوس قوم زَرعتهم الطَّاعة وحَصَدتهم الْمَعصية ، فأَعجبه قولُه فأَفْرَجَ عَنه !

(٦١) النَّفاد : الذَّهاب .

(٦٢) البيت لابن مُناذر (أورده أبو الفرج في الأغاني ٢٥/١٧) في رثاء عبد المجيد بن عبد الوهاب الثقفي ، من قصيدة .

(٦٣) في (ف) : « وأَرانا كالدَّهر ... » وهو من سهو الناسخ .

سُورَةُ الرَّحمن - جَلَّ وعَلا -

قولُه عزّ وجلّ : ﴿ خَلَقَ الإنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كالفَخَّارِ ﴾ [الرَّحمن : ٥٥/١٤] ؛ أي : هو في يُبْسهِ كالفَخّار . يقال : صَلَّ الشَّيءُ وصَلْصَل ؛ إذا سمعت صوته بعضه مع بعض ، قال جرير ، وذكر الزُّبير[١] :

[من الكامل]

لـو كنتَ حين قُتلت بينَ بُيـوتنـا   لسمعتَ من صوتِ الحـديـدِ صَليلا[٢]

وقـال جَـلَّ وعَـلا في مـوضـعٍ آخر : ﴿ إنّـا خَلَقْنَـاهُمْ مِن طِينٍ لازِبٍ ﴾ [الصّافّات : ٣٧/١١] ، وقـال تعـالى : ﴿ وَلَقَـدْ خَلَقْنَـا الإنْسَـانَ مِنْ صَلْصَـالٍ مِن حَمَـأٍ مَسْنُونٍ ﴾ [الحجر : ١٥/٢٦] ، وقـال : ﴿ إنَّ مَثَـلَ عِيسى عِنْـدَ اللهِ كَمَثَـلِ آدَمَ خَلَقَـهُ مِنْ تُرابٍ ﴾ [آل عمران : ٣/٥٩] . وهـذه الأشيـاءُ مُختلفـة الألفـاظ ، وفي المعنى راجعـةٌ [٧٢/أ] إلى أَصلٍ واحد ، فأصل الطِّين التُّراب ، ثمَّ انتقل الطينُ فصار كالحمأ المسنون ، ثمَّ انتقل فصار صَلصالاً كالفخّار . وليس في ذلك تناقضٌ يوجب الإلباس[٣] .

وقال بعض الشعراء[٤] :

---

(١) هو الزُّبير بنُ العَوّام ، حواريّ رسول الله ﷺ .

(٢) ديوان جرير (طبعة الصاوي) ٤٥٥ .

- ورواية س :

لـو كانَ لَبّسَ خيلـه بجبـالنـا   لسمعت من وقـع الحـديـد صليـلا

(٣) في س : يوجب الالتباس .

(٤) الشعر في تفسير القرطبي .

- ومثله قول الآخر :

لا تشتمنّ امرأً من أن تكـون لـه   أُمٌّ من الرّوم أو صفراء دَعجـاء

في أبيات أُخر (ذيل الأمالي والنوادر ٣/٢١٧) .

[من البسيط]

النَّـاسُ من جهـةِ التَّمثيـل أكفـاءُ   أَبُـوهُمُ آدمٌ والأُمُّ حَـوّاءُ
فـإن يكن لهمُ من أَصلهمْ شَرَفٌ   يفـاخِرُونَ بـهِ فـالطِّينُ والْمَـاءُ

ومن هذا الشّعر نقلَ ابنُ المعتز قوله[5] ؛ أنشدَناه العشاريُّ :

[من المتقارب]

وحسبُـكَ من نسبٍ صـورةٌ   تخبِّرُ أنَّـكَ من آدمِ

و (المسنُون) : المصبُوب ، وقيل : الْمُتَغيِّر الرّائحة . وقيل : (الصَّلصال) أيضاً المتغيِّر ؛ من صَلَّ اللَّحم ، كأنَّه أراد[6] (صلاَل) فقلَب إحدى اللاّمَيْن . وقرأ بعضهم : ﴿ وَقالُوا أَإذا صَلَلْنا في الأَرْض ﴾[7] [السجدة : ١٠/٣٢] بالصّاد غير مُعجمة على الْمَعنى الذي ذكرناه .

وقيل أيضاً في قوله تعالى : ﴿ كالفَخَّار ﴾ أي انتقاله من حال إلى حال كانتقال الطِّين إلى الفَخّار ؛ وقد ضَرَب اللهُ المثَلَ لإنشاء الْخَلق وأقام الحجَّة في ذلك بما ينتقل عن الطِّين إلى جنسٍ آخر ، فقال جلَّ اسمُه : ﴿ أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقاً أَمِ السَّماءَ بَنَاهَا ﴾ [النّازعات : ٧٩/٢٧-٣٢] إلى قوله تعالى : ﴿ والأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ☆ أَخْرَجَ مِنْهَا ماءَها ومَرْعَاها ☆ والجِبَالَ أَرْسَاها ﴾ ، فـ : ﴿ الجبال ﴾ - في أحدِ الوجهين - معطوفةٌ على قوله : ﴿ ماءَها ومَرْعَاها ﴾ ، وعلى ذلك يكون المعنى في قوله : ﴿ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِم حِجَارَةً مِن طِيْنٍ ﴾ [الذاريات : ٥١/٣٣] ؛ أي منتقلةٌ عن الطّين . وفي الخبر أنَّها

---

(٥) لم يرد في ديوانه (ط مصر ، وط بغداد) .
(٦) في ك : « كأنّه صَلاَل فقلب ... » .
(٧) قوله تعالى : ﴿ وقالوا أإذا ضَلَلْنا في الأرض ﴾ . قرئ « ضَلَلْنا » بالفتح و« ضَلِلْنا » بالكسر ؛ « وصَلِلْنا » بالصاد المهملة أي : أنْتَنَّا .
(٨) الواو في : « وعلى » من ف فقط .

حجارةٌ ، وعلى[8] كل حَجر منها مكتوبٌ اسمُ صاحِبه الذي يقع على رأسه ، فذلك قوله : ﴿ مُسَوَّمَة ﴾ ، وإلى هذا ذهب قومٌ في تفسير ﴿ سِجِّيل ﴾[9] [الفيل : ٤/١٠٥] ، إلى أنّه مُعَرَّب[10] ، وأصلُه بالفارسيّة (سَنْك) و (سجلْ) . والوجه الآخر في قوله : ﴿ وَالجِبَالَ أَرْسَاهَا ﴾ بإضمارِ فعلٍ يُفسِّره الفاعلُ الظّاهر ، وقد أشار الرّاجز[11] إلى الوجه الأوّل في قوله[12] :

[من الرّجز]

تسألني عن السّنين : كم لي ؟
فَقُلْتُ لو عُمِّرتُ عُمرَ الحِسْلِ[13]
أو عمرَ نُوحٍ زمنَ الفِطَحْلِ
والصَّخْرُ مُبْتَلٌّ كطينِ الوَحْلِ[14] !

وأما قوله تعالى : ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللهِ كَمَثَلِ آدَمَ ﴾ [آل عمران : ٥٩/٣] ، فإنَّ[15] نصارى أهلِ نَجْران قَدِمَ وفدُهم على النَّبي ﷺ ، وفيهم السَّيِّد والعاقب ، وهما يومئذٍ سَيِّدا أهل نجران فقالوا : يا محمد تشتمُ صاحبنا وتزعُم أنّه عبد ! فقال عليه السّلام : « أجل هو عبدُ اللهِ وكَلِمَتهُ أَلْقَاها إلى مَرْيَم » . فقالوا : إن كنتَ صادقاً فأرِنا عبداً يُحيي الموتى ويُبرئ الأكْمَهَ والأبرصَ ، ويخلقُ من الطّين كهيئة الطّير فينفخ

---

(٩) يريد قوله تعالى : ﴿ تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِن سِجِّيلٍ ﴾ .

(١٠) ينظر مثلاً في اللسان (سجل) والتاج (سجل) .

(١١) هو رؤبةُ بنُ العَجّاج .

(١٢) في اللسان (ف ط ح ل) روي أنّ رؤبة بن العجّاج نزل ماءً من المياه ، فأراد أن يتزوّج امرأةً ، فقالت له المرأة : ما سنُّك ؟ ما مالُك ؟ ما كذا ؟ فأنشأ يقول (الأبيات ...) . وهي ثمّة تسعة أبيات رجزيّة ؛ وهذا كله من أرجوزة طويلة في ديوانه ١٢٨-١٣٣ .

(١٣) الحِسْل : ولَدُ الضَّبِّ .

(١٤) زمن الفطحل : زمن نوح عليه السّلام .

(١٥) الخبر في كتب التفسير ، والتواريخ ، والسِّير : ينظر مثلاً تفسير الطبري ١٦١/٣-١٦٣ ، وتفسير ابن كثير ١٥/٣ .

فيـه فيكونُ طيراً ، لكنّـه هو الله ! فَسَكت عليـه السّلام حتى أنـزل الله تعـالى : ﴿ إنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرابٍ ثُمَّ قالَ لَـهُ كُنْ فَيَكُونُ ، الْحَقُّ مِن رَبِّـكَ فَلا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرينَ ☆ فَمَنْ حَـاجَّـكَ فيـهِ مِن بَعْـدِ مـا جـاءَكَ مِنَ العِلْمِ [٧٢/ب] فَقُلْ : تعالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنا وأَبْناءَكُمْ ونِسَاءَنا ونِسَاءَكُمْ وأَنْفُسَنَـا وأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَعْنَتَ اللهِ عَلَى الكاذِبِيْنَ ☆ إنَّ هـذا لَهُوَ القَصَصُ الْحَقُّ وَمَـا مِن إِلَـهٍ إلاّ اللهُ وإنَّ اللهَ لَهُوَ العَزِيْزُ الْحَكِيمُ ﴾ [آل عمران : ٣/٥٩-٦٢] . فلَمَّـا أصبحـوا عـادوا فقرأ عليهم الآيـات فقـالـوا : مـا نعرفُ مـا تقـول ، فلمـا أَبَـوْا عرض عليهم الْمُلاعَنَـة فَقَبِلُـوا ذلـك ؛ فـواعَـدَهم رسول الله ﷺ . فانصرف العاقب والسيِّد لِيَفِـدوا إليـه فَمرّا على رجلٍ منهم كان منكراً فأخبراه ، فقال : مـا صنعتمـا شيئـاً ؛ والله لئن كان نبيّـاً لا يغضبـه الله فيكم ، ولئن كان ملكاً لَتَسْتَعْبِدَنَّكُم العَرب[16] . قالا : فما الرأي ؟ قال : تُوافياه لموعده[17] ، فـإذا عرضَ عليكم الْمُلاعنة فقولا : نعوذُ بالله ، فغَدا رسولُ الله ﷺ وفاطمة معـه والحسن والْحُسَين فقال : هل لكما فيما اتَّعدنا عليه ؟ قالا : نعوذُ بالله ، قال : « فالإسلام » فأَبَيَا ، قـال : « فالجِزْيَة » فَقَبِلا الجِزية ، وتركا الْمُلاعنة .

تشبيهٌ آخَر من هذه السُّورة :

قولُه عزّ وجلّ : ﴿ ولَهُ الْجَوَارِ الْمُنْشَآتُ في البَحْرِ كَـالأَعْلامِ ﴾ [الرّحمن : ٥٥/٢٤] . « الجواري » : السُّفُن ، والوقف[18] [عليهـا بـاليـاء ، وإنمـا سقطت في الوصل لسكـون اللاّم . والوقوف] عليها بغير ياء جائز على بُعد ، فلا بدَّ[19] من الذّهـاب بهـا إلى الكسر ليدلَّ على حذف الياء[20] .

---

(١٦) في س : لأستعبدتكم .

(١٧) المراد : أن توافياه لموعده .

(١٨) في ك الوقوف .

ـ وما بين معقوفتين من ف : ولعله سقط من ك بنقلة عين .

(١٩) في ك : ولا بدّ .

(٢٠) معجم القراءات القرآنية ٧/٤٨ـ٤٩ .

ومعنى : ﴿ الْمُنْشَآتُ ﴾ : المرفوعات الشّرع . ويُقرأ : « الْمُنشئات » ـ بكسر الشين ـ على معنى الحاملات الرافعات الشّرع ، والفتح أجود . و « الأعلام » : الجِبال ، قال الشاعر[٢١] :

[من الرجز]

« إذا قَطَعْنَ عَلَماً بَدا عَلَمْ »

وإنّما شبّه الله تعالى سُفن البحر بالأَعلام ؛ لأنّه أراد الْمَراكب الكبار التي تقطعُ البحر ، وهي أشبه شيءٍ بالجبال .

والدليل على حُسن وقوع هذا التّشبيه وصحّته : أنه يصحُّ[٢٢] على العكسِ ، وقلب المشبَّه بالْمُشَبّه به ، كما تصحُّ الخاصَّة التي تدور على نفسها من الحدّ .

فممّن عكَسَ هذا التّشبيه ذُو الرُّمَّة فقال[٢٣] ، وذكر مسير الركب في مجهول الفَلاة :

[من الطويل]

بأَرضٍ ترى فيها الْحُبارى كأَنّها قَلُوصٌ أَضَلَّتها بِعِكْمَيْنِ عِيرُهَا[٢٤]
يظلُّ القِنانُ الصُّدْءُ فيها كأَنَّها قَراقِرُ مَوْجٍ غَصَّ بالسَّاجِ قِيرُها[٢٥]

---

(٢١) هو جرير ، والبيت في ديوانه ٥١٢/١ ، وبَعْدَهُ :
فهنَّ بحثاً كمضلاّت الْخَدَم

(٢٢) أي يصح المعنى .

(٢٣) ديوان ذي الرُّمّة ٢٣٤/١ .

(٢٤) القَلُوص : الناقة الشّابة ، الْجَلْدَةَ على السَّيْر . والعِكمان : العِدْلان . والعِير : الإبلُ وأهلها ؛ يقول : الْحُبارى في تلك الأرض تبدو عظيمةً ـ لاستواء الأرض ـ كأنّها قلوصٌ عليها عِدْلان ، وقد ضيَّعها أصحابُها .

(٢٥) القِنان : رؤوس الجبال . والصُّدْءُ : الْحُمْرُ إلى السّواد . والقراقر : جمع قُرقور ، وهي السفينة . والسّاج : ضربٌ من الشجر ؛ يعني خَشَبَ السّاج الذي صُنِعَتْ منه السفينة . والقِير : القار (الزّفت) =

مُلَجَّجـةٌ في المـاء يَعْلُـو حُبـابُـهُ   جَآجِئَهَا السُّفلى وتَطْفُو شُطُورُهَا[٢٦]

ونظير التَّشبيه في الآية قولُه تعالى في سورة ﴿ عَسَقَ ﴾ : ﴿ وَمِنْ آيـاتِـهِ الْجَوَارِي في البَحْرِ كَـالأَعْلامِ ﴾ [الشورى : ٣٢/٤٢] . واليـاء هـا هنـا ثـابتـة في الوَصـل والـوَقف . [٧٣/أ] .

تَشبيهٌ آخَر من هذه السُّورة :

قـولُـه عـزّ وجـلّ : ﴿ فَـإذا انْشَقَّتِ السَّماءُ فَكَـانَتْ وَرْدَةً كَـالـدِّهـانِ ﴾ [الرَّحمن : ٣٧/٥٥] .

« الانشقـاق » : انفكاك مـا كان على شِـدَّةِ الالتئـام ، فـالسَّماءُ تنشـقُّ وتصير حمراءَ كالوَردة ، ثم تجري كالدِّهان . وقيل في قوله : ﴿ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَـالـدِّهـانِ ﴾ أي كلون فَرسٍ وَرْد . والكُميت : الوَرْدُ يتلوّنُ فيكون لونُه في الشِّتاء خلافَ لونِه في الصَّيف .

و « الدِّهـان » : ـ جمع دُهن كقُرط وقِراط ـ أي يتلوّن من الفَزع الأكبر كما تتلون الـدِّهـانُ الْمُختلفـة . ودليـل ذلـك قـولـه تعـالى : ﴿ يَـوْمَ تَكُـونُ السَّماءُ كَالْمُهْـلِ ﴾ [المعارج : ٨/٧٠] ؛ أي كالزَّيت الَّذي قد أُغْلِي[٢٧] .

وهم يذكرون تغيُّر السَّماء في شِدَّة الأَمر وصُعوبته . وما يَعْهَـدونـه من أحوالهم مثل الْجَدب والحرب ونحو ذلك . [ومثله ما] قال[٢٨] الشاعر :

[من الطويل]

= وغصّ بـالقير : امتـلأ ؛ يعني طُلِيَ . شبَّـه رؤوس الجبـال في السَّراب بسُفُنٍ في المـاء ، وقـولـه : « غصّ بالسَّاج قيرها » عبارةٌ فيها قلبٌ ؛ يريد : غصَّ ساجُها بالقير .

(٢٦) مُلَجَّجَة : أُدْخِلَتْ في اللُّجّ ، وهو معظم الماء ؛ يعني القراقير . وجآجئها : صَدْرُها .

(٢٧) يقال غلت القدر ؛ ويقال أغلاها وغَلاّها : جَعلها تغلي .

(٢٨) الرّاويـة : الْمَـزادة فيهـا المـاء (والجمع رَوايـا) . والعَهْـد : أول مطر ، أو أوّل مطر الـوسميّ . (جمع عهود) .

ومُحمَّرة الأَعطـافِ مُغْبَرَّة الْحَشـا خِفـافٍ رَوايـاهـا بِطـاءٍ عُهودُهـا[٢٩]

يعني : سنةً مُجدبةً ، أقطار السَّماء بها مُحمَّرة ، والأَرض مغبرَّة . ورواياها : يعني سحابها . والعُهود : أَوَّل المطر .

وقال بعض العرب أيضاً يذكر سنةً مُجدبة[٣٠] :

[من المتقارب]

وجَـاءتـكَ بـالهِفِّ لا أَرْيَ فيـه وقـد سـوَّد الشَّمسَ فيـه القترْ[٣١]
كأنَّ النُّجـومَ عيـون الكـلا بِ تنهضُ في الأُفـقِ أو تَنحـدرْ

أي : قد حال الغبارُ دونها فكمدت[٣٢] ألوانُها ؛ قال ذو الرُّمة[٣٣] :

وحَيْرانَ مُلْتـجٌ كأَنَّ نُجـومَـهُ وراءَ القتـامِ الأَغبرِ الأَعْيُنُ الْخُزْرُ[٣٤]
تعسَّفتُـهُ بـالرَّكبِ حتّى تكشَّفَتْ عن الصُّهْبِ والفتيـانِ أوراقُـه الْخُضْرُ

وأمـا التَّقرير بـالنِّعمـة في قـولـه تعـالى : ﴿ فَبِـأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَـذِّبـانِ ﴾[٣٥] [الرَّحمن : ١٣/٥٥] . وليس في انشقاق السَّماء نعمةٌ يَقع التَّقرير بها ؛ فإنَّما التَّقرير من جهة

---

(٢٩) يجري الكلام على الوصف ؛ وفيه كنايةٌ .

(٣٠) في ك : « قال بعض العرب ... » .

(٣١) الهِفُّ : الشُّهْدَةُ الخفيفة الرقيقة القليلة العَسَل . والأَرْي : العَسَل . والقَتَرُ : ضِيقُ العَيْش .

(٣٢) في س : وكمدت .

(٣٣) ديوان ذي الرُّمّة ٥٨١/١ ـ ٥٨٢ .

(٣٤) في الديوان : « وراء القتام العاصب ... » .
ـ الْحَيْران : اللَّيْلُ يُحارُ فيـه . ومُلْتَجّ : ذو لُجّة ، صـار كأَنَّـهُ لُجَّـةٌ من شـدّة سواده . والقتـام الأغبر : الغَبْرَةُ بين السماء والأرض . والأعيُنُ الْخُزْرُ : التي يَنْظُرَ بِبَعْضِهَا غَضَباً .
ـ تعسَّفتُـهُ : ركبتُـهُ على غيرِ هِـدايـةٍ . و « الصُّهب » : يعني بهـا الإبل ذوات اللَّوْن الأصهب . وأوراقُ الليل : أعاليه . و « الْخُضْرُ » : أراد بها سوادَ الليل .

(٣٥) وتكررت الآية الكريمة في السورة . والتقرير : حَمْلُ المخاطب بالحجة والبُرهان على الإقرار .

الـزَّجر والتَّخـويف بـانشقـاقِ السَّماء ؛ فـوقـع بـالسَّبب ، وإنمـا يجب الـزَّجر بـالضَّرر الْمَحض ، لا بما يقعُ فيه النَّفع ، ولكنْ بسبب النَّفع الذي هو الزَّجر به في دار الدُّنيا .

تَشبيهٌ آخَر من هذه السُّورة :

قولُه عزّ وجلّ : ﴿ كَأَنَّهُنَّ اليَـاقُوتُ وَالْمَرْجَـانُ ﴾ [الرَّحمن : ٥٥/٥٨] ، أي : هُنَّ في صَفاء الياقوت وحُسْنه .

وقال قومٌ : إنَّ الْمَرْجانَ صغارُ اللُّؤلؤ[٣٦] ، قـالوا : فـأرادوا في بَيـاضِ الْمَرجـان ، وليسَ كما قـالوا [٧٣/ب] ؛ لأنَّ الْمَرجـان جنسٌ آخر ، وهو أَحمر اللَّـون ينشـأُ في قرار البحر متشجِّراً ، ويخرج بـالكـلاليب ، قـال الله تعـالى : ﴿ يَخْرُجُ مِنْهُما اللُّـؤْلُـؤُ والْمَرْجانُ ﴾ [الرَّحمن : ٥٥/٢٢] ، فلو كان كما ذكروا لم يكن لهذا التَّكرير فائدة .

والمعنى : أنَّه شبَّههم بـالْمَرجـان ليـدلَّ ذلـك على تشبيههم بـاليـاقوت الأحمر ، وهو أحسنُ الياقوت ؛ وقد قال بشار[٣٧] :

[من الطويل]

هِجـانٌ عليهـا حُمرة في بيـاضِهـا ... تَرُوق العَينين ، والْحُسْنُ أحْمَرُ !

وأَحسن ما شُبِّه احمرار اللون بالياقوت كما قال أَبو نُواس في تشبيهه الخمر حين وصف لونَها[٣٨] :

[من البسيط]

كأسٌ إذا انحـدَرَت في حَلْقِ شـارِبهـا ... أَحْـذَتْـهُ حُمْرَتَهـا في العَين والخَـدِّ

فـالخمرُ يـاقـوتـةٌ والكأسُ لـؤلـؤةٌ ... من كفِّ جـاريـةٍ معشـوقـةِ القـدِّ

(٣٦) من كلمة (قالوا) هنا إلى كلمة (قالوا) التالية من ف فقط ، وسقط الكلام من (ك) بنقلة عين من الناسخ .

(٣٧) ديوان بشار بن بُرد ٢/٢٦٠ .

(٣٨) ديوان أبي نواس ١٢٨ .
ـ ومعنى : أحذته : أعطته .

وقد شبَّهت العرب النِّساء في حسنهنَّ بالياقوت ، وسمَّتهنّ باسمه أيضاً ، وأنشد الخليل بن أحمد[٣٩] :

إنَّما الذَّلفاءُ ياقوتةٌ أُخرجتْ من كِيسِ دِهقانِ

وأنشدني محمد بن علي بن المهتدي ، قال : أنشدنا محمد بن المأمون ، قال : أنشدنا محمد بن القاسم قال : أنشدنا إبراهيم بن عبد الله الورّاق لعبيد الله بن عبد الله بن طاهر ، واعتمد على لفظ القرآن فقال[٤٠] :

[من الخفيف]

هي كالدُّرَّة المصونةِ حُسناً في صفاء الياقوتِ والْمَرْجانِ

وقالوا في أسماء النِّساء : (ياقوتة) كما قالوا في تسميتهنَّ (لُؤلؤة) و (مَرْجانة) ، وذلك مثل ماذكروا في وصف زينتهنّ ، كقول النابغة[٤١] :

[من الكامل]

بالدُّرِّ والياقوتِ زُيِّن نَحْرُها ومُفَصَّلٍ من لؤلؤ وزَبَرْجَدِ

وأنشدني بعض الشَّاميِّين بيتاً غَريبَ الصّنعة لِمُحْدَث[٤٢] :

[من المجتّث]

ياقوتُ ياقوتَ روحي رُوحي براح براح

أراد : (ياقوتة) فرخّم ، وماثل جميع ألفاظ البيت ـ كما ترى ـ .

---

(٣٩) البيت من شواهد العروض ، وأورده الخليل مثالاً على البحر المديد الذي ضربه مجزوء أبتر (يراجع مثلاً المعيار في أوزان الأشعار ٤٧) .

(٤٠) عبيد الله بن عبد الله بن طاهر ، أميرٌ شاعرٌ عالمٌ بالهندسة والموسيقى ، مِن أُسْرَةٍ عُرِفَتْ بالرِّياسة والإمارة ، وله تصانيف ، تُوفِّيَ سنة (٣٠٠ هـ) .

(٤١) ديوان النابغة الذُّبياني (بتحقيق سليم الجندي ـ ٩٨) ، ولم يرد البيت في ديوان النابغة (بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم) .

(٤٢) هو في الوافي في نظم القوافي للرُّندي (مخطوطة) .

سُورَةُ الواقعة

قــولُــه عــزّ وجــلّ : ﴿ وَحُــوْرٌ عِيْنٌ ☆ كَــأَمْثَــالِ اللُّــؤْلُــؤِ الْمَكْنُــونِ ﴾[١] [الواقعة : ٥٦/٢٢ـ٢٣] .

[وحور] بالْخَفض ، وقُرِئت بالرَّفع[٢] ، فمن رَفَع كره الْخَفض ؛ لأنَّـه عطف على قوله : ﴿ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدانٌ مُخَلَّدونَ بِأَكْوابٍ ﴾ فقيل : (الْحُور) ليس ممّا يُطـاف به . وقد يكونُ الْخَفضُ على غير ما ذهب إليه ؛ لأَنَّ معنى ﴿ يَطوفُ عَليهم ولدانٌ مُخَلّـدُونَ بـأكواب ﴾ يُنَعَّمُـون بها ، وكـذلـك يُنَعَّمـون (بلحم طير) . وكـذلـك يُنَعَّمُـونَ (بحُـورٍ عين) .

ومن قَرأ بـالرَّفـع فهـو أحْسَنُ الـوَجهين[٣] ؛ لأَنَّ معنى : يطــوفُ عليهم وِلــدانٌ مُخَلَّدون بهذه الأَشياء بمعنى ما قـد ثبَت لهم ، فكأَنَّـه قـال : « ولهم حورٌ عينٌ » . ومثلـه مِمَّا حُمِلَ على المعنى قولُ الشاعر[٤] :

[من الكامل]

---

(١) وقبل ذلك : ﴿ يَطوفُ عَلَيْهِم وِلْدانٌ مُخَلَّـدونَ ☆ بِـأَكْوابٍ وأَبـاريقَ وَكَـأْسٍ مِنَ مَعينٍ ☆ لا يُصَـدَّعُونَ عَنْهَا وَلا يُنْزِفُون ☆ وفاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ ☆ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ ☆ وحُورٌ عِينٌ ☆ كَـأَمْثـالِ اللُّؤْلؤِ الْمَكْنونِ ﴾ .

(٢) تراجع وجوهُ القراءة المختلفة في معجم القراءات القرآنية ٦٥/٧ .

(٣) قُرِئَ « وَحُـورٌ عينٌ » بـالرَّفْـعِ ، على تقـدير : وفيهـا حـورٌ عينٌ ، أو للعطفِ على ﴿ ولـدان ﴾ ، وقُرِئَ بالْجَرّ « وَحورٍ عينٍ » عطفاً على « جَنّات النَّعيم » أو على « أكواب » .

(٤) هو الشَّمّاخ بن ضرار ، والبيتان في ملحق ديوان الشَّماخ (٣٢٧) .

بـــادَتْ وغيَّر آيَهنَّ يـــد البلى إلاَّ رواكـــدَ جَمْرُهُنَّ هَبَـــاءُ[٥]
ومشجَّـجٌ أَمّـا سَـوَاءُ قَـذالِـه فَبَـدَا وغيَّر سـارَهُ المِعْـزاءُ[٦]

لأنَّه لَمّا قال : « إلاَّ رواكـد » كان المعنى : « بهـا رواكـد » فَحُمل « مشجَّج » على [٧٤/أ] المعنى . وقد قرئت[٧] : « وحُوراً عِيناً » بـالْحَمل على المعنى أيضـاً في النَّصب ؛ لأنَّ المعنى : يُعْطَون هذه الأَشياء ، ويُعطون حوراً عينـاً ؛ إلاَّ أنَّ هـذه القراءة تُخـالِف الْمُصحف الذي هو الإمام .

ومعنى : « الْحُـور » : الشَّـديـدات البَيــاض ، و « العِيْنُ » : الكَبيرات العُيـون ، حِسَـانُهـا . ومعنى : ﴿ كَـأَمْثـالِ اللُّؤلـؤِ الْمَكْنـونِ ﴾ : كأَمثـال الـدُّرّ حين[٨] يخرج من صَـدفـه وكنّـه : لم يُغَيِّره الـزمـان ، واختـلافُ أحـوال الاستعمال . وإنمـا عَنى بقـولـه : ﴿ كَأَمْثَالِ اللُّؤلؤِ ﴾ أي أنَّ صَفاءهنَّ وتَلألؤهنَّ كصَفاءِ الدُّرِّ وتلألئه .

وقد شَبَّهت الشُّعراء بالدُّرّ ، ولم تأتِ بهذه الصِّفة في هذا الاختصار ؛ فمن ذلـك قول النابغة[٩] :

[من الكامل]

كَمُضِيئَـــةٍ صَـــدفِيَّـــةٍ غَـــوّاصُهـــا بَهِـجٌ مَتى يَرَهـا يُهِـلُّ ويَسْجُـدِ[١٠]

---

(٥) أرادَ بالرّواكدِ الأثافيّ . والهبـاء : التراب الـدقيق الـذي ينتثر في الهواء ؛ يعني أنَّ الجمر الـذي انطفـأ قـد انسحقت آثارُه فصارت كالتراب الدقيق .

(٦) الْمُشَجَّج : أراد به الوَتِد من أوتـاد الخبـاء ، وتشجيجُـه : ضَرْب أعلاهُ ليثبُتَ أسفَلُهُ في الأَرض . وسواءُ قَذَالِهِ : وسَطُه ؛ وأراد بالقذال : أعلاه . و « سَارَهُ » : أصلـه سـائِرَهُ ، فحـذَف . والمعزاء : أرض صلبـة ذات حصى .

(٧) في معجم القراءات القرآنية ٦٥/٧ .

(٨) كلمة (حين) من : ف .

(٩) من قصيدة مشهورة للنّابغة الذّبياني (ديوانه ٩٢) وفيه : « أو دُرَّةٍ ... » .

(١٠) البَهج : الفَرِح المسرور بهـا . و « يُهلّ ويسجـد » أي يرفـع صوتـه بـالشكر لله ويسجـد . وشبَّـه المرأة بالدُّرَّة الصَّدَفيّة في صفائها ورقّة بشرتها .

وقال سُوَيد بن أبي كاهل[١١] ، وذكر المرأة أيضاً :

[من الرّمل]

كالتُّـؤَامِيَّـــةِ إنْ بـــاشَرْتَهـــا قَرَّتِ العَيْنُ وطـابَ الْمُضْطَجَـعْ[١٢]

التُّؤام[١٣] : ساحلٌ بِعُمان نُسب الدُّرّ إليه .

وقال الآخر يصفُ امرأةً أيضاً[١٤] :

[من الطويل]

فجـاءَت كما جـاءَت ونيّـــةُ تـــاجرٍ وَهَى سِلكُهـا وارفضَّ منهـا الطَّـوائفُ[١٥]

الونيّة : الدّرَّة[١٦] .

وقال الأعشى[١٧] :

[من السَّريع]

وقَـــد أَراهـــا بين أَترابِهَـــا في الْحَيِّ ذي البَهْجَـةِ والسَّـامِرِ[١٨]

(١١) من قصيـدة سـويـد بن أبي كاهـل اليشكري الفريـدة (ديـوان المجمـوع) ، والبيت في المفضّليّات ١٩٦ .

(١٢) قرّتِ العينُ : رأت ما كانت متشوّقةً إليه . و « التُّوَامية » : أراد بها الدُّرّة المنسوبة إلى التُّوَام .

(١٣) تؤام ـ في معجم البلدان (٥٤/٢) ـ اسم قصبة عُمان مما يلي السّاحل ، وصُحار قصبتها مما يلي الجبل . ينسب إليها الدُّرّ .

قلت : وفي سيح مدينة العين منطقة تدعى بـ (تؤام) أيضاً ويسهّلون الهمزة .

(١٤) هو أوس بن حجر (ديوانه ٦٦) ؛ وفيه :

كأنَّ ونًى خـانت بـه من نظـامهـا معـاقـد فـارفضّت بهنَّ الطَّـوائفُ

وتنظر روايات البيت في تخريجات المحقّق .

(١٥) الوَنيّة : الدُّرّة . وارفضّ : تفرّق . والطّوائف : جمع الطائفة من الشيء ، وهي القطعة منه . والبيت في صفة الناقة ؛ فشبّه سرعتها بالدُّرر التي انقطع سِلْكُهَا فانفرَطَتْ مُسْرِعَةً .

(١٦) عبارة الشرح هذه من : ف ، فقط .

(١٧) هو الأعشى الكبير ، أعشى قيس ، والشعر في ديوانه (١٣٩) إلا البيت الثاني .

(١٨) الأتراب : جمع التِّرب ، وهو مَنْ كان مثلكَ في السّنّ . والسّامر : مجلس السُّمّار .

إذْ هي مثلُ الغُصْنِ ميّالةٌ ... تروقُ عَيْنَي ذِي الحِجا الزّائِر[١٩]
كَدُمْيَةٍ صُوِّرَ مِحْرابُها ... بمُذْهَبٍ في مَرْمَرٍ مائِر[٢٠]
أو بيضةٍ في الدِّعصِ مكنونةٍ ... أَو دُرَّةٍ سيقت إلى تاجِر[٢١]
لو أَسْنَدت مَيْتاً إلى نَحْرِها ... عاش ولم يُنْقَلْ إلى قابِرِ[٢٢] !

وقال الفَرزدق[٢٣] ، فأطال مَسافة القَول ، وركبَ غارِبَ الكُلفة :

[من الطويل]

كَدُرَّة غوّاصٍ رمى في مَهيبةٍ ... بأجرامه والنَّفسَ ، يَخْشى ضَميرُهَا[٢٤]
مُوَكّلةً بالدُّرِّ خرساءَ قد بكى ... إلَيْهِ مِنَ الغَوّاصِ قِدماً نَذِيرُهَا[٢٥]

[٧٤/ب]

وقالَ: ألاقي الْمَوْت أَوْ أُدْرِك الغنى ... لِنَفْسي والآجَالُ جاءٍ دُهُورُهَا
رَآها ونَابَاها حَوَالي يَتِيمَةٍ ... هِيَ الْمَوْتُ أَوْ دُنْيا مُنادٍ بَشِيرُها[٢٦]
ولَمَّا رَأَتْ مَا دُونَها خَاطَرَتْ بِهِ ... على الْمَوْتِ نَفْسٌ لا يَنَامُ فَقيرُهَا
لَوَتْ بِذِراعَيْهِ الْمَنِيَّةُ إذْ دَنَا ... بعَضَّةِ أَنْيَابٍ سَرِيعٍ سُؤُورُهَا[٢٧]
فَحَرَّكَ أَعْلَى حبْلِهِمْ بِحُشَاشَةٍ ... وَمِنْ فَوْقِهِ خَضْرَاءُ طَامٍ بُحُورُهَا[٢٨]

---

(١٩) تروق : تُعجِبُ . والحجا : العقل .
(٢٠) المحراب : الغرفة ، وصدر البيت . والمائر : البرّاق الجيّد الصَّقْل .
(٢١) الدِّعص : كثيب الرَّمل .
(٢٢) المَيْت والميّت بمعنًى واحد .
(٢٣) الشعر للفرزدق ، في ديوانه ٤٥٥/٢ .
(٢٤) المهيبة : أراد بها اللُّجّة . وأجرامه : بدنه كلّه .
(٢٥) « مُوَكّلة » مفعول به لـ « يخشى » وأراد بالموكّلة حيّةً بحريّةً تحفظ الدُّرّ .
(٢٦) في الديوان : « ينادي بشيرها » ، و « ناباها » نابا الحيّة . واليتيمة : الدُّرّة التي لا مثيل لها .
(٢٧) في الديوان « فألقت بكفّيْه » . والسُّؤور : مساورة هذه الحيّة ومُوَاثبتها .
(٢٨) في الديوان (حَبْلِهِ) . والحُشَاشة : بقيّة الرّوح . والخضراء : اللُّجّة . والطّامي : الكثير الماء . وأراد بالحبل : الحبلَ الذي يُرْبَط به الغوّاص .

فَمَا جَاءَ حَتّى مَجَّ والْمَاءُ دُونَهُ ... مِنَ الْمَوْتِ أَلْواناً عَبيطاً نَحيرُها[٢٩]

فَلَمَّا أَرَوْهَا أُمَّهُ هَانَ وَجْدُهَا ... رَجَاءَ الغِنَى لَمَّا أَضَاءَ مُنيرُهَا[٣٠]

فَظَلَّتْ تُغَالِيهَا التِّجارُ وَلا يُرَى ... لَهَا سِيمَةٌ إلاَّ قليلاً كَثيرُهَا[٣١]

وإنّما سَلَكَ في هذهِ الخطابة مَذْهَبَ مُسَيِّب بن عَلَس في قَوْله[٣٢] :

[من الكامل]

كَجُمانَةِ البَحْرِيِّ ، جاءَ بِها ... غَوّاصُهَا ، من لُجَّةِ البَحْرِ

صلبُ الفُؤادِ رئيسُ أربعةٍ ... مُتَخالفي الألْوان والنَّجْرِ[٣٣]

فَتَنازَعوا حتّى إذا اجْتَمَعُوا ... ألقَوْا إليهِ مقالِدَ الأَمْرِ[٣٤]

حتّى إذا ما ساءَ ظَنُّهُمُ ... ومَطَا بِهِمْ شَهْراً إلى شَهْرِ[٣٥]

ألقى مَراسِيَهُ بتَهْلُكَةٍ ... ثَبَتَتْ رَواسِيها فَمَا تَجْري

قَتَلَتْ أَبَاهُ فَقَالَ : أَتْبَعُهُ ... أَوْ أستفيدَ رَغيبَةَ الدَّهْرِ[٣٦]

يضْفُ النَّهارِ الماءُ غامِرُهُ ... وَشَرِيكُهُ بالغَيْبِ مَا يَدْري !

---

(٢٩) في الديوان : « من النفس ألواناً » . و « جاءَ » أي رجع من قعر البحر . والعبيط : الدّم الطّريّ ؛ يقول : لم يَعُدْ مِن قعر البحر حتّى ماتَ وخَرَجَ مِن فَمِهِ الكثير من الدّماء .

(٣٠) الهاء في قوله : « أَرَوْها » عائدة على الدُّرّة . يقول : هانَ على أمّ الغوّاص مَوْت ابنها لَمّا أَرَوْها الدُّرّةَ فأضاءَت في البيت .

(٣١) والسِّيمة : مِنَ السَّوْم في البَيع والْمُغالاة في الثمن .

(٣٢) في ك : « ... مذهب الأعشى في قوله مسيّب بن علس » .

ـ والأبيات ـ حسبما يبدو ـ من قصيدة طويلة وردَ بعضُهَا في الشعر والشعراء ، وخزانة الأدب (٣٢٥/٦) ، وقال البغدادي إنّ القصيدة تُروى للأعشى وهو ابن أخت المسيب ، قال : والقصيدة ثابتة في ديوان المسيّب (وديوان المسيّب مفقود) . والبيت العاشر في اللّسان (صرر) .

(٣٣) النَّجْر : الأصل .

(٣٤) مقالد الأمر : جَمْعُ مِقْلاد ، وهو سلسلة من نُحاس توضَع في بُرَةِ البعير ؛ يعني سلَّموهُ قيادةَ الأمر .

(٣٥) ومطا : مَدَّ .

(٣٦) أرادَ برَغيبَةِ الدّهر : الدُّرَّةَ .

فَـأَصَـابَ مُنْيَتَـهُ فَجَـاءَ بِهَـا … صَـدَفِيَّـةً كمضيئـةِ الْجَمْرِ!
يُعْطى بِهَـا ثَمَنـاً فَيَمْنَعُهَـا … وَيَقُـولُ صاحِبُهُ: أَلاَ تَشْرِي[٣٧]؟
ويَرَى الصَّرارِي يَسْجُـدونَ لَهـا … وَيَضُمُّهـا بِيَـدَيْـهِ لِلنَّحْرِ[٣٨]
أَفَتِلْـكَ شِبْـهُ الْمَـالِكِيَّـةِ إِذْ … خَرَجَتْ بِبَهْجَتِهَـا مِنَ الخِـدْرِ[٣٩]

ومن مليحِ الكلام ومختارِه قَوْلُ جَريرٍ[٤٠]:

[من البسيط]

ما استوصف الناسُ من شيء يروقهمُ … إلاَّ أرى أمَّ نوحٍ فوق ما وَصَفُوا
كأنَّهـا مُـزنـةٌ غرّاء لائِحَـةٌ … أَوْ دُرَّةٌ ما يُواري ضَوءَها الصّدفُ[٤١]

[٧٥/أ] وقد غرَّب المحدثون في هذا التَّشبيه وتنازَعُوا أَلفاظَهُ ومعانِيَهُ، فقال أبو نُواس[٤٢]:

[من مجزوء الكامل]

ظَبْيٌ كَـأَنَّ اللهَ أَلْـ … بَسَـهُ قُشُورَ الـدُّرِّ جِلْـدَا
وتَرَى عَلَى وَجَنَـاتِـهِ … في أيِّ حِيْنٍ شِئْتَ وَرْدَا!

وإنَّما أَخذه من قول بشّار[٤٣]:

[من البسيط]

كَـأَنَّما خُلِقَتْ مِنْ قِشْرِ لُـؤْلُـؤَةٍ … في كُـلِّ أَكْنَـافِهـا حُسْنٌ بِمِرْصـادِ

---

(٣٧) ألا تشري: ألا تبيعُ؛ يحضُّهُ على بَيْعها بِمَا أُعْطِيَهُ مِنَ المال.
(٣٨) الصَّرَاري: جَمْعُ الصَّاري، وهُوَ الْمَلاَّح.
(٣٩) أراد بالمالكية المرأةَ التي يشبّهها بالدُّرَّة.
(٤٠) الشعر لجرير في ديوانه ١٦٩/١ ـ ١٧٠.
(٤١) الْمُزْنة: الغمامة البيضاء. والصَّدَف: ما يُغَطّي الدُّرَّة.
(٤٢) ديوان أبي نواس ٧٤٦.
(٤٣) ديوان بشار بن بُرد ٣١٨/٢. وأكناف الشيء: نَوَاحيه.

وقال الآخر :

[من البسيط]

كَـــأَنَّما أُفْرِغَتْ في قِشْرِ لـؤلـؤةٍ ... وَكُـلُّ جَـارِحَـةٍ مِنْ جِسْمِهـا قَمَرُ

وقال إبراهيم بن العباس[٤٤] :

درَّةٌ حيثمـا أُديرت أضـاءت ... ومشمٌّ من حيثُ مـا شُمَّ فـاحـا

وقال آخر في وصف امرأة أيضاً :

هي الـدُّرُّ منثـوراً إذا مـا تكلَّمَتْ ... وكالـدُّرِّ مَجمـوعـاً إذا لم تكلَّمِ

وقال البحتري[٤٥] :

إذا نَضَـوْنَ شُفُـوفَ الرَّيْـط آونـةً ... قَشَرْنَ عَنْ لُؤْلُؤِ البَحْرَيْنِ أَصْدَافا[٤٦]

وقال ابن الرُّومي[٤٧] ، وزاد :

تـواضـعَ الـدُّرُّ إذْ أُلبسنَ فـاخره ... فَكُنَّ دُرّاً ، وكانَ الـدُّرُّ أصـدافـا !

وقد شبَّهوا بالدُّرِّ أشياءَ كثيرةً مِن أحوال النِّساء وغيرهنّ لا يدخل في هذا الباب .

ونظيرُ التَّشبيه في الآيـة قولُـه تعـالى في موضعٍ آخَر : ﴿ وَيَطُوفُ عَلَيْهِم غِلْمانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ ﴾ [الطُّور : ٢٤/٥٢] . وقولـه أيضـاً : ﴿ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدانٌ مُخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤلؤاً مَنْثُوراً ﴾ [الإنسان : ١٩/٧٦] .

---

(٤٤) هـو إبراهيم بن العبـاس الصُّولي ، والبيت في قطعـة من ثـلاثـة أبيـات في ديـوانـه (كتـاب الطرائف الأدبية ١٤٢) .

(٤٥) ديوان البحتري ١٣٧٦/٣ .

(٤٦) نَضَوْنَ : كَشَفْنَ . والشُّفُوف : جَمْعُ الشَّفّ ، وهو الثَّوب الرَّقيق . الرَّيْط : جَمْعُ الرَّيطـة ، وهي الثوب اللَّيِّن الرَّقيق .

(٤٧) ديوان ابن الرُّومي ١٦٠٠/٤ ، وفيه : شبَّهن بالدّرّ إذْ ...

وحدَّثني الأمير أبو محمد ـ رحمه الله ـ قال : أشرفت (حُليس) جارية جعفر بن يحي على صِبيان البرامكة ـ وهم يلعبون ـ فقالت :

[من البسيط]

كأنَّهم وبني الغَوغاء حَولَهُمُ ... دُرٌّومَشْخَلَبٌ في الأَرضِ منثورُ[٤٨]

وكأنَّ ابن المعتزّ نظر إلى هذا اللفظ فقال[٤٩] :

[من البسيط]

ظَلَّتْ جَآذِرُهُ صَرْعى مُفَرَّقَةً ... كَأَنَّها لُؤْلُؤٌ في الأَرْضِ مَنْثُورُ !

كما نظَر في المعنى إلى قولِ الأَوَّل يصفُ الوحشيّة :

[من الكامل]

وتضيءُ في وجهِ الظَّلام منيرةً ... كَجُمانةِ البحريِّ سُلَّ نِظَامُها

تَشبيهٌ آخَر من هذه السُّورة :

قولُه عَزّ وجَلّ : ﴿ فَشَارِبُونَ شُرْبَ الهِيْمِ ﴾ [الواقعة : ٥٦/٥٥] .

يصف أهل النار أنَّ أكلهم من شجر الزَّقُّوم ، وشربهم الْحَميم الذي لا يروى شاربه . و « الهيم » : الإبل العطاش عن أكل الْحَمْض ، فيعرض لها الْهُيام ، وهو شدّةُ العَطش ، قال ذو الرُّمّة[٥٠] :

---

(٤٨) يريد الغَوغاء من الناس ، وأصل الغوغاء : شيءٌ يُشبه البعوض ولا يعضّ لضعفه ، ونقلوا الكلمة إلى الناس ، والْمَشْخَلَب جمع الْمَشْخَلَبة ، وهي كلمة عراقية قديمة لِمَا يُتَّخذ من اللِّيف والخرز أمثال الْحُليّ .

(٤٩) ديوان ابن المعتزّ (٧٠/٢) .

(٥٠) ديوان ذي الرُّمّة ٣٨٢/١ .

كأنّي من هـوى خَرْقـــاءَ مُطَّرَفٌ دامِي الأَظِلِّ بعيـد الشّأو مَهْيـومُ[٥١]

أي جمل به هيام وهو بعيد عن وطنه .

وهم يصفونَ الإبل لمعاناة الإظماء والبُعد عن مَوارد المـاء بـالحِرص على الشُّرب عنـد [٧٥/ب] مُشارفـة الوِرد ، وسُرعـة الجرع ، والإمعـان في النَّهل والعَلّ ؛ كما قـال الرّاجز يصفُ بعيراً أورده[٥٢] :

[من الرّجز]

كأنَّ صَـوتَ جَرْعِـــهِ في الْمَنْهَــلِ[٥٣]
جَنـدلــةٌ دَهْـدَهْتُهــا في جَنْــدَلِ[٥٤]

وقال الآخر[٥٥] يعتدُّ على إبله بإيرادِها ويدعُوها بذلك إلى الاستِبدال ببلادِها :

[من الرّجز]

هَـــذا مُقَـــامي لَـــكِ حَتَّى تُنْضَحي
رَيَّـــا وتجتــازي بـلاد الأبطَـحِ[٥٦]

وذهب بعض الْمُحـدثين إلى المبـالغـة في وصفِ كثرةِ الـدّمع وغَزارتـه ، فـذكر أنّـه يروي عطاش الإبل فقال في أبياتٍ أنشدها الْمَرْزُباني[٥٧] :

---

(٥١) خرقـاء : اسم امرأة كان ذو الرُّمّـة يتغزَّل بهـا ، كما كان يتغزَّل بميّـة المنقريـة . والْمُطَّرَفُ : البعيرُ الـذي اشتراه قومُهُ مِن قومٍ آخَرين ، فهو يحنُّ ويشتاق . والأظلّ : باطن منسم البعير . وبعيد الشّأو : بعيـد الهِمّة ، ومهيوم : به هُيَام ، وهو داء يأخذ الإبل فلا تروى من الماء .

(٥٢) هو أبو النَّجم العجلي . من أكابر الرّجاز ، نبغ في العصر الأموي (ت : ١٣٠ هـ) .

(٥٣) الرجز في ديوان أبي النَّجم ١٩٦ .

(٥٤) الْمَنْهَلُ : الْمَشْرَب . والْجَرْع : ابتـلاع المـاء . والجنـدلـة : القطعـة العظيـمة من الصخر . ودَهْـدَهتها : دحرجتها .

(٥٥) هو أبو وجزة السَّعدي الرّاجز ، واسمه يزيد بن عُبَيد ؛ من التابعين .

(٥٦) تُنْضَحين : يُسَكِّنُ عَطَشَك وتَرْوَيْنَ .

(٥٧) يعني على قصد المبالغة .

ويا أَخا الذَّود قد طالَ الهُيامُ بها   لا تعرفُ الرّيَّ من جَدْبٍ وإقفارِ
رِدْ بالعطاشِ على عَيني ومحجرِها   تَرْوِ العطاشَ بدمعٍ واكفٍ جارِ[٥٨] !

والعَربُ تضرب الأمثال بعطاشِ الإبل وتخصُّها دون غَيرها بهذه الصِّفة ؛ لأنَّ الإبلَ رُبَّما بعدت في المرعى عن الماء حتى تجاوز ظِمْأَهَا العِشْرَ والعِشْرَيْنِ[٥٩] ، ويبعَثُها حرارةُ أكبادِها وتَصَلْصُلُ أَحشائها[٦٠] على تَذكُّر الأعطان[٦١] ، والنّزاع إلى الأَوطان ، فَتُعْلِن بحنينها ، وتَسْتريح إلى إرزامها[٦٢] ، وتُعاني ليلة قَرَبِهَا منَ السَّير الشَّديد والسَّوق العنيف ما يُجهدها[٦٣] ويُرهقها ، فيَتزايد أُوَامُها[٦٤] ، ويشتدُّ صَداها وهُيامها ، حتى إذا آنست مَوارِدَها ، وشارَفَت مشارِبَها صُرِّد شِرْبُ بعضِها ، وحُلِّئَ عن الوِرد بعضُها[٦٥] ، وغادَر الزِّحامُ صواديَها تَحُوم ، ولَوابِيَها تلُوب[٦٦] ، ولات حين وُرود ، كما[٦٧] قال جميل بن عبد الله بن معمر يصفُ ذلك من حالِها ، تَشبيهاً بوجده وغُلَّتِه ، وتمثيلاً بحنينه ولَوعته[٦٨] :

[من الطويل]

---

(٥٨) مَحْجَرُ العين : ما أَحاطَ بالعين . والواكف : المتقطِّر .

(٥٩) الظِّمْء : واحِدُ أَظْماء الإبل ، وهو ما بين الوُرودَيْن . والعِشْر : وِردُ الإبل اليوم العاشِر أو التاسع ؛ ويوم العِشْرَين : هو الثامن عَشَر وورودها فيه .

(٦٠) التَّصَلْصُل : التَّصويت .

(٦١) الأعطان : جمع العَطَنِ ، وهو مَبْرَكُ الإبل حَوْلَ الْحَوْض .

(٦٢) الإرزام : الحنين .

(٦٣) في س : « يجدها » . والقَرَبُ : سيرُ اللَّيْلِ لورود الماء ، وأن لا يكون بينها وبين الماء إلاّ ليلة واحدة .

(٦٤) الأُوام : العَطَش ، وحَرّ العَطَش .

(٦٥) صُرِّد : قُلِّلَ ، والتَّصريد في السَّقي : دونَ الرِّيّ . وحُلِّئَ : طُرِدَ .

(٦٦) اللَّوَابي : العِطَاش ؛ واللَّوْبُ : أن تدور حَوْلَ الماء وأنت عطشان ولا تصل إليه .

(٦٧) كلمة « كما » من ف فقط .

(٦٨) ديوان جميل بثينة ٢٠٥ .

فما صاديات حُمْنَ يوماً وليلةً   على الماء يَغْشَيْنَ العِصيَّ حَواني[69]
لوائب لم يصدُدْن عنه لوجهةٍ   ولا هُنَّ من بردِ الحياضِ دَواني[70]
يَرين حَباب الماء ، والموتُ دونه   فَهُنَّ لأصواتِ السُّقاةِ رواني[71]
بأوجدَ منّي غِلَّ صدرٍ ، ولوعةً   عليك ولكنَّ العدوَّ عَداني !

[٧٦/أ] وقال العجلي[72] :

[من الطويل]

أَقُولُ لِدَاعي الذَّوْدِ لَمَّا تحدَّرَتْ   على أَثْلاثِ القاعِ مُنتشراتِ[73]
إذا سَامَهَا غِيطانَ حَوْضي تذكَّرَتْ   بَقَايا نِطَافٍ بالحِمَى خَصِراتِ[74]
تَرَفَّقْ بِهَا يا رَاعيَ الذَّوْدِ إنَّهَا   تُذادُ عَنِ الأَوْطانِ ، مُقْتَسَراتِ[75] !

فذكَر اغترابها في مَراعيها عن الأَوطان ، وحنينها إلى نِطاف الغُدران[76] ، عند عدم الماء بهذه الغِيطان .

وهذه حال الإبل في أكثر زمانها وما يعهد من شأنها . وإنَّما ترد الرِّفه والغِبّ

---

(٦٩) في ك : فما حائمات .
(٧٠) في ك : لا يصدُدْنَ .
(٧١) روانٍ : من رنا : إذا أدامَ النَّظَر .
(٧٢) لم يرد الشعر في ديوان أبي النجم ولا في مجموع شعر الأغلب العجلي .
(٧٣) الذَّوْد : الطَّرْد ، والسَّوْق . والأَثْلاَت : جمع الأَثْلَة : وهي ضرب من الشجر . والقاع : الأرض المستوية المطمئنَّة .
(٧٤) وَسَامَهَا : عَرَضَها عليها . والغيطان : جَمْعُ الغَيْطِ ، وهو المطمئنّ الواسع من الأرض ؛ وأرادَ ماءَها . وحَوْضى : مَوْضِعٌ . والنِّطَاف : جمع النُّطفة ، وهي الماء الصّافي . والْخَصِرات : الباردات .
(٧٥) مُقْتَسَرات : مُرْغَمَات .
(٧٦) الغُدْران : جمع الغدير ، وهو القطعة من الماء يُغادِرُها السَّيْل .

والعُرَيْجَاء[77] ونحو ذلك مما تنال به الرّيّ وتستمتع فيه بالوِرد ، مع قُرب المرعى وإمكانه ، ثم تبعد بحسب مكانه حتى ينزح[78] وردها ويطول ظمؤها .

والآية المذكورة نَزَلت في أُبَيّ بن خَلف وأصحابِه[79] .

وقوله تعالى : ﴿ هَذا نُزُلُهُمْ ﴾ ؛ يعني : رِزقُهم وثَوابُهم ، وأَصْلُه ما يقامُ للنَّزِيل بالقَوم . أي جَزاؤُهم ليس كجزاء أهلِ الْجَنَّة .

(٧٧) الرِّفه : أن ترد الإبل الماءَ كلَّ يوم متى شاءَت ؛ والغِبّ : أن تشرب يوماً وتظمأ يوماً ؛ والعريجاء : أن ترد يوماً ونصفَ النهار ويوماً غَدْوَةً .

(٧٨) في ك : حتى ينأى .

(٧٩) في البحر المحيط (٨/٢١٠) أنّ الخطاب لكفّار قريش ؛ ولم يحدّد .

سُورةُ الْحَشر

قولُه عَزّ وجلّ : ﴿ كَمَثَلِ الشَّيْطانِ إذْ قالَ للإنْسـانِ اكْفُرْ ، فَلَمَّـا كَفرَ قـالَ : إنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إنِّي أخافُ اللهَ رَبَّ العَالَمِيْنَ ﴾ [الحشر : ١٦/٥٩] .

يعني أنَّ الشَّيطان دعاهُ على حال الإغراء إلى أن يقول : إنِّي كافرٌ بـالتَّوحيـد ؛ إذ ليس له حقيقة ، وكافرٌ بالنُّبوة ؛ لأنها حيلة ومَخْرَقة !!

وهـــذا مثـــل لِلْمُنـــافقين[١] في غُرورهم لبني النَّضير ؛ وقـــولهم : ﴿ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَـداً أَبَـداً وَإنْ قُـوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ ﴾ [الحشر : ١١/٥٩] . أي : مَثَلُهم كَمَثَل الشَّيطان إذ قال للإنسان : اكفُر ، يَدُلُّ عليـه قولـه تعـالى : ﴿ وَإذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطانُ أَعْمَـالَهُمْ وقَـالَ لا غَـالِبَ لَكُمُ اليَوْمَ مِنَ النَّـاسِ وإنِّي جَـارٌ لَكُمْ فَلَمَّـا تَراءَتِ الفِئَتانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ وقَالَ إنِّي بَرِيءٌ مِنكُمْ ﴾ [الأنفال : ٤٨/٨] . فكـذلـك الْمُنافقون ، لَمَّا نزل [٧٦/ب] ببني النَّضير ما نَزل تَبرَّؤوا منهم !

وقـد نظم عُمَرَ بن أبي ربيعـة المخزوميّ لفـظَ القرآن في شعرٍ يخـاطب بـه ابن أبي عَتِيق[٢] ، وقد عتبه في التَّعَرُّض[٣] بامرأة من أهله[٤] وصفها لـه ، فـدعـاه ذلـك إلى الكلف بها فقال[٥] :

(١) في س : مثل المنافقين .

(٢) ابن أبي عتيق : صاحبُ عمر بن أبي ربيعة وصديقه ، وله معه أخبار .

(٣) في س : التعريض .

(٤) في س : من أهله وكان وصفها له .

(٥) ديوان عمر بن أبي ربيعة ٢٨٣ .

[من الخفيف]

لا تَلُمْني عتيقُ حَسْبي الّذي بي ... إنَّ بي يا عتيقُ ما قد كَفاني
لا تَلُمْني وأنتَ زيَّنتَها لي ... أنتَ مِثلُ الشَّيطانِ للإنسانِ !

فأما خبر بني النَّضير[٦] فإنَّ رسول الله ﷺ لَمّا نزل المدينة عاقدوه على[٧] أن لا يكونوا عليه ولا معه . فلما كان يوم أُحد وظهرَ المُشركون على المسلمين نكَثُوا وخرج كعب بن الأَشرف رئيسُهم في ستّين رجلاً إلى مكة ، وعاقد المشركينَ على التّظاهر على النَّبي ﷺ ، فأطلعَ اللهُ نبيَّه ﷺ على ذلك ، فلَمّا صار عليه السَّلام إلى المدينة وجَّه محمد بن مَسلمة[٨] رضيع كعبِ بن الأَشرف ومعه جماعة فاستَنْزَله من منزلهِ وأَوْهَمه أنه قد حمل عليه في أَخذ الصَّدقة ، فلما نزل أخذ بناصيته وكَبَّر ، فخرج أصحابُه فقتلوه . وغَزا رسول الله ﷺ بني النَّضير ، فكان المُؤمنون يخربون بيوتَ بني النَّضير لتكون لهم أمكنةٌ لِلقتال . وبنو النَّضير يخربون بيوتهم لِيَسُدُّوا بها أَبواب أَزّقاتهم ، ولئلا تبقى على المُؤمنين . وفارقوا رسول الله ﷺ على الجَلاء من مَنازلهم ، وأن يحملوا ما استقلَّت به إبلُهم ما خَلا الذَّهب والفِضّة فأجلوا[٩] إلى الشام ، وهو أول حَشر حُشر إلى الشام ، ثم يُحشر الخلق يوم القيامة إلى الشّام ؛ فلذلك قال : ﴿ لأَوَّلِ الْحَشْرِ ﴾ [الحشر : ٥٩/٢] .

---

(٦) خبر بني النَّضير في التواريخ والسِّير والتفاسير والمغازي ، ينظر مثلاً سيرة ابن هشام ٥٥/٢ ، والقرطبي ٤٢/١٨ ، وأسماء المُغتالين (في نوادر المخطوطات ٥/٢ ، ٤٤) .

(٧) كلمة (على) من : ف .

(٨) هو محمد بن مسلمة الأنصاري ؛ ولكعب بن الأشرف خبر مشهور في السِّير والمغازي ؛ وأطال حديثه صاحب كتاب أسماء المغتالين (١٤٤ ـ ١٤٦) وتنظر مصادره ومراجعه .

(٩) في س : فحملوا إلى الشام .

سُورَةُ الصَّفّ

قولـه عزّ وجلّ : ﴿ إنَّ اللهَ يُحِبُّ الَّـذِينَ يُقـاتِلُـونَ في سَبيلِـهِ صَفّـاً كَـأَنَّهُمْ بُنْيَـانٌ مَرْصُوصٌ ﴾ [الصَّفّ :٦١/٤] . أي : بنيانٌ لاصق بعضُه ببعض : لا يُغـادر بعضـه بعضـاً. فـأَعلَمَ اللهُ أنـه يحبُّ مَنْ ثَبت في الجهـاد ولزم مكانـه كَثُبـوت البنـاءِ الْمَرْصُـوص ؛ لأنَّهم قـالـوا : لـو عَلِمنـا أَحبَّ الأَعمـال إلى الله تعـالى لأَصَبْنـاهُ ولـو كان فيـه ذَهـابُ أنفسنـا وأموالنـا[1] ! فـأنزل الله تَعـالى : ﴿ هَـلْ أَدُلُّكُمْ على تِجَـارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَـذابٍ أليمٍ ﴾ [الصَّفّ : ٦١/١٠] ، إلى قوله : ﴿ وَتُجَاهِدُونَ في سَبيلِ اللهِ بِـأَمْوالِكُمْ وأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ ﴾ [الصَّفّ : ٦١/١١] . فلَمّـا كان يـومُ أُحـد وتـولّى مَن تـولّى عن النَّبي ﷺ حتى كُسِرَت رُبَاعِيَّته وشُجَّ في وجهه[2] أنزل اللهُ عزّ وجلّ : ﴿ يَا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ ما لا تَفْعَلُونَ ؟ كَبُرَ مَقْتـاً عِنْـدَ اللهِ أَنْ تَقُولُوا مـا لاَ تَفْعَلُونَ ﴾ [الصَّفّ : ٦١/٣] . [٧٧/أ]

قولـه تعـالى : ﴿ لِمَ تَقُـولُـونَ ﴾ الأَصـل فيـه : (لِمَـا) فَحُـذِفَت الألف ؛ لأنَّ (مـا) و (الـلاَّم) كالشَّيءِ الـواحـد ، وكَثُرَ استعمال (مـا) و (الـلاّم) في الاستفهـام ؛ فـإذا وقفت عليها قلت : لِمَـهْ ؟! ولا يُوقف عليهـا في القُرآن بهـاءٍ لئلاّ تُخـالِفَ المُصحف . ﴿ أَن تَقُولوا ﴾ في موضع رفـع . و ﴿ مَقْتـاً ﴾[3] منصـوبٌ على التَّمييز ، المعنى : كَبُرَ قولكم ما لا تَفعلون مَقْتاً عندَ الله .

والتشبيه في الآية جامعٌ للأوصـاف في تعبئـة الْمَصـافّ[4] ، مع حُسن الاختصـار ،

---

(١) في كتب التفسير وأسباب النُّزول . ينظر مثلاً تفسير القُرطبي ٧٧/١٨ .

(٢) السيرة النَّبوية ٧٩/٢ ، وتفسير القرطبي ٧٧/١٨ ـ ٧٨ .

(٣) المقت : أشدُّ الإبغاض .

(٤) الْمَصَافّ : جَمْعُ الْمَصَفّ ، وهو مَوْضِعُ الصَّفّ .

ولطافة القول ، وقُرب الْمَأْخذ . وبيانُ ذلك أنَّ أصل أجزاء تعبئة المصاف ثلاثة : القلب ؛ ـ ويسمى الْجُمهور ـ والْمَيْمَنة ، والْمَيْسرة ، ويُسَمُّونها : الْمَجْنَبَتين ، وطرفا كُلّ جزء من هذه الأجزاء : جَناحاه . فالصفُّ الْمُستوي هو في جملته أوثَق الصُّفوف وأَشَدُّها وأَثبتها وأسدّها[٥] ، وهو الذي عناه الله عزّ وجلّ بدلالة التَّشبيه ، وأنَّه كالبُنيان في استوائهِ وصحّة نظامِه ، ثم أشار إلى الوَصف الذي يكونُ عليه بما وصف من حال البُنيان .

وأمّا الصَّفّ الثاني وهو الدّاخل الصدر فإنه أوثق للقلب ، وهو لِلْجَناحين أضعف ؛ وإذا كان كذلك صيَّروا مع كل طرفٍ من الْجَناحين كُردوساً[٦] من الخيل يكونان وقايةً لها[٧] .

والصَّفّ المعطوف ، ويُسَمّى النَّاهد ، وهو الدَّاخِلُ الْجَناحين ، الخارج الصَّدر ؛ فمكروه ولا يكون[٨] إلاَّ عن ضرورة شَديدة ؛ وهو ضعفٌ للقَلب وقوّةٌ لِلْجَناحين ، وكانُوا إذا كان كذلك صَيَّروا أهلَ البأس والنَّجدة ميمنةً ومَيسَرة ؛ ليكونَ أشدّ للقَلب ، أو قوّوا القلب بِكُرْدُوسَيْن من الْخَيل المقويّة يكونان مما يلي طَرفيه ؛ أمامه قليلاً .

ويُستحبُّ في التَّعبئة ، مع استواء الْمَصافّ : التَّراصُف وانضِمامُ بعضها إلى بعض كما ذكر الله عزّ وجلّ .

وحُكي أنَّ عمرو بن العاص قال [يوماً][٩] لمعاوية بن أبي سفيان : لقد رأيتُك في صِفِّين ترمي بنظرك إلى الموضعِ من الْمَصافّ فيستقيم زيغُه ، ويَسْتدُّ خَلله ؛ فقال

---

(٥) كلمة (وأسدّها) من ف فقط .

(٦) الكُردوس : القطعة العظيمة من الخيل .

(٧) في ك : وقايةً له .

(٨) في ك : لا يكون .

(٩) كلمة (يوماً) من : س .

معاويـة : ذلـك عن ثبـاتِ الرَّأي وإعمـال الرَّويّـة ، ولقـد شجَّعني على عليٍّ قـولُ ابنِ الإطنابة[١٠] :

[من الوافر]

أبتْ لي عِفَّتي وأبى بــــلائي ... وأخـذي الحمـدَ بـالثَّمنِ الرَّبيـحِ

[٧٧/ب] وإعطائي على المكروهِ مالي ... وضَرْبي هـامـةَ البَطـلِ الْمُشيـحِ[١١]

وقَـوْلي كلَّما جَشَـأت وجَـاشَتْ ... مكانَـكِ تُحْمَـدي أو تَسْتَريحي[١٢]

لأَدْفَـع عن مـآثِرِ صـالحـاتٍ ... وأَحْمِيَ بَعْـدُ عن عِرْضٍ صَحيـحِ

وكان خالد بن الوليد يدور على النّاس في الصُّفوف ويقول[١٣] : « يا أهل الإسلام إنَّ الصَّبر عِزٌّ والفَشل عَجز ، وإنَّ مع الصَّبر النَّصر » .

وقال عُتبة بن رَبيعة[١٤] يوم بدر لأَصحابه : ألا ترونهم ؟ - يعني أصحاب محمد ﷺ - جِثيّاً على الرُّكَب كأنَّهم خُرس يتلَمَّظُون تَلَمُّظَ الْحَيّات !

وحدَّثني أَبي - رحمه الله - قال[١٥] : لما صافَّ قتيبةُ بن مسلم التُّرك وهاله أمرُهم ،

---

(١٠) هو عمرو بن الإطنابة ، والشعر مشهورٌ جداً ، متداول في كتب الأدب والحماسة .
- والأبيات في مُعجم الشُّعراء ٩ ، ووقعة صفّين ٣٩٥ ، ٤٠٤ ، والعقد ١٠٥/١ ، ١٢٦/١ ، وحماسة البحتري .
- وفي العقد : وممّا كان يتمثل به معاوية رضي الله عنه يوم صِفّين ... (الأبيات) .

(١١) الْمُشيح : الْحَذِر .

(١٢) جَشَأت نَفْسُهُ : نَهضَتْ وجاشَتْ من فَزَعٍ ونحوه . وقوله : « مَكانَكِ » اسم فِعل أمر ؛ أي : اثبتي مكانَكِ .

(١٣) في عيون الأخبار ١٢٦/١ .

(١٤) هو عُتبة بن ربيعة بن عبد شمس كبير قريش وأحد ساداتها في الجاهلية . مات قتيلاً ببدر سنة ٢ هـ .
- وكلامه في عيون الآخبار ١٠٨/١ .

(١٥) الخبر في عيون الأخبار ١٢٢/١ .

سأل عن محمد بن واسع ما يَصنع ؟ قِيل[١٦] : هو في أقصى الميمنة جانح على سية قوسه[١٧] يُبَصْبِصُ بإصبعه[١٨] نحوَ السَّماء ، فقال : تلك الإصبعُ الفاردة أَحَبُّ إليَّ من مئةِ ألفِ سيفٍ شهيرٍ وسِنَانٍ طَرِيرٍ[١٩] ! فلما فَتح اللهُ عليهم قال له : ما كنتَ تَصنع ؟ قال : كنتُ آخُذ لكَ بمجامع الطُّرق !

قال : وقال أبو بكر لخالد بن الوليد حين وجَّهه في الرِّدّة[٢٠] : احرِصْ على الْمَوت تُوهَب لكَ الْحَياة !

وفي ذلك تقول الخنساء[٢١] :

[من المتقارب]

نُهِينُ النُّفوسَ وهَوْنُ النُّفو ... سِ يَومَ الكَرِيهةِ أَوْقَى لها[٢٢]

قال[٢٣] : وكان عُمَر[٢٤] يأخذ بيده اليمنى أذنه اليسرى ، ثم يجمع جَرامِيزَهُ[٢٥] ويثب ، فكأنما خلق على ظهر فرسه .

وقال علي يوم صِفِّين[٢٦] : عَضُّوا على النَّواجِذ من الأَضْراس ، فإنَّه أَنْبَى للسُّيوف عن الهام .

---

(١٦) في س : فقيل .

(١٧) سيةُ القوس : ما انعطف من طرفها .

(١٨) يبصبص بإصبعه : يُحَرِّكُها .

(١٩) سِنَان طَرِير : مُحَدَّد .

(٢٠) قول أبي بكر لخالد رضي الله عنهما في عيون الأخبار ١٢٥/١ .

(٢١) ديوان الخنساء ٧٤ .

(٢٢) في س : عند الكريهة .

(٢٣) كلمة (قال) من : ف فقط .

(٢٤) الخبر في عيون الأخبار ١٣٣/١ .

(٢٥) الجراميز : القوائم ، وبدن الإنسان .

(٢٦) قوله رضي الله عنه في عيون الأخبار ١٣٣/١ .

وقال لابنه الْحسن[٢٧] : لا تَـدْعُوَنَّ أحَـداً إلى البِرازِ ، ولا يَـدْعُوَنَّـكَ أحَـدٌ إلَيْـهِ إلاّ أَجَبْتَهُ ، فإنَّهُ بَغْي .

وحـدَّثني مُحَمَّـد بنُ عَليّ بن الْمُهْتَـدي ، عن مُحَمَّـد بنِ المـأمـون ، عن مُحَمَّـد بنِ القاسِم ، عن أبيه ؛ قال : حَدَّثنا أحمدُ بنُ عُبَيد قال : حَدَّثنا مُحَمَّـد بنُ عُمَر الواقِـديّ ، قال : حُدِّثْتُ أنَّ صَعْصَعَـةَ بْنَ صَوْحَـان قـال[٢٨] : خرجَ يَومَ صِفِّين رجُلٌ من أصحـابِ مُعـاوِيـةَ يُقـال لـه : كُرَيْبُ بْنُ الصَّبـاح الحِمْيَريّ ، فـوقفَ بَينَ الصَّفَّيْنِ ، فقـالَ : مَنْ يُبارِز ؟ فخرجَ إليهِ رَجُلٌ من أصْحاب عَلِيٍّ فقتَلَهُ ووقَف عَلَيْه ، ثمَّ قالَ : مَنْ يُبـارِز ؟ فخرجَ إليـهِ آخَرُ ، فقتَلَـهُ وألْقَـاهُ على الأَوَّل ، ثمَّ قـالَ : من يُبـارِز ؟ فَخَرج إليـه آخر ، فقتَلَه وألقاهُ على الآخَرين ، وقالَ : مَن يُبـارز ؟ فـأحجمَ النّـاس عنـه [٧٨/أ] وأحبَّ من كان في الصَّفِّ الأوّل أن يكـونَ في الآخر[٢٩] ؛ فخرجَ عليٌّ على بغلـــة رسول الله ﷺ ، فَشَقَّ الصُّفوف ، فلَمّا انفصل منها نزَل عن البَغلة وسعى إليه فَقتلـه ، وقال : مَن يُبارز ؟ فخرجَ إليه رجل فقتَله ووضَعَه على الأوّل ، ثمَّ قال : مَنْ يُبـارِز ؟ فخرج إليه رجلٌ فقَتَله ووضعه على الآخرَين ، ثمَّ قال : مَن يُبارِز ؟ فخرجَ إليـه رجل فَقَتله ووضعه على الثّلاثـة ، ثمّ قـال : أيُّهـا النّـاس ، إنَّ اللهَ عزّ وجلّ يقول : ﴿ الشَّهْرُ الْحَرامُ بالشَّهْرِ الْحَرامِ والْحُرماتُ قِصاصٌ ﴾ [البقرة : ١٩٤/٢] ، ولَو لَمْ نُبْدَأْ بِهذا ما بَـدَأْنـا بِه ! ثُمَّ رَجَع إلى مَكانِه .

وفي بعض كُتبِ الهِنْـد[٣٠] : لا ظَفَر مع بَغْيٍ ، ولا صِحَّـة مـع نَهَم ، ولا ثَنـاءَ مـع كِبْر ، ولا صَداقَة معَ خِبّ ، ولا شَرَفَ معَ سُوءِ أَدَب ، ولا عُـذْرَ مَع إصْرار ، ولا راحَـةَ معَ حَسَد ، ولا سُؤدد مع انْتِقام .

---

(٢٧) قوله رضي الله عنه في عيون الأخبار ١٢٨/١ .

(٢٨) الخبر في وقعة صِفِّين ٣١٥ .

(٢٩) في س : « في الأخير » .

(٣٠) الكلام في عيون الأخبار ١١١/١ .

وقـالَ أَبـو [مُسلم][31] لأَصحـابِـه[32] : أَشْعِرُوا قلـوبكم الْجُرأة عَلَيْهِم فـإنَّـهُ سَبَبُ الظَّفر ، وأَكثِروا ذِكر الضَّغائن فإنَّها تبعثُ على الإقدام ، والزَموا الطَّـاعـة فـإنَّها حِصْنُ الْمُحَارِب .

وأَوصى أكثم بن صيفي[33] قومـاً في حَرب قَوْمٍ أَرادُوهم ؛ فقـال : أقلّوا الخلاف على أمرائكم ، واعلموا أنَّ كثرةَ الصِّياح من الفَشَل ، والمرءُ يعجز لا الْمَحالة[34] .

وسَمِعَتْهُم عائشةُ يكبِّرون ، فقالت[35] : لا تُكبّروا هاهنا ، فـإنّ كثرة التكبير عنـد القتال من الفشل !

وقــال عمر رضي الله عنــه[36] لِعمرو بن معــدي كرب[37] : أَخْبِرْني عن الحرب ، قال : هي كما قال الشاعر :

[من الكامل]

الحربُ أَوّلُ مـــا تكـونُ فَتِيَّـــة ... تَسْعَى بِـزِيْنَتِهَـــا لِكُـلِّ جَهُـولِ
حَتَّى إذا اسْتَعَرَتْ وَشَبَّ ضِرَامُهَـــا ... عَـــادَت عَجُـوزاً غَيْرَ ذاتِ حَليـلِ
شَمْطَـاءُ جَـزَّتْ شَعْرَهَـا وَتَنَكَّرَتْ ... مَكْرُوهَـــةً لِلشَّمِّ والتَّقْبِيـــلِ[38]

---

(31) في المخطوطين : قال أبو موسى . وفي عيون الأخبـار ١٣٤/١ : « وقـال أبو مسلم » ، أي صـاحب الـدعوة العباسية ؛ وحريٌّ أن يكون صاحب الكلام .

(32) الكلام في العيون ١٣٤/١ .

(33) وصية أكثم بن صيفي في عيون الأخبار ١٠٨/١ .

(34) سارت هذه العبارة مَسار الأَمثال .

(35) قول عائشة رضي الله عنها في عيون الأخبار ١٠٨/١ .

(36) خبر عمر رضي الله عنه في عيون الأخبار ١٢٦/١ .

(37) الشعر في ديـوان عمرو بن معـدي كرب (١٥٤) ، وأكثر مـا رويت الأبيـات لامرئ القيس وتمثّـل بهـا عمرو بن معدي كرب (انظر تخريجات ديوان عمرو ، وديوان امرئ القيس ٣٥٣) .

(38) في س : للضمّ والتّقبيل .

وقال له أيضاً : أخبرني عن السلاح . قال : سَلْنِي ! قال : الرّمح ، قال : أخُوكَ وربَّما خانك ! قال : النّبل ، قال : منايا تخطئ وتصيب ! قال : التّرس ، قال : ذاك المِجَنّ ، وعليه تدور الدّوائر ! قال : الدّرع ، قال : مَشْغَلَةٌ للفارس ، مَتْعَبة للرَّاجل ، وإنَّها لَحِصنٌ حَصِين . قال : السَّيف ، قال : ثَمَّ قارَعَتْكَ [٧٨/ب] أُمّك عن الثُّكل يا أمير المؤمنين ! قال عمر : بل أمّك ! قال : الْحُمَّى أَضْرَعَتْنِي لَكَ[٣٩] .

ويُقال : لا مَجْدَ أَسْرَعُ مِن مَجْدِ السَّيف .

وفي الْحَديث[٤٠] أنَّ رَجُلاً أتى النَّبيَّ ﷺ وهو يُقاتل العَدُوّ ، فسَألَهُ سَيْفاً ، فقال له : « فلعلَّك إن أعْطَيْتُكَ سَيْفاً أَنْ تَقُومَ في الكَيُّول ! » ، فقال : لا والله ! فأعْطَاهُ سيفاً ، فجعل يُقاتِلُ ويَرْتَجِزُ :

[من الرّجز]

إنِّي امْرُؤٌ عاهَدَني خَليلِي
ألاَّ أقُومَ الدَّهْرَ في الكَيُّولِ

قال أبو عُبَيْدة : الكَيُّولُ : مُؤَخَّر الصُّفوف ، ولم أسْمَع بِهذا الْحَرْفِ إلاّ في هذا الْحَدِيث[٤١] .

قال ابن المقفَّع[٤٢] : الْجُبن مَقْتَلة ، والحِرْصُ مَحْرَمَة ؛ فانظُرْ فيما رأيت وسمعت ، أمَنْ قُتِلَ في الحرب مُقبلاً أكثر أم مَنْ قُتِلَ مُدبراً ؟ وانظُرْ مَنْ يطلب إليك بالإجمال والتَّكرُّم أحقّ أن تسخوَ نفسُك له بالعطيّة أم مَنْ يطلب ذلك بالشِّدَّة والحرص ؟

(٣٩) أضْرَعَتْني : أخْضَعَتْني .

(٤٠) في اللسان (ك ي ل) وهو منسوب لأبي عبيد .

(٤١) في ك : إلا في الحديث . وفي تهذيب اللغة أنّ هذه من كال الزَّنْد إذا كبا ولم يُخْرِج ناراً .

(٤٢) مقالة ابن المقفع في عيون الأخبار ١٦٦/١ .

ا و ا قــال بعضُ السَّلف[٤٣] : قــد جمع الله آدابَ الحرب في قـولــه جـلّ وعــزّ :
﴿ يـا أَيُّهـا الَّـذِيْنَ آمَنـوا إِذَا لَقِيْتُمْ فِئَـةً فـاْثْبُتـوا وَاْذْكُرُوا اللهَ كَثِيراً لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُـونَ ☆ وَأَطِيْعُـوا اللهَ وَرَسُـولَـهُ وَلا تَنَـازَعُـوا فَتَفْشَلُـوا وَتَـذْهَبَ رِيْحُكُمْ ، وَاْصْبِرُوا إِنَّ اللهَ مَـعَ الصَّابِرِينَ ﴾ إلى آخر الآيات .

(٤٣) القول في عيون الأخبار ١٠٨/١ .

سُوْرَةُ الْجُمُعَةِ

قوله عزّ وجلّ : ﴿ مَثَلُ الَّذيْنَ حُمِّلُوا التَّوْراةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوها كَمَثَلِ الحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفاراً ﴾ [الجمعة : ٦٢/٥] .

وقرأ أبو عمرو[١] : ﴿ كَمَثَلِ الحِمارِ ﴾ ؛ بكسر الألف ، وهذه الإمالة لكسر الرّاء كثيرة في كلامهم .

الأسفار : جمع سِفر ، وهو الكتاب .

قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا ﴾ أي قد تعامَوا عنها ، وأضربوا عن حُدودها وأمرها ونَهيها ، حتّى صاروا كالحمار الذي يحمل الكتب ولا يعلم ما فيها .

وقد نظم هذا التَّشبيه مروان بن سليمان بن يحيى في هَجْوِ قومٍ من رُواة الشِّعر لا علمَ لهم به ، على الاستِكثار منه ، فقال[٢] :

[من الطويل]

زَوَامِلُ[٣] لِلأَشْعَارِ لاَ عِلْمَ عِنْدَهُمْ ... بِجَيِّدِهَا إلاَّ كَعِلْمِ الأَبَاعِرِ
لَعَمْرُكَ مَا يَدْري البَعِيْرُ إذا غَدَا ... بِأَثْقَالِهِ أَوْ رَاحَ ، مَا في الغَرَائِرِ[٤]

---

(١) وهي قراءة للكسائي ، والأخفش ، وابن ذكوان ، والدوري ، وورش ؛ يُنظر معجم القراءات القرآنية ١٤٦/٧ .

(٢) يُنظر في الشعر : الكامل للمبرّد ١٠٣٧/٢ ، وتفسير القرطبي ٩٥/١٨ .

(٣) الزوامل جمع الزّاملة ؛ وهي البعيرُ يُحمل عليه المتاع والطّعام وما شابه .

(٤) الغرائر : جمع الغرارة ، وهي الأوعية توضَعُ فيها الأمتعة .

والتَّشبيهُ في الآية يجوزُ أَيضاً على : تالي القرآن من غير أن يفهمـه ! إلاَّ أن يكونَ طالباً لِعلمه ، وقد قدَّم حِفْظَهُ ليكونَ ذلك طريقاً إلى علمِ ما فيه ؛ فإنْ أَعرض عَن ذلـك إعراضَ مَنْ لا يَحتاجُ إليه ، كان التَّشبيهُ واقعاً عَليه ، والْمَثَلُ لاحقاً به !

سُورَةُ الْمُنافقين

قوله عزّ وجلّ : ﴿ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ ﴾ [المنافقون : ٤/٦٣] . وصف الْمُنافقين بتمام الصُّورة ، وحُسن الإبانة لقوله : ﴿ وَإذا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ، وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ﴾ [المنافقون : ٤/٦٣] . ثم أعلَمَ أنهم في قِلّة الاستبصار بمنزلة الْخُشُب فقال : ﴿ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ ﴾ . وفي نحو ذلك قولُ الشّاعر(١) :

[من الطويل]

تروعك من سعد بن زيد جسومها   وتزهد فيها حين تقتلها خُبرا(٢)

ومثله قولُ حسّان بن ثابت(٣) :

[من البسيط]

لا بأسَ بالقومِ من طولٍ ومن عِظَمٍ   خَلْقُ البِغالِ وأحلامُ العَصافيرِ(٤)

وشبيهٌ بِعَجُز هذا البيت قولُ بعض العَرب ؛ مُشيراً إلى ولده زارياً عليه وزاجراً له(٥) :

[من الخفيف]

---

(١) في س : قال الشاعر .

(٢) في س :

تروقك من سعد بن زيد جُسومها   وتزهَدُ فيها حين تقتُلها خُبْرا

ووقع في (ط) تقبلها ، وهو سهوٌ أو تطبيع .

(٣) ديوان حسان بن ثابت ٢١٩/١ .

(٤) رواية الديوان : جسم البغال ...

(٥) يقال : زَرَى عليه ؛ وأزرى به كذا .

عَقْلُـــه عقــلُ طـــائرٍ   وهـو في صـورةِ الْجَمَـلْ !

وقيل إنَّه تعالى شَبَّهه بِخُشُبٍ نَخِرَةٍ متآكلة دخلة ، إلاَّ أنَّها مُسَنَـدّة يحسبُ مَن رآهـا أنها صحيحةٌ سليمة .

ومن أبيات الأَمثال في نحو ذلك قولُ الشّاعر[٦] :

[من الهزج]

تَرى الفِتيـــان كالنَّخْــلِ   ولا تعلَمُ بـالــدَّخْـلِ[٧] !

يُقال : دخل أمره ؛ إذا فَسد .

ومن مشهور كلامهم قولُهم لتارِكِ التَّفهُّم والاستبصار : كأنَّه بهيمة ! و: كأنَّـه صَنَمٌ ! و: كأنَّه حَجَر ! ونحو ذلك .

وقول أبي سفيان حين استأذن على النَّبي ﷺ ، فحجبه ثمَّ أَذِنَ له[٨] : « مـا كـدتَ تأذنُ لي حتى تأذن لحجارةِ الْجَلْهَتَيْنِ » ، فإنَّما ذلك على التَّشبيه والذهاب بهذا القول إلى الأدوان من النـاس ، فقـال لـه النَّبي ﷺ : « أنتَ كما قيـلَ : كُـلُّ الصَّيـد في جنبِ الفَرَا » ؛ يتـألَّفـه بهـذا القـول ، وكانَ من المـؤلَّفـة قلـوبهم . أي : أنت في النّـاس كحمار الوحشِ في الصَّيد ؛ يعني أنها كُلّها دونه .

وقـد قُرِئَ : ﴿ خُشْبٌ مُسَنَّـدَةٌ ﴾[٩] ـ بـإسكان الشِّين ـ مِثـل : بَـدَنَـة وبُـدْن ، ويجوز : خَشَبٌ مُسَنَّدَةٌ مثل شجرة وشجر [٧٩/ب] .

---

(٦) في س : قول الأوَّل .

(٧) البيت في اللسان (دخ ل) ، وفيه : وما يُدريك بالدَّخل .

(٨) الخبر في التواريخ والسِّير وكتب اللغة ؛ وهو في النهاية في غريب الحديث ٢٩٠/١ .
و: « كل الصيد في جوف الفرا » من الأمثال العربية . وفي النسخة ك : جوف .

(٩) انظر معجم القراءات القرآنية (١٥١/٧) .

سُورَةُ ﴿ ن ﴾ [أو : القَلَم]

قولُه عزّ وجلّ : ﴿ فَطافَ عَلَيْها طائِفٌ مِّن رَبِّكَ وَهُمْ نائِمُونَ ☆ فَأَصْبَحَتْ كالصَّرِيمِ ﴾ [القلم : ٦٨/١٩-٢٠] . الهاء في ﴿ عليها ﴾ عائدةٌ على الجنّة[1] ، وهي البُستان ، وهؤلاء قومٌ من ناحية اليَمن[2] كان لهم أبٌ يتصدَّق من جَنَّته هذه على المَساكين ، فقال بَنُوه : نحن جماعة ، وإن تصدَّقنا منها ضاق علَينا الأمر ، فحلفوا لَيَصْرِمُنَّها بِسُدْفَةٍ منَ اللَّيل[3] ؛ قال الله تعالى : ﴿ وَلا يَسْتَثْنُونَ ﴾ [القلم : ٦٨/١٨] . أي لم يقولوا : « إن شاءَ الله » . فلَمّا كان الوقتُ الذي اتَّعَدُوا فيه في أوَّل الصُّبح بسدفةٍ غَدَوْا على جنَّتهم لِيَصْرِموها ﴿ وغَدَوْا عَلى حَرْدٍ قَادِرِيْنَ ﴾ [القلم : ٦٨/٢٥] ، أي على جدٍّ من أمرهم ؛ وقيل : وغدوا على منعٍ قادرين ، من قولهم : حارَدَتِ السَّنةُ ، إذا مَنعتْ خَيْرَها ؛ وقيل : على غَضَب ؛ وقيل : على قَصْدٍ ؛ أي : قادرين عند أنفُسِهم على قصدِ جَنَّتهم لا يَحُول بينهم وبينها آفة ؛ وأنشَدَ في الْحَرْدِ الذي هو القَصْد[4] :

[من الرجز]

أقبلَ سَيْلُ جاءَ مِنْ أَمْرِ اللهْ
يَحْرِدُ حَرْدَ الْجَنَّةِ الْمُغِلَّهْ[5]

قولُه تعالى : ﴿ فَطافَ عَلَيْها طائِفٌ مِّن رَبِّكَ وَهُمْ نائِمُونَ ﴾ [القلم : ٦٨/١٩] . ﴿ الطَّائِفُ ﴾ : الطَّارِقُ ليلاً ، فإذا قيل : أَطافَ به ؛ صَلح لِلّيل والنَّهار .

---

(١) في قوله تعالى : ﴿ إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴾ [القلم : ٦٨/١٧] .

(٢) وعن عكرمة أنّهم ناسٌ من الحبشة (راجع الطبري ٢٩/٢٩ ، وفتح الباري ٨/٥٣٧) .

(٣) السُّدْفة : الظُّلْمَة : أو وقت اختلاط الضَّوْء والظُّلْمَة معاً .

(٤) الرّجز لقرب بن المستفيد في اللسان (ح ر د) . وروي فيه : وجاء سيل ...

(٥) حُذِفَت أَلِفُ لَفْظِ الجلالة للضرورة .

وأنشدَ الفَرَّاء[٦] :

أطفت بهـا نهـاراً غير ليـلٍ وألهى ربَّهـا طَلَبُ الـدّخـال[٧]

[الـدّخـال : كل بعير يـدخلُ بين بَعيرين في الشّرب][٨] ؛ أي : أرسل الله عليها عَذاباً من السَّماءِ فـاحْتَرَقَتْ كلهـا ﴿ فـأَصْبَحَتْ كَـالصَّرِيْمِ ﴾ [القلم : ٢٠/٦٨] ، أي : كاللّيل ؛ سَوداء .

وقيل للّيل صَرِيم ؛ لأنَّه يَقطعُ عن التَّصرُّف ؛ قال الشّاعر[٩] :

[من الوافر]

تطـاوَل ليلـك الجـونُ البهيمُ فمـا يَنْجَـابُ عن صُبـحٍ صَرِيمُ
إذا مـا قُلتُ : أقْشَـعَ أو تَنـاهى جَرَتْ من كُـلِّ نـاحيـةٍ غُيُـومُ

وأنشدَ أبو عمرو بن العلاء[١٠] :

ألا بكرتَ وعـاذِلتي تلـومُ تهجّـدني ومـا انْكَشف الْصَّرِيمُ

وقـد قيل للصُّبح : صريمٌ أيضاً ، كما قيـلَ لِلَّيـل ؛ لأنَّ كلَّ واحـدٍ منهما ينصرمُ عن صاحبه ، ومنه : الصَّريمة ، القطيعة عن حالِ الْمَودّة .

وقوله تعـالى : ﴿ فَتَنَـادَوْا مُصْبِحينَ أَنِ اغْـدُوا عَلَى حَرْثِكُمْ إنْ كُنْتُمْ صَـارِمِيْنَ ﴾ [القلم : ٢١/٦٨-٢٢] ، أي : على صِرَام النَّخـل ، ﴿ فَـانْطَلَقُـوا وَهُمْ يَتَخـافَتُـوْنَ ﴾

---

(٦) الشعر لأبي الجرّاح العقيلي ؛ وفيه : طلب الرخّال (بالرّاء) وقال : الرَّخلُ : ولد الضّأن إذا كان أُنثى . ـ وللمؤلف رحمه الله رواية أخرى فَسَّرها (يُنظر الرقم التالي في الحواشي) .

(٧) ربُّهَا : زَوْجُهَا .

(٨) ما بين قوسين لم يرد في (ف) ، وهو مُستدرَك من هامش (ك) .

(٩) الْجَوْن : الأسود . والبهيم : الشديد السَّواد . و « ينجاب » يريد : ينكشف ؛ وأصل الْجَوْبِ القَطْعُ .

(١٠) بَكَرَت : قـامَتْ بُكْرَةً ؛ يعني قَبْلَ وقت الإسفـار عنـدمـا كانت الظُّلْمَـةُ مختلطـةً بـالنُّـور . وتهجّـدني : تُوقِظُني . والصَّريم : الليل .

[القلم : ٦٨/٢٣] ، أي : يُسِرُّون كلامهم بـ ﴿أن لا يَدْخُلَنَّهَا اليَوْمَ عَلَيْكُمْ مِسْكِينٌ ﴾ [القلم : ٦٨/٢٤] ، ﴿ فَلَمَّا رَأَوْهَا ﴾ [القلم : ٦٨/٢٦] محترقةً ﴿ قَالُوا : إِنَّا لَضَالُّوْنَ ﴾ [القلم : ٦٨/٢٦] . أي قد ضللنا طريق جَنَّتنا ؛ ثم علموا أنَّها عُقوبة ، فقالوا : ﴿ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُوْنَ ﴾ [القلم : ٦٨/٢٧] [٨٠/أ] ، أي : حُرِمنا ثمرها بمنعنا الْمَساكينَ ﴿ قَالَ أَوْسَطُهُمْ ﴾ [القلم : ٦٨/٢٨] أي : أعْدَلُهم ؛ من قوله : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً ﴾ [البقرة : ٢/١٤٣] ، أي عدلاً . وقوله : ﴿ لَوْلا تُسَبِّحُونَ ﴾ [القلم : ٦٨/٢٨] ، أي تَستثنون فتقولون : « إن شاء الله » ؛ لأنَّ كل ما عُظِّم اللهُ بهِ فهو تَسبيح في اللغة .

وأمَّا قولُه تعالى : ﴿ إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ ﴾ [القلم : ٦٨/١٧] . أي : بَلونا أهل مكّة حين دعا عَليهم النَّبيُّ ﷺ فقال[١١] : « اللَّهُمَّ اشْدُدْ وَطْأَتَكَ عَلَيْهِمْ ، واجعَلْها سنينَ كَسِنِيّ يُوسف » ، فابتلاهم الله بالجدبِ وذهابِ الأقوات كما بُلِيَ أصحاب هذه الجنّة بإحراقِها وذَهابِ قُوتِهم منها .

وقال الأعشى يصفُ مثل هذه الجنّة في كلمةٍ له[١٢] :

[من الخفيف]

جارَ فيه باقي العُقَاب فأضحى بَائِدَ النَّخْل يَفْضَحُ الْجُرَّاما[١٣]
فتَرَاها كالْحُبْشِ تَسْفَعُها النِّيْرانُ سُوداً مُصَرَّعاً وَقِيَامَا[١٤]

وقيل : الصَّريم : الْمَصْرُوم ؛ أي : ذَهب ما فيها من الثَّمر ، فكأنَّهُ صُرِمَ ؛ أي قُطِعَ ، والوجه الأوَّل أوْجَهُ في التّأويل .

---

(١١) أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه في باب الدعاء على المشركين (فتح الباري ١١/١٦٢) .

(١٢) ديوان الأعشى (٢٤٧) : يتحدَّث عن جيش أخْرَقَ وادي قومٍ .

(١٣) العُقَاب : الرّاية ، وكنّى بها عن الجيش . والضمير في قوله : « فيه » عائدٌ على (حَجْر) وهو موضعٌ بقرب اليمامة . والْجُرّام : الذين يجرمونَ النخلَ ويجنون ثمارَه .

(١٤) تَسْفَعُهَا : تَلْفَحُهَا .

سُورَةُ ﴿ سَأَلَ سائِلٌ ﴾[١]

قولُه عزّ وجلّ : ﴿ يَوْمَ تَكُونُ السَّماءُ كالْمُهْلِ ☆ وتَكُونُ الجِبَالُ كالعِهْنِ ﴾ [المعارج : ٧٠/٨-٩] .

وقد مضى الكلامُ على التَّشبيه الأَوَّل مع نظيره في سُورة الرَّحْمن[٢] .

وأمّا قولُه : ﴿ وَتَكُونُ الجِبَالُ كَالعِهْنِ ﴾ [المعارج : ٧٠/٩] ، ففيهِ وَجهانِ :

أَحدهما : خفّةُ ذَهابها ، وقد فَسَّرناه في سُورة النَّمل[٣] بحسب معنى النَّظير هناك .

والوجهُ الآخر : أنَّ الجبال تُقَطَّع حتى تصيرَ كالعِهن ، وهو الصُّوف الألوان[٤] ؛ عن أبي عبيدة ؛ قال زُهَير[٥] :

[من الطويل]

كأَنَّ فُتاتَ العِهنِ في كُلِّ منزلٍ نَزَلْنَ بهِ ، حَبُّ الفَنَا لم يُحَطَّمِ

فيكون المراد أَنَّ الجبال في ذلك اليوم ؛ من خَشْيَةِ اللهِ تعالى ، وهولِ ما ظهر من أمره ، تنهالُ وتتهافَتُ إخباتاً[٦] لعظمته ، وخُشوعاً لقاهر قدرته ، كما قال عزّ وجلّ :

---

(١) وهي سورة الْمَعَارج .

(٢) تُنظر تفسير سورة الرحمن من هذا الكتاب .

(٣) تُنظر تفسير سورة النّمل من هذا الكتاب .

(٤) العهن : الصوف المصبوغ ألواناً .

(٥) ديوان زهير ١٢ .

ـ الفَنَا : شجرٌ ثمرُهُ حبٌّ أحمر وفيه نقطة سوداء . وقوله : « لم يحطّم » يعني أنّه صحيح ؛ لأنّه إذا كُسِرَ ظَهَرَ له لونٌ غير الْحُمْرَة .

(٦) الإخبات : الخشوع والتّواضع .

﴿ فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكّاً ﴾ [الأعراف : ٧/١٤٣] . وكما قال تعالى : ﴿ يَوْمَ تَرْجُفُ الأَرْضُ وَالجِبَالُ وَكَانَتِ الجِبَالُ كَثِيْباً مَّهِيْلاً ﴾ [المزّمّل : ٧٣/١٤] .

وقال جلَّ اسمُه : ﴿ كَلاَّ إِذَا دُكَّتِ الأَرْضُ دَكّاً دَكّاً ﴾ [الفجر : ٨٩/٢١] .

وقد ذكرت الشعراء نحواً من هذه الحال ، على طَريق المُبالغة [٨٠/ب] لا الحقيقة في وصف مسيرِ الجيش ووقعِ سنابك الخيل ، كما قال إياس بن مالك الطّائي[(٧)] :

[من الطويل]

بِجَمْعٍ تَظَلُّ الأُكْمُ سَاجِدَةً لَهُ   وأَعلامُ سَلْمى وَالهِضَابُ النَّوَادِرُ[(٨)]

وقال التَّغلبيّ[(٩)] :

[من الوافر]

برأسٍ من بني جُشَمٍ بن بكرٍ   نَدُقُّ بهِ السُّهولَةَ والْحُزونا

وقال الآخر[(١٠)] ، وذكَر الخيل :

[من المتقارب]

إذَا ما علَوْنَ فُروعَ الإكَامِ   جَعَلْنَ الإكَامَ هَبَاءً مُثَارا

---

(٧) البيت لإياس في شرح الحماسة للمرزوقي ٥٩٥ من أبيات يصف فيها معركة بينهم وبين الحرورية ؛ إحدى فرق الخوارج .

(٨) قوله بجمع متعلق بـ (سَمَوْن) في بيت سابق .

(٩) هو عمرو بن كلثوم ؛ والشعر من مُعلَّقته ، في شرح المعلقات السبع الطوال (٤٠١) .
ـ الرَّأس : السيِّد ؛ والرَّأس هاهنا : الحيّ . والحزون : جمع الْحَزْن ، وهو ما غَلُظَ من الأرض .

(١٠) الإكام : جمع الأَكَمَةِ ، وهي الموضع يكون أشدّ ارتفاعاً مِمّا حَوْلَه . والهباء : الغبار ، والتراب الدّقيق .

ونَظر بشّار إلى قول أبان بن عبدة[11] :

[من الطويل]

إذا نَحْنُ سِرْنـــا بَيْنَ شَرقٍ ومَغْرِبٍ تَحَرَّكَ يَقْظَـانُ التُّراب ونـائِمُـهْ

فقال : وزاد معنىً آخر ؛ إلاّ أنَّه أفرط في المبالغة[12] :

إذا مـا غَضِبنـا غضبـةً مُضَرِيَّـةً هتكْنَا حجـابَ الشَّمسِ أو قطرتْ دمـا

أي : ملأنا الأرضَ خَيلاً ورجالاً ، فأثَّرنا فيها تأثيراً جرى مجرى هَتْكِهَا ؛ وإيّـاهـا أراد بقوله : « هتكنا حجابَ الشّمس » ؛ لأنَّ حجابَ الشمس الأَرض ، ويـدلُّ على أنّه أراد الأرض قوله : « أو قَطَرَتْ دَمـا » يريـد أو قطرت السَّماءُ دمـاً ، فجمع بين الأرض والسَّماء . وأكثر ما يجيء في هذا الباب محمولاً على المبالغـة والإفراط ، والغُلوّ والإغراق . وشتّان بين زُخرف الأقاويل وحَقائق لَفظ التَّنزيل .

تَشبيهٌ آخَرُ من هذه السُّورة :

قـولُـه عـزّ وجـلّ : ﴿ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الأَجْداثِ سِرَاعـاً كَـأَنَّهُمْ إلى نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴾ [المعارج : ٧٠/٤٣] . وقرئت « نَصْب » [٨١/أ] ـ بفتح النـون وإسكان الصّاد ـ و « نُصُب » أيضاً ـ بضمها ـ[13] ، ومعنـاه : إلى أصنامٍ لهم ؛ كما قـال تعـالى : ﴿ وما ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ ﴾ [المائدة : ٥/٣] ؛ قال الشاعر[14] :

[من الطويل]

وَذَا النُّصُبَ الْمَنْصـوبَ لاَ تَنْسُكَنَّـهُ وَلا تَعْبُـدِ الشَّيْطـانَ وَاللهَ فَـاعْبُـدَا

---

(١١) البيت لأبان بن عبدة في حماسة أبي تمام بشرح المرزوقي ٦٣٤ .

(١٢) ديوان بشّار ١٦٣/٤ ؛ وتنظر إحالاته .

(١٣) معجم القراءات القرآنية ٢٢٥/٧ .

(١٤) ديوان الأعشى ١٣٧ .

ـ النّصب : الصّنم المنصوب . ونَسَك البيتَ : أتاه .

والتشبيهُ في الآيـة واقعٌ أحسنَ مواقعه ، وأنفسَ مواضِعه ؛ والعبارة عنه بارعة البيان ، دالَّةٌ ببلاغتها على مُعجز القرآن .

وقد ذهبت الشعراء نحو هذا المعنى ، وسلَكَتْ سبيلَ هذه الصفة ، وأنّى لهم ببلاغةِ التَّنزيل ، وصحّة هذا التَّشبيه والتَّمثيل ! قال عنترة[15] :

[من الكامل]

تَركتُ بني الهُجَيْمَ لهم دُوَارٌ   إذا تَمضي جَماعتهم تــــــدورُ

يقول : تركتهم يسعون نحو قَيْل منهم كأنهم يَدُورون بصنم . والـدُّوَارُ : نُسُكٌ كانَ في الجاهِليّة . وقال امرؤ القيس[16] :

[من الطويل]

فَعَنَّ لنـــا سِربٌ كأنَّ نِعـــاجَـــهُ   عَــذارى دُوَارٍ في مُـلاءٍ مُـــذَيَّـلِ

ومعنى ﴿ يُوفِضُونَ ﴾ : يُسْرِعُونَ ؛ قال الشّاعر[17] :

[من الرّجز]

لأَنْعَتَنْ نَعـــامَـــةً مِفْيَـــاضَـــا
خَرْجَـــاءَ تَغْـــدُ تَطْلُبُ الإِضَـــاضَـــا

المِفياض : السَّريعة ، والإضاض : يعني الموضع الذي تلجأُ إليه ؛ يقال : أَضَّتْنِي إليك الحاجة[18] .

---

(١٥) لم يرد البيت في ديوان عنترة .

(١٦) ديوان امرئ القيس ٢٢ .
ـ السّرب : قطيع البقر . والنّعاج : البقر الوحشي . وعذارى دُوار : أبكارٌ مترهّباتٌ كنّ يَدُرْنَ حَوْل دُوَار ، وهو صنمٌ من أصنامهم . والملاء المذيّل : الثياب الطويلة الذيل .

(١٧) الْخَرْجاء : ذات اللَّوْنَيْن ، الأسود والأبيض معاً .

(١٨) أَضّتني إليك الحاجة : أَلجأتني واضطرّتني .

سُورةُ المدَّثِّر

قولُـه عـزّ وجـلّ : ﴿ فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِيْنَ ☆ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ ﴾ [المدَّثِّر : ٤٩/٧٤-٥٠] ، وقرئت مُسْتَنْفَرَة - بفتح الفاء -[1] قال الشاعر[2] :

أَمْسِـكْ حِمـارَكَ إنَّـهُ مُسْتَنْفِرٌ   في إثْرِ أَحْمِرَةٍ عَمَـدْنَ لِغُرَّبِ

﴿ فَرَّت من قَسْوَرة ﴾ [المدَّثِّر : ٥١/٧٤] ، يعني : الأُسد ؛ وقيل أيضـاً : القَسورةُ : الرُّماة الذين يصيدونها ، وأصله : الأخذ بالشِّدّة ؛ من : قَسره قَسراً ، كقولك : قهره قهراً ، واقتسره اقتساراً ؛ قال الشاعر[3] :

[من البسيط]

قَدْ يُخْطَمُ الفَحْلُ قَسْراً بَعْدَ عِزَّتِهِ   وَقَدْ يُرَدُّ عَلَى مَكْروهِهِ الأَسَدُ !

وقد ورد في أشعارهم من صفة عانة الوحش[4] في نُفورها من الصّائد ، ومن خوف الأَسد ، وما جرى هذا المجرى استطراداً بذلك في وصف الإبل ، وتشبيهاً لها في نَجائها بهذه الحال ؛ ما نذكر ها هنا طرفاً منه بمقتضى التّشبيه في الآية ليدلّ بذلك الإكثار على الفَضيلة في هذا الاختصار .

فَمِمّن وصف هذه الحال التي ذكرناها ، وأغرب في لفظها ومعناها : ذو الرُّمّة غيلان بن عقبة ، فقال يذكرُ العَانة في ارتياد الورد ، واعتراض القارِض لها ، ونُفورها منه ، أنشد فيه الجوهري ، عن الرُّمّاني ، عن الأَزدي ، عن أبي حاتم ، عن الأصمعيّ ،

(١) معجم القراءات القرآنية ٢٦٥/٧ .

(٢) ـ مُسْتَنْفِرٌ : نافِرٌ . والأَحْمِرَة : الْحُمُر ، جمع الحمار . وعَمَدْنَ : قَصَدْنَ وغُرَّب : اسم مَوْضع .

(٣) ـ الكُرْهُ : الإباء ؛ ورحل ذو مكروهة : ذو شدّة .

(٤) عانة الوحش : القطيع من حمر الوحش .

عن أبي عَمرو بن العلاء ، عن ذي الرُّمّة[5] :

[من البسيط]

فَغَلَّسَتْ وَعَمُودُ الصُّبْحِ مُنْصَدِعٌ ... عَنْهَا وَسَائِرُهُ بِاللَّيْلِ مُحْتَجِبُ[6]

عَيْناً مُطَحْلَبَةَ الأَرْجَاءِ طَامِيَةً ... فيها الضَّفَادِعُ ـ وَالحيتانُ ـ تَصْطَخِبُ[7]

يَسْتَلُّهَا جَدْوَلٌ كَالسَّيْفِ مُنْصَلِتٌ ... بَيْنَ الأَشَاءِ تَسَامَى حَوْلَهُ العُسُبُ[8]

وَبِالشَّمَائِلِ من جِلَّانَ مُقْتَنِصٌ ... رَذْلُ الثِّيَابِ ، خَفِيُّ الشَّخْصِ مُنْزَرِبُ[9]

مُعِدُّ زُرْقٍ هَدَتْ قَضْباً مُصَدَّرَةً ... مُلْسَ الْمُتُونِ حَدَاهَا الرِّيشُ والعَقَبُ[10]

[٨١/ب]

كانَتْ إذا وَدَقَتْ أَمْثَالُهُنَّ لَهُ ... فَبَعْضُهُنَّ عَنِ الأُلَّافِ مُشْتَعَبُ[11]

---

(٥) ديوان ذي الرُّمّة ٦٢/١ .

(٦) غَلَّسَتْ : دَخَلَتْ في وَقْتِ الغَلَسِ ، وهو ظُلْمَةُ آخرِ اللَّيْل . وعمود الصُّبح : ضوؤه الذي يبدو أوَّل طلوعه . ومنصدع : مفترقٌ واضحٌ . وسائِرُهُ : أي سائر الصبح . والضمير في قوله : « غلّست » و « عنها » عائد إلى الْحُمُر .

(٧) « عيناً » يريد : غَلَّسَتْ إلى عَيْنٍ من الماء . ومُطَحلَبَة : فيها الطُّحلب ، وهو خُضرةٌ تكونُ في الماء . والأرجاء : نواحي العَيْن . وطاميةٌ : قد طما ماؤها وارتفع . والحيتان : الأسماء ؛ وقوله : « فيها الضفادع والحيتان تصطخِبُ » يعني : فيها الضفادعُ تصطخبُ (تصيح) ، وفيها الحيتانُ أيضاً ؛ لأنَّ السمك لا صَوْتَ له .

(٨) « يَسْتَلُّهَا » : يعني يستلُّ ماءَ العَيْنِ وينتزعه . و « مُنْصَلِتٌ » : شَبَّهَ الْجَدْوَلَ بالسيفِ في مَضَائِهِ . والأشاء : النخل الصغار . وتَسامى : تَتَطاوَلُ . والعُسُبُ : جمع العسيب ، وهو سَعَفُ النخل . يقول : قد طالَت العُسُبُ فصار النهر تحت الظِّلّ .

(٩) بالشَّمائل : من جهة الشَّمال . والمقتنص : الصّائد . وجِلّان : قبيلةٌ من عَنَزة . ومُنْزَرِبٌ : داخِلٌ في قُتْرَته ؛ والقترة : المكان الذي يختبئ فيه الصّائد . ورَذْل الثياب : خَلَقُ الثياب . وصَارَ الصَّائدُ مِن جهة الشّمال لأنّه يريد أن يرمي أفئدةَ الْحُمُرِ .

(١٠) « الزُّرْق » : أراد بها نِصَال السهام . وهَدَتْ : تقدَّمَتْ . والقَضْبُ : السهام ، جَمْعُ قضيب ؛ وإنَّما سكّن الضّاد للضرورة ؛ يقول : هذه النِّصال تقدَّمَت القَضْبَ . والْمُصَدَّرة : شديدةُ الصّدور . وحَدَاها : ساقَهَا . والعَقَبُ : العَصَبُ تُعْمَلُ مِنهُ أوتارُ القسيِّ وغيرها .

(١١) وَدَقَتْ : دَنَتْ . أمثالُهُنَّ له : أمثال هذه الحمر لهذا الصائد . مُشْتَعَبُ : يشتعبُهُ السَّهْمُ ويقتُلُه .

حَتّى إذَا الوَحْشُ في أَهْضَامِ مَوْرِدِهَا ... تَغَيَّبَتْ رَابَهَا مِنْ خِيفَةٍ رِيَبُ[١٢]

فَعَرَّضَتْ طَلَقاً أَعْنَاقَهَا فَرَقاً ... ثُمَّ اطَّبَاهَا إلَيْهِ الْمَاءُ يَنْسَكِبُ[١٣]

فَأَقْبَلَ الْحُقْبُ ، والأكْبَادُ نَاشِزَةٌ ... فَوْقَ الشَّراسِيفِ في أَحْشَائِهَا تَجِبُ[١٤]

حَتّى إذَا زَلَجَتْ عَنْ كُلِّ حَنْجَرَةٍ ... إلَى الغَلِيلِ وَلَمْ يَقْصَعْنَهُ نُغَبُ[١٥]

رَمَى فَأَخْطَأَ ، والأَقْدارُ غَالِبَةٌ ... فَانْصَعْنَ وَالوَيْلُ هِجِّيرَاهُ وَالْحَرَبُ[١٦]

يَقَعْنَ بِالسَّفْحِ مِمَّا قَدْ رَأَيْنَ بِهِ ... وَقْعاً يَكادُ حَصَى الْمَعْزاءِ يَلْتَهِبُ[١٧]

وقال ذو الرُّمَّة[١٨] أيضاً ، في مثل ذلكَ من وصف العانة :

[من البسيط]

فَمَا انْجَلَى الصُّبْحُ حَتَّى بَيَّتَتْ غَلَلاً ... وَسْطَ الأَشَاء جَرَتْ فيهِ العَلاجِيمُ[١٩]

---

(١٢) الأهضام : ما انخفض مِنَ الأَرْضِ ؛ جَمْعُ هَضْمٍ . يقول : حتّى إذا كانت في مُنْخَفَضِ مَوْرِدِها سَمِعَتْ حِسّاً مِنَ الرَّامي ـ وهي لا تراهُ ـ فارتابَتْ ، ووقفت قليلاً .

(١٣) عَرَّضَتْ : مالَتْ أعناقُها خَوْفاً مِنَ الصَّائد . والطَّلَقُ : الشَّوْط . ثمَّ اطَّباها : دَعاها . يقول : ثمَّ سمِعَتْ خريرَ الماء فأقْبَلَتْ عليه .

(١٤) الْحُقْبُ : جَمْعُ الأحقب ؛ وهي الْحُمُر . قوله : « والأكباد ناشزةٌ » يعني أنَّ أكبادَها قد ارتفعتْ مِنَ الْخَوْف . والشراسيف : جمع شُرْسُوف ، وهو أطراف الأضلاع التي تُشْرِفُ على البَطْنِ . وتَجِبُ : تخفقُ .

(١٥) زلجَتْ نُغبٌ : انزلَقتْ جُرَعٌ . والغَليل : حَرارةُ العَطَش . ولم يقصَعْنَهُ : لم يَقْتُلْنَ العَطَشَ وحرارَتَهُ ؛ أي : لم يَرْوَيْنَ .

(١٦) انْصَعْنَ : اشتَقَقْنَ وأخَذْنَ في شِقٍّ وناحيَةٍ . وهِجِّيراهُ : دَأْبُه . والْحَرَبُ : شدّة الغَضَب : يقول : لَمّا رمى فأخطأ ـ وأقدارُ الله غالبة ـ أقْبَلَ يتكلَّمُ بما يجيءُ على فمه ولا يدري ما هو ، فيشتمُ نفسَهُ ويدعو عليها .

(١٧) يَقَعْنَ : أي الْحُمُر . والْمَعْزاء : الأرض الكثيرة الحصى . يقول : يضربنَ بحوافرهنَّ سَفْحَ الْجَبَلِ ضرباً شديداً ـ من شدّة العَدْوِ ـ يكادُ منه الحصى يلتهب .

(١٨) ديوان ذي الرُّمّة ٤٤٧/١ .

(١٩) انجلى : انكشف . بَيَّتَتْ : يعني الْحُمُر ، أتتْ بَياتاً . والغَلَلُ : الماء الجاري في أُصول الشَّجَر . والأشاء : صِغار النخل . والعَلاجيم : جمع العُلْجُوم ، وهي الضَّفادع .

=

وَقَـــدْ تَهَيَّـــأَ رامٍ عَنْ شَمائِلِهَـــا مُجَرَّبٌ مِنْ بَنِي جِـــلاَّنَ مَعْلُـــومُ[٢٠]

كَـأَنَّـهُ حِينَ يَـدْنُـو وِرْدُهَـا طَمَعـاً بالصَّيْـدِ مِنْ خَشْيَـةِ الإِخْطَـاءِ مَحْمُومُ[٢١]

حَتَّى إذَا اخْتَلَطَتْ بِـالْمَـاءِ أَكْرُعُهَـا أَهْـوَى لَهَـا طَـامِعٌ بِـالصَّيْـدِ مَحْرُومُ[٢٢]

وفِي الشِّمَـالِ مِنَ الشِّرْيَـانِ مُطْعَمَـةٌ كَبْـداءُ فِي عُـودِهَـا عَطْفٌ وَتَرْنِيمُ[٢٣]

يَـؤُودُ مِنْ مَتْنِهَـا مَتْنٌ وَيَجْـذِبُـهُ كَـأَنَّـهُ فِي نِيَـاطِ القَـوْسِ حُلْقُـومُ[٢٤]

فَـانْصَـاعَتِ الْحُقْبُ لَمْ تَقْصَعْ صَرائِرَهـا وَقَـــدْ نَشَحْنَ فَـــلا رِيٌّ وَلا هِيمُ[٢٥]

وَقَـامَ يَلْهَفُ مِمَّـا قَـدْ أُصِيبَ بِـهِ وَالْحُقْبُ تَرْفَضُّ مِنْهُنَّ الأَضَـــامِيمُ[٢٦]

وقال الأعشى[٢٧] في المعنى ، وذكر النّاقة وشبّهها بالوحشيّة الهاربة :

= ـ ويُرْوَى « بَيَّنتْ » أي رأت ؛ وهي الرّواية الجيِّدة .

(٢٠) جِلاَّن : قبيلةٌ من عَنَزَة . ومعلوم : معروف ، قد عرفه الناس بِرَمْيِهِ وإجادَتِهِ إيّـاه . و « عَنْ شمائلها » عن شمائل الْحُمُر ؛ لأنّه أراد أن يرمي قلوبَهَا .

(٢١) المحموم : الذي أُصيبَ بالْحُمَّى ؛ يقول : كأنّهُ محمومٌ خَوْفاً مِن أن يُخْطِئَ إذا رماها .

(٢٢) الأَكْرُعُ : جَمْعُ الكُراعِ ؛ وهو الوَظيف ، مِنَ الرُّكْبَـةِ إلى الرُّسغ (في اليـدَين) ومن العُرقوب إلى الرُّسـغ (في الرّجلين) .

(٢٣) الشِّمَـال : شمال الصـائد ؛ أي يـده اليسرى . والشِّرْيـان : شَجَرٌ تُعْمَـلُ منـه القِسِيّ . ومُطْعَمَـةٌ : تُرْزَقُ الصَّيْدَ ؛ و مُطْعَمَةٌ : تُطْعِمُ صاحِبَهَا الصَّيْد . والكبداء : ضَخْمَةُ الوَسَطِ . و « في بعضها عطف وتقويم » ـ وهي رواية الديوان ـ أي : عُطِفَ بعضُهَا وقُوِّمَ بَعْضُها . والتّرنيم : صَوْت القوس إذا أُنبِضَ وَتَرُها .

(٢٤) يـؤود : يثني ويعطف . و « مِنْ متنيهـا » مِن متن القَـوْس . و « مَتْنٌ » وَتَرٌ ؛ وتر القَـوْس . ونيـاط القَوْس : كَبِدُها . و « حُلْقُوم » أراد حلقوم القطاة ؛ لأنَّ حلقومَ القطاةِ وَتَرٌ .

يقول : إذا شَدَّ الرَّامي الوَتَرَ جَذَبَ الوَتَرُ القَوْسَ وحَنَاها ، فإذا نَزَعَ جَذَبَتِ القوسُ الوَتَر .

(٢٥) انصـاعَتْ الْحُقْبُ : تفرَّقَتْ الْحُمُرُ . ولم تقصَع صَرائرَهـا : لم تقتـل عَطَشَهـا ؛ والصرائر : جَمْـعُ الصَّرَّة ، وهي شـدّة العَطَش . نَشَحْنَ : شَرِبْنَ شُرباً قليـلاً . والهِيم : العِطـاش . يقـول : فهنَّ بَيْنَ العَطَشِ وبَيْنَ الرِّيّ .

(٢٦) ترفَضُّ : تتفرّقُ . والأضاميم : الجماعات من الْحُمُر ؛ جمع إضامة .

(٢٧) ديوان الأعشى ١٠٥ .

كَأَنَّها بَعْدَمَا أَفْضَى النِّجَادُ بهَا ... بالشَّيِّطَيْنِ مَهَاةٌ تَبْتَغي ذَرَعا[28]

أَهْوَى لَهَا ضَابِئٌ في الأَرْضِ مُفْتَحِصٌ ... للصَّيْدِ قِدْماً خَفِيُّ الشَّخْصِ إذْ خَشَعَا[29]

فَظَلَّ يَخْدَعُهَا عَنْ نَفْسِ واحِدِهَا ... وَمِثْلُهُ مِثْلَهَا عَنْ واحِدٍ خَدَعا[30]

حَتَّى إذَا غَفَلَتْ عَنْهُ وَمَا شَعَرَتْ ... أَنَّ الْمَنِيَّةَ يَوْماً أَرْسَلَتْ سَبُعَا[31]

[82/أ] فظلَّ يَأْكُلُ مِنْهُ وَهْيَ لاهِيَةٌ ... رَأْدَ النَّهَارِ تُراعِي ثِيرَةً رُتُعَا[32]

فَانْصَرَفَتْ وَالِهاً ثَكْلَى عَلَى عَجَلٍ ... كُلٌّ دَهَاهَا وَكُلٌّ عِنْدَهَا اجْتَمَعَا[33]

وَبَاتَ قَطرٌ وشَفَّانٌ يُصَفِّقُهَا ... مِنْ ذَا لِهَذا وَقَلْبُ الشَّاةِ قَدْ صُقِعَا[34]

حَتّى إذَا ذَرَّ قَرْنُ الشَّمْسِ صَبَّحَهَا ... ذُؤَالُ نَبْهَانَ يَبْغي صَحْبَهُ الْمُتَعَا[35]

بِأَكْلُبٍ كَسَوَاءِ النَّبْلِ ضَارِيَةٍ ... تَرَى مِنَ القِدِّ في أَعْنَاقِهَا قِطَعَا[36]

فَتِلْكَ لَمْ تَتْرِكْ مِنْ خَلْفِهَا شَبَهاً ... إلاّ الدَّوابِرَ والأَظْلافَ والزَّمَعَا[37]

---

(٢٨) النِّجاد : جمع نجد ، وهي الأرض المرتفعة . والشَّيِّطانِ : اسم وَادِيَيْنِ . والمهاة : البقرة الوحشيّة . والذَّرَع : وَلَدُ البقرة الوحشيّة . وأفضى بها : وَصَلَ بها .

(٢٩) أهوى لها : انحطَّ لها وانحدر . والضابئ : اللاّزِقُ . والمفتحِصُ : الذي اتَّخَذَ أُفحوصاً (حُجراً) يأوي إليه ويختبئ فيه .

(٣٠) ـ في الديوان : « في أرضِ فَيْءٍ بِفِعْلٍ مِثْلَهُ خَدَعا » .

(٣١) ـ في الديوان : « وذاكَ أن غَفَلَتْ ... » .

(٣٢) ـ في الديوان : « فظلَّ يأكل منْها ... » . وفي (ك) : « فظلّ يأطر ... » .
ـ رأد النَّهار : أوَّله ، ووقت ارتفاع الشمس . والثيرة : الثيران . و تُرَاعي : ترعى مع .

(٣٣) ـ في الديوان : « فانصرفَتْ فاقداً ثكلى على حَزَنٍ » .

(٣٤) لم يرد هذا البيت في الديوان كاملاً ، وورَدَ هكذا : « فَمَا تُعاقِدُ ... ... قَلْتُ الشاة قد صَقِعَا » .
ـ القَطْرُ : المطر . والشَّفَّان : البَرْدُ والرِّيح . وصُقِعَ قَلْبُهَا : ذُهِبَ به ، من حُزنها على ولدها .

(٣٥) ذرّ : طلع . وقرن الشمس : أوّل ما يشرق منها . والذُّؤال : الذي يُسْرِعُ ويمشي في خِفَّةٍ ، وأراد به الصّائد . يَبغي صحبَهُ متعاً : يطلب زاداً وطعاماً لصحبه يتمتعون به .

(٣٦) ـ في الديوان : « كَسِراعِ النَّبْلِ » .
ـ ضارية : قد تعوَّدت على الصيد . والقِدّ : السَّيْرُ منَ الجِلْد .

(٣٧) الدَّوابر : مآخير الأظلاف ؛ والأظلاف : جمع الظِّلف ، وهو بمكانِ الحافر من الفَرَس . والزَّمَع : جمع=

وقال لبيد بن ربيعة[٣٨] في مثل ذلك من حال الوحشيّة :

[من الكامل]

خَنْســـــاءُ ضَيَّعَتِ الفَرِيرَ فَلَمْ تَرِمْ عُرْضَ الشَّقَائِقِ طَوْفُهَا وَبُغَامُهَا[٣٩]

لِمُعَفَّرٍ قَهْـــــدٍ تَنَـــــازَعَ شِلْــــوَهُ غُبْسٌ كَواسِبُ ما يُمَنُّ طَعَامُهَا[٤٠]

صَـــادَفْنَ مِنْهَـــا غِرَّةً فَـــأَصَبْنَهَـــا إنَّ الْمَنَـايَـا لاَ تَطِيشُ سِهَـامُهَـا[٤١]

بَـــاتَتْ وأَسْبَـلَ وَاكِفٌ مِنْ دِيمَـــةٍ يُرْوِي الْخَمَائِـلَ دَائِماً تَسْجامُهَـا[٤٢]

تَجْتَـابُ أَصْـلاً قَـالِصـاً مُتَنَبِّـذاً بِعُجُوبِ أَنْقَاءٍ يَميلُ هُيَـامُهَـا[٤٣]

يَعْلُـو طَرِيقَـــةَ مَتْنِهَـــا مُتَـوَاتِراً فِي لَيْلَـةٍ كَفَرَ النُّجومَ غَمَـامُهَـا[٤٤]

وتُضِيءُ في وَجْـــهِ الظَّـــلامِ مُنِيرَةً كَجُمَـانَـةِ البَحْرِيِّ سُلَّ نِظَـامُهَا[٤٥]

= الزَّمَعَة ؛ وهي الشيء الزائد وراء الظّلف ، في كلّ قائمة زمعتان كأنّها قِطَعُ القرون لصلابتها .
- يقول : تلك البقرةُ الْمُجْهَدَةُ تشبهُ ناقتي في كلّ شيء إلاّ حَوَافِرَها .

(٣٨) ديوان لبيد (٣٠٨) .

(٣٩) خنساء : فيها خنس ، وهو تـأخُّر الأنف وقِصَرُه . والفَرِير : وَلَـدُ البقرةِ . ولَمْ تَرِم : لم تَبْرَح - وفي الديوان : « لم يَرِمِ » - والشقائق : الأرض الغليظةُ بين رملتين . وبغامُهَا : صَوْتُها .
يقول : هي تبغم وتنادي ابْنَهَا ، ولم تبرح عُرْضَ الشقائق لأنّ فيها نباتاً طويلاً ، فهي تدور وتصيح ولا تبرح . لئلاّ يكون النبات قد غطّاه .

(٤٠) لِمُعَفَّرٍ : مِنْ أَجْلِ مُعَفَّر ؛ يعني وَلَدَها الذي سحبته الذئاب على التراب فتعفَّر . والقهد : الأبيض . والغُبس : الذئاب ذات اللّون الأغبر . وكواسب : تتعيَّش من الصَّيد . ولا يُمَنُّ طعامها : لا يَنْقَطِعُ .

(٤١) أَصَبْنَهَا : أي بابْنِها فَأَكَلْنَهُ .

(٤٢) الواكف : القَطْر . والديمة : المطر الدّائم .

(٤٣) تجتاب : تلبَس ؛ أي تستتر . والقالص : المرتفع الفروع ؛ والأصل : يعني أصلَ شجرة . والمتنبِّذُ : المتفرِّق . والعجوب : جمع العَجْب ، وهو أصل الذّنب ، وأراد هنا أطرافَ الرّمال . والأنقاء : الكُثبان . والهُيَام : الرّمل اللّيِّن الذي يتناثر بسهولة .

(٤٤) « يعلو » : أي الْمَطَرُ . والمتواتر : المطر المتتابع . وكَفَرَ : سَتَرَ .

(٤٥) وَجه الظلام : أوّله . والْجُمَانَة : اللّؤلؤة . والبحريّ : أرادَ بِهِ الغوّاصَ . والنظام : الخيطُ ، تنظَمُ فيه اللآلئ وغيرُها .

حَتَّى إِذَا حَسَرَ الظَّـــــلامُ وأَسْفَرَتْ ... بَكَرَتْ تَـزِلُّ عَنِ الثَّرى أَزْلاَمُهَـا[٤٦]

عَلِهَتْ تبَلَّـــدُ في نِهَـاءِ صَعَـائِـدٍ ... سَبْعاً تُـؤَامـاً كَـامِلاً أَيَّـامُهَـا[٤٧]

حَتَّى إذا يَئِسَتْ وأَسْحَـقَ حَـالِـقٌ ... لَمْ يُبْلِـهِ إِرْضَـاعُهَـا وَفِطَـامُهَـا[٤٨]

وَتَسَمَّعَتْ رِزَّ الأَنِيسِ فَرَاعَهَـــــا ... عَنْ ظَهْرِ غَيْبٍ، والأَنيسُ سَقَـامُهَـا[٤٩]

فَغَـدَتْ: كِـلاَ الفَرْجَيْنِ تَحْسَبُ أَنَّـهُ ... مَوْلَى الْمَخَافَةِ ، خَلْفُهَا وأَمَـامُهَـا[٥٠]

وقال سُوَيْد بنُ أَبي كاهل[٥١] ، وذكر النّاقة ، وأَفْضى إلى وصفِ الوحشيّ :

[من الرمل]

فَكَـــــأَنِّي إِذْ جَرَى الآلُ ضُحًى ... فَـوْقَ ذَيَّـالٍ بِخَـدَّيْـهِ سُفَـعْ[٥٢]

كُفَّ خَـدَّاهُ عَلَى دِيبَـــاجَـــةٍ ... وَعَلَى الْمَتْنَيْنِ لَـوْنٌ قَـدْ نَصَـعْ[٥٣]

---

(٤٦) أزلامُهَا : أرادَ بِهَا قَوائِمَها ؛ شبَّهَها بالأزلام وهي القِداح ، قِداح الميسر .
يقول : فلمَّا طلع الصبح غَدَتْ فأصبحت قوائمُها لا تثبت على الأرض مِنَ الطِّين .

(٤٧) عَلِهَت : جَزِعَتْ وقَلِقَتْ . وتبلَّـدُ : تتحيَّرُ . والنِّهـاء : جمع النِّهْي ، وهـو مجتمع المـاء . وصعـائـد : اسم مكان . سبعاً تُؤَاماً : أي سبعة أيّام بلياليها ؛ يقول : كانت تتردَّد في هذه الأيام والليالي ، قلقـةً جَزِعَـةً تَطْلُبُ وَلَدَها .

(٤٨) أسحق : أَخْلَقَ وذهَبَ ما فيه من اللبن . والحالق : الضَّرْع الذي كاد يمتلئ .
و « لم يُبْلِهِ إِرْضاعُهَا وفِطامُهَا » لم يذهب بكلِّ لَبَنِهِ أَنَّها أَرضَعَتْ ابنهَا وفَطَمَتْهُ ، وإنَّما ذَهَبَ لَبَنُهُ بَعْدَما فَقَدَتْ وَلَدَهَا الذي لم يبلغ الفطامَ بعد .

(٤٩) الرِّزّ : الصَّوْت الخفيّ . والأنيس سقامها : لأنَّهم يصيدونَهَا فَهُمْ داؤُها .

(٥٠) الفَرْج : الواسِع من الأرض . ومَوْلى المخافة : وَليّ المخافة ؛ أي الموضِع الذي فيه ما يُخيفُهَا .

(٥١) الأبيـات من قصيـدةٍ هي أغلَبُ مـا بقي من شعر سويـد بن أبي كاهل ، في ديـوانـه (   ) ، وهي في المفضّليات (١٩٦) .

(٥٢) الذَّيَّال : الثور الطويل الذنب . والسُّفَع : جَمْعُ السُّفْعة ، وهي سوداءُ يضرب إلى حُمْرَةٍ ؛ يشبّه نـاقَتَـهُ بالثّور الوحشيّ .

(٥٣) كُفَّ : ضُمَّ . والْمَتْنَان : مُكْتَنِفَا الصُّلب (الظهر) من عن يمينٍ وشمال .

راعَـــــــهُ مِنْ طَيِّئٍ ذُو أَسْهُمٍ | وضِراءٌ كُنَّ يُبْـــــدِينَ السَّرَعْ[٥٤]
[٨٢/ب] فَرآهُنَّ ولَمَّـــــا يَسْتَبِنْ | وكِـلابُ الصَّيْـــدِ فيهنَّ جَشَـعْ[٥٥]
ثُمَّ وَلَّى وَجَنَـــابَـــانِ لَــــهُ | مِنْ غُبَــارٍ أَكْـدَرِيٌّ وَاتَّــدَعْ[٥٦]
فَتَراهُنَّ عَلى مُهْلَتِــــــــــهِ | يَخْتَلِيْنَ الأَرْضَ والشَّـــاةُ يَلَـعْ[٥٧]
دانِيَـــاتٌ مـــا تَلَبَّسْنَ بِـــهِ | واثِقَـــاتٍ بِـدِمـــاءٍ إنْ رَجَـعْ[٥٨]
يُلْهِبُ الشَّـــدَّ إذا أَرْهَقْنَـــهُ | وإذا بَرَّزَ مِنْهُنَّ رَتَــــــــعْ[٥٩]
ســـاكِنُ القَفْرِ أَخُـــو دَوِّيَّـــةٍ | فَــإذا مَـا آنَسَ الصَّوْتَ مَصَـعْ[٦٠]

وقال القطامي[٦١] ، في تشبيه ناقته بالوحشيّة الهاربة :

[من الوافر]

كَـــأَنَّ نُسُـــوعَ رَحْلِي حِينَ ضَمَّتْ | حَـوالبَ غُرَّزاً وَمِعًى جِيـاعَـا[٦٢]
عَلَى وَحْشِيَّـــةٍ خَرَجَتْ خَلُــوجـاً | وَكَانَ لَهـا طَـلاً طِفْـلاً فَضَـاعَـا[٦٣]

---

(٥٤) ذو أسهم : يعني الصـائـد . والضِّراءُ : الكـلابُ التي ضَرِيَتْ عَلَى الصَّيْـد ؛ أي تعـوَّدَت . والسَّرَعُ : السُّرْعَةُ .

(٥٥) قوله : « فرآهُنَّ ولَمَّا يستَبِنْ » يعني عَلِمَ بهنَّ قَبْلَ أن يَرَاهُنَّ .

(٥٦) الْجَنَابان : الجانبان . والأكدريّ : الذي فيه الكُدْرة . واتَّدَعَ : لم يجتهد في عَدْوِه ؛ لأنّـه مُوقِنٌ أنّهنَّ لن يُدْرِكْنَه .

(٥٧) يَخْتَلين : يَقْطَعْنَ . والشّاة : الثَّوْر . ويَلَعُ : يكذِبُ في عَدْوِه ؛ لأنّه لا يجتهد فيه كلّ الجهد .

(٥٨) ما تلبَّسْنَ به : لم يُخَالِطْنَهُ ، بل قَارَبْنَهُ ؛ يقول : هُنَّ مَعَ دُنُوِّهنَّ منـه لم يُخَـالِطْنَـهُ خَوْفـاً منـه ؛ لأنّهنَّ عالمات أنّه إذا كرَّ عليهنَّ جرحهنّ بقرنه وأدماهُنَّ .

(٥٩) الشَّدّ : السَّيْرُ السَّريع . وأَرْهَقْنَهُ : أَعْجَلْنَهُ . وبَرَّزَ : بَعُدَ .

(٦٠) الدّوِيّة : الفلاة البعيدة الأطراف . وآنسَ : أَحَسَّ وسمع . ومَصَع : ذَهَبَ في الأرض .

(٦١) ديوان القطامي (٤١) .

(٦٢) النُّسُوع : جمع النِّسْع ، وهـو السَّيْرُ يُنْسَجُ عريضـاً تُشَـدُّ بـه الرِّحَـال . والرَّحـل : مَرْكَبٌ للبعير . والحوالب : عروق الضَّرْع التي يجري فيها اللبن . ومعى جياعاً : يعني أنَّ جَوْفها خالٍ مِنَ الوَلَد .

(٦٣) الْخَلُوج : التي اخْتُلِجَ وَلَدُها وأُكِلَ . والطَّلا : وَلَدُ الظَّبْي .

فَكَرَّتْ عِنْـــدَ فِيقَتِهَـــا إِلَيْــــهِ | فَــأَلْفَتْ عِنْـدَ مَرْتَعِــهِ السِّبَــاعَــا[٦٤]
لَعِبْنَ بِــــــــهِ فَلَمْ يَتْرُكْنَ إِلاَّ | إِهَــابــاً قَــدْ تَمَــزَّقَ أَوْ كُراعَــا[٦٥]
فَسَــــافَتْـــــهُ قَلِيــــلاً ثُمَّ وَلَّتْ | لَهَــا لَهَبٌ تُثِيرُ بِــهِ النِّقَــاعَــا[٦٦]
أَجَــدَّ بِهَــا النَّجَــاءُ فَــأَصْبَحَتْهَــا | قَــوائِمُ قَلَّمَــا اشْتَكَتِ الظُّــلاَعَــا[٦٧]

والشِّعر في هذا الباب كثير لا ينتهي ، و : « حَسْبُكَ ما بَلَّغَكَ الْمَحَلاَّ ! »

وسبب التَّشبيـه الوارد في الآيـة ، فيما رُوي عن ابن عبـاس ؛ في قولـه عزّ وجـلّ : ﴿ فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّـذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴾ [المدَّثر : ٤٩/٧٤] . أي : فـمـا بــالهم معرضين عمـا وُعِظوا بِـهِ من القُرْآن ، وذلـك أنَّ النَّبي ﷺ كان إذا قرأ عليهم مـا جـاء بـه الوحي نفروا منـه وهربوا من سماعه ، وتباعدوا عن الإصغاء ، فضرب الله تعـالى لهم المثل بهـذا التَّشبيـه ، فقـال : ﴿ كَـأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ ☆ فَرَّتْ مِنْ قَسْـوَرَةٍ ﴾ [المـدَّثر : ٧٤/٥٠ـ٥١] ، وكما فرَّت الْحُمُرُ من الرُّماة والأسد ، فكذلك فرَّ الكفّار من النَّبيِّ ﷺ حين تلا عليهم القرآن الكريم .

---

(٦٤) الفيقة : اللّبن الذي يجتمع بَيْنَ الرَّضْعَتَين ؛ يقول : لَمّا اجتمع اللَّبَنُ في ضَرْعِهَا عادت إلى وَلَدِها لِتَرْضِعَه .

(٦٥) الإهاب : الجِلْد .

(٦٦) سافَتْهُ : شَمَّتْهُ . اللَّهَبُ : شدّة العَدْو . والنِّقَاع : جَمْعُ النَّقع ، وهو الغبار الساطع في الهواء .

(٦٧) النَّجاء : السرعة . والظُّلاَع : داءٌ في قوائم الدَّابّة لا مِن سَيْرٍ ولا مِنْ تَعَبٍ ، يجعَلُها تعرج .

سُورَةُ الإِنْسَان

قال عَزَّ وجَلّ : ﴿ وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآنِيَةٍ مِن فِضَّةٍ وأَكْوَابٍ كانَتْ قَوارِيْرَا ☆ قَوَارِيرَا مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرَا ﴾ [الإنسان : ١٥/٧٦-١٦] . يعني أنَّها كالقواريرِ في صَفائها وشفيفها ورفيفها ؛ وهي من فضّة ؛ فهذا على التّشبيه وإن لم يُذكر حَرْفُه ؛ كما قال[١] :

[من الرّجز]

عَيْرانــةٍ زَيّـافـةٍ صَفُـوفِ
تخلـــطُ بينَ وَبَرٍ وصـــوفِ

أي كأنَّ يدها في سرعة السَّير يدّ خالطة وبَراً بصوفٍ .

ومن هذا الباب قولُ النابغة يصف الدّرع[٢] :

---

(١) البيت في اللسان (ضفف) برواية :

حلبانـةٍ ركبانـةٍ ضفـوف تخلـــط بين وبرٍ وصـــوفِ

وفي اللسان (صفف) و (صوف) و (حلب) برواية : « حلبانة ركبانة صفوف » .

ـ العَيْرانَة : الناقة الناجية في نَشَاطٍ . والزَّيّافة : تتبختر في مشيتها . والصَّفُوف : التي تَصفُّ أقداحاً من لبنها إذا حُلِبَت ، وذلك لكثرة لبنها .

(٢) ديوان النابغة (١٤٧) .

ـ الكِدْيَوْن : دُقاقُ السّرجين يُخْلَطُ بالزيت فتُجلى به الدُّروع . والكُرّة : البَعَرُ العَفِنُ تجلى به الدُّروع . وإضاء : وِضاء ، صفايات . والغَلاَئل : جَمْعُ الغِلاَلَة ، وهي الثَّوب الذي يُبَاشِرُ البَـدَنَ ، يلبَسُ تَحْتَ الثياب ؛ والبطانة تُلْبَسُ تَحْتَ الدّرْع

ومَوْضِعُ الشاهد هو قوله : « صافيـات الغَلائل » أي صافيـات كالغلائل ـ جمع الغِلاَلَـة التي هي الشعـار الذي يُلْبَسُ تحت الثياب ـ فحذَفَ أداةَ التشبيه وأضافَهُ إلى « صافيات » للمبالغة .

[من الطويل]

عُلِينَ بِكِـــدْيَـــوْنٍ وأُشْعِرْنَ كُرَّةً ... فَهُنَّ إِضـاءٌ صـافيــاتُ الغَـلائِـلِ

وإنَّما يحذفون حرف التَّشبيه للمبالغة في وصف المشبّه ؛ وذلك في نحو قولهم في مدح الرَّجُل : هو البَحْرُ جوداً ، والدهر بأساً ، والسيف لساناً ؛ وقولهم في صفة المرأة : ريقها الخمر ، وثغرها الدُّرُّ ، وكلامُها السّحر ، وريحها المسك !

وقال أعرابيٌّ وذكر امرأةً : كلامُها الوَبْلُ على الْمَحْل ، والعَذْبُ البارِدُ على الظَّمأ .

وقال الشاعر[3] :

[من الطويل]

وتبْسِمُ عَنْ سِمْطَيْ لآلٍ فُصُولُهـــا ... شَـوَابيرُ يَـاقُـوتٍ يُقـارِنُهـا خَمْرُ

وقال عبد الله بن عجلان النَّهدي[4] :

[من الطويل]

وحقّـة مسـك من نسـاء لبستُهـا ... شبـابي ، وكأس بـاكرتني شمـولها

أراد امرأة ؛ فشبَّهها بحقّة مسكٍ في طِيبها .

وقال الآخر[5] :

النَّشرُ مسـكٌ والـوجـوه دنـانيرٌ ... وأطرافُ الأكفِّ عَنَمْ

---

(٣) « شوابير » كذا رُسمت .

(٤) البيت لعبد الله بن العجلان النّهي ، في حماسة أبي تمام (بشرح المرزوقي ١٢٥٩/٣) ، وفي الكامل (٨٥٨/٢) دون نسبة .
ـ الْحَقّة : وعاءٌ مِنْ خَشب . والشَّمول : الْخَمْر .

(٥) هُوَ الْمُرَقِّش الأكبر ؛ والبيت من قصيدة مُفَضَّلية (المفضَّليات ٢٣٨) .
ـ النَّشر : الرِّيح . والعَنَم : شجر أحمر .

وأنشدني التَّنُوخي لعبد الله بن الْمُعتز[٦] :

بـــدرٌ وليـــلٌ وغصنٌ وجـــهٌ وشعرٌ وقَـــدُّ
خمرٌ وورد ودرٌّ ريـــقٌ وثغرٌ وخَـــدُّ

والتَّشبيه على هذا الوجه كثيرٌ في الكلام والشِّعر ؛ قال عزّ وجَلّ في وصف رحيق الْجَنّة : ﴿ خِتَامُهُ مِسْكٌ ﴾ [المطفّفين : ٢٦/٨٣] ، على التشبيه أيضاً ، أي في طيب الرائحة كالمِسْك ؛ وذلك مثل قوله تعالى : ﴿ كَانَ مِزاجُها كافوراً ﴾ [الإنسان : ٥/٧٦] . ورُوي عن الحسن في قوله تعالى : ﴿ خِتَامُهُ مِسْكٌ ﴾ قال : مُقَطَّعُهُ مسك[٧] . وإلى قوله ذهب أبو عبيدة في تفسير الآية[٨] . وأنشد لابن مُقبل[٩] :

[من البسيط]

مِمَّا يُعَتَّقُ فِي الْحَانُوتِ قاطِعُهَا بِالفُلْفُلِ الْجَوْنِ والرُّمَّانِ مَخْتُومُ

فتأوَّلَ الختامَ على العاقبة ؛ وليس على الختم الذي هو الطَّبْع لقوله : ﴿ وأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِيْنَ ﴾ [محمد : ١٥/٤٧] .

وقال تعالى : ﴿ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدونَ بِأَكْوابٍ وأَبارِيْقَ وكَأْسٍ مِن مَّعِينٍ ﴾ [الواقعة : ١٨/٥٦] .

وقال : ﴿ يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِن مَّعِيْنٍ☆ بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبينَ ﴾

---

(٦) ديوان ابن المعتزّ (طبعة العراق ٢٥٧/٣) .

(٧) مُقَطَّعُهُ : مُمَزَّجُه ؛ وفي تفسير الطَّبري (١٠٧/٣٠) أنَّ الْحَسَن قال فيه : عاقبتُهُ مِسْك ؛ أي يجدون عاقبتَهَا طعم المِسْك .

(٨) قال أبو عبيدة في مجاز القرآن (٢٩٠/٢) : « ختامه : عاقبته » .

(٩) ـ ديوان ابن مقبل (٢٦٨) .
ـ وفي الديوان : « صِرْفٌ ، تَرَقْرَقُ في النَّاجُودِ ، ناطِلُها ... » . والناطل : مكيال الخمر .
ـ الْجَوْن : الأسود ؛ يقول : ختامُ طَعْمِهَا وعاقبتُهُ طعم الفلفل والرّمّان .

[الصّافّات : ٣٧/٤٤-٤٥] ، وقوله : ﴿ بَيْضاء ﴾ مثل قوله : ﴿ قَوارِيرَا قَوارِيْرا مِن فِضَّةٍ ﴾ [الإنسان : ٧٦/١٥] .

أمّا قولُه : ﴿ كَانَ مِزاجُها زَنْجَبِيلا ﴾ [الإنسان : ٧٦/١٧] ، فإنَّه يَدُلُّ على لَذاذةِ الْمَقْطَعِ لأَنَّ الزَّنجبيلَ يحذي اللسان(١٠) ؛ وذلكَ مِن أَجود الأَوصاف للخمر عند العرب ؛ قال الأعشى(١١) :

[من المتقارب]

مُعَتَّقَـــةً قهـــوةً مُـــزَّةً ... لهـا زَبَـدٌ بَيْنَ كوبٍ ودَنّ

وإنما وصف الله عَزّ وجَلّ الآنيةَ والأكوابَ لأنّ ذلك يَؤولُ إلى مدح الشراب ويدلُّ على نفاسته وشرفه .

وقد سلكت الشعراء مذاهبَ من القول في وصف أواني الخمر وأعلمت فيها مطايا الفكر ، وأتت فيها بكلِّ مُسْتَحْسَنٍ من الشعر . على أنّ أحسنَ ما وصف في هذه الحال ما ورد به التشبيه في الآية لوقوع المناسبة بين هذا الجنس وبين الماء الذي هو غايةٌ في الرِّقّة ، واللطافة ؛ كما قال العَبّاسي(١٢) :

هـواءٌ ولكنَّـــهُ راكِـــدٌ ... ومـاءٌ ولكنَّـه غير جـارِ

وقال جَلَّ اسمُهُ في قصّة بلقيس : ﴿ قِيْلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا قالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوارِيْرَ ﴾ [النّمل : ٢٧/٤٤] .

ويُقال إنّ سليمانَ عليه السّلام منذ يومئذٍ اتّخذ أواني الزّجاج حتّى ينظُرَ إلى

---

(١٠) يحذي اللّسان : يقرصه .

(١١) ديوان الأعشى ١٧ ، وفيه : « صَليلِفيّةً طيّباً طَعْمُها » والصليفيّة : المعتّقة .
- والقهوة : الخمرة . والْمُزّة : لذيذة الطعم بين الحُلْو والحامض .

(١٢) ديوان ابن المعتزّ (طبعة العراق ٣/٢٩٠) يصف الخمرة .

شرابه ، ولا يحول بينه وبينه ما يستره عنه ؛ فَعُمِلَتْ لهُ الأَقداحُ الرِّقاق ، وهي أَحسن أواني الشراب الموصوفة في أَشعارهم ؛ قال عنترة[١٣] :

[من الكامل]

وَلَقَدْ شَرِبْتُ مِنَ الْمُدامَةِ بَعْدَما ... رَكَدَ الهَواجِرُ بالْمَشُوفِ الْمُعْلَمِ[١٤]
بِزُجاجَةٍ صَفْراءَ ذاتِ أَسِرَّةٍ ... قُرِنَتْ بِأَزْهَرَ في الشِّمالِ مُفَدَّمِ[١٥]

يعني بـ (الأَزهر) إبريقاً أبيض .

وقال شبرمة بن الطفيل في تشبيه الأباريق[١٦] :

[من الطويل]

كَأَنَّ أَباريقَ الشَّمولِ عشيَّةً ... إِوَزٌّ بأَعلى الطَّفِّ عُوجُ الْحَناجِرِ

وأخذ هذا التَّشبيه أبو الهِنديّ فقال[١٧] :

[من الطويل]

مفدّمة قَزّاً كَأَنَّ رِقابَها ... رِقابُ بَناتِ الماءِ أَفزعَها الرَّعْدُ

---

(١٣) ديوانه ٢٠٥ .

(١٤) الْمُدامة : الخمر التي أُطيل حَبْسُها وأُدِيمَتْ في دَنِّها . ورَكَدَ الهَواجِرُ : سَكَنَتِ الهَواجِر ، وهي وقت نصف النهار عند زوال الشمس ؛ جمع هاجِرَة ؛ أرادَ بالعشيّ . وَالْمَشُوف الْمُعْلَم : الدِّينار ، وقيل : الرِّداء الذي عليه علامة .

(١٥) الأَسِرَّة : الطَّرائق والخطوط . والأزهر : أراد به إبريقاً أبيضَ برّاقاً . في الشِّمال : في شمال السَّاقي . ومُفَدَّم : عليه الفِدام ، وهو غطاء يوضَعُ على فم الإبريق يُصفَّى به الشراب .

(١٦) البيت لشبرمة في حماسة أبي تمام (بشرح المرزوقي ١٢٦٩/٣) .
ـ الشَّمول : الْخَمْر . والطَّفّ : ساحل النهر .

(١٧) البيت في ديوانه (٣٠) . وروايته : « أُفزِعْنَ بالرَّعْدِ » .
ـ يقول : جُعِل فِدامُها مِنَ القَزّ (الحرير) . وبنات الماء : أراد بهنّ الإوَزّ .

وأخذ ابن المعتز قول علقمة بن عبدة[١٨] :

[من البسيط]

كأَنَّ إبريقهم ظَبيٌ على شَرَفٍ

فَقَال[١٩] :

[من الكامل]

وَكَأنَّ إبريقَ المدامةِ بَيْنَنَا ظَبْيٌ على شَرَفٍ أَنَافَ مُدَلَّهَا
لَمَّا اسْتَحَثَّتْهُ السّقاةُ جَثَا لَهَا فَبَكَى عَلَى قَدَحِ النَّدِيمِ وَقَهْقَهَا

ومِنْ مُسْتَحْسَنِ ما وُصِفَت الكأسُ بهِ في شَفيفها ولَطافتها قولُ العَكَوَّك[٢٠] :

[من الوافر]

وَصافيةٍ لَهَا في الكَأْسِ لِيْنٌ وَلكِنْ في العُقُولِ لَهَا شِمَاسُ[٢١]
كَأَنَّ يَدَ النَّدِيمِ تُدِيرُ مِنْهَا شُعاعاً ما تُحيطُ عَلَيهِ كَاسُ !

وقال الآخر[٢٢] :

[من الكامل]

---

(١٨) ديوان علقمة الفحل ٧٠ ؛ وتمامه :

كأنَّ إبريقَهُم ظبيٌ على شَرَفٍ مُفَدَّمٌ بِسَبَا الكَتَّانِ مَلْثُومُ

ـ الشَّرَف : المكان المرتفع المُشْرف . وقوله : « بسَبَا الكتّان » أراد : بِسَبائب الكتّان ؛ جمع سبيبة ، وهي الشّقّة البيضاء منه . وملثُوم : قد جُعِلَ له لِثَام .

(١٩) ـ ديوان ابن المعتز (٤٧٨/٢ ـ طبعة دار المعارف) .

(٢٠) ديوان علي بن جبلة العكَوك ٥١ .

(٢١) الشِّمَاس : الْجُمُوح ؛ وأصلُه في الْخَيْلِ ، فاستُعِيرَ لِلْخَمْرَةِ ، وسُمِّيَتْ شَمُوساً لأنَّها تَشْمِسُ بصاحبها ، تجمَحُ به .

(٢٢) ـ فَوْرُ الخمرة : ما ينتشر على وَجْهِهَا مِن فقاقيع إذا صُبَّت ؛ يقول : فارَت الخمرة عندما صُبَّتْ فعلَتْها الفَقاقيعُ ثمَّ طافَتْ فأحاطَتْ بالكأس ...

صُبَّتْ فَأَحْدَقَ فَوْرُها بِزُجاجِهَا   وَكَأَنَّما جُعِلَت إِنـاءَ إِنائِهَا
وَتَكادُ إِنْ مُزِجَتْ لِرِقَّةِ لَوْنِها   تَمْتَازُ عِنْدَ مِزاجِهَا مِنْ مَائِهَا

ولأبي نُوَاس في وصفِ صِحَافِ الْخَمْرِ وَكُؤوسِها مَذْهَبٌ انفردَ بهِ كقوله[٢٣] :

[من الطويل]

تَدُورُ عَلَيْنَا الرَّاحُ فِي عَسْجَدِيَّةٍ   حَبَتْهَا بِأَنْوَاعِ التَّصَاوِيرِ فَارِسُ[٢٤]
قَرَارَتُهَا كِسْرَى وفي جَنَبَاتِهَا   مَهاً تَدَّرِيهَا بِالقِسِيِّ الفَوَارِسُ[٢٥]
فَلِلْخَمْرِ مَا زُرَّتْ عَلَيْهَا جُيُوبُهَا   وَلِلْمَاءِ مَا دَارَتْ عَلَيْهِ القَلانِسُ[٢٦]

وقوله أيضاً في هذا المذهب[٢٧] :

[من الطويل]

بَنَيْنَا عَلَى كِسْرَى سَماءَ مُدَامَةٍ   جَوَانِبُهَا مَحْفُوفَةٌ بِنُجُومِ[٢٨]
فلو رُدَّ فِي كِسْرَى بنِ سَاسَانَ رُوحُهُ   إِذنْ لاصْطَفَاني دُونَ كُلِّ نَدِيمِ

وقوله أيضاً[٢٩] :

١٠[من الوافر]

---

(٢٣) ديوان أبي نواس (٣٧) ، طبعة مصر .

(٢٤) في عسجدية : في كؤوس عسجدية (ذَهبيّة) .

(٢٥) يصف الصُّوَرَ التي على جوانبها وفي قاعِهَا . والمها : البقر الوحشيّ ، جمع مَهَاة . وتَدَّريها : تخيلُهَا لتصطادَها من غير أن تشعر .
يقول : رُسِمَ في قَعر الكؤوسِ كِسْرَى ، وعلى جوانبها فَوَارس يصيدون البقر الوحشيّ .

(٢٦) زُرَّت : شُدَّ زرُّها ؛ يقول : صُبَّ في هذه الكؤوس خمرٌ إلى مَوَاضِع الجيوب (الأماكن التي يُدْخِلُ اللاّبِسُ رأسَهُ منها) ، ثُمَّ يُصَبُّ فوقها ماءٌ إلى القَلانِس (وهي أغطية الرَّأس) فهو يقول : الخمر أكثر من الماء الذي يُمازِجُهَا .

(٢٧) ديوان أبي نواس (٤٤٨) ، طبعة مصر .

(٢٨) أراد بالنُّجوم : الْحَبَبَ .

(٢٩) ديوان أبي نواس (٧٧) ، طبعة مصر .

رِجَالُ الفُرْسِ حَوْلَ رِكَابِ كِسْرى بِأَعْمِدَةٍ وأَقْبِيَةٍ قِصَارِ[٣٠]

ولَمّا كانتِ الخمرُ عندَ العَرَبِ مِنْ أَنْفَسِ الأَشياء لديهم وأَحْظَاهَا في نُفوسِهم ، وأنعمها لعيشِهم ، وأَجمعِها لِلَذّتِهم ؛ وكانوا يفخرون بمُحالَفَةِ حاناتِها وَالْمُغالاةِ في سِبَائِها[٣١] ، وهَتْكِ راياتِ تَجْرِها[٣٢] ، وسَبْق العاذلاتِ بشربِها ، حتى مَنَحُوها مِنَ الوَصْفِ ما لا حقيقةَ له ، وكَسَوْها مِنَ الْمَدْحِ ما هِيَ عاريةٌ مِنْهُ لِشِدَّةِ شَغَفِهِمْ بها ، وإفراطِهم في تعظيمِ شأنِها ؛ أَعْلَمَهم أَنَّ خَمْرَ الْجَنَّةِ تفوقُها وتَبْرَعُهَا وتَظْهَرُ عليها بفضلها وكَريمِ فِعْلِهَا ، وأنَّها لَذَّةٌ للشاربينَ لا فيها غَوْلٌ[٣٣] ؛ وأنَّ مزاجَ رحيقِها من تسنيمٍ وختامُهُ مسك[٣٤] ، وأَنَّها في لَذّةِ خَصَرِها وبَرْدِها[٣٥] وطِيْب مَذاقِها وطعمِها كالكافور والزَّنجبيل[٣٦] ، وأَنَّها لا لغوٌ فيها ولا ولا تأثيم[٣٧] ، وأَنَّها معين لا تَفيضُ أنهارُها ولا ينفد عقارُها[٣٨] . فوَصَفَ من حقيقة حالها ما هو مستعارٌ في وَصْفِهِمْ ومُخْتَلَقٌ من أباطيلهم

---

(٣٠) في ديوان أبي نواس : « وَجُلُّ الْجُندِ تَحْتَ ... » .
ـ الأقبية : جمع القباء ، وهي نوعٌ من الثياب .

(٣١) سِبَاءُ الْخَمْرِ : شراؤُها .

(٣٢) هَتْكُ الرَّاية : جَذْبُها وانتزاعُهَا من مَوْضِعِها وشقُّها ؛ وكان أحدُهم يفعَلُ ذلكَ إذا اشترى كلَّ الخمرِ الذي فيها . والتَّجْر : جمع تاجر .

(٣٣) إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ لاَ فِيهَا غَوْلٌ وَلا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ ﴾ [الصَّافّات : ٤٧/٣٧] .
والغَوْل : الصُّداع والسُّكْر .

(٣٤) إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ ☆ خِتَامُهُ مِسْكٌ ، وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنافِسُونَ ﴾ [المطفّفين : ٨٣/٢٥ـ٢٦] .

(٣٥) الْخَصَرُ : البَرْدُ .

(٣٦) إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الأَبْرارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزاجُهَا كافُوراً ﴾ [الإنسان : ٧٦/٥] .
وقَولِه تعالى : ﴿ يُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْساً كانَ مِزاجُها زَنْجَبِيلا ﴾ [الإنسان : ٧٦/١٧] .

(٣٧) إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْساً لاَ لَغْوٌ فِيهَا ولاَ تَأْثِيمٌ ﴾ [الطُّور : ٥٢/٢٣] .

(٣٨) إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ يُطَافُ عَلَيهِمْ بِكَأْسٍ مِن مَعِينٍ ﴾ [الصَّافّات : ٣٧/٤٥] .
ـ والْمَعِين : النهر الْجَاري .

وإفْكِهم ترغيباً فيما أَعَدَّهُ اللهُ لأَهلِ الإسلام في دار السَّلام[٣٩] ، وكذلك وصف آنيتها وأَكْوابَهَا بالْحَالِ التي أفردها بها كما قدَّمْنا ذكر ذلك في الباب الأوَّل[٤٠] .

فأمَّا قوله تعالى : ﴿ كانَتْ قَوَارِيرَا ☆ قَوَارِيرَا ... ﴾ [الإنسان : ٧٦/١٥-١٦] ، فَقُرِئَتْ [غير][٤١] مصروفةً وهو الاختيار في هذا الجمع .

ومن قرأ ﴿ قَواريراً ☆ قَواريراً .. ﴾ فصرف الأول فلأنه رأس آية . ومَنْ صرف الثَّاني أتبع اللفظ اللفظ[٤٢] . والعربُ رُبَّما قلبت الإعراب لتتبع اللفظ كقولهم : حجر ضبٍّ خَرِبٍ ؛

وقول امرئ القيس[٤٣] :

[من الطويل]

كأن ثبيراً في عرانينِ وَبْلِهِ ... كبيرُ أُنَاسٍ في بِجَادٍ مُزَمَّلِ

فكيف بصرف ما لا ينصرف[٤٤] ؛ وهو جائزٌ على مذهب أهل المدينة ؛ وفي الشعر مذهب الكافة .

---

(٣٩) دار السَّلام : الْجَنَّة .

(٤٠) وذلك في حَديثِه عن قولِهِ تعالى : ﴿ قَوَارِيرَا مِنْ فِضَّةٍ قَدَّرُوها تَقْديراً ﴾ [الإنسان : ٧٦/١٦] .

(٤١) كلمة (غير) : زيادة يقتضيها السِّياق .

(٤٢) معجم القراءات القرآنية ٨/٢٢ ـ ٢٣ .

(٤٣) ديوان امرئ القيس (٢٥) .

ـ ثبير : اسم جَبَل . وعَرانين الدبل : أدائلُه ؛ والوَبل : الْمَطَر العظيم القطر . والبجاد : كِساءٌ مُخطَّط . ومُزَمَّل : مُلْتَفٌ . يقول : قد أَلْبَسَ الوَبلُ ثبيراً فكأنَّه مما أَلْبَسَهُ من الْمَطَر وغشَّاهُ كبيرُ أُناسٍ مُزَمَّلٌ .

واستشهد المؤلف بهذا البيت على جَرِّ (مُزَمَّل) على الجِوَار ، وهُوَ خَبَرُ (كأنَّ) ، وكان الوَاجِبُ رَفْعَهُ .

(٤٤) يعني أنَّ صَرْف ما لا ينصرف في الآيَةِ أَوْلى بالْجَوَازِ مِنَ الْجَرِّ على الْمُجاوَرة في بيت امرئ القيس ، وفي قولهم : « هذا حجر ضبٍّ خَرِبٍ » لأنَّ صَرْفَ ما لا ينصرف جائزٌ على مذهب النَّحويِّين المدنيِّين في النثر وعلى مذاهب النَّحويِّين في الشعر كافة .

وقوله : ﴿ قَدَّروهـا تَقْـديراً ﴾ [الإنسـان : ١٦/٧٦] ، أي يكونُ الإنـاءُ على قـدر ما يحتاجون إليه لا يعجز عن ريّهم ، ولا يفضل .

وقيل أيضـاً في قولـه[٤٥] : ﴿ قَوَارِيرَا مِنْ فِضَّـةٍ ﴾ ؛ أَنَّـه كانَ أَصـل القـوارير من الرَّمل كان أصل الآنية من الفضّة ، وهي قوارير يُرَى من خارجها ما في داخلها .

والقولُ الأَوَّل ـ على معنى التَّشبيه ـ أحسنُ وأعذب ، وهو المأثور .

(٤٥) المعنى الأوَّل هو أنَّها مِنْ فِضَّةٍ حقيقةً وأنَّها شُبِّهت بالقَوَارير في صَفائِها ورَوْنَقِها وَشَفيفِهَا ورَفِيفِهَا ، وأنَّـه حذف حرف التَّشبيه للمبالغة .

سُورةُ الْمُرسَلات

قولُه عزّ وجلّ : ﴿ إنّها تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالقَصْرِ ☆ كَأَنَّهُ جِمَالاتٌ صُفْرٌ ﴾ [المرسلات : ٣٢/٧٧-٣٣] .

جاء في التَّفسير أنّ « القصر » واحِدُ القُصور . وقيل : القصر جمع قصرة ؛ وهو الغَليظُ من الشَّجر[١] .

وقولُه : ﴿ كَأَنَّهُ جِمالاَتٌ صُفْرٌ ﴾ - بكسر الجيم - جمع جِمال ، كما تقول : بُيوت وبُيوتات[٢] ؛ وهو جمعُ الْجَمع - [٣](وهي قراءةُ ابن كثير ونافع وأبي بكر عن عاصم وأبي عمرو وابن عامر - وجمع « جِمال » بالألف والتاء ؛ على التَّصحيح والسَّلامة ، كما جُمع على التَّكسير في قولهم : جمائل ، وقال ذو الرّمة[٤] :

[من الطويل]

وَقَرَّبْنَ بِالزُّرْقِ الجمائِلَ بعدَما ... تَقَوَّبَ عن غِرْبانِ أَوْراكِها الْخَطْرُ[٥]

---

(١) في القرطبي (١٦٣/١٩) : القصر : البناء العالي ؛ وقراءة العامّة : ﴿ كالقَصْرِ ﴾ بإسكان الصاد : أي الحصون والمدائن في العِظَم ؛ وهو واحد القصور ... وقيل القصر جمع قصرة مثل : جَمْرة وجَمْر ، وتمرة وتمر ؛ والقصرة : الواحدة من جزل الحطب الغليظ . وقُرِئ : ﴿ كَالقَصَرِ ﴾ بفتح الصَّاد .

(٢) اللسان (بيت) .

(٣) ما بين قوسين من (ف) فقط ، أثبته النّاسخ في حاشية الصَّفحة اليُسرى .

(٤) ديوان ذي الرُّمّة ٥٦٦/١ .

(٥) الزُّرْق : أكثِبَةُ الدّهناء لبني تميم . وتقوّب : تَقَشَّرَ . وغربان أوراكها : أطراف رؤوس الأوراك الذي يلي الذَّنَب . والْخَطْرُ : أن يُحرِّكَ البعير بذنبه فيصير على عَجزه لِبَدٌ من أبواله ؛ لأنّه يأكل الرطب فيسلح به على ذنبه ، ثمّ يخطِرُ فيضرب به بين وركَيْه .
والعرب تنتجع البادية في الربيع ، فإذا جاء الصيف تحوّلت إلى المحاضر ، وذلك قوله : « فقرَّبنَ الجمائل ... » أي ليتحوّلوا إلى المحاضر .

ويقال للإبل السُّود التي تضرب إلى الصُّفرة : هي إبل صُفر (قال الأعشى[٦] :

[من الخفيف]

تلــكَ خَيلي منـــهُ وتلـــكَ ركابي هُنَّ صُفرٌ أولادُهـــا كالــزَّبيبِ)[٧]

و « الشَّرر : : قِطَعٌ من النّار تطـاير في الجهـات . وأصلُـه الظُّهور ؛ من قولـك : شررتُ الثوب ؛ إذا أظْهرته للشمس .

وشبَّه « الشَّرَرُ » بـ « القَصْر » في العِظَم ، ثم قال : ﴿ كَأَنَّهُ جِمَالاتٌ صُفْرٌ ﴾ . أي سود ، فشبَّهه في اللَّون [٨٣/أ] وفي العِظَمِ أيضاً[٨] .

والعربُ تشبِّـه الإبل بـالقُصـور ، ذهـابـاً إلى تمـام خَلْقِها وحُسن صـورتها ؛ قـال الأخطل[٩] :

[من البسيط]

كَـــأَنَّـــهُ بُرْجُ رُوميٌّ يُشَيِّـــدُهُ لُــزَّ بِجِصٌ وآجُرٌ وأَحْجَـــارِ[١٠]

وقال عنترة أيضاً[١١] :

[من الكامل]

فَــوَقَفْتُ فِيهـا نــاقَتي وكَــأَنَّهـا فَــدَنٌ لأَقْضِيَ حــاجَـةَ الْمُتَلَوِّمِ[١٢]

---

(٦) ديوان الأعشى ٣٣٥ .

(٧) ما بين قوسين من (ف) فقط ؛ أثبته الناسخ في حاشية الصفحة اليُمنى .
وقد نبَّه الناسخ هنا ، وفي النقل الثابت من قبلُ (برقم ٤) على الكلام المستدرك في الحاشية .

(٨) كلمة (أيضاً) من : ف .

(٩) ديوان الأخطل ١٦٣/١ .

(١٠) لُزّ : لُصِقَ وقُرِنَ .

(١١) ديوان عنترة ١٨٨ .

(١٢) الفَدَنُ : القَصر . والْمُتَلَوِّم : الْمُتمكِّث الْمُنتظِر . ووَقفتُ ناقتي : حَبَسْتُها على هذه الدَّار .

وإنّما ظاهَرَ في تشبيه الشَّرر تأكيداً للتَّخويف من النَّار التي تَرامَى به ، وتعظيماً لشأنها ، وإرهاباً للكافرين من سَطوتها . والتَّشبيه على هذا النحو بغير حرف العطف آكَدُ في صِفة الْمَوْصوف ، وأبلغُ في نعته من التَّشبيه المعطوف ؛ قال طَرفة[13] :

[من الطويل]

وفي الحيِّ أَحْوىٰ يَنْفُضُ الْمَرْدَ شادِنٌ ... مُظاهِرِ سِمْطَيْ لُؤْلُؤٍ وزَبَرْجَدِ[14]

خَذولٌ تُرَاعى رَبْرَباً بِخَميلَةٍ ... تَنَاوَلُ أطرافَ البَرِيرِ وَتَرْتَدِي[15]

وهذا تشبيهٌ للمرأة بالغَزال ، في عُنقها ، وبالبَقرة في حُسن عينيها ، كما تقول هي شمسٌ ، هي قمر .

وأمّا تأويل « القصر » أنه الغليظ من الشَّجر فهو حَسنٌ في التَّشبيه أيضاً ، لأنَّه من نَظائر الجذى ، جمع جُذوة وهو ما غَلظ من الْخَشب ـ قال اللّهُ تعالى : ﴿ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ ﴾ [القصص : ٢٩/٢٨] . أي : قطعة منها ؛ قال الشَّاعر[16] :

[من البسيط]

باتَتْ حَواطِبُ لَيْلى يَحْتَطِبْنَ لَها ... جَزْلَ الجِذَى غَيْرَ خَوَّارٍ وَلا دَعِرِ[17]

---

(١٣) ديوان طرفة بن العبد ٨ ـ ٩ .

(١٤) الأحوى : الظبي الذي له خُطَّتانِ مِنْ سَوادٍ وبَياض ، وأراد به امرأةً . والْمَرْد : ثَمَرُ الأراك الْمُدرك . والشادِنُ : الذي قد تحرَّكَ وقويَ وكادَ يَسْتَغْنِي عن أُمّه . والْمُظاهِر : اللاَّبسُ واحداً فوقَ واحد .

(١٥) اللَّفظ على الظبي والمعنى على المرأة ؛ فهو يعني أنّها في نِعْمَةٍ وسَعَةِ عَيْشٍ وهي ذاتُ حَلْيٍ وزينة . الخذول : الخذول : الظبية التي خَذَلَتْ صواحِبَهَا . وتُراعي ربرباً : تُراقِبه وتنظر إليه . والرَّبْرَب : القطيع . وجَعَلَها منفردةً عن صواحبها لأنَّ محاسنَهَا عندئذٍ تتبيَّن أكثر . والبَرِير : ثمر الأراك الذي لم يُدْرِك .

و « ترتدي » يقول : تتناوَل ثمر الأراك فتتهدّل عليها الأغصان ، فكأنَّ الأغصان عليها رداء .

(١٦) هو تميم بن أبيّ بن مُقبل ٩١ .

(١٧) الْجَزْل : الحطب اليابس الغليظ العظيم . والجِذَى : جمع الجِذْيَة ، وهي أصل الشجرة . والخوَّار : الضَّعيف . والدَّعِرُ : العودُ الذي يَدخَنُ ولا يَتَّقِدُ .

وقد شُبِّهَتِ النّارُ في اشتعالها وتفرُّع ضِرامها بالشجر ، كما[18] قال العَبّاسي أو غيره[19] ، (واستعار الشَّجر لما يحسُن بهِ التَّشبيه)[20] :

[من الرجز]

ومُوقِداتٍ بِتْنَ يُضْرِمْنَ اللَّهَبْ
يُوسِعْنَهُ مِنْ سَلَمٍ وَمِنْ غَرَبْ
يَرْفَعْنَ أَشجاراً لَنَا مِنَ الذَّهَبْ[21]

وفي هذه الأبيات ملاحظةٌ[22] لقول سعيد بن سليمان المساحقي في صفة النار ، أنشده الزُّبير بن بكار :

[من المنسرح]

لَفَّعَها بِالضِّرامِ فَانْتَصَبَتْ ... ثُمَّ سَمَتْ لِلسَّماءِ بِاللَّهَبِ[23]
حَمْرَاءُ زَهْرَاءُ لاَ يُحَشُّ لَهَا ... كَأَنَّ فيها صَفَائِحَ الذَّهَبِ[24] !

[٨٣/ب] ونظَر العباسيُّ إلى قول الآخر في غير هذا التَّشبيه[25] :

---

(١٨) كلمة (كما) من (ف) فقط .

(١٩) الرّجز للعَبّاسي خ أي ابن المعتز في ديوانه (٥٠١/٢) .

(٢٠) ما بين قوسين من (ف) فقط .

(٢١) السَّلَمُ والغَرَب : نَوْعانِ من الشَّجَر ؛ يعني عيدانَ الغرب والسّلم ، يُلْقينَهُ في النّار لتزدادَ اضطراماً . « يرفَعْنَ أشجاراً لنَا مِنَ الذّهب » شَبَّه لَهَبَ النّار بالشَّجَر ، وجَعَلَ اللَّهَبَ ذهباً لأنّه بِلَوْنِه .

(٢٢) المُلاحظة : نوعٌ من أنواع الأخذ والنَّقل والسَّرقة الأدبية .

(٢٣) لَفَّعها : شَمَلَهَا . والضِّرام : دُقاقُ الحَطَبِ وما لانَ مِنْهُ .

(٢٤) لا يُحَشّ لها : لا تُحَرَّك بالمِحَشّ ، وهو حديدةٌ تُحَشُّ بها النار ؛ تُحَرَّك .

(٢٥) البيت في عيون الأخبار ١٩١/٢ دون نسبة . ونسبه في الشعر والشعراء ٨٠٢ لخلف الأحمر وروايته ثمّة :

كأنّ نيرانهم من فوق حصنهم ... معصفرات على أرسانِ قَصّارِ

وفي ديوان المعاني (٢٨٧/١) أنّ المعتصم أنشَدَ قولَ بعض الهاشميين في فتحه هِرَقْلَةَ :

رِيعَتْ هِرَقْلَةُ لَمّا أنْ رأت عَجَباً ... جوّ السما ترتمي بالنفط والنّارِ
كأنّ نيراننا في جنب قلعتهم ... مُصَبَّغاتٌ على أرسانِ قَصّارِ

[من البسيط]

كأنَّ نيرانَهم في كُلِّ منزلةٍ مُصَبَّغاتٌ على أرسانِ قَصّارِ[٢٦]

فقال ، وزاد أيضاً[٢٧] :

[من الخفيف]

فَوْقَ نارٍ شَبْعى مِنَ الْحَطبِ الْجَزْ لِ إذا ما التَظَتْ رمَتْ بالشَّرارِ[٢٨]

فَهْيَ تعْلُو اليَفاعَ كالرَّايةِ الْحَمْـ ـراء تُغري الدُّجى إلى كلِّ سارِي !

وقال الطَّائي في إحراق الأفشين[٢٩] :

[من الكامل]

ما زالَ سِرُّ الكُفْرِ بَيْنَ ضُلُوعِهِ حتَّى اصْطَلَى سِرَّ الزِّنادِ الوَاري

ناراً يُساوِرُ جِسْمَهُ مِنْ حَرِّها لَهَبٌ كَما عَصْفَرَتْ شِقَّ إزارِ[٣٠]

طارَتْ لَهَا شُعَلٌ يُهَدِّمُ لَفْحُها أَرْكانَهُ هَدْماً بِغَيْرِ غُبَارِ

مَشْبُوبَةٌ رُفِعَتْ لأَعْظَمِ مُشرِكٍ ما كانَ يَرْفَعُ ضَوْءَها لِلسَّاري[٣١]

صَلَّى لَها حَيّاً ، وصارَ وَقُودَها مَيْتاً ويَدْخُلُها مَعَ الفُجَّارِ[٣٢] !

---

(٢٦) مُصَبَّغات : ثياب مصبوغة . والأرسان : الجبال . والقَصَّار : الصَّبَّاغ .

(٢٧) الشعر لابن المعتزّ في ديوانه (١٠٤/١) وفيه : « تفري الدجى » بالفاء ، وكأنّه من الطباعة .

(٢٨) الْجَزْل : الحطب اليابس الغليظ العظيم .

(٢٩) الشاعر هو أبو تمّام الطائي ، والشعر في ديوانه (٢٠٣/٢) من قصيدةٍ يمدح فيها المعتصم ، ويذكر قضاءَه على الأفْشين ؛ والأفشين هو خيذر بنَ كاوُوس ، كانَ مِنَ الفُرْسِ ، تولّى للمعتصم وأحسنَ الولاية حتّى وكَلَ إليه مقاتلة بابك الخُرّميّ ، ثمّ وقع منه ما يدلُّ على خيانةٍ ، فأخذه المعتصم وقتله وصلبَهُ وأحرقَه ؛ وقيل : كان سبب قتله ابنُ أبي دُوَاد لأمرٍ جرى بينهما .

(٣٠) في (ك) : لهبٌ . وفي (ف) : لهباً .

(٣١) السَّاري : الذي يسري باللَّيْل .

(٣٢) كان مِمَّا أُخِذَ على الأفشين أنّه كان يُبْطِنُ الكُفْرَ وعبادة النّار .

وقرأ بعضُهم : ﴿ إنَّها تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالقَصَرِ ﴾ ـ بفتح الصَّاد[٣٣] ـ جمع قَصَرَة ؛ أي : كأنَّها أعناقُ الإبل ، وهو تشبيهٌ حَسن أيضاً ، لأنَّ العرب تَسْتَعير ذلك في وَصْفِ النّار ، فيقولون : بَرزت أعناقُ النِّيران ، كما يقولون : برَزت ذَوائِبُها وأَلْسِنَتُها ؛ على طَرِيق الاستعارة أيضاً .

وقالوا في نار[٣٤] (حَرَّةِ الحدثان)[٣٥] بأرض غَطَفان ، فيما رواه الكلبيُّ أنَّه كان يخرجُ منها العنقُ فيسير مسير ثَلاث أو أربع لا يمرُّ بشيء إلاَّ أحرقه ! وأنَّ خالد بن سنان بن غيث بن مُريطة بن مخزوم بن غالب بن قطيعة أخذ من كل بطن من بني عبس رجلاً ، فخرج بهم نحوها ومعه دِرَّة حتى انتهى إلى طرفها ، وقد خرج منها عنق كأنه عنق بعير ، فأحاط بهم فقالوا : هلكت والله أشياخ بني عبس آخِرَ الدهر ! فقال خالد : كلاّ ، وجعل يضربه بالدِّرَّة ويقول : « بُدّاً بُدّا » حتى رجع وجعل يتبعه والقوم معه كأنه ثعبان يتخلَّل حجارة الحرَّة ، حتى انتهى إلى قَلِيب ، فانسابَ فيه واتْقَذم عليه ، فمكث طويلاً ، فقال له ابنُ عَمّ له يقال [٨٤/أ] له عُروة بن سنَّة بن غيث : لا أرى خالداً يخرج إليكم أبداً ! فخرج يَنْطِفُ عَرقاً وهو يقول : زعَم ابنُ راعية المِعزى أنّي لا أخرج ! فقيل لهم : « بنو راعية المعزى » حتى السَّاعة .

وحُكي أنَّ ابنة خالد جاءت إلى النَّبي ﷺ حين هاجر إلى المدينة ؛ فانتسبت ، فقال[٣٦] : (مرحباً ببنت آخرِ نبيٍّ ضَيّعه قومُه) ، وأنشدوا[٣٧] :

---

(٣٣) هي قراءة ابن عَبّاس وسعيد بن جبير ومجاهد والحسن وابن مقسم وحميد والسلمي (يُنظر معجم القراءات القُرآنية ٣٨/٨) .

(٣٤) الْحَرَّةُ في اللغة : أرضٌ ذاتُ حجارة سود نخرة كأنما أُحرقت بالنَّار .
ـ ونقل في اللسان (ح ر ر) : وللعرب حِرارٌ معروفة ذوات عدد : حَرَّةُ النّار لبني سُليم ، وهي تسمّى أُمّ صَبّار ، وحرّة ليلى ، وحرّة راجل ، وحرّة واقم بالمدينة ، وحرّة النّار لبني عبس ؛ وحرّة غلاّس .

(٣٥) في الحيوان للجاحظ ٤٧٦/٤ : نار الحرَّتين . والخبر فيه باختلاف .

(٣٦) أورده الجاحظ في الحيوان ٤٧٧/٤ .

(٣٧) في الحيوان ٤٧٨/٤ غير منسوب .

[من الوافر]

كنــــارِ الْحَرَّتَيْنِ لهــــا زفيرٌ   يصمُّ مَســامِعَ الرَّجُلِ السَّميع !

وبين تأويل القَصْر ـ بجزم الصّاد ـ وأنَّ المرادَ به الغليظُ من الشَّجر ، وبين تـأويل القَصَر ـ بالفتح ـ مناسبةٌ يقع بها التَّشبيه ، كما قال ذو الرُّمَّة في تشبيهِ عنق النَّاقة[٣٨] :

[من الطويل]

وهَـادٍ كَجِـذعِ السَّـاج ســامٍ يَقـودُهُ   مُعَرَّقُ أَحْنــاءِ الصَّبيَّين أَشْــدَقُ[٣٩]

وقال الآخر[٤٠] :

كأنَّ أعنـــاقَ الْمَطِيِّ البُــزْلِ[٤١]
بين حُلَيمـــاتٍ وبين الْجَبْـــلِ
من آخرِ الليــل جــذوع النَّخْــلِ

وقرأ يعقوب[٤٢] : ﴿ كَأَنَّـهُ جُمالاتٌ صُفْرٌ ﴾ بضمِّ الجيم ، وهو جمع جُمالـة ؛ قـالوا : وهـو القَلْسُ من قُلـوس سُفن البحر[٤٣] ، (ويجـوزُ أن يكـون جمـع جمـل من جمـال وجمالات)[٤٤] .

(٣٨) البيت لذي الرُّمّة في ديوانه ٤٧٨/١ .

(٣٩) الهادي : العنق . وسامٍ مُشْرف . والْمُعَرَّق : قليل اللحم . والصَّبيّان : اللَّحْيَان . وأحناؤه : نواحيه .

(٣٩) والأشدق : الواسع الشِّدق .

وليسَ للسّاج جِذْعٌ ، وإنَّما أراد عُودَ السَّاج ، فشبَّهه بالجذع في غِلَظِهِ وهيئَتِه ، وعود السَّاج غليظ .

(٤٠) الرّجز في معجم مااستعجم ٤٦٥/٢ ، ومعجم البلدان ٤٦٥ ، واللسان (ح ل م) .

(٤١) البُزْلُ : جمع البازل ، وهو البعير الذي بَزَل (طلع) نابُهُ وذلك في السنة الثامنة أو التاسعة . وحليمات والجبل : موضِعان . أراد أنها تمد أعناقها من التعب .

(٤٢) في (ف) : وقرأ بعضهم .

ـ وينظر معجم القراآت القرآنية ٣٩/٨ .

(٤٣) القَلْس : الحبل الغليظ من حبال السفن .

(٤٤) العبارة من (ف) فقط .

قال ابنَ عبّاس[٤٥] في قوله تعالى : ﴿ إنّهـا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَـالقَصْرِ ﴾ يعني : كأُصُول الشَّجر العظام تقع على أكتافِ الأَشقياء ؛ ثمَّ شبَّهه بالإبل السُّود ، رَوى ذلك جُوَيْبِر عن الضَّحَّاك .

ولَمّـا كانت الإبـل أعظم الأشيـاء في نُفـوس العَرب لِصَبْرِهـا على الأهـوال واحتال الأثقال ، وكانوا يضربونَ بهـا الأَمثـال في كثيرٍ من الأحوال ، ويُشَبِّهونها بـالجِنّـان ، كا قال الرَّاجز[٤٦] :

[من الرّجز]

يرفعن بـالليـل إذا مـا أَسْـدَفـا
أَعنـاقَ جِنَّـانٍ وهـامـاً رُجَّفـا[٤٧]

وقال الآخر ، يُشير إلى وصف الشِّدَّة والقسوة في التَّشبيه بها[٤٨] :

[من البسيط]

يُبكى عَلينـا ولا نَبكي على أحـدِ لنحنُ أغلظُ أكبـاداً من الإبـلِ[٤٩] !

وقال أبو خراش الهذلي[٥٠] :

---

(٤٥) في الجـامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي) ١٦٣/١٩ : « وفي البخـاري عن ابن عبّـاس أيضـاً ﴿ تَرمي بِشَرَرٍ كالقَصْرِ ﴾ قال : كنـا نرفع الخشب بِقَصرٍ : ثلاثـة أذرع أو أقلّ ، فنرفعـه للشتـاء فنسمّيـه القَصَر . وقال سعيد بن جبير والضّحّاك : هي أصول الشجر والنّخل العظام إذا وقع وقُطِع » .

(٤٦) الرّجز للخطفى حذيفة بن بدر جد جرير الشاعر ؛ وهو في اللسان (س د ف) و (ج ن ن) .

(٤٧) أسدَفَ الليلُ : أظلَمَ . والجِنّان : جمع الجـانّ ، وهو ضرب من الحيّـات أكحل العينين يضرب إلى الصُّفْرَةِ لا يؤذي . ورُجَّف : جمع رجاف ، وهو المتحرّك المضطرب .

(٤٨) كلمة (بها) من ف .

(٤٩) نسب البيت للمخبّل السعـدي ، ولمهلهل أيضـاً (ينظر : شعراء مقلّون ٣٢٤) وأصلـه في ديوان الحماسة بشرح المرزوقي ٥٩١ .

(٥٠) البيتان لأبي خراش الهذلي (ديوان الهذليّين ١٣٦/٢) .

[من الوافر]

لعلَّـك نـافعي يـا عُرْو يَـومـاً ... إذا جـاورتُ من تحتِ القبـورِ[51]
إذا راحُـوا ـ سِـوايَ ـ وأسلمـوني ... لِخَشْنـاءِ الحجـارةِ كالبَعيرِ !

فكـذلـك شبَّـه الله تعـالى شَرر جَهنَّم بها ، تعظيماً لـه وتهـويـلاً ، وإرهـابـاً منـه وتخويفاً .

وقـد شبَّـه بعضُهم نـاراً على البُعـد بسَحْرِ العَوْدِ ، على عـادَتِهم في الاستطراد بـذكر الإبل في أكثرِ الأوصاف ، فقال :

ونـارٍ كسَحْرِ العَـوْدِ تَرْفَـعُ ضَـوْءَهَـا ... مَعَ اللَّيْلِ هَبّاتُ الرِّيـاحِ الشّوارِدِ[52]

[٨٤/ب] وهم يُشَبِّهون النِّيرانَ بأشخاصِ بعض الْحَيوانِ ، كما قال الأوَّل :

[من الطويل]

لمن ضَـوءُ نـارٍ بـالبِطـاحِ كأنَّهـا ... من الوحشِ بيضاءُ اللَّبـانِ شَبُوبُ[53]
إذا صـدَّ عَنهـا الرِّيـح بـانَ بضـوئها ... من الأَثْـلِ فرعٌ يـابِسٌ ورطيبُ[54]

وقال الرّاعي ، يصفُ الذِّئب[55] :

[من الوافر]

مُتَـوَضِّـحَ الأَقرابِ فيـه شُبْهَـةٌ ... نَهِشَ اليَـدَيْنِ تَخـالُـهُ مَشكُولا[56]

---

(٥١) عروة : هُوَ أخٌ لأبي خراش الهذلي ، وقوله : « عرو » ترخيمٌ له ؛ وللأبيات قصّة فانظر خبرَها في ديوان الهذليين (١٣٦/٢) .

(٥٢) سَحْرُ العَوْد : رِئَتُهُ ؛ وأراد ما يُحاذي السَّحر من جسم العَوْد ؛ والعَوْد : المُسِنّ مِنَ الإبِل .

(٥٣) اللَّبان : الصَّدْر .

(٥٤) الأثل : ضَرْبٌ مِنَ الشَّجَر .

(٥٥) البيتان للراعي النّميري في ديوانه (تحقيق راينهرت) ٢٤٠ .

(٥٦) المتوضّح : الأبيَض غير شديد البَياض . والأقراب : جمع القُرْب ، وهو الخاصرة . والشُّهْبَـةُ : لَوْنُ بياضٍ يصدَعُهُ سَوَاد . ونهش اليدين : قليلُ لحمِها .

كَـدُخَـانِ مُرتَجِـلٍ بـأَعْلَى تَلْعَـةٍ غَرْثـانَ ضَرَّمَ عَرْفَجـاً مَبْلُـولاً[٥٧]

ومن أحسن ما قيل في وَصف النّار من حال ابتدائها إلى حال اشتدادِها وتَسَعُّر ضِرامها ؛ قول ذي الرُّمّة[٥٨] :

[من الطويل]

وسِقْطٍ كَعَيْنِ الدِّيكِ نازَعْتُ صُحْبَتي أَبَاهَا وهَيَّأنا لموضعها وَكْرا[٥٩]

مُشَهَّرةٍ لا تُمْكن الفَحْلَ أُمُّها إذا هي لم تُمسِك بأطرافها قَسْرا[٦٠]

أَخُوها أَبُوها والضَّوى لا يَضِيْرُها وسَاقُ أَبيها أُمُّها عُقِرَتْ عَقْرا[٦١]

فلَمّا بَدَتْ كَفَّنْتُها وَهْيَ طِفلَةٌ بِطَلْسَاءَ لَمْ تَكْمُلْ ذِراعاً ولا شِبرا[٦٢]

وقلتُ له : ارفَعْها إلَيْكَ وأَحْيِهَا بِرُوحِكَ واقْتَتْه لَها قِيتةً قَدْرا[٦٣] !

وظَاهِرْ لَهَا مِنْ يابِسِ الشَّخْتِ وَاسْتَعِنْ عَلَيْهَا الصَّبا واجعَلْ يَدَيْكَ لها سِتْرا[٦٤]

---

(٥٧) مُرْتجِل : مصطاد رَجْلٍ مِنْ جَرادٍ ؛ فهو يشويه ، وجعَلَهُ غرثانَ لكون الغَرِثِ لا يختارُ الحطب اليابس فقط ، بل يشويه بما حضَرَ من الحطب ؛ وأراد بهذا أن يكون الدّخان بلون الذئب .

(٥٨) الشعر لذي الرُّمّة في ديوانه ١٤٢٦/٣ .

(٥٩) السّقط : يعني النارَ حينَ سقطت من الزَّنْدِ كأنّها عين الدِّيك . و « أباها » يعني به الزَّند الأعلى . وأراد بالوَكر : مَوْضِعاً يُوقَدُ فيه البَعْرُ والشَّوْكُ ونحوه .

(٦٠) أمّها : الزَّندة السفلى ؛ وهي لا تستوي إذا قُدِحَ بها حتّى تُمْسَكَ بشدّة .

(٦١) « أخوها أبوها » يريد أخو الزَّندة (الزندُ الأعلى) هو أبو النّار ؛ وصيَّر الزَّندة السُّفلى أُختاً للزَّند الأعلى لأنّهما قُطِعا من غُصنٍ واحد . « والضوى لا يضيرُها » أي لا يضرّ النار أن تكون الزَّندةُ والزَّند من شجرةٍ واحدة كما هو الحال في الرجل إذا تزوّج قريبَتَهُ فيخرج وَلدهما ضعيفاً . و « ساق أبيها أمُّها » يعني أنَّ الزّندةَ كانت ساقاً نبتَ عليها الزَّند ، ثمَّ اقتُطِعا . وعُقِرَت : كُسِرَت . يقول هُما من شجرةٍ واحدة .

(٦٢) يريد : لَمّا بَدَت النار : « كفَّنتُها » أي : صيَّرتُها في خِرْقَةٍ . « طَلساءَ » تَضْرِبُ في لونها إلى السَّواد ، لم يبلغ طولُها (طول الخرقة الطَّلساء) ذراعاً ولا حتّى شبراً .

(٦٣) « ارفعها » أي : ارفع النار . والرُّوح : النَّفَس ونَسيم الرِّيح . و « اقْتَتْهُ » مِنَ القُوت ؛ أي : انفخ نفخاً ضعيفاً يكفي لإحياء النّار .

(٦٤) الشّخت : ما دقّ مِنَ الحَطَب . وظاهِرْ لها : اجْعَل عَلَيْها يَابِسَ الشَّخْتِ حتّى تتّقِد .

فَلَمَّا جرَتْ في الْجَزْلِ جَرْياً كأنَّهُ ... سَنا الفَجْرِ أَحْدثنا لِخالِقنا شُكرَا[٦٥]

ولَمَّا تنمَّتْ تأْكُلُ الرِّمَّ لَمْ تَدَعْ ... ذَوابِلَ مِمّا يَجْمَعُون ولا خُضْرَا[٦٦]

وقرأ حمزة والكسائيّ وحفص عن عاصم : ﴿ جِمالَةٌ صُفْرٌ ﴾ كأنَّ الهاء لحقت « جِمالاً » لتأنيث الْجَمع ، كما لحقت في « فحل » و « فِحالة » و « ذكر » و « ذكارة » . ومثل لحاق الهاء في (فعالة) لحاقُها في (فُعولة) نحو : « بُعولة » و « عُمومة » . وجاء في (فعالة) إلحاقُ الهاء وتَرْكُ الإلحاق ؛ قال الشّاعر[٦٧] :

[من البسيط]

كأنَّها في حِجَارِ الغَيْلِ ألبسَها ... مَضَارِبُ الماء لَوْنَ الطُّحْلُبِ التَّرِبِ

فلم تلحق الهاء كما لحقت في قوله تعالى : ﴿ فَهِيَ كَالحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَة ﴾ .

---

(٦٥) الْجَزْل : الْحَطَبُ الغليظ . وسَنَا الفجر : ضَوْؤه .

(٦٦) تَنَمَّتْ : ارتفعت وعَلَتْ . والرِّمّ : ما يبس من الشجر . والذوابل : ما جفَّ مِنَ الْحَطَب .

(٦٧) وَرَدَ البيت في اللِّسان (حجر) دون نسبة . وفيه « كأنَّها مِن حِجارِ ... » .
ـ الغَيْل : الماء الجاري على وَجه الأرض .

سُورةُ الفِيل

قولُـه عزّ وجلّ : ﴿ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْراً أَبَابِيْلَ ☆ تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِن سِجِّيْلٍ ☆ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ ﴾ [الفيل : ١٠٥/٣ـ٥] . [« العصف » : الوَرق الذي يكونُ على ساق الزَّرْع][١] .

فَشَبَّهَهُم[٢] بورق الزَّرع الذي جُذّ وأُكل ؛ أي وقع فيه الأُكال ، وهو تشبيهٌ يُغني - مع اختصاره - عن الإطالة في صِفة الحال الموضوع لها ، المُعبّر به عنها ، ولم يَنطق به إلا القُرآن ؛ ولا ورد مثله في كلام [العرب][٣] مع إكثار الشُّعراء وفصحاء العرب في الجاهلية والإسلام من وصف هلاك الأُمم ودُثورهم وأَخذهم بسائر أنواع المنيَّة واخترامهم[٤] .

وقد ذكرنا من هذا الفن في غير هذه السورة ما فيه كفاية لِمُتصفِّحه ، إلاَّ أنَّ أقرب الأمثلة من هذا الموضوع من جهة التَّشبيه والإشارة إلى الكثرة واستيعاب الجماعة ما أنشدنيه الأسدي لأبي كبير [٨٥/أ] عامر بن الحُلَيس الهذلي[٥] :

[من الكامل]

---

(١) ما بين معقوفتين مُستدرك من : ك .

(٢) هذه الفقرة من (ف) فقط .

(٣) هذه الكلمة ليست في الأصل ؛ وهي المقصودة بالكلام هُنا ؛ فاستدركتُها .

(٤) يقال : اخترمته المنيّة : أي أَخذته من بين أصحابه . ويُقال : اختُرِمَ فُلانٌ عنا أي مات وذهب .

(٥) البيتان في ديوان الهذليّين (١٠٠/٢) .

هـل أُسوةٌ لـكَ في رجـالٍ صُرِّعوا بتــلاعِ تِرْيَمَ هــــامُهُم لم تُقْبَرِ[6]
وأخُـو الإبــاءَةِ إذْ رأى خـلاّنَــهُ تَلَّى شِفـاعـاً حَـوْلَــهُ كالإذخرِ[7]

يريـد : قتلى في الكَثْرة كالإذْخِرِ ، لأَنَّـه لا يُوجـد منـه إذخرةٌ واحـدةٌ ، إنَّما تكون الأرض منه مُسْتَحْلِسَة .

وقريبٌ منـه أيضاً قـول العبــادي[9] ، وقــد تقــدَّم ذكره مع مــا يقترن بــه في الأبيات[10] :

[من الخفيف]

ثم أضحــــــــوا كأنهم ورقٌ جفٌ فــألــوت بــه الصَّبــا والــدَّبـور

وتشبيهُ الكِتَـاب[11] واقع أحسن مَواقِعـه ، لأنَّ « العصف » : الوَرقُ الـذي يتفتّح عن الثَّمرة ، أو السُّنبلــة ، قــال الله تعــالى : ﴿ وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَــانُ ﴾ [الرَّحمن : ١٢/٥٥] ، أي : ذُو الـورق . والعربُ تقـول : سبحـان الله ورَيْحـانَـه ، أي : واستِرْزاقه ، قال النَّمِرُ بنُ تَوْلب[12] :

---

(٦) تِرْيَم (بكسر التاء) ضبطها في اللسان ، وذكر البيت ، ولم يزد على أنه موضع ، وهو إحدى مَـدِينَتَيْ حَضْرَموت . (انظر معجم البلدان : تَريم) .

(٧) الإباءة أحد مصادر أَبى (يأبى الشيءَ : كرهـه) ؛ وفي اللسـان (ت ل ل) : وأخو الإنـابـة (كـذا) وفي مادة (ذ خ ر) : وأخو الإباءة . ومعنى تلّى : أي صَرْعى .

ـ يقول الشاعر : إنَّهم صُرِعوا شَفْعاً ؛ وذلك أنَّ الإذخر لا ينبت متفرّقاً ، ولا تكاد تراه إلا شفعاً . قـال أبو حنيفة الدّينوري : وقلّما تنبت الإذخرة منفردة .

ـ والإذخر : حشيش طيّب الرائحة ، واحدتها إذخرة . يُطحن ثمره فيدخل في الطّيب .

(٨) في ك : « لا يوجد منه واحدة » بسقوط كلمة (إذخرة) .

(٩) هو عديّ بن زيد العبادي .

(١٠) البيت من قصيدة ذائعة لعديّ بن زيد في ديوانه (٩٠) .

(١١) يعني القرآن الكريم ، والكلام موصول بتفسير الآية الكريمة ﴿ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ ﴾ .

(١٢) شعر النّمر بن تولب ٥٥ .

سَـلامُ الإلَـــهِ ورَيْحَــــانُــــهُ   وَرَحمتُــــــــــــهُ وسماءٌ دِرَرْ[١٣]

ومن قرأ : ﴿ الرَّيحـانُ ﴾[١٤] عطف على ﴿ الْحَبُّ ﴾ فيكون هـا هنـا : الرَّيحـان الذي يشمّ ؛ ويكون أيضاً الرزق .

وواحد العصف : عصيفة ، قال علقمة بن عبدة[١٥] :

[من البسيط]

تَسْقي مَـذانِبَ قَـدْ مـالَتْ عَصِيْفَتُهـا   حُـدورَهَـا بِـأَتِيٍّ السَّيْـلِ مَطْمُـومُ[١٦]

وفي الخبر : أنَّ الْحَجَرَ كان يُصيب أحدَهُم على رأسِه فيخرقُـه حتى يخرجَ من دُبره ، فكانت أجـوافُهم خـاليــةً ؛ فشبَّههم بـالعَصْفِ المـأكـولِ لِخُلُـوِّه من ثَمره . وقيــل : ﴿ العَصْفُ ﴾ : قصبُ الزَّرع . والتَّشبيه به واقعٌ في صفة الحالِ أيضاً .

وكان من قصّـة أصحـابِ الفيل[١٧] أنَّ نَفراً من قريش نَزلـوا عنـد بيت هـو مُصلّى للنَّصارى[١٨] وأصحاب النَّجـاشي[١٩] ، فـأجَّجوا نـاراً لبعضِ شَـأنهم ، ثمَّ رحلوا وتركُوهـا على حالهـا ، فحملتهـا الرِّيح فـأحرقت البيت الـذي كان مُصَلَّى لهم ومثـابَـةً للنَّجـاشيِّ

---

(١٣) رَيْحَانُ الله : رِزْقُه . والدِّرَر : جَمْعُ الدِّرّة ، وهي المطر الغزير الذي يتبع بعضه بعضاً .

(١٤) ينظر معجم القراءات القرآنيّة (٤٦/٧) .
وفي معجم القراءات (٦٩٠) : « قرأ حمـزة والكســائيّ ﴿ والرّيحــانِ ﴾ خفض ؛ وقرأ البــاقــون ﴿ والرَّيحانُ ﴾ بالرّفع » .

(١٥) ديوان علقمة بن عبدة ٥٥ .

(١٦) تسقي مذانِبَ : تصبُّ الماءَ فيها ؛ والمذانب : مسايل الماء ، والعصيفـة : مـا كانَ على سـاق الزرع من الورق الذي ييبس فيتفتّت . وحدورها : ما انحدر منها . و « الأتي » هاهنا هو : ما يسيل من المـاء في الجدول ، والمطموم : المملوء بالمـاء ؛ وقـال : حـدورُهـا مطمومٌ ، فجمع الموصوف وأفرد الصفـة ؛ لأنّـه أراد : ما حول حدورها .

(١٧) القصّة في تفسير القرطبي (١٨٧/٢) ، وتفسير الطَّبري (١٩٣/٣٠) .

(١٨) في (ك) : النصارى .

(١٩) النَّجاشيّ : كلمةٌ لِلْحَبَش كانت تُسَمّي بها مُلوكَهَا .

وأصحابه ، فنذرَ أن يحرق بيتهم الذي فيه أصنامُهم ، وذلك قبل مولد النَّبيِّ ﷺ بسبعين يوماً . فبعث أَبْرَهَةَ بنَ الصَّباح في اثني عَشَر ألفاً ، وبعث معه مِنْجَنيقاً وفيلاً اسمُه : « محمود »[٢٠] ، فلَمّا انتهى إلى الْحَرَم بركَ الفيل ؛ فَكُلَّما وجَّهوه نحو اليَمن هَرْوَل ، وكلّما أرادُوا به نحو الحرَم وَقَف ؛ وذلك قول [٨٥/ب] أُمَيَّة بنِ أَبي الصَّلْتِ[٢١] :

[من الخفيف]

إنَّ آياتِ رَبِّنا بَيِّناتٌ لا يُماري بِهِنَّ إلاَّ الكَفُورُ
حُبِسَ الفِيْلُ بالْمُغَمَّس حتّى ظَلَّ يمشي كأنَّهُ مَعْقُورُ[٢٢] !

ثم أرسلَ اللهُ عليهم طيراً أبابيلَ ، أي جَماعات من كلِّ جانب ، مع كلّ طائر ثلاثةُ أَحجار : حجرٌ في منقاره ، وحَجران في رجليه ، يقعُ الْحَجرُ منها على رأس الرَّجل فيخرج من سُفْلِه[٢٣] .

وكان دليلُ أبرهة الحبشيّ صاحب الفيل ، حين غَزا البيت : نُفَيْل بن حَبيب الأكلبي[٢٤] ، من ولد أكلب بن ربيعة بن نزار ، فلما أرسل اللهُ عَليهم الطَّير هَرب في الْجَبل ، وطلبوه فلم يَقْدِرُوا عليه ، فقال في ذلك يذكر فرارَه لَمَّا رأى الطير مُرسلةً عَليهم[٢٥] :

---

(٢٠) اللسان (حمد) ، والسيرة النَّبوية (٥٢/١) .

(٢١) ديوان أمية بن أبي الصَّلت ٣٩١ ـ ٣٩٢ .

(٢٢) الْمُغَمَّس : مَوْضِعٌ في طَرَفِ الْحَرَمِ الشَّريف . وحَبَا الفيلُ : بَرَك فلم يتحرَّك . والعَقْرُ : أن تقطع إحدى قوائم البعير قبل نحره كيلا يَشْرُدَ عند النَّحر .

(٢٣) في (ك) : « من دُبره » ؛ والعبارَتان بمعنًى .

(٢٤) وكنيته أبو رِغال ، فصاروا يرجُمون قبرَهُ لتولّيه دلالةَ أَبْرَهَة ؛ وانظر جَمهرة أنساب العرب (٣٩١) ، والسيرة النَّبوية (٤٦/١ـ٤٨) .

(٢٥) الخبر في تفسير القرطبي ١٩٢/٢٠ ؛ وأصله في تاريخ الطبري ١٣٦/٢ ، والبيتان المذكوران من قطعة لنفيل بن حبيب في ستة أبيات . وفي السيرة النَّبوية (٥٣/١) .

[من الوافر]

حَمِـــــــدْتُ اللهَ إذْ أَبْصَرْتُ طَيراً　　وريحـاً عـاصِفـاً تَسْعَى إلَيْنَـا
أَكُـلُّ القَـوْمِ يسـألُ عن نُفَيْـلٍ　　كأَنَّ عليَّ لِلْحُبْشـانِ دَيْنَـا

ومعنى قوله تعالى : ﴿ سِجِّيْلٍ ﴾ أي : من شديد عذابه ، والعرب إذا وصفت المكروه بسجِّيل ، فإنَّها تعني به الشِّدَّة ، ولا يُوصف به غيرُ المكروه ؛ قال الشاعر(٢٦) :

[من البسيط]

ورَجْلَةٌ يضربونَ الهامَ ضاحيةً　　ضَرْباً تواصَتْ بِهِ الأَبطالُ سِجِّيلا

أي شديداً .

﴿ أَبَابِيْل ﴾ : قال أَبو عُبيدة : لا واحد لها(٢٧) ، وقال غيره : إبَّالة ، وقيل : إبَّوْل ، وجاء في التَّفسير أنَّ اللهَ أَرْسَلَ عليهم سَيْلاً فَحَمَلهم إلى البحر .

تمَّ الكتاب(٢٨)

الحمد لله وحده وصلواته على سيدنا محمد النَّبيِّ وآله وسلامه

وهو حسبنا ونعم المعين

---

(٢٦) هو تميم بن أبيّ بن مقبل ، والبيت في ديوانه (٣٣٣) من قصيدة على النُّون ، وروايته :

وَرَجْلَةٌ يضرِبونَ البَيْضَ عَنْ عُرُضٍ　　ضَرْباً تَواصى بِهِ الأبطالُ سِجِّينا

وَسِجِّيل وسجِّين بمعنًى واحد .

ـ والرجلة : المشاة (على الأرجل) . وفي اللسان : قال بعضهم : سجِّيل من أسجلته أي أرسلته ؛ فكأنها مرسلةٌ عليهم .

(٢٧) مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/٣١٢ .

(٢٨) عبارة الختام من (ف) .

روامیز النسخ الخطية المعتمدة في التحقيق



راموز أول التشبيهات في سورة البقرة من نسخة الأسكوريال



راموز ورقة أخرى من نسخة الأسكوريال

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله رب العالمين وصلواته على خير خلقه محمد النبي وآله أجمعين وسلامه
قال الشيخ أبو القاسم عبد الله بن محمد بن ناقيا
البغدادي [illegible] الله سعادته

التشبيهات نوع مستحسن من أنواع البلاغة وقد ورد منه
في كتاب الله تعالى ما نحن ذاكروه في هذا الكتاب وذاهبون إلى
إيضاح معانيه والتنبيه على مكان الفضيلة فيه ونقول في
كيفية التشبيه إن الشيء يشبه بالشيء تارة في صورته
وشكله وتارة في حركته وفعله وتارة في لونه وجوهره
وفي سوسه وطبعه وكل منهما متميز بذاته والتشبيه واقع
من بعض جهاته ولذلك يصح تشبيه الجسم بالجسم والعرض
بالجسم والجسم بالعرض والعرض بالعرض وللتشبيه
أدوات منها الكاف وكأن ومثل وشبيه ونحو ذلك وربما
استغني عن هذه الأدوات بالمصدر نحو خرج خروج القدح
[illegible] النجم ومرق مروق السهم ولا يكثر مثل هذا
[illegible] التشبيهات مقرونة بالأدوات
[illegible]

سورة البقرة

قوله عز وجل ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد
قسوة. معنى قست أي غلظت ويبست وعست وكأن
القسوة في القلب ذهاب اللين والرحمة والخشوع
والرقة ومعنى قوله بعد ذلك يريد من بعد إحياء الميت لكم
بعضو من أعضاء البقرة أي هذه آية عظيمة كان يجب على من
شاهدها فشاهد إمساكها من قدرة الله تعالى ما يزيل كل شك
أن يلين قلبه ويخضع والخطاب ها هنا لذلك للجماعة ولم يقل
ذلكم لأن الجماعة تؤدي إلى لفظ الجمع والفريق والخطاب
في لفظ واحد ومعنى جماعة ويجوز في قوله فهي كالحجارة أمثال
لها لأن الفاء مع هي جعلت الكلمة بمنزلة فخذ فحذف منها
الكسرة استثقالا. وروى بعضهم جواز إسكانها وإسكان
الياء معها وأنكر ذلك قوم وكذلك هو ربكم قالوا لأن الكاف
مضمر حركته إذا انفرد الفتح نحو أنا ربكم فكما لا تسكن
نون أنا لا تسكن هذه الواو. ومن قرأ أشد قسوة رفع
بإضمار هي كأنه قال أو هي أشد قسوة ومن نصب فهو خفض
في الأصل لمعنى الكاف ولكنه على وزن أفعل لا ينصرف للصفة
ووزن الفعل ففتح وهو في موضع جر والمناسبة الله عز وجل
قلوبهم في القسوة بالحجارة لأن الحجارة هي غاية في [illegible]

[illegible] غفر الله ذنوبه وستر عيوبه آمين

راموز أول التشبيهات في سورة البقرة من نسخة المكتبة الرفاعية في حلب

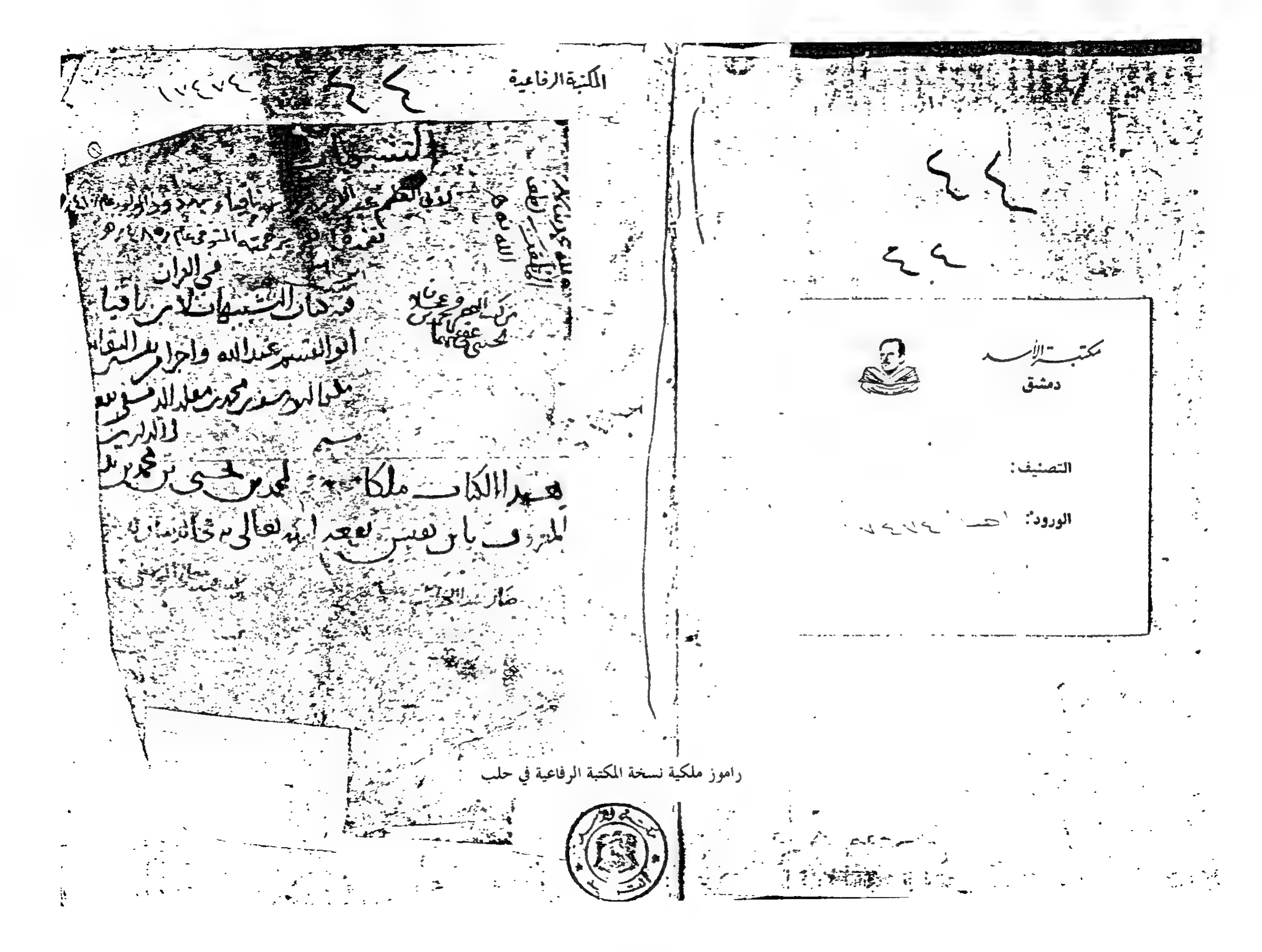
أمية بن أبي الصلت

تم الكتاب

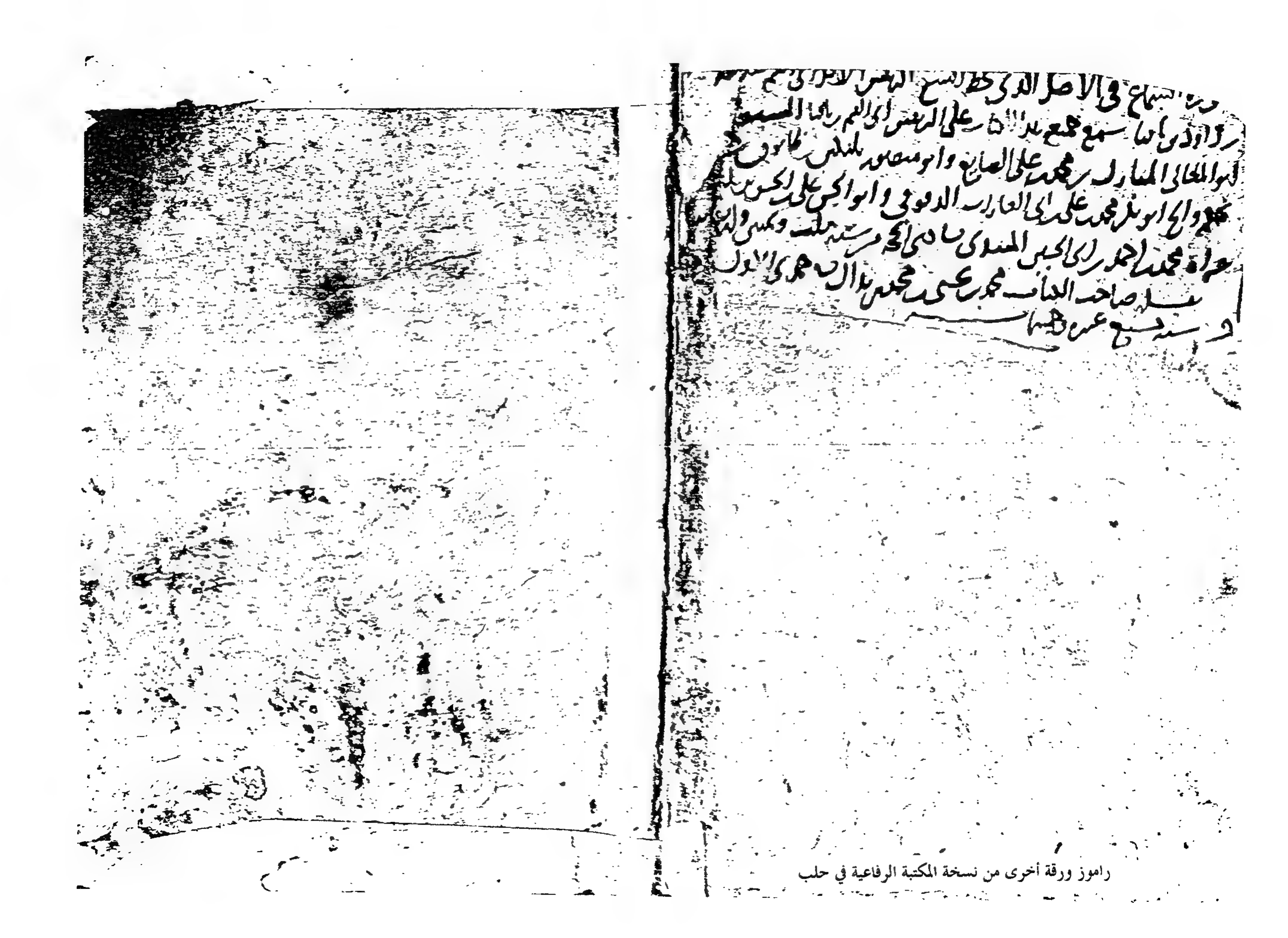
الحمد لله وحده وصلواته على سيدنا محمد النبي وآله وسلامه

وهو حسبنا ونعم المعين

راموز آخر التشبيهات في نسخة المكتبة الرفاعية في حلب



راموز ملكية نسخة المكتبة الرفاعية في حلب



راموز ورقة أخرى من نسخة المكتبة الرفاعية في حلب

الفهارس العامة

١- الآيات القرآنية

* * *

٢- الأحاديث الشريفة

الحديث	الصفحة
اللهم اشدد وطأتك عليم واجعلها سنين كسني يوسف	٣٩١
إحدى عينيه عوراء لا حدقة لها والأخرى كأنها كوكب دري	١٨٩
أجل هو عبد الله وكلمته ألقاها إلى مريم	٣٥٦
إذا جاء الرطب فهنئوني؛ وإذا ذهب فعزوني	١٤٩
إذا طلع النجم لم يبق في الأرض من العاهة شيء إلا رفع	٢٣٦
أربعة من الشقاء جمود العين وفساد القلب وطول الأمل والحرص على الدنيا	٤٥
أعوذ بك من الجشع والهلع	٣١٠
أطعموا نفساءكم الرطب فإن الله لو علم شيئاً خيراً منه أطعمه مريم...	١٤٩، ١٥٠
أعتق صفية وتزوجها وجعل عتقها صداقاً وأولم عليها بحيس	١٥٠
أتكيلون أم تهيلون ؟ قالوا نهيل. قال فكيلوا ولا تهيلوا	٢٠٧
...أن خلّ إليهم الحمل فخلاه إليهم	٣٢٦
إن مما ينبت الربيع لما يقتل حبطاً أو يلم	٣١٠
إن من الشعر لحكمة	٢٨٩
أنت كما قيل، كل الصيد في جيب الفرا	٣٨٨
...إنك جئتنا فأعطيناك، وقلت ما قلت...	٢٩٣
إنكم لن تسعوا الناس باموالكم فليسعهم منكم بسط الوجه وحسن الخلق	٢٩٠
إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم بأخلاقكم	٢٨٩
أولم النبي صلى الله عليه وسلم على صفية بتمر وسويق	١٥٠
بعثت بالحنفية السهلة	٢٩٠
خير تمركم البرني	١٥٠
الدنيا حلوة خضرة فمن أخذها بحقها بورك له فيها	١١٦

الحديـــث	الصفحة
الرحم شجنة فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته	٣٣٥
فلعلك إن أعطيتك سيفاً أن تقوم في الكيول	٣٨٣
فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل	٣١٥
كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا استسقى قال: اللهم اسقنا...	٨٦
كفى بالسلامة داءً	١١٤
كناني رسول الله صلى الله عليه وسلم ببقلة كنت أجتنيها	٣٢٧
لا تحل الصدقة لمحمد وآل محمد	٦١
لا تغضب	٢٩٠
لو علم الله أن شيئاً للنفساء خير من الرطب لأمر مريم به	١٤٩
لو علم الناس وجدي بالرطب لعزوني فيه إذا ذهب	١٤٩
لو أن الله حبس القطر عن الناس سبع سنين ثم أرسله ...	٢١٨
ليس للنفساء خير من الرطب أو التمر	١٤٩
ليس للنفساء مثل الرطب ولا للمريض مثل العسل	١٤٩، ١٥٠
ما سقي فيها بعلاً ففيه العشر	١٤٥
مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن مثل الأترجة...	١٥٢
مثل المؤمن مثل الخامة من الزرع تميلها الريح مرة كذا ومرة كذا...	٣٣٥
مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن مثل الأترجة...	٣٣٦
مرحباً ببنت آخر نبي ضيَّعه قومه	٤٢٠
نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور	٣٣٩
نعم ويبعثك الله ويدخلك النار	٣٤٢
نهى في الاستنجاء عن الروث والرمة	٣٤٢
هو الطهور ماؤه والحل ميتته	١٥٩
هي شجنة من الله	٣٣٥
يا عائشة إذا جاء الرطب فهنئيني	١٤٩

* * *

٣- الشعر

صدر البيت	قافيته	البحر	الشاعر	الصفحة
فلا مزقة	إبقالها	المتقارب	الأعشى	٣١٨
ويكللون	أيتامها	الكامل	لبيد بن ربيعة	٢١٦
متى أدع منهم	خذولُها	الطويل	الأعشى	٣٤٥
أتتنا بليل	نظامُها	الكامل	شاعر	١٩١
فلها هباب	جهامُها	...	لبيد	٢٠٧
وزاد عون	علينا	الرجز	ابن الأعرابي	٣٠٦
ربيت سماوته	أغصانها	المتقارب	يحيى بن علي المنجم	٣٣٤
فقلت والله	لترحلنا	...	راجز	٧٨
فما روضة	حوذانُها	...	قيس بن الحطيم	١٠٩
يتعاوران	نسجاها	الكامل	عدي بن الرقاع	٢٧٢
كدرة غواصٍ	ضميرها	الطويل	الفرزدق	٣٦٦، ٣٦٧
بأرض ترى فيها	غيرها	الطويل	ذو الرمة	٣٥٨، ٣٥٩
في بيضة بات	متجافياً	الطويل	عبيد بن الحسحاس	٢٨٤
ما استوصف الناس	ما وصفوا	البسيط	جرير	٣٦٨
تهين النفوس	أوفى لها	المتقارب	الخنساء	٣٨٠
وبيضة خدرٍ	خباؤها	...	امرؤ القيس	٢٨٥
بعثت له دهماءَ	عقيمّها	الطويل	الفرزدق	٢٢١
خنساء ضيعت	وبغامها	الكامل	لبيد بن ربيعة	٤٠١، ٤٠٢
وتضيء في وجه	نظامُها	الكامل	ابن المعتز	٣٧٠
يهززن للمشي	يبرينا	البسيط	ابن مقبل	٢٠٧
أضرت بضوء البدر	تغيبا	الطويل	البحتري	٢٦٣
تسألني	كم لي	الرجز	رؤبة بن العجاج	٣٥٦
حمدت الله	تسعى إلينا	الوافر	نفيل بن حبيب	٤٣٠
لا تلمني عتيق	قد كفاني	الخفيف	عمر بن أبي ربيعة	٣٧٦

صدر البيت	قافيته	البحر	الشاعر	الصفحة
وكأن إبريق	مدلّها	الكامل	ابن المعتز	٤١٠
عذيري من الأيام	أشأما	الطويل	البحتري	١٣٣
وقد تردم	مراما	المجتث	ابن المعتز	٢٣٣
لنا الجفنات القر	نجدة دما	الطويل	حسان بن ثابت	٢١٨
لنا برك	وتقدما	الطويل	شاعر	١٦٨
ثقال الجفان	عذمذما	الطويل	شاعر	٢١٨
على ضيق	أصبح سائماً	الطويل	أبو جندب الهلالي	٣٤٥
أصبحت روضة	عقيما	...	الطائي	٣٣٩
ليت السماك	سليماً	الكامل	شاعر	٢٥٠
عليك سلام الله	أن يترحما	الطويل	عبدة بن الطبيب	٢٩٢
أصبحت	عقيماً	..	أبو تمام	١١٣
فمن يلق خيراً	لائماً	...	المرقش	٩٠
قوم إذا الشر	ووحداناً	...	قريط بن أنيف	٧٠
أصبب إلي	وبالسلان سلانا	البسيط	جرير	٣٣٣
كأنها روضة	حسنا	...	شاعر	١١٠
برأس من بني جشم	والحزونا	الوافر	التغلبي	٣٩٣
ألا هبي بصحنك	الأندرينا	الوافر	عمرو بن كلثوم	٢٧١
كأنها الذهبُ	شيطانا	...	الفرزدق	٧٤
إن العيون	قتلانا	البسيط	جرير	١٨٤
إن شرخ الشباب	جنونا	...	حسان بن ثابت	٧٧
وفي الظعائن	واليمنا	...	المقنع الكندي	٧٦
تخرمها العطاء	قرينا	الوافر	سالم الوالبي	١٤٦
عرف الديار	أبلادَها	الكامل	عدي بن الرقاع	٢٧٧
قلمّ	مدادها	...	عدي بن الرقاع	٢٧٧

صدر البيت	قافيته	البحر	الشاعر	الصفحة
طيب تفرها	قرْطُ	الخفيف	ابن الرومي	٢٣٤، ٢٣٥
أليس دراني	الأصابعُ	...	لبيد بن ربيعة	١١٧
فإنك كالليل	عنك واسعُ	الطويل	النابغة	١٣٣، ٢٦٧
كساكِ	ساطعُ	...	أبو تمام الطائي	١٠٧
فبت كأني	السم ناقعُ	الطويل	النابغة	٢٠٣
أحلام نوم	لا يخدع	الكامل	الحسن البصري	١٢٣
حتى كأني	يوم تقرع	...	أبو ذؤيب	٤٨
بها ضرب أذناب	وتمصعُ	الطويل	أعرابي	٢٧٦
ولما غدت أمي	كان يمنعُ	الطويل	مزرد بن ضرار	٣٠٥
أمن ريحانة	هجوعُ	الوافر	عمرو بن معدي كرب	٢٧١
وما حبسُ	وشوعُ	الطويل	الطرماح	١٦٦، ١٦٧
فيا حجرات الدار	ربيعُ	...	مجنون ليلى	٣٢٨
سقى طلل	وربيعُ	...	قيس بن ذريح	١٠٣، ١٠٤
أصمُّ	سميعُ	...	راجز	٩٥
عمرو العلى	عجافُ	الكامل	ابن الزبعرى	٢٢٠
كيف السلو	النجفُ	البسيط	دعبل بن علي	١٥٤
فجاءت	الطوائف	الطويل	أوس بن حجر	٣٦٥
وهادٍ كجذع	أشدق	الطويل	ذو الرمة	٤٢١
والبدر في أفق	قناعُ أزرقُ	الكامل	شاعر	٢٦٤
وخرقٍ مخوفٍ	يترقرقُ	الطويل	الأعشى	١٩٦
أداراً بجزوى	يترقرقُ	الطويل	ذو الرمة	١٦٩
رجيعة أسفار	مطرقُ	الطويل	ذو الرمة	٢٠٤
وردت اعتسافاً	محلقُ	الطويل	ذو الرمة	٢٣٢
كل الخلال التي فيكم	والخلقُ	البسيط	شاعر	٣٣٧

صدر البيت	قافيته	البحر	الشاعر	الصفحة
فإن يمس	تفلقُ	...	الأعشى	٤٩
وقد أصفت	الفروقُ	الوافر	ابن المعتز	٢٣٤
نفى الذمَّ	تفهقُ	الطويل	الأعشى	٢١٦
لقد سرني	دقيقُ	الطويل	شاعر	٢٦٠
وإذا دعوت	طوالُ	الكامل	حيان بن حنظلة	٣١٦
يتبعن سامية	الإبلُ	...	القطامي	٧٨
ألست منتهياً	ما حنت الإبلُ	...	الأعشى	٣٢٠
وشعثاء غبراء	أو هي أجملُ	الطويل	الأشنانداني	١٩٣
وما يك من خيرٍ	آبائهم قبلُ	...	زهير	٣٢٣
فما وجدُ مغلوبٍ	كبولُ	الطويل	بعض العرب	١٧١
نسير إلى الآجال	وهن رواحلُ	...	ابن المعتز	١١٩
كأنهم خشب	منجدلُ	البسيط	شاعر	٣٤٧
وذموا لنا الدنيا	تعلُ	الطويل	ابن همام السلولي	١٢٢
ترى طالبي الحاجات	أدّها النملُ	الطويل	أبو خراش	٣٤٥
فليس كعهد الدار	السلاسلُ	الطويل	أبو خراش الهذلي	٣١٨
عليهن فتيان	ويستعلوا	...	زهير	٧٣
يود الفتى	يفعلُ	...	النمر بن تولب	١١٤
ما روضةٌ	هطلُ	...	الأعشى	١١٠
لقد غرسوا غرس	يحصد البقلُ	الطويل	بعض المولدين	٣٢٣
كأن مشيتها	ولا عجلُ	البسيط	الأعشى	٢٠٥
ولاحت لساريها	قرطٌ مسلسلُ	الطويل	الأشهب بن رميلة	٢٣٤
فدع عنك سعدى	ثم تأفلُ	الطويل	كثير	٢٣٦
باتوا على قلل	القللُ	البسيط	المتوكل	١٢٤، ١٢٥
وسوداء لا تكسى	أزملُ	الطويل	بعض الأسديين	٢٢٢

صدر البيت	قافيته	البحر	الشاعر	الصفحة
ووجهٍ كأن	لم يتخددِ	الطويل	طرفة	٢٦٩
غنيتْ	وتوددِ	...	النابغة	٩٩، ١٠٠
ترى بين لحييها	الممدد	الطويل	الحطيئة	٢٧٥
وقائلة والليل	وقردد	الطويل	أبو بديل الوضاح التميمي	٢٦٣
فلا تغترر	لظى الحقدِ	...	ابن ناقيا	٢٩
تراه خميص البطن	القميص المقددِ	الطويل	دريد بن الصمة	٢٩٥
باتت عليه	متهدد	الكامل	ابن أحمر	٢٤٩
كأن الثريا	ذات المحاسدِ	الطويل	الكميت	٢٣٥
على جدولٍ	الباردِ	الطويل	ابن المعتز	١٦٧
ونارٍ كسحر العود	الشوارد	...	شاعر	٤٢٣
بيضاء آنسة	ليلٍ مبردِ	الكامل	ذو الرمة	٢٦٢
لمن الديارُ	المخلدِ	...	زهير بن أبي سلمى	٩١
من وحشي	الفردِ	البسيط	النابغة	٢٦٧
وشباب حسنٍ	نزار بن معدّ	الرمل	أبو داود الإيادي	٣٤٣
نظرت إليك	وجوه العودٌ	الكامل	النابغة	٢٦٧
وترى الثريا	بغدفدِ	الكامل	ابن المعتز	٢٨٦
سقى الغيث	المتقاودِ	...	البحتري	١٠٨
يتلو الثريا	عنقودِ	المنسرح	ابن المعتز	٢٦٤
وقلصٍ	الجلودِ	الرجز	ذو الرمة	١٧٦
نظرت إليك	وجوه العوّدِ	الكامل	النابغة	٢١٢
وأصبحت مما كان	الماء باليد	الطويل	الأحوص	١٤٠
يشق حباب الماء	باليدِ	الطويل	طرفة	٢٦٩
لعمركَ	وثنياه باليد	الطويل	طرفة	٢٦٩
معاويَ	ولا الحديد	...	عقبة الأسدي	٤٨

٤- الأعلام (أشخاص وجماعات)

(ب)

(ج)

(ح)

(خ)

(غ)

(ط)

* * *

٥- الأماكن

* * *

المحتوى

الموضوع	الصفحة